

مواد البيان

لعلي بن خلف الكاتب

المتوفى بعد سنة ٤٢٧ هـ

تحقيق

الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن

إهداء من

سيف بن أحمد الفرير

دبي - الإمارات العربية المتحدة

دار البشائر

دمشق - سورية



جديد بديفا®
jadidpdf.com

مَعَالِمُ الْبَيْتَانِ

لعلي بن خلف الكاتب

المتوفى في سنة ٤٣٧ هـ

تتحقق

للفكر سافر الدكتور من أرم حياض الضامن

مكتبة الدراسات الإسلامية والعربية

إهداء من

سيف بن أحمد الغير

دبي - الإمارات العربية المتحدة

دازا البستان

للطباعة والنشر والتوزيع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المصنوع : مولد البيان
تأليف : علي بن خلف الكاتب
تحقيق : الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن
عدد الصفحات : ٤٧٠ صفحة
قياس الصفحة : ١٧ × ٢٤ سم
عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة
التصنيف والإخراج الفني : زياد ديب السروجي
المطبعة : دار الشام للطباعة

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والفوتوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي
والسموع والعماري وغيرها من الحقوق إلا بإذن
خطي من:



دار البیت النذیر

الطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع ٢٩ تيار - جادة كوجية حداث

هاتف : ٢٣١٦٦٦٨ - ٢٣١٦٦٦٩

ص. ب ٤٩٢٦ سورية - لاسكس ٢٣١٦١٩٩

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا الكتاب الذي نقوم بنشره أثرٌ نادرٌ في صناعة الكتابة ، جليلٌ القدر ، عظيمٌ النفع ، كبيرٌ الفائدة ، جمع فيه مؤلفه الآداب الخاصة بالكتابة ، والعلوم التي يجب أن يعرفها كلُّ كاتبٍ لتعينه على إنجاز عمله في كتابة الإنسان .

والكتابة العربية أشرف الكتابات لأنَّ الكتاب العزيز لم يُرقم بغيرها .

وصناعة الكتابة من أثيل الصنائع خطراً ، وأحسنها على أهلها أثراً ، لاشارك الخاصة والعامة في استعمالها .

وقد وقع لي هذا الكتاب بفضل صديقي المستشرق الألماني راينهوت فايرت إذ وافاني بنسخة مصورة منه فله مني خالص الشكر والتقدير .

ونشرت الكتاب في سبعة أعداد من مجلة المورد قبل خمسة عشر عاماً .

وفي دين الحبيبة الضيعة الشيخ الجليل سيف الغرير الذي تفضل بطبع هذا الكتاب على نفقته الخاصة ، فجزاه الله خيراً عن العلم والعلماء . والحمد لله أولاً وآخراً ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

حاتم صالح الضام

ديب

١٤٢٢ / ١٢ / ٢ هـ - ٢٠٠٢ / ١٢ / ٢ م

مؤلف الكتاب

أبو الحسن علي بن خلف بن علي بن عبد الوهاب الكاتب ، من كتاب الفاطميين في القاهرة ، كان حياً سنة ٤٣٧ هـ . ولم تقف على ترجمة له إذ أغفلته كتب التراجم جميعاً .

ومن حسن الحظ أننا وقفنا على نص مهم في كتابه (مواد البيان) إذ جاء في ص ٣٨٠ :

(. . . وإنه لو أغفل إلحاق السنة الخراجية بالهلالية لكان بينهما من سنة الهجرة وإلى مستتبا هذه وهي سنة سبع وثلاثين وأربعمئة . . .) .
ومن هذا نتبين أن المؤلف قد توفي بعد سنة ٤٣٧ هـ .

ولعلي بن خلف كتاب سماه (آلة الكتاب) أشار إليه في موضعين من كتابه (مواد البيان) .

قال في ص ٣١٨ : (. . . ويخرج من هذين الأصلين أقلام عدة ذكرنا كثيراً منها في كتابنا الذي نعتناه بآلة الكتاب) .

وقال أيضاً في ص ٣٢٥ : (ولسنا نحتاج أن نذكر أحكام الهجاء والمصطلح عليه منها ، لأنها موجودة في مظانها ، وقد استوفينا القول عليها أيضاً في كتابنا المرسوم له بآلة الكتاب) .

وإنه كتاب الخراج ، قال في ص ٣٩ : (وستستوفي القول في الفائدة به وبالمبرزين فيه في كتاب الخراج إن شاء الله تعالى) .

وقال أيضاً في ص ٥٤ : (. . . وستستوفي القول في كتاب الخراج إن شاء الله) .

ولا بد من الإشارة إلى أن حاجي خليفة قد اكتفى في كتابه كشف الظنون ١٨٨٨ بقوله :

(موارد البيان لعلي بن خلف بن عبد الوهاب الكاتب) .

وشُرِّفت مواد فيه إلى موارد .

هذا كلّ ما نعرفه عن المؤلف وعسى أن يقف أحد العلماء على ترجمة له
يفيد العلم وأهله .

كتاب مواد البيان

سبب وضع الكتاب :

يبيّن المؤلف السبب في وضع هذا الكتاب فقال :

(وعلة وضعنا لكتابنا هذا وغبتنا أن نصنّف كتاباً جامعاً لما تنظمه صناعة الكتابة
من العلوم والآداب الخاصة بها ليجد من يعنى بهذه الصناعة جميع ما يروونه من
أصولها وفروعها التي فرّقها المصنفون في الكتاب مودعة فيه ، ويعرف به
الطالب جلاله خطرها وارتفاع قدرها بين الصنائع ، ويصرف همه إليها ليتعز
من انتضى إليها بالاسم دون الرسم وبالزّي دون المعنى) .

أبوابه :

قسم المؤلف كتابه على عشرة أبواب هي :

الباب الأول : في حد صناعة الكتابة ونفيلتها ومنفعتها وغرضها وقسمتها
ورسم الكتاب وعلة وضعه .

الباب الثاني : في البلاغة وأقسامها الأصلية .

الباب الثالث : في أقسام البلاغة الفرعية .

الباب الرابع : في صناعة البديع وأبوابها .

الباب الخامس : في ما يُخرج الكلام عن أحكام البلاغة .

الباب السادس : في أنّ الطبع هو قوام الصناعة ونظامها واحتذاء مذاهب
السابقين بكمالها وتماها .

الباب السابع : في أوضاع الخط وقوانينه وترتيب الصدور والأدعية والعنوانات والتاريخ والختم .

الباب الثامن : في رسوم المكائيات .

الباب التاسع : في آداب الصناعة .

الباب العاشر : في آداب السياسة .

أهميته :

تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه من الكتب المؤلفة قديماً في صناعة الكتابة ، وكان لهذا السبب من أهم مصادر الفقه شندي في كتابه صبح الأعشى إذ نقل عنه في نحو مئتي موضع مشيراً إلى اسم الكتاب مرة وإلى اسم المؤلف أخرى ، واعتمد عليه كثيراً في الباب الذي تحدث فيه عن (مذاهب كُتّاب الدولة الفاطمية) . وكان يتصرف بالنقول وقد أشرت إليها في الحواشي .

ويغرد الكتاب بنصوص كثيرة ورسائل مهمة .

شواهد :

استشهد المؤلف بنحو مئة وتسعين آية ، وتسعة وثلاثين حديثاً وأثراً ، وسبعة عشر مثلاً وقولاً . أمّا الأشعار والأرجاز وأنصاف الأبيات فقد أُرِيت على ٧٥٠ .

وقد استشهد بكثير من شعر الجاهليين والمخضرمين والأمويين ، وأورد كثيراً من شعر المباسمين كأبي تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ، والبستي ، وابن المعتز ، والشريف الرضي وغيرهم .

مصادره :

اعتمد المؤلف على الكتب المؤلفة في البلاغة والبيان والبدیع وصناعة الكتابة ، وأشار في كتابه إلى ابن المعتز وقدامة بن جعفر وأبي علي الحانمي والرماني وأبي علي النحوي . ونقل من كتاب الخراج لقدامة أيضاً وصرح باسمه .

مخطوطة الكتاب :

هي نسخة فريدة تحتفظ بها مكتبة القاتح بإسلامبول برقم ٤١٢٨ .

وتقع هذه النسخة في ٢٠٢ ورقة ، في كل ورقة صفحتان ، عدد أسطر كل صفحة ١٥ سطراً .

وقد كتبت النسخة بخط النسخ المضبوط بالشكل ، وترقى كتابتها إلى القرن السادس الهجري . وعلى صفحة العنوان عدة تملكات كما في الصورة المرفقة بنشرتنا هذه .

والمخطوطة ناقصة الآخر إذ ينقص من أبوابها العشرة المذكورة في مقدمة الكتاب البابان التاسع والعاشر . ويتبين بمقابلة المخطوطة بصيغ الأعشى أن النسخة التي اعتمد عليها القلقشندي أكمل من نسختنا هذه إذ ثمة نقول كثيرة من البابين الناقصين في صيغ الأعشى .

ولا بد من الإشارة إلى أنني جعلت صيغ الأعشى أصلاً ثانياً اعتمدت عليه في المقابلة وقد أشرت إلى نقوله في الحواشي ومما يؤخذ عليه أنه كان يتصرف بنصوص (مواد البيان) .

وثمة مواضع فيها بياض بقدر كلمة أو كلمتين وضعت مكانها نقاطاً من غير إشارة إلى ذلك .

واتبعت في الكتابة الرسم الإملائي المعروف عندنا ولم أشر إلى رسم المخطوطة .

وقد أرفقت بنشرتي هذه صوراً لعنوان المخطوطة وللصفحتين الأولى والأخيرة .

والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

[Signature]

کتابخانه

۱۰۰

کتاب مؤدائیہ

۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱
 ۴۷۲
 ۴۷۳
 ۴۷۴
 ۴۷۵
 ۴۷۶
 ۴۷۷
 ۴۷۸
 ۴۷۹
 ۴۸۰
 ۴۸۱
 ۴۸۲
 ۴۸۳
 ۴۸۴
 ۴۸۵
 ۴۸۶
 ۴۸۷
 ۴۸۸
 ۴۸۹
 ۴۹۰
 ۴۹۱
 ۴۹۲
 ۴۹۳
 ۴۹۴
 ۴۹۵
 ۴۹۶

تصنيف الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي العباس
وكتبه في سنة ١٢٠٤ هـ عبد الوهاب الشافعي

۱۰۰



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله



صفحة العنوان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ خَلْقِهِ وَاللَّهُ
 وَجَّهَهُ أَجْمَعِينَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ خَافِزٍ عَلَى بَرِّ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْكَاتِبِ رَحِمَهُ
 لَمَّا بَدَأَ قُلْنَ الصُّوْلَ شَجَارَ وَالْعُلُومَ نَمْرَهَا وَالْأَهَامَ عَمَارَ وَالْأَدَابَ
 جَوْمُهَا وَالشَّيْبَ نَجْمُهَا وَاللَّكْمَ نَوْزَهَا وَمِنْ لُطْفِ مُصَنِّعِ اللَّهِ تَعَالَى
 وَصْنِهِ أَنْ جَلَّ لِجَلِّ ذِي بَهْدٍ بَصِيْقَهُ غَرَسَ مِنْ مِرْوَةٍ قُوَّةً يَسْتَدِرُّ
 بِهَا عَلَى أَصْنَابِ الْبَنَائِعِ وَأَرْغُلِيهَا وَالْحَوِيلَ مَا قَصُرَتْ فَرَامِجُ مُقْضِيَةٍ
 عَنْ كَيْفِهَا عِلَانَةٍ كَمَا لَهَا فَلْيَسَّرْ لِي كَيْفَ أَوَّلِهَا الْكُفْرَ مِنْ أَفْعَى فِدَائِهِ
 لَمْ يَسِمَ إِذَا جَرَّدَ صُورَ الْمَعَانِي مِنْ مَوَادِّهَا وَظَنَّ أَنْ وَاحِدًا مِنْ
 لِبْسَانِهَا بَيِّنَاتُهَا مَعَارِفُ أَرْوَتْ مِنْ مَعَارِصِهَا شَوْقًا وَأَدَقَّ تَطْيِيرُهَا انْفِشَارًا
 وَرَبَّ مَخْطُطَهَا وَالْقَدْرَ وَنَظَرَ مِنْوَرَهَا وَحِكْمَهُ وَكَمَلَتْ مِنْوَصَفَا
 وَرَأْسُهَا مَحْصُومَتَا وَحَلَّ قُصُومَهَا وَنَزَعَ عَالَمَهَا وَجَلَّاهُ وَالْبَسَ عَالَمَهَا وَكَاهُ
 وَصْنِي مَرْتَعَهَا وَنَقَى قَدْرَاهُ فَالْإِلَهُ وَهُوَ الْمُحَوِّدُ مَدْرَسِي هَذِهِ لِلْوَهَّابِ
 يَمُودُ الْوَلَدُ وَالطَّلَاقُ يَمُودُ وَأَقْدَرُ الْأَسْبَابِ عَلَى أَسْتِنَائِهَا سَبِيلُ الْإِلَهِ

الأسلابل لما ينحصر في الصفو القسري الذي شرع الله تعالى فيها الخفيف والطيب
واليسر والفاخر والمزج والكافي وحفظها موهبة شامة للشيخ المفسر
مع علمه والمزج والنايب والكافوكسوم ثم يؤخذ من الكتاب ما يوحى به
رسله ويضع من الألف ما ينظمه سلطانه ان شاء الله تعالى

موادُّ البيان

لعلي بن خلف الكاتب
المتوفى بعد سنة ٤٣٧ هـ

(٢) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه أجمعين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال علي بن خلف بن علي بن عبد الوهاب الكاتب ، رحمه الله : أتا بعد فإن المقول أشجار ، والعلوم ثمرها ، والأفهام بحار ، والأدب جوهرها ، والبصائر نجوم ، والحكم نورها ، ومن لطيف صنع الله تعالى وصنعت أن جعل لكل ذي بصيرة بصيرة وغريزة منيرة قوة يقتلر بها على اقتضاب الصنائع وإرتجالها ، والوصول بما قصرت قرائع مقتضيه عن تكميل غايات كمالها فليس المبتكر أولى بما ابتكره ممن اقتضى فيه أثره ، لا سيما إذا جرد صور المعاني من موادها ، وخلص أرواحها من أجسادها ، وبذلها بمعارض أرق من معارضها شفوفاً وأدق تطويراً وتعريفاً ، ورتب مخلطها وألفه ، ونظم منثورها وعكفه ، وكمل منقوصها وراش محصورها وتخل فصوصها ، وزين عاطلها وحلاه وأبس عاريها وكساه وصفى مرقعها ونقى قذاه ، فإن الله وهو المحمود قد سوي في هذه المعجزة بين النالدين والطارفين ، وأقدر الأنفين على استئان سنن السالفين .

(٣) فمن جدراء أن نشيم مقاصل اللبابة فنطبق بها مفاصل الإصابة ، ونصرف بين اقتضاب رائع وتصنيف بارع واختيار واقع ، فإن اقتضينا اقتضينا نوارد الكلام ، وإن صفتنا ألفنا فرائد النظام ، ولولا سبق الأولين إلى ما اخترعوه ووجودهم بتقدم الزمان إلى إفراغ ما أفرغوه حتى لا يكون ملقى مهملًا وملقى مرسلاً لا يمكن أن يقع المحدثون على ما وقعوا عليه ، ويصلوا إلى ما وصلوا إليه ، إذ المعاني قائمة في نفوس المميزين ، وليس المتقدم أحق بالولاء عليها من المتأخر ، ولذلك تواردت فيها الخواطر ، وتوافقت إليها توافي الحوافر .

ولما كان كثير من مستنبطي الصناعات يعجزون لاستفراغهم قوى قرائعهم

في إقامة صور ما استنبطوه ، وإخراجه من القوة إلى الفعل ، عن إلياس برود التميم وتخليته كعمود التنظيم ، خصنا الله تعالى بالفضيلة في استدراك ما أغفلوه ، وتحلية ما صوّروه ، وأقدروا بما حملوه عنا من مؤونة الابتداع وأبقوه على قرائحنا من فضل [الاتباع] على تفصيل ما أجملوه وتلخيص ما اقتضوه ، فلمهم حتى التشكيل والتركيب ، ولنا حتى التكميل والترتيب ، ولذلك لا شيء من العلوم والصناعات إلا ونغير حليته ، وتبدل صيغته ، وبسطه واختصاره ممكن متسهل إلا أن (٤) القرائع تخص كل صناعة من العناية بتفقيحها وتهذيبها وتصحيحها وترتيبها بقدر شرف تلك الصناعة وفضيلتها وما يستثمر من جدواها وعائدتها .

ولما كانت الصناعة الكتابية والفضيلة البراعية من أنبال الصنائع خطراً وأحسنها على أهلها أثراً لا شريك الخاصة والعامة في استعمالها ، وأخذ كل منهم ما تقتضيه حاجته ومتزلة منها أكثر الناس من وضع الكتب فيها ، وصار المعنى بالتصنيف فيها إنما يقتضي على مثل السالف مُبَيَّراً على معانيه ، مُغَيَّراً لألفاظه ومبانيه ، إلا أننا لما طالعنا الكتب الموضوعة منها وجدنا أكثرها معدولاً به عن الطريق المقاصد إليها ، لأن من الواضعين من اختصر وقصّر ، ومنهم من أسهب وكثر ، ومنهم من شغل كتابه بأجزاء من العلوم القائمة بأنفسها الموجودة في مظانها ، لما للصناعة من الشركة فيها ، وأخل بما هو من نفسها وهو أخص بها ، ومنهم من اقتصر على إبداع كتابه رسوماً لا تستعمل إلا في دوله بذاتها وبلاد بعينها فلا ينتفع بكتابه في غيرهما ، ومنهم من نص على طريقه قد صار عرفها وأمرها أمراً لوقوع الاصطلاح على هجرها وإلغائها والاستبدال منها بما هو أليق بالزمان والمكان وأهليهما ، ومنهم من استوفى الفن الذي بهر فيه وتدرّب به وقصّر في غيره من الفنون الأخر ، وهي من أجزاء الصناعة (٥) وأقسامها .

فراينا لذلك ، وبالله التوفيق ، أن نصف كتاباً جامعاً لأصولها وفروعها

ورسومها المستعملة وأوضاعها وأقسام البلاغة وأنواعها ليكون علماً يُهتدى بناره ، ودليلاً يُسعى على آثاره ، وحاكماً يُتحاكم إليه ، ومحكاً يعرض من اعتزى إلى هذه الصناعة عليه ، وأشرنا إلى ما لا بد للكاتب الكامل من معرفته من العلوم الأخر التي هي وإن كانت من أجزائها فإنها تؤخذ من معادنها وتوجد في أماكنها ، لأن المتفردين بها قد فرغوا منها واستوفوا القول عليها ، فإن مرّ في أثناء الكلام شيء من نصوصها فإنما أتينا به تنبيهاً على القدر الكافي منها ، وإشارة إلى موقع الحاجة في الصناعة إليه ، ونعتنا هذا الكتاب بموادّ البيان ، لوقوع هذا النعت منه موقع الحقيقة . والله تعالى نسأل عوناً يُفرّغه وتوفيقاً يُسبّغه ، وهو مانٌّ بهما بفضل . وهو عشرة أبواب :

الباب الأول :

في حدّ صناعة الكتابة وفضيلتها ومنفعتاتها وقسمتها ورسم الكتاب وعلّقه ووضعه .

الباب الثاني :

في البلاغة وأقسامها الأصلية .

(٦) الباب الثالث :

في أقسام البلاغة الفرعية .

الباب الرابع :

في صناعة البديع وأبوابها .

الباب الخامس :

في ما يُخرجُ الكلامَ عن أحكام البلاغة .

الباب السادس :

في أَنَّ الطبع هو قوائم الصناعة ونظامها واحتذاء مذاهب السابقين بكمالها
وتمامها .

الباب السابع :

في أوضاع الخط وقوانينه وترتيب الصدور والأدعية والعنوانات والتاريخ
والختم .

الباب الثامن :

في رسوم المكاتبات .

الباب التاسع :

في آداب الصناعة .

(٧) الباب العاشر :

في آداب السياسة .

ونحنُ فائقون في كلِّ باب من هذه الأبواب ما يُبلغُ إلى قاصية الإقناع
والإحساب ، والله الموفق للسداد والصواب بمنه ويمنه .

الباب الأول

في حد صنعة الكتابة وفضيلتها ومنفعتها
[وغيرها] وقسمتها ورسم الكتاب وعلوّ وضعه

التحذير: (١) ما يدلّ على ذات الشيء المحدود ويميزه عن غيره عما يحصره فلا يدخل فيه ما ليس منه ، ولا يخرج عنه ما هو له .

وأما الفضيلة فإن بظهورها وقيام الدلالة عليها تسلم الصناعة من المطاعن والمثالب وتخلص من المناقص والمعائب .

وأما الغرض فإن حصول العلم به يُسهّل على الراغبين المشقة في الوصول إلى الغاية .

وأما القسمة فليؤخذ في الأهم فالأهم من الأقسام ، ويؤخذ الطريق إلى امتحان المعتزّي إلى الصناعة ، فإن لكلّ صنعة دخلاء يتظلمهم فيها اسمها ويخرجهم منها حدّها ورسمها ، وأكثر ما يتوجه النقص على الصنائع الثامة منهم ، لأن أكثر الناس يحكمون على الصناعة (أ) بوزن من حضرمهم من أهلها وإن كان ناقصاً ، ولا يراعون الكامل فيجعلون التحذير به فيتوجه الذلّط عليهم ، لأنهم ينسبون التخلّف الذي في المقصرين إلى الصنائع ، ولو أنعموا النظر لعلموا أن كمال الصناعة لا يوجد إلا عند من تطرق من أوائلها إلى أواخرها ، ومن صدورها إلى أعجازها ، وإن من تعلق بالسبب الضعيف لا يجوز الحكم به عليها ، نعم ولا أن ينسب إليها ، وهذا موجود في جميع الصنائع المهنية وغيرها ، لأننا نسمي من عانى سيراً من التجارة تجاراً ، ولا من مارس حقيراً من البناء بناءً ، وكذلك لا نسمي من وصف دواء واحداً طبيباً .
وأما الرّسم فإنه ينبىء عن الغرض بقول وخبر .

(١) ينظر : التعريفات ٧٣ ، الكليات ٢٣٨-٢٣٩ ، كشاف اصطلاحات الفنون ٢/٢٢٢ .

وأما علة الوضع فأنه يدل على السبب الذي لأجله وضع الواضع كتابه .
ونحن قائلون في ذلك بحسب الطاقة ، والله الموفق بكرمه .

القول على الحد :

أما حد صناعة الكتابة فإنها صناعة ترسم صوراً دالة على الألفاظ دلالة الألفاظ على الأوهام . وهذا الحد وإن كان ظاهراً لفظه يدل على أن جملة الصناعة إنما هو رسم الصور الخطية ، فإنه إذا تدبر وجد مشتملاً على حواشيها محيطاً بكل ما يقع فيها ، لأن الخط يرب اللفظ وقسيمه بل هو هو في الحقيقة ، لأنه لا سبيل إلى رسم صورة الموضوع للدلالة على الألفاظ إلا بعد توسط اللفظ بينها وبين الأوهام القائمة (٩) في النفس ، حتى أن من يكتب وهو صامت لا بد أن يكون مشكلاً للفظ في نفسه قبل أن تنقله يده خطأ إلى طرسه . وكذلك الناظر في الكتاب من غير جهز لا بد له من حكاية اللفظ بضميره ليكون ذلك سبيلاً إلى تمييز معناه وتحصيله . ولو اقتنع بالنظر دون تشكيل اللفظ لتعذر عليه إدراك غرضه ، وكان كالحائر في طريقه . ولذلك قال صاحب المنطق : إن النطق نطقان : نطق داخل وهو صور المعاني القائمة في النفس ، ونطق خارج وهو الألفاظ المعبرة عن تلك الصور . فأطلق على صور المعاني اسم النطق ولا نطق فيه يقرع الأسماع ، وإذا انتظم الخط ما ينتظمه اللفظ ، وانتظم اللفظ ما تنتظمه الأوهام ، فقد اشتمل الرسم على كل ما تحيط به دائرة الصناعة ولم يخرج عنه شيء مما هو لها .

القول على الفضيلة :

أما الكلام على فضيلة هذه الصناعة فإنها من الصنائع الظاهرة الشرف والجلالة ، الحائزة للسيادة والنبالة ، وذلك لاختصاصها بالقوة الإنسانية وعودها بتمام الفضيلة التمييزية من قسميها العلمي والعملية ، لأننا إنما نُمَيِّرُ فاضل الصنائع من مفضولها بتأمل أحوالها . فما كان منها مختصاً بهذه القوة

كصناعة الطب والنجوم فهو الفاضل ، وما كان مختصاً بالحيس كالبناء والتجارة وما شابهها فهو المفضول .

وصناعة الكتابة مختصة بالقوة المميزة من قسميها العلمي والعملية .

(١٠) أما العلمي فهو البيان عما يخرج من الكاتب من الصور القائمة في ضميره بالقوة إلى الفعل بالألفاظ البليغة والحساب الذي يبرزه من وهمه إلى المقد . والبيان والحساب مختصان بالقوة المميزة التي بها فُضِّل الإنسان على سائر أنواع الحيوان ، لأنه إنما انحاز عنها وانفصل منها بالمنطق .

وكما أن بالتمييز وقع الفصل بين الإنسان وأنواع جنسه فكذلك يجب أن يُفصل به في الفضيلة والنقيصة بين أشخاص نوعه ، فمن علت طبقة في البلاغة والإبانة حُكِم له بالفضيلة ، ومن انخفضت درجته فيها حُكِم عليه بالنقيصة ، لأن أثر القوة المميزة في البليغ الألسن أظهر من أثرها في المفعم الألكن .

والطريق إلى اعتبار ذلك أن تتأمل الألفاظ التي تخرج بها المعاني القائمة في نفسه بالقوة إلى الفعل ، فإن كانت ألفاظاً يطابقها ، ويقربها من الأفهام ، ويشعر عنها سجوف الإبهام ، ويجلوها في حلق الإبانة وحلق البلاغة ، دل ذلك على ممكن القوة المميزة وجودة تحصيلها وصحة تمييزها ، وإن كانت ألفاظاً معقدة دالة عليها دلالة بعيدة لا يحصل حقيقتها من أول وهلة ، ولا يوضحها إلا في زمان طويل ومهله ، دل ذلك على ضعف القوة المميزة ورداءة تحصيلها وفساد تمييزها واختلاط الصور التي فيها ، وعجزها عن تفصيلها والحكم (١١) عليها من العبارة بما يوضحها .

فهذه الصناعة أخص الصنائع بالقوة الناطقة لأنها المفردة باستعمال الأشياء الخاصة بها التي هي تأليف الكلام المشور ، وتقيدته بالخط الحافظ له على تعاقب الدهور ، وعقد الحساب وحصر المعدودات به .

وقد كان حكماء اليونان يسمون علم البلاغة العلم المحيط ، وذلك لحاجة جميع الناس إليه ، وإنما فُضِّل الإنسان على سائر الحيوان بالمنطق ، فأحق

الناس بالتراسة أبلغهم في منطقهم ، وأوصلهم للعبارة بذات نفسه ، وأوضحهم لقوله في موضعه ، وأحسنهم اختيارًا لأجزءه وأغريه .

وكما أن الحكمة أشرف الأشياء فكذلك ينبغي أن تكون العبارة عنها بأحكم المنطق وأوجز اللفظ وأبعده من الزلل ، وأن سماجة المنطق واللكنة والعي تذهب نور الحكم ، وتفسد المعاني ، وتورث الشبهة ، وتقصّر عند الحاجة ، وتلجس على المستمع .

فإنما العمليّ فهو الخطأ ، وهو لاحقٌ بالمنطق في إيضاح المعاني وإبانة الأغراض والدلالة على المقاصد ، وهو مُعَبَّرٌ صامتٌ مُسَرٌّ ، وهو مع ذلك يفعلُ فعل الناطق المفصح والمعرّب الموضح ، لأنه يدلّ على المعنى برسمه ، كما يدلّ عليه المتكلم بلفظه .

وكما أن أوهام الإنسان تدلُّ على الصور القائمة في نفسه ، وألفاظه تدلُّ من يخاطبه على أوهامه ، فكذلك الخطأ يدلُّ من بُعد عن سماع لفظه دلالة الألفاظ .

(١٢) واللفظ بفضل الخطأ بأنه دليلٌ طبيعيٌّ وآلةٌ طبيعية ، وهي اللسان . والخطأ دليلٌ صناعيٌّ وآلةٌ صناعيةٌ ، وهي القلم .

ولما كان اللفظ في السيلان لا يلبثُ إلّا ريشًا يقرعُ الأسماع ثم ينحلُّ على المكان ، وكان حفظُ السموعات كالأمر العَرَضِيّ إنما يُحتاجُ إليه في حراسة صور المحفوظات من مداومة الدرس ومطالعة المحفوظ وتمهذه بالفكر والقراءة ، وكان السيلانُ كالأمر الطبيعي لما نجده من رجوع الإنسان إليه عند إعماله ما حفظه ، ألهم الله تعالى الإنسان اقتضاب الخط وأقدره به على استكمال معنى النطق الذي خصّه بفضله واستتمام قوته ، وأوجده بسا هدايه إليه من ذلك السبيل إلى الفهم والإفهام على تغاير الأحوال ، من قُرْبٍ ومُغَلٍِّ وغِيْبٍ وحضورٍ . ولولا ذلك لما تمت منفعة النطق ، لأنّه لو عُدِمَ الخط لم يتوصّل بالنطق إلّا إلى إفهام المخاطب القريب من الصوت المنفصل عن لسان القائل

إلى أذن السامع دون غيره ممن يُعَدُّ عن سماع اللفظ ، ولتعدر على الآفنين الإطلاع على أنباء السالفين وآثار عقولهم في الفضائل والآداب ، ولم يصل إليهم منها إلا فِرْدُ يسير مما تتحمله الصدور ويؤديه الحفظ ، ولم يكن وصوله أيضاً على قصوره ونصوبه لما يدخل عليه من التغير والتبدل باضمحلال الشيء فالشيء منه عن الأوهام (١٣) التي تحضره والقوى الحافظة له .

فلما أنعم الله تعالى على الإنسان بالهامة تقييد ألفاظه بالرسوم التخطيطية شمل نفع هذه النعم وعمر جميع مميزي الأزمنة . وذلك أن العبارة التي يتوصل بها إلى الفهم والإنهام حروف يركبها اللفظ في حال المقارنة ، ويركبها الرسم في حال المباشرة ، وبهذا يرتبط جميع ما يدخل تحتها من المعاني للإنسان ومعاصره واللاحقين به .

وإذا انقضت أجل عصر نابت هذه الصور في الفضائل التي استنبطوها والمعاني التي استخرجوها والمعادن التي سئلوا سبيلها إذا قُيِّدَتْ بها وأودعت فيها مناب التشافه والملاطفة وأغنت مناهما . وهذه فضيلة عامة شاملة تامة كاملة لا مزيد لفضيلتها عليها . ولهذا قال بعض المنطقيين في تحديد الإنسان : إنه الحي الناطق المائت الكاتب .

وإن الكتابة متى لم تدخل في حده لم يقص له بالنطق التام لعجزه عن إفهام من يُعَدُّ عن سماع صوته . ولولا أن من لا يُحسن الكتابة يخدم بحسنها لنقص عن معنى الإنسانية نقصاً يئساً .

فإن اعترض مُعترض بأن هذه الصناعة وإن كانت في المنزلة اللطيفة والرتبة الشريفة ، وكانت نعمة الله تعالى بها جليلة الخطر عظيمة القدر فإنها موهبة مشتركة (١٤) لكل من عبّر عن ضميره بلسانه وخط بيده وعقد بأصابعه فقد نكب عن سني الصواب في أغراضه ، وذلك أنه وإن كان لكل من وصف نصيب من تأليف الكلام ورسم الخط وعقد الحساب ، فإن شرف الصناعة وفضيلتها إنما تحصل للكتاب الذين يحوزون هذه الأوصاف على التمام . وإنما تقع في

الحقيقة على الكاتب الجامع لآلات الصناعة وأدواتها المستغل بعمله التفصيل^١ والترسيل دون غيره ممن يشارك الكتاب في استعمال بعض أجزاء الصناعة . وليس هؤلاء فقط يجب أن لا يُسَوَّأ كُتَاباً وغيرهم ممن هو أقربُ منهم إلى الكتابة ، من الشعراء والخطباء والوراقين ومن يحافِظهم ، لأن لكل طبقة من هذه الطبقات صناعة قد تفرَّد بها ووقع اسمها عليه .

فَصْلٌ

في فضائلها المستنبطة من كتاب الله عز وجل

فأما فضائلها المستنبطة من كتاب الله عز وجل فإن الله تعالى شَرَّفَهَا بإضافتها إلى نبيه ، وإن كان الحكم في إضافتها إليه سبحانه على غير الحكم في إضافتها إلى خليفه ، فقال جل وعز : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْجَازِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(١) . وقال : ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ نَفْسُ وَالنَّفْسِ ﴾^(٢) . وقال : ﴿ وَرَهَابَانَةٌ آتَتْهُمَا نَارًا كَتَبْنَا عَلَيْهُمَا وَإِلَّا ﴾^(٣) .

(١٥) ونسب تعليمها إلى نفسه فقال تعالى : ﴿ أَوْفَى بِرَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^(٤) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَلِمَةَ الْأَوَّلِ ﴾^(٥) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾^(٦) .

وجاء في التفسير أن هذه السورة مفتتح الوحي وأول آية أنزلها الله تعالى من كتابه على رسوله ﷺ .

وفي ابتداء الله تعالى فيما عدده من نعيمه على الإنسان بذكر القلم وتعليمه إياه به ما لم يعلم من قبل أظهر دليل على عظم رتبة الخط .

(١) الأعراف : ١٤٥ .

(٢) المائدة : ١٥ .

(٣) الحديد : ٢٧ .

(٤) الملق : ١ - ٥ . وينظر : تفسير الطبري ٢٥٢/٣٠ وأسباب نزول القرآن ٨ .

وقال في عيسى عليه السلام : ﴿وَتَعْلَمُهُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ﴾^(١) . وأقسم تعالى بالقلم فقال : ﴿تَبَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُونَ﴾^(٢) ، وبالكتاب فقال : ﴿وَالْقُدْرَةِ﴾^(٣) ، ﴿فَكُتِبَ مُسْتُورِينَ﴾^(٤) في رقٍّ مفسَّرٍ^(٥) .

والأقسام لا تنفع من سبحانه إلا بشريف ما أبدع كالشمس والقمر والنجوم وما أشبهها بما به نظام الخلق واتساق التدبير . والحاقه القلم والخط بها في القسامة بهما وإجراؤه إياهما مجراهما في ذلك منبئ عن شرف رتبة الخط ، وأنه أصل عظيم من أصول منافع الخلق . وسَمَنَ ، حَزَّ اسْمُهُ ، ملائكته كتاباً فقال : ﴿وَإِنَّا عَلَيْكُمْ لَحَافِظُونَ﴾^(٦) ، ﴿كِرَامًا كَثِيرِينَ﴾^(٧) .^(٨) وقال : ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ إِنَّهُمْ إِلَيْنَا وَلَدَيْنَا يَكْتُمُونَ﴾^(٩) .

وعظم تعالى شأن الصحف والكتب فقال سبحانه : ﴿كَلَّا إِنَّا تَدْكُرُونَ﴾^(١٠) ، ﴿كَلَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(١١) ، وفي صحف مذكورة^(١٢) ، ﴿تَرْفَعُونَ أَطْفَرَهُمْ﴾^(١٣) ، ﴿يَأْتِي سَفَرَهُ﴾^(١٤) ، ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾^(١٥) .^(١٦) وقال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَنَبِيٍّ أَلَوَّلَى الْأَوَّلَى﴾^(١٧) ، ﴿صُحُفٍ إِزْرَهَمَ وَمُوسَى﴾^(١٨) .^(١٩) وقال : ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُطَلِّقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنصِصُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢٠) .^(٢١)

وقال : ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَزَمْتَهُ عَلَيْكَ فِي عَهْدِهِ وَخَرَجَ لَوْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾^(٢٢) . ونظاره هذا كثير .

(١) آل عمران : ٤٨ . وفي المصحف : يعلمه ، بالياء ، وهي قراءة نافع وعاصم . وقرأ الباقون بالنون . (اللمعة : ٢٠٦) .

(٢) التلم : ١ .

(٣) الطور : ١ - ٣ .

(٤) الانشقاق : ١٠ - ١١ .

(٥) الزخرف : ٨٠ .

(٦) عبس : ١١ - ١٦ .

(٧) الأهلل : ١٨ - ١٩ .

(٨) الجاثية : ٢٩ .

(٩) الإسراء : ١٣ .

وسمى سبحانه ما أوحاهُ إلى رُسُلِهِ الكرام كُتُباً ، فقال في موسى وهارون : ﴿ وَمَا يَنْتَهِي إِلَيْكَ الْكِتَابَ الثَّانِي ﴾^(١) . وقال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَلَقَدْ مَكَرُوا لِلْبُيُوتِ ﴾^(٢) . وقال : ﴿ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَدَأَ يُزِيلُ إِلَهُكُمْ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَلِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾^(٣) .

وقال فيما أنزلهُ على نبيِّنا محمد ، ﷺ : ﴿ الْقُرْآنُ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾^(٤) . ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَآرَكًا ﴾^(٥) . والوحي لم يُنزل كتاباً ، ولكنه لما أنزل كتاباً أشار سبحانه إلى تمامه وغايته ، لأن الأشياء إنما تُحدُّ بتمامها وغاياتها .

والأشياء التي نَدُّ ونُدُّ عليها أربعة :

(الاول) : الأعيان التي تقع عليها الأسماء .

والثاني : صورها الوهمية التي انتزعت بها وانثبخت عنها .

والثالث : الألفاظ التي نَدُّ على هذه الصور وتُخرجها من القوة إلى الفصل المطلق .

والرابع : الرسوم التي تُقَيِّدُ الألفاظ وتحفظها على مرِّ الأزمان .

فالكتابة تمامُ قوَّةِ النطق والمُتَلَقُّ به إلى أكمل غاياته ، ولذلك جعلها رسول الله ﷺ ، جَعَلَ العلوم ، فقال : ﴿ قَبِلُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ ﴾^(٦) .

ومن شريف صفاتها أن الله تعالى جَعَلَ عدم نبيِّه لها من أعظم دلائل النبوة (١٧) لتُرْشِدَ الإنسان بها إلى تأليف الكلام المشوِّر وإخراجِه من الضُّوْرِ التي

(١) الصفات : ١١٧ .

(٢) البقرة : ١٦ .

(٣) الأنعام : ٩١ .

(٤) البقرة : ١-٢ .

(٥) الأنعام : ٩٢ .

(٦) سنن القاسمي : ١٢٣/١ ، المسند القاسم ٣٦٥ ، تقييد العلم ٦٨ ، الجامع لأخلاق الراوي وتلقاب السامع ٢٢٨/١ .

تأخذُ بمجاميع القلوب ، وأقوى الحجج على تكذيب معانده وخسب أسباب الشك فيه^(١) ، يدلُّ على ذلك قوله تعالى مخاطباً له ، عليه السلام : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَنَالُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كُتُبٍ وَلَا خُطَبٍ يَرْسِلُكُمْ إِذَا لَزَمَ الْبَطْلُوكَ ﴾^(٢) .

ولما أعدمه هذه الصناعة عوضاً ما هو أجلُّ منها ، وهو رَفْعُ الأرتاب في أمره وتنزيهه عن ظنِّه في . . فعَدَّم هذه الصناعة فيه فضيلةً وفي غيره رذيلة .

ولما كانت هذه رتبُها في الصنائع صار السلطان الذي هو رئيس الناس ومستخدم أرباب كلِّ صناعةٍ ومصرفهم على أغراضِهِ ، يَتَخَرَّجُ بأنْ تكونَ فضيلته له حاصلةً مع رفْعِهِ عن التلبُّس بصناعةٍ من الصنائع الجسْدية واستتكانه أنْ يقع اسمٌ من أسمائها عليه . وذلك أنا نرى كلَّ ملكٍ وسلطانٍ يُؤَثِّرُ أنْ يكونَ له حظٌّ من بلاغةِ العبارة وجودةِ الخطِّ . وفي رضى السلطان الذي يسودُّ أهلَ نوعِهِ بالتحلي بهذه الصناعة ما يدلُّ على أنَّها أشرفُ الصنائع رتبةً وأعلماها درجةً^(٣) .

فصل

من فضائلها المأخوذة من مراتب أهلها ومنازل أربابها

فإنَّ مراتب أهلها ومنازل أربابها فقد عُرِفَ أنَّ الذين وضعوها ورسوموا رسومها هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وفيما رواه ثَقَلَةُ الأثَار أنَّ أولَ مَنْ كَتَبَ بِالْقَلَمِ واقتَضَبَ الْخَطَّ آدمٌ عليه السلام ، (١٨) وأنه وضع حسب ما علمه الله تعالى لأهل كلِّ مِلَّةٍ قلماً .

وقيل : إنَّ أولَ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ إدريس عليه السلام ، وأنه إنَّما سُمِّيَ إدريس لدراسته الكتب المُتَرَتِّلة . وكان يُسَمَّى الكاتب .

(١) ينظر : صبح الأعشى ١/ ٤٣ .

(٢) التكوين : ٤٨ .

(٣) ينظر : صبح الأعشى ١/ ٣٨ .

وقيل : إن إسماعيل بن إبراهيم ، عليه السلام ، اخترع القلم العربي ،
وكتب به ، ولم يُسبق إليه ^(١) .

فَأَمَّا مَنْ تَحَلَّى بِهَا فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ وَالْأَعْصَرِ الْمَاضِيَةِ ، مِنْ ذَوِي الْأَخْطَارِ الْعَالِيَةِ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا فَكَثِيرٌ لَا تُحْصِيهِمْ إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَ التَّوَارِيخِ ذَكَرُوا أَنَّ مِنْهُمْ : يَوْسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ عَزِيزٌ مِصْرَ اسْتَوْرَدَهُ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْقِرَاطِيسَ . وَهَارُونَ بْنَ عِمْرَانَ وَيُوشَعَ بْنَ نُونٍ وَكَانَا يَكْتَبَانِ لِمُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَسُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ وَكَانَ يَكْتُبُ لِأَيِّهِ ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِلَاغَتِهِ فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّهُمْ مِنْ مُتَلِّثِينَ ﴾ وَإِنَّمْ يَسْمُوهُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿ أَلَا تَطْلُرَانِ ﴾ وَأَنَّهُمَا مُتَلَبِّسُونَ ﴿ ١ ﴾ . وَأَصْفَ بْنَ بَرِغْيَا وَهُوَ الْقَاتِلُ فِي عَرْشِ سَبَأَ : ﴿ أَمَا عَلَيْكَ يَوْمَ قِيلَ أَذْ يَبْدَأُ إِلَيْكَ طَرَفُكَ ﴾ ﴿ ٢ ﴾ ، وَيُوسُفَ بْنَ عِثْقَانَ وَكَانَا يَكْتَبَانِ لِسُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا وَكَانَ يَكْتُبُ لِعِيسَى السَّيِّحِ ، ﴿ ٣ ﴾ . وَيَسْتَ نَصْرَ ﴿ ٤ ﴾ وَكَانَ أَحَدُ كُتَّابِ سَنَحَارِبَ ﴿ ٥ ﴾ وَغُلْبَةَ بَعْدَهُ عَلَى بَابِلَ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالشَّامِ .

فأما من وقع عليه اسم الكتابة في الملة الإسلامية وبلغ إلى المنزلة العالية من الخلافة والرتبة السيئة من الإمارة فكثير أيضاً (١٩) ومنهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وهو ذو القربة والصبر ، له الشرف والسابقة . ومنهم عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان للنبي ﷺ ، ومنهم زيد بن ثابت صاحب الفرائض ، كان يكتب لرسول الله ﷺ . ومنهم عثمان بن عفان ، وكان يكتب لأبي بكر ، وانتقل الأمر إليه . ومروان بن

340/1: Phyl (1)

(٢) التعداد : ٣٠-٣١.

(٣) النمل : ٤٠ . وينظر : تفسير الطبري ١٩/ ١٦٣ وتفسير القرطبي ١٣/ ٣٠٤ .

(٤) ينظر : عهد الأمان، ٢٩/١.

(٥) ملك يلا

(٦) ملك مايل

الحكم ، وكان يكتب لعثمان ، وانتقل الأمر إليه . وعبد الملك بن مروان ، وكان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان ، وانتقل الأمر إليه .

وفي كون واضعي هذه الصناعة من الأنبياء والمعتزين إليه من العظماء والخلفاء والرؤساء ما يدل على علو خطرهما وارتفاع قدرهما .

وأما من قرع الذروة العالية من السيادة والسنام الباذخ من الرفاسة من أهل هذه الصناعة على تغاير الدول وتقلها بين العرب والمجم ، فاشتعار آثارهم وانتشار أخبارهم بغني عن النص على أسماهم ما تهيأ لهم من المنازل التي نالوها بالاستيجاب والاستحقاق لا بالحظ والإنفاق ، والسعادات التي قبضت لهم ملوكاً فاضلين فولوهم في دولهم على ما تقتضيه الكفايات لا ما تقتضيه الأحاطي . قيل : (تسقط الحفظ في زمن الملك الفاضل فلا ينسب الرتبة العالية إلا موصوف بالفضيلة) . فسموا بالعلوم التي حلقت خواطرهم إلى أعنانها ، وجالت أقامهم في ميدانها ، وأثاروا غوامضها ودقائقها ، (٢٠) وعبدوا مذهبها وطرائقها ، وما اقتضيه من بليغ المكاتبات وارتجلوه من بديع السجلات ، في الهدن والمقود والتقاليد والعهود المشتملة على تمثيل الرسوم والأعمال والأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والحمد والذم ، إلى الرتب الجليلة الشريفة ، والمنازل النبيلة اللطيفة ، وحلولهم في أعلى طبقات الإكرام ، وأبعد غايات الإنعام ، وفوزهم بموفور المنح الجسام التي أقدرتهم على تطويق الاعتاق بالمنن وادخار الفعل الحسن .

ولعلم الملوك الحزمة بخطر هذه الصناعة وأهلها وعائدتهما في أمر السلطان صرفوا العناية إلى الكتبة ، وخضوهم بالحظوة وعرفوا لهم فضل ما جمعه من الرأي والصناعة^(١) .

(١) ينظر : صبح الأعشى ١/ ١٢ .

وكانت ملوك الفرس ، وهم أسوس ملوك الأمم وأعرفهم بالزئب ، تقول : الكتاب نظام الأمور ، وجمال الملك ، وبهاء السلطان ، والالسة الناطقة عنه ، وخزان أمواله ، والأمناء على رعيته وبلاده ، وهم أغنى الناس عن الملوك والرعية ، وأولاهم بالحياة والكرامة ، وأحقهم بمحبة السلامة^(١) . وأعظم الناس حقاً على جميع الطبقات من ولي أسرار الملوك وأمورهم الخاصة .

وقالوا : للكتاب على الصاحب ثلاث خصال : رفع الحجاب عنه ، وإتمام الوشاة عليه ، وإفشاء السر إليه .

وكانوا يجمعون أحداث الكتاب ونواشئهم المتعرضين لأعمال الملك ، ويتقدمون إلى رؤساء الكتاب باستحانهم والفحص عن عقولهم ، فمن رضي أقر^(٢) بالباب يستعان به ، ثم يأمر الملك بضمهم إلى العمال ، وينقلهم في الخدم من حال إلى حال حتى ينتهي كل واحد منهم إلى ما يستحقه من المنزلة . ولم يكن يتبأ لمن عرض نفسه على الملك أن يخدم أحداً من الناس إلا بأمر الملك وإذنه^(٣) .

وكانوا إذا نفذوا جيشاً قنونا بفانده وجهاً من وجوه الكتاب وأمروه أن لا يحل ولا يعقد إلا برأيه تعويلاً على فضل رأي الكاتب وحزائنه .

ولم يكن يركب الهماليج في أيامهم إلا الملك والكاتب والقاضي^(٤) .

وكانوا يقولون : ينبغي أن تفرغ أذهانهم لما يمشونه على الناس . وفي عهد سابور^(٥) : (ووزيك فليكن مقبول القول عندك ، رفيع المنزلة لديك ، بمنحه مكانه منك وما تتق به من لطافة موضعه عندك من الضراعة لأحد

(١) بنظر : صبح الأعشى ١/٤٤ .

(٢) بنظر : صبح الأعشى ١/٤٤ .

(٣) بنظر : صبح الأعشى ١/٤٥ . والهماليج : البراذن الحسنة السير .

(٤) من ملوك العجم .

والمداينة في شيء مما وليته لتجته الثقة بك على محض النصيحة لك ، ومناذرة من أراد عثك وانتقاص حَقِّك^(١) . وإن أورد عليك رأياً يُخالفك ولا يُوافق الصواب عندك فلا تردده عنك^(٢) بالتجهم فيتنقض عن إيتائك بكل رأي يلوح له ، ولكن اقبل ما رضى ، وعزفه ضرر ما سخط ، ليتنفع وزراؤك بأدبك فيما يستقبلون النظر فيه . واحذر كلَّ الحذر أن ينزل سواهم عندك هذه المنزلة ، وأن يسهل لغيرهم سبيل الانبساط بالنطق عندك ، والإفاضة في أمور ملكك ورعيته ، فإنه لا يؤثّر بصحة آرائهم ، ولا يؤمن انتشار ما وصل (٢٢) من الأسرار إليهم .

وكانت القُرس تقول : ينبغي للملك أن لا يكون عنده أثر من وزير صالح العقل والرأي وافر الأدب بصير بالأمور ، فإذا ظفر به فلا يبعده ولا يقصيه ، على أن الفاضل الطبع لا يمنع نصحة وإن خفي .

وأما فضائلها المأخوذة من . . في أمور الممالك والدول والسلاطين والملوك المؤهلين لسياسة العباد وعمارة البلاد فهم الذين يزنون الأمور بزنتها ، ويعومون الأشياء بقيمتها ، ويرتبون كلَّ طبقة من الطبقات التي تشتمل ممالكهم عليها في الموضع الأخص بها ، ويرفونها إلى الدرجة التي تستوجبها بكفايتها وهائدها في مصالح السلطان ورعيته ، فعزَّ قُرْبُ منهم منزلته ، ولطف عندهم حالته من كثرة أعمالهم وحملات أفعالهم ، فهي أفضل الصنائع وأعودها بأَساقِ الأمور وانتظام التدبير .

وليس في متولي خدم السلطان والمتصرفين في مهماته أخص من الكتاب به ، لأنهم دون جميع الناظرين في أمور الدولة خاصة الملك ويطائنه ، والمتفردون بالاطلاع على سرائره والعلم بأخباره . وأخصهم كاتب الرسائل ، فإنه أوَّل داخل على الملك وآخر خارج عنه ، ولا غنى له عن مفاوضته في آرائه

(١) ينظر : صبح الأعشى ١/٤٥٠ .

(٢) في الأصل : عليك . ولعصا ما أثبتنا .

والإفشاء إليه بمهماته وتقريبه من نفسه في أثناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلواته وإطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته ، (٢٣) فهو لذلك (١) لا يثقُ بأحدٍ من خاصته ثقته به ، ولا يركنُ إلى قريبٍ ولا نسيبٍ وكونه إليه (٢) ، ومحلّه منه لما ذكرناه من عائد خدمته وأثره في دولته محلُّ قلبه الذي يؤامره في شكل رأيه حتى يفتح ، ويراجعه في مُهم تدبّره حتى يتوضح ، ولسانه الذي يقرُّ برغبه أُوليائه على الطاعة والموافقة ، ويستقي برهبه أعداءه عن المعصية والمشاقة ، ويقرُّ بأوامره ونواهيهِ أمور سلطانه في متروك منازلها ، ويحلُّها في منهد محالها ، ويتمكّن من سياسة أجناده وعمارة بلاده ومصالحه رعيته ، واستجلاب مودّتهم واستخلاص نياتهم ، وعينه التي تلاحظ أعيان سلطانه وترعى مهمات شأنه ، وسمعه الذي يثقُ بوعيه ولا يرتابُ بما سمعه ، وبده التي يسطرها بالإنعام ويبطشُ بها في التقصُّ والإبرام .

ومن كانت هذه رتبته فالسبب الذي رتبّه فيها أفضلُ الأسباب وأجدرها بالتقديم على الاستحقاق والاستيجاب (٣) .

وهذا أمرٌ ظاهرٌ لأنه قد عَلِمَ أنَّ الصنائع كُلَّها معاونٌ ومرافقٌ لا تنتظم عمارة العالم إلا بها . وهي على ضربين : خاصة وعامة . فالعامة صنائع المهن وأهل الأسواق والحرف ، وإن شاركهم الخاصة في الحاجة إليها ، لأنَّ بها تنتظم أمور المعاملات ، وهم عمارة البلاد . والخاصة هي التي تقع في حيز الملوك والسلطين ، ويتوزعها أعيانهم وأتباعهم .

(٢٤) وهذه الصنائع إنما يقع التميزُ بين أقدرها بأن يُنظرَ إلى مقدار عائدتها في أمور الملك والسلطان والرعية ، فما كان مُعلقاً بالامر الأهم وكانت الحاجةُ

(١) في الأصل : كذلك . والمصواب ما أثبتنا .

(٢) ينظر : صبح الأعشى ١٢٨/١ - ١٢٩ .

(٣) ينظر : صبح الأعشى ١٠١/١ - ١٠٢ .

إليه ألزم ، وقدر المنفعة به أجسم ، والفساد العائد بوقوع خلل فيه على أسباب المملكة أعظم ، فرتبه في الصنائع الخاصة أشرف وألطف .

وليس من الصنائع صناعة تجمع هذه الفضائل إلا صناعة الكتابة ، لأن الملك محتاج في انتظام أمور سلطانه إلى ثلاثة أشياء لا يتنظم ملكه مع وقوع خلل فيها :

أولها : رسم ما يجب أن يرسم لكل من العمال والمكاتبين عن السلطان في الأمور والأعمال المنوطة بهم ، ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسة من أمر ونهي وترغيب وترهيب ووعيد وحميد وذم .

والثاني : استخراج الأموال من وجوها واستيفاء الحقوق السلطانية .

والثالث : تفريقها في مستحقها من أعوان الدولة وأوليائها الذين يحمون بيضتها ، ويسدون ثغورها ، ويحفظون أطرافها ، وذبون عنها رعاياها ، وغير ذلك من وجوه النفقات الخاصة والعامة .

وهذه أعمال لا يقوم بها إلا كتاب السلطان ، لا سبيل للكتاب إلى الكفاية^(١) فيها إلا بالتبريز في صناعة الكتابة . فهي إذاً من أشرف الصنائع لعظم عائدتها على السلطان وأسبابه^(٢) .

وفضائل هذه الصناعة أكثر من أن نحصيها ونعدها ، (٢٥) وفيما أثبتناه دلالة على ما ألفيناه ، وهو كاف في إثبات فضلها على سائر الصناعات الخاصة بالملوكية ، وأن لها رتبة الفضيلة والتقدم الحقيقي .

القول على المنفعة :

أما منفعة هذه الصناعة فظاهرة متجلية ، عامة شاملة ، لتتميمها قوة النطق التي هي معنى الإنسانية ، وبلوغها به إلى أبعد غايات كماله كما ذكرنا فيما

(١) في صبح الأعشى : الكتابة .

(٢) بنظر : صبح الأعشى ٢٨/١ - ٣٩ .

سلف ، وكونها من المرافق المشتركة التي^(١) لا يخلو خاصاً ولا عاماً من الأخذ بحفظ منها ، لحاجته وضرورته إلى استعمالها ، ولقيامها بمصالح الملوك الذين هم نظام الأمور وقوام الجمهور ، ووفوق الاضطراب إلى المتحليين بها من الكتاب لتوسطهم بين طبقتي السلاطين والرعية ، لأن كلا من هاتين الطبقتين في الطرف الأبعد من الأخرى ، وقوام كل واحد منهما بأن يتصل بصاحبه ، ولا سبيل إلى اتصالهما بأنفسهما مع تباينهما ، وإنما يتم ذلك بحصول طبقة ثالثة مساهمة لهما في خواص أفعالهما ، آخذة من أخلاقهما بنصيب لتؤدي عن كل طبقة إلى الأخرى ما يصلها بها إذ لا يصل بين الطرفين المتباعدين إلا بمتوسط بينهما آخذ من كل منهما بمجاورته له .

وليس من طبقات الناس من حصل في هذه الرتبة ، أعني رتبة التوسط بين الملوك والسوقة ، فساهم الملوك في كبر الهمة وجلالة الخطر ، وساهم العامة في التواضع والاقتصاد ، سوئ الكتاب ، ولذلك جعلت إليهم السفارة في مصالح الرعية (٢٦) عند السلاطين ، واستيفاء حقوق السلاطين من الرعية ، والتلطف في الصلة بينهما^(٢) ، فالحاجة إليهم ضرورية ، وسنتوفي القول في هذا المعنى .

اعلم أن جميع الصنائع وسائل إلى درك المطالب ونيل الرغائب ، وأن عوائدها تنفاضل في الكثرة والقلة بحسب تفاضلها في الرفعة والضعفة ، إذ كان منها ما لا يفي بالبلغة من قوام العيش نحو الصنائع المهينة السوقية الداخلة في المرافق العامة ، ومنها ما يوصل إلى الثروة ويتجاوز حد الكفاية ويحظى بالمال الدثر والنعم الخطيرة ، وهي الصنائع الخاصة .

وإذا توأم ما هذه صفته منها علم أنه ليس منها ما يلحق بصناعة الكتابة ولا يساويها في هذا النوع ، ولا ما يكسب ما تكسبه من الفوائد والمعاون مع

(١) في الأصل : الذي .

(٢) بنظر : صبح الأعشى ١/ ٤١ .

حصول الرفاهية ومجانبة التبدل والتنزّه عن دنيا المكاسب ، ولا ما يوصل إلى ما توصل إليه من الحظوة ورفاهة العيش ومشاركة الملوك المستعبدين للكافة في المساكن الفسيحة والملابس الرقيقة والمراكب الجميلة والدواب الفرحة والخدم والحشم وغير ذلك من الآلات والأدوات الملوكية^(١).

ومن العجب أن صاحب هذه الصناعة ينتهي إلى الحال التي ذكرنا ، ويحصل الفوائد التي عددنا على أكثر الأحوال في أقرب المدد وأقل الأزمنة^(٢) ، فإن كان ما يصل إليه من ذلك أمراً يتحمّله رئيسه له ، لعلمه بخاطر صناعته (٢٧) وعنايته في خدمته ، واستنجاؤه لتحويله ما نوّله بكفافته . وناهيك بذلك من فضل هذه الصناعة وشرفها لإوارتفاع خطرها وسحر قدرها إذ كان لها سعة لمثل هذه الجدوى التي لا يوجد مثلاً في غيرها من الصناعات^(٣) ، وإن كان ما يخلص إليه من الاكتساب والمرافق أمراً يوصله إليه استقلاله بصناعته ويقدره عليه تبريره في معرفته ، حتّى ينتهي إلى الحال التي وصفناها ، من غير خيانة للسلطان ولا إشكاء للرعية ولا تطرق بيعه في دين ولا دنيا . فإن اعترض بمن يقعد به الجبد ويتخلف عنه الخطّ من أهلها ، فلسنا نقول إن ما وصفنا به هؤلاء القوم مطردّ في حقهم ولا لازم في كافهم . وكيف ذلك والأقدار تعترض دون الأوطار ، وتجري بحرمان الكافي المشمّر ، وتنوّل العاجز المتقصر . لكن الذي جرت العادة به أن يؤخذ الاعتبار مما يكثر وقوعه .

على أن الميّز في هذه الصناعة إن قعدت به الأيام في حال ، فلا بد أن تنهض به في أخرى ، لأنّ دولة الفاضل من الواجبات ، ودولة الجاهل من السمكات^(٤) ، ولا نسبة بين الواجب والممكن .

وصما يتصل بالقول على هذا الفصل أنّه ما من أحد يتوسّل إلى السلاطين

(١) في صبح الأعشى : الخاصة .

(٢) ينظر : صبح الأعشى ١/ ٣٧ - ٣٨ .

(٣) من صبح الأعشى ١/ ٣٨ .

(٤) ينظر : صبح الأعشى ١/ ٤٢ .

بالأدب ، ويمتُ إليهم من العلم بسبب ، إلا وهو نافلة لا ينزل ما ينزله على وجه الإرفاق خلا الكاتب ، فإنه ينزل الرغائب العظيمة من طريق الاستحقاق لموضع الانتقاد إليه والحاجة^(١) المحادة عليه .

وهذا كاف في الدلالة على منفعة هذه الصناعة وجلالة عائلتها .

(٢٨) القول على الغرض :

كل صانع يعاني صناعة من الصنائع فلا يُد له في معاناة تلك الصناعة من مادة جسيمة تظهر فيها الصورة وآلة تصور بها ، وغرض يقطع الفعل عنده ، وغاية تستثمر من صناعته ، وقد استعمل بعضهم الغرض في مكان الغاية ، وبينهما فرق ، وهو أن الغرض هو الحد الذي يقطع كل فاعل الفعل عنده ، والغاية هي الشيء المستثمر المجتنئ من ذلك الفعل ، فلذلك مادتان : إحداهما لطيفة روحانية وهي الألفاظ التي يحلها^(٢) الكاتب في أوهامه ويصور من ضم بعضها إلى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه بالقوة ، والأخرى مادة جسيمة^(٣) ، وهي الخط الذي تخطفه بالقلم وتقيد به تلك الصور^(٤) فتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة^(٥) .

وأما غرضها الذي ينقطع الفعل عنده فهو تقييد الألفاظ بالرسوم الخطية ، لتكتمل قوة النطق ، وتحصل فائدته للأبعد كما تحصل للأقرب ، وتصل إلى الغابر كما تصل إلى الحاضر ، وتحفظ صورة ويؤمن عليه من التغير والتبدل والتفكك .

وأما غايتها ، وهي الشيء المستثمر منها ، فإن بها ينتظم جمهور المعاون

(١) ينظر : صبح الأمل ١/ ٤٤ .

(٢) صبح الأمل : بتخيلها .

(٣) صبح الأمل : جسمية .

(٤) صبح الأمل : الصورة .

(٥) ينظر : صبح الأمل ١/ ٥١ .

والمرافق ، العظيمة في أحوال الخاصة والعامة ، الجسيمة العائدة في أمور الدين والدنيا .

وهذا أمرٌ ظاهرٌ للعقل داخل تحت الحس ، يستغنى فيه بالإيجاز عن الإسهاب (٢٩) وبالإجمال عن الإطناب لأننا إن أخذنا نعدد جميع الأشياء المجتبية منها طال القول وامتدَّ ، واحتجنا إلى إيراد كل ما تنظمه الصناعة ، ما قد تقسمته وتوزعته ورتبه ومنازله من كتابنا هذا .

والصنائع كلها وإن كانت مفتقرة في كمالها إلى وجود المادة والآلة والغرض والغاية ، فليست هذه الأربعة فيها بمتكافئة في الشرف والفضيلة ، لأن من الصنائع ما يشرف بمادته وآلته ، وغرضه وغايته ، كصناعة الطب ، فإن مادتها أجسام البشر الذين هم أفضل الجنس الحيواني ، وآلتها الأغذية الحافظة للصحة الحاسمة للمرض ، وغرضها الصحة للبدن ، وغايتها حفظها على حال الصحة .

ومن الصنائع ما يشرف بعضها دون بعض ، وصناعة الكتابة تشرف من كل وجه .

أما مادتها فقد قلنا إن لها مادتين وهما : اللفظ والخط ، وهاتان المادتان من الشرف والفضيلة كما تقدم ، لتقاسمهما البيان وتشاطرهما الدلالة على المعاني وخدمة النطق الذي هو خاصة الإنسان .

وأما آلتها التي هي القلم فقد أنبأ الله تعالى عن جلالته وشرفها بإقسامه بها وإضافته تعليم ما يخطه إلى نفسه ، وما لقائل أن يقول : إن القلم براءة لا تستحق هذا التخصيم ، لأن اللسان مضغ من لحم ، وقدر جعله الله تعالى أداة لتفديسه وتمجيده وتوحيده وإبراز ما (٣٠) في الأفهام بالقوة إلى الفعل وتكميل فضيلة المنطق ، والأشياء إنما تُقَدَّرُ بغاياتها لا بجواهرها .

وأما غرضها الذي هو تقييد ما تبرزه الخواطر من أوهامها حتى تتساوى في علم من حضر وغاب وبعد وقرب ، فغرضٌ شريفٌ جليل العائدة نبيل الفائدة .

وأما غايتها المُجْتَبَأُ منها ، وهي ^(١) تعدُّ أشرف موقفاً والطف موضعاً
لانتظامها بتعاظم معاون والمرافق التي لا تستقيم أمور الملوك والسوقة إلا
بها ، فغرضُ يبرز الصناعة من أنفس الأغراض وغايتها من أجل الغايات .
القول على القسمة :

هذه الصناعة تنقسم أقساماً كثيرة ، وترجع إلى أصليين :
أولهما : أولاهما بالتقديم والتفضيل ، وهو الإنشاء والترسيل .
والثاني : الحساب والتفصيل ، وإنما يُميزُ الأصلُ الأولُ على الثاني لما تنفيذه
الزيادة من قوة التميز وجودة الرؤية وثبوت القطنة ، واشتماله على البيان الدال
على المعاني ، وهو أقدمُ من الحساب لأن المتولي لحمل هذا الأصل هو الذي
يُمثل لكل عامل من عمال السلطان ما يجب أن يجري عليه في عمله ، فهو بهذا
الحكم حائزٌ للقسمين ماهرٌ فيهما .

وكاتب الترسيل يحتاج إلى التصرف في المعاني المتداولة ، والعبارة عنها
بالألفاظ غير الألفاظ التي عبر بها من سبق إلى استعمالها ، يحفظ صورها ويؤديها
على حقائقها . وفي هذا من المشقة ما لا يخفاء به على من مارس الصناعة ، ولا
سيما إذا (٣١) طلب الزيادة والإبراز على من تقدمه في استعمال تلك المعاني ،
أو حذا حذر رسوم بعض المبرزين الذين يتخللون الكلام ويوقعونه في مواقفه
في غاية من الرشاقة والحلاوة ومناسبة المعنى .

ويحتاج أيضاً إلى اختراع معاني أبتكار في الأمور الحادثة لم يقع مثلها ، ولا
سبق سبيلٌ إلى المكتبة فيها لأن الحوادث السلطانية لا تتناهى ولا تنفد عند
حد .

ولاختصاص متولي هذا العمل بالسلطان ، وقرب منزلته منه ، وإعظام
خواصه له ، واعتمادهم في المهمات ونيل الأمل وبلوغ الأوطار عليه ، ولأنه

(١) في الأصل : فهي

مضى صان نفسه ولزم الطريقة المشاكلة لمنزله كان أجدر بالسلامة عن سائر أرباب الأقلام الذين يتصرفون في الأموال والأمر .

وفي تقدم الأصل الأول على الأصل الثاني ما هو أوضح من أن نتكلف فيه بياناً أو نقيم عليه برهاناً . على أن الأصل الثاني عظيم المحل في الدولة وأمور السلطان . وسنستوفي القول في الفائدة به وبالمبرزين فيه في كتاب الخراج إن شاء الله تعالى .

واعلم أن صناعة تأليف الكلام تنقسم على ثلاثة أنواع هي كالجنس لها ، وهي : الكتابة والخطابة والشعر . ومن ها هنا وقع التناسب بينها . ولكل منها رتبة من الشرف والفضل ، إلا أن صناعة الكتابة ترأس صناعة الخطابة ، وصناعة الخطابة ترأس صناعة الشعر .

وإن عددنا جميع الأشياء التي تتميز بها الكتابة على هاتين الصناعتين طال الكتاب وأفضينا (٣٢) إلى الإسهاب ، غير أنا نأتي من ذلك بما يقع عليه إبانته من تقدمها عليهما بالقول الموجز فنقول : إن صناعتي الخطابة والشعر وإن كانتا متوفرتي الحظ من الفضل والشرف غير بالغتين مدنى صناعة الكتابة ، ولا مجاريتين لها في دوام الحاجة إليها وقدر الانتفاع بها وكثرة فوائدها في أسباب الملك والسلطان ، وذلك أن الخطيب إنما يحتاج إليه في الأحيان المتباعدة مرة ليقوم على رؤوس الأشهاد في المجالس الحافلة ، مُرْتَبِئاً لها بما يقضي حق المشهد ، ولا يتجاوز ما يودعه خطبته فناً واحداً من فنون الكلام ، وهو الدعاء والثناء والوعظ والحض^(١) على لزوم الطاعة والتحذير من المعصية .

والشاعر إذا يُحتاج إليه أيضاً لتزيين مثل هذه المجامع بما يورده من كلام موزون مقصور على المدح والإطراء ونحوهما . ومجالها أضيق من مجال الخطيب لحاجته إلى إقامة الوزن .

(١) في الأصل : الحظ ، بالطاء ، والصواب ما أثبتنا .

وأين يقع هذان النوعان من الرسائل التي ينشئها الكاتب في أنواع المعاني الصادرة عن الملوك والسلاطين في سياسة الملك ومخاطبة الخاصة والعامة ، ككتب البيعة التي بها تنعقد إمامة الأئمة وتستقر خلافة الخلفاء ، وهم عماد الدين والدنيا ، وسياسة العباد والبلاد ، ويوقع الإجماع عليهم تضي الأحكام في النقض والإبرام ، وكتب الهدن المشتعلة على الشروط القاضية بحقن الدماء وسكون الدهماء وإصلاح ذات البين (٣٣) واتصال العمارة واستمداد المرافق والمعادن التي يُستعان بها على مصالح الدولة والملة ، من الأسلحة والعدد وآلات الحرب وغيرها مما يرهق الشوكة ويقوي المنع ويعود بالجمال ، وكتب تقاليد الوزراء والقضاة والعمال والنظار في الأموال الذين هم أركان الدول وقواعدها ، وبهم تنظم عقودها . ثم إننا نجد الحاجة إلى الكاتب في كل وقت من ساعات النهار وآناء الليل وأحيان الحركة والاستقرار والسلم والحرب ضرورية وليست داخلة في باب الرتبة التي يقع الغناء عنها كالخطيب والشاعر اللذين إنما يُعدان ليزينا وقتاً بعبته .

وإن اعتبر فضل ما بين هذه الصناعة والصناعتين الأخريين من طريق المرفق والجدوى ظهر أنه لا نسبة بين ما يحصل عليه الكاتب من الحظ وبين ما يحصل عليه الخطيب والشاعر من طريق البر والصلة والرغبة في حسن السمعة ، هذا على استمرار ما يُحبى به الكاتب وانقطاع ما يُحبى به الخطيب والشاعر .

وإن اعتبر أيضاً فضل ما بين صناعة الكتابة وصناعتي الشعر والخطابة برتب أهلها علم أن الكتاب هم أهل التقدم وذو الخطوة والرتبة والمنزلة العالية ، وأن مفائق الشعراء خُذّاهم ومتعرضون لصلاتهم ، ويُنْزِلُ مَنْ يُعْطِي مَنْ يأخذ ومن يصل ومن يوصل بون بعيد وقرق واضح .

وإن اعتبر عناء الترسيل والشعر في الأمور (٣٤) التي يُستعمل فيها الكلام المؤلف عِلْمٌ أَنَّ الشعر لا يُغني فيما يغني فيه الترسيل ، لأنه لو كتب كاتب في حادث من الحوادث السلطانية إلى صنف من أصناف الرعية ، عوضاً من رسالة

يتضمنها الغرض الذي^(١) تقتضيه تلك الحادثة ، قصيدة تشتمل على مثل ذلك المعنى لما جاز ولا حَسَنَ في رسوم السلطان ، ولو شاء أن يُودِعَ ما يودعه الشاعر قصيدته من جميع سائر أنواع الشعر رسالة لما قُبِعَ ذلك ، فالترسلُ يشارك الشعر في جميع وجوهه ، من مدح وهجاء وسلوى واجتهاد وشكر وتناء وهناء وعزاء ، ويأخذ منها بالحظ الأوفى .

ومما أوردناه كفاية في الدلالة على استحفاق صناعة الرسائل التقدُّم على الصناعيين الآخرين اللتين يقاسماتها استعمال الكلام المؤلف .

فأما ما تفضل به صناعة الخطابة على صناعة الشعر فإن الخطابة من الصنائع المتعلقة بأسباب الدين والسلطان ، إذ الخطبةُ شرطُ الصلاة ، والمشملة على المواعظ الوازنة والذكرى النافعة المنبهة للساهي الغافل ، الموقظة للاهمل ، الداهل ، العائدة بترقيق القلوب وكشف ما غشها من زين الاغترار والإخلاد إلى هذه الدار ، والحض على الاستعداد لمزول القرار ، وغير هذا مما كانت الخلفاء تتخوَّل به الرعايا افتقاءً لِسُنَنِ الرسول ﷺ ، فإن خطبته كانت تنوبُ مناب الوحي إذا تأخرت مواعده .

وإذا اعتبر فضل ما بين الخطابة والشعر (٣٥) بفضل ما بين الخطباء والشعراء عُلِمَ أن التقدُّم للخطباء على الشعراء .

قال : لأن رسول الله ﷺ ، أَوَّلُ من يعزى إلى الخطابة ، وخُطْبُهُ أَفْضَلُ الخطب ، وقد حاز رتبة الخطابة على أكمل حدودها وأتم رسومها .

فأما الشعر فإن الله تعالى نزهه عن نظمه بل عن إنشاده ، فقال : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾^(٢) . وقال : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾^(٣) .

ثم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وهو بعد الرسول الخطيبُ

(١) في الأصل : التي .

(٢) يس : ٦٩ .

(٣) الساقة : ٤١ .

المستقيم^(١) ، وخطبه أجزل الخطب وأجمعها للفوائد والمواعظ .

ثم الخلفاء الذين خلفوا في الإسلام ، فإنهم كانوا يوصفون بالخطابة ولا يوصفون بالشعر ، لثرفهم عن الاتسام بسمته . ومما تفضل به الخطيبُ الشعرُ أيضاً أن الخطيب كلامٌ مبني على الصلح والإرشاد إلى الخير ، وأما الخطيبُ الجاهليُّ التي كان خطباءُ العرب يقومون بها في الأندية والمحافل فمقصودُهُ على الأمر بالصالح والإصلاح ، والتحضيض على التباؤ والتعاطف ورفض التباغض والتقاطع ، وصلة الرحم ، ورعاية الذمم ، ونحو هذا^(٢) .

وأما الخطب الإسلامية فلا حاجة بنا إلى ذكر ما تشتملُ عليه من وجوه الخيرات ، وما تتضمنه من تمجيد الله تعالى وتوحيده والثناء عليه ، والصلاة على رسوله ﷺ ، والترغيب في الآخرة والترهيد في الدنيا ، وقدر الهمة في طلب الثواب ، والورع عن (٣٦) احتقاب ما يوجب العقاب .

والشعر إنما بني على معان أكثرها مستحيلٌ ، وأقوال جُلُّها كذبٌ ، لا سيما الشعرُ الجاهليُّ الذي هو أفحلُ الأشعار ، فإنه يشتمل على قول البهتان ، وشهادة الزور ، وسب الأعراض ، وقذف المحصنات ، والقذف في الأنساب الصريحة ، وقبح الهجاء ، وما يُجاري هذا مما يجبُ التنزه عن الخوض فيه والتصون عن إطلاق اللسان به .

وهذا كاف فيما رمنا إبانته من فضل الخطب على الأشعار .

وأما ما يشرف به الشعرُ غيره من الكلام فيوزن الأجزاء وتساوي الحروف وطول بقائه على أفواه الرواة ، فإنه لا شيء أبقي على الدهر من الشعر ، لثمكن القوة الحافظة بارتباط أجزاءه ، وتعلق بعضها ببعض من تقييده ، لأنهم مجمعون على أن أبقي سيرهم وأخبارهم ما اشتملت عليه الأشعار ، وهذه

(١) يقال : غطب مصقع وسفع ، بالصاد والسين ، أي بلغ . (ينظر : الفرق بين المعروف والخفية ٤٨٨ ، اللسان والناج ، سفع ، صلع) .

(٢) ينظر : صبح الأعشى ٦٠ / ١ ولله قول علي بن خلف ، ولكنه لم يشر إليه .

فضيلة جليلة الخطر ، لأن بقاء الشيء وطول مدته من أشرف فضائله .

ومنها : اشتهاره واستغاضته ، لأنه لا شيء أشهر من المعنى الجيد ، وهو جاري مجرى الأمثال . وقد قيل : لا شيء أسبق إلى الأسماع من بيتٍ نادرٍ ومثلٍ سائرٍ .

ومنها : تزيينه مجالس الملوك بالثناء عليهم وتعدد محاسنهم .

ومنها : ما يحصل عليه الشاعر المجيد من الحباء الجسيم الذي يستحقه بحسن موقع ألفاظه ومعانيه من النفوس وما يحدثه فيها من الأريحية .

ومنها : عمارته لمجالس الأنس التي لا تعمر إلا بإنشاد (٣٧) الأشعار ورواية الأخبار .

ومنها : قبوله لما يركب عليه من الألحان المطربة المؤثرة في الأنفس اللطيفة والطباع الرقيقة .

ومنها : أن ألفاظ العربية وشواهد القرآن وغيره من الكلام العالي ككلام النبي ﷺ ، إنما يُستنبط منه .

ومنها : معرفة أمثال العرب وحكمها وعلم تواريخ أيامها ووقائعها .

فقد وضح بذلك غاية رتبها في الفضل ، وأن المُجَلِّي السابق صناعةُ الرسائل، والمُصَلِّي اللاحق صناعةُ الخطب، والمُسلِّي التابع صناعة الشعر^(١) .

وذهب قوم لما عددناه من محاسن فضائل الشعر إلى تفضيله على الرسائل ، وتابعهم على ذلك من أصفى هواء إلى أهونهم وضحف نقده عن إعطاء الأشياء حقها من التأمل واستعمال النظر الشافي في المقايسة والتعيز ، واستعملوا المغالطة في تقديم النظم ، فنقول وبالله التوفيق :

إن الشعر وإن كان في المنزلة التي أشرنا إليها فإنه هابطٌ عن درجة الرسائل

(١) يقال للسابق الأول من الخيل السَّجَلِي وللتالي المصَلِّي وللتالث المُسَلِّي . (نظر : الزاهر ١/٢٢٩ ، شرح مفاتيح الحريري ٢/ ١٥٠ ، نهاية الأرب ٩/ ٣٧٣ ، جز الليل ٧٣) .

هيوطاً بيتاً لا يخفى عن ذوي المعارف المميزين ، ويدل على ذلك خبر امرئ القيس مع أبيه حجر حين هم يقتله لما سيمع بعد أن نهاه عن قول الشعر يترنم في مجلس شرا به بقوله^(١) :

اسقيا حُجراً على عِلّاتِهِ من كُتَيْبٍ لونها لَوْنُ العَلَقِ
وما رواه الرواة من حديث النابغة الجعدي ، وأنه كان سيّداً في قومه لا يقطعون (٣٨) أمراً دونه وإن قول الشعر حطّ رتبته^(٢) .

ولإيضاح الشعر في نفوس سادات العرب وملوكهم فزه الله تعالى رسوله عنه ومنعه منه ، وليس إعدامه الشعر كإعدامه الخط ، لأن الذي جاء به ليس بشعر فيقع الارتياب فيه إذا كان يقول الشعر ، لأنه لا يجوز أن يبعث الله تعالى رسولا يريد أن ينقاد الناس إليه بما يتقص من قدره في أنفسهم .

ولو كان الشعر أعلى مرتبة من الشعر لم يجوز أن يتحدثى الله تعالى العباد إلا به ، لئلا يكون قد تحداهم بما يوجد أبلغ منه ، لكنه سبحانه لعلمه بفضل الكلام المنشور أنزل كتابه العزيز مشورا ذا مقاطع وفواصل ولم ينزله قصائد ذوات قوافي وأوزان ، وعراه من حلية النظام الذي يصفّل صفحة الكلام ، ليظهر العجز من غير طريق القوم الذين أنزلهم بلسانهم .

ولو كان النظم أيضاً أفضل من الشعر لوجب أن يجيء ما نقله الشعراء من معاني الكلام المنشور إلى النظم في [أعلى] صورة من البلاغة ، وهذا مستحيل ، لأننا إذا أعزنا ما نقل من معاني الشعر إلى النظم وجدناه قد انحط عن درجته في الشعر . ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو ﴾^(٣) ، فإن جريراً نقله إلى قوله^(٤) :

(١) أعلى به ديوانه .

(٢) ينظر : صبح الأمل ١/ ٦٠ - ٦١ .

(٣) السافون : ٤ .

(٤) ديوانه ٥٣ .

حصلت عليك حماة قيس خيلها شغفا عوابس تحمل الأبطالا
 ما زلت تمسب كل شيء بعدها خيلاً تكثر عليهم ورجالا
 (٣٩) والفرق بين الكلامين ظاهر لمن كان ذوقه مستقيماً وطبعه سليماً .
 ومنه قوله تعالى : ﴿ كَتَلِ الْجَحَاثُ يَحْيَىٰ أَسْفَارًا ﴾ (١) . نقله الشاعر (٢)
 إلى قوله :

زوايل للأشعار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباصر
 لعمرك ما يدري البعير إذا غدا بأوساقه أو راح ما في النرائر
 وبيان هذين الكلامين واضح أيضاً .

فإن قيل : إنه يجب أن توقع المقايضة بين النظم والنثر من كلام المخلوقين
 دون كلام الخالق ، عز سلطانه ، لتفريده بالمعجز وحلوله في الدرجة العالية من
 البلاغة التي لا يصل البشر إليها ، سلمنا ذلك وأوقفنا المقايضة بين كلام البشر
 وأتينا في التمثيل بأبلغ النوعين ، أعني المنظوم والنثر .

فمن ذلك قول النبي ﷺ للأَنْصار ، رضي الله عنهم : (إنكم لتكثرُونَ عند
 الفزع وتقلُونَ عند الطمع) (٣) .
 قال عترة بن شداد (٤) :

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعةَ أَنَّنِي أغشى الوغى وأعفى عند المغنم
 يشتمل هذا البيت على معنى كلام رسول الله ﷺ ، ويوازنه في عذوبة
 اللفظ ، فقد ساواه كلام النبي ، ﷺ ، بنفسه لا بسبب آخر هو معرض له .
 وهذا يرجب الفضيلة للنثر لأنها حصلت له بنفسه لا بسبب من خارج .

(١) الجمجمة : ٥ .

(٢) مروان بن أبي حفصة ، شعره : ٥٨ .

(٣) الفائق ٣/ ١١٥ ، النهاية ٣/ ٤٤٣ .

(٤) ديوانه : ٢٠٩ .

والنظم إنما تَمَّ حُسْنُهُ المعروض الذي هو لَبْسُهُ من الوزن والقافية ، (٤٠) وذلك أَنَّ الشعر حالٍ من الأوزان والقوافي وقيام كلِّ بيتٍ وانفصاله عن غيره بما النثر عاطلٌ منه .

وهذه أسبابٌ تزيد في رونقه وجوهه وتقضي بتقبل الأنفس له ، ولذلك يعجب به كثيرٌ ممن لا يفهم معنى الشعر ويحفظه وإن كان ملحوناً مستحيل المعنى .

و[أما] النثر فإنما تحليله بلاغته ، فإذا ساوئٌ وهو عاطلٌ بنفسه ما هو حالٍ فقد زاد عليه لا محالة ، لأنه لو كانت له حلية لَفُضِّلَ بها على ما سواه بنفسه لا غير . ومثال ذلك أنا لو استعرضنا شخصين : أحدهما حالٍ كاسي ، والآخر عاطلٌ عاري ، فتوازننا في الوضاعة والمباحة ، لحكمنا للعاطل العاري بالإرباء والإبراز على الكاسي الحالي ، لأنَّ الحالي الكاسي لو نزع حلاه وكساه وقايس العاطل العاري لما سواه .

وأما وجارئة البيت فلأنَّه مُعَبَّرٌ عن حالٍ يخصُّ فائتله ولا يمدوه .

وفي كلام النبي ﷺ زيادةٌ في المعنى أوجبت زيادة اللفظ ، وهي العموم في الحال المعبر عنها ، وخطاب الجماعة بقوله : (تكثرُونَ وتقلُونَ) ، وقوله : (عند الفزع) ، يجمعُ الجنس الذي من أنواعه الوغى وغيره . وكذلك (الطمعُ) فقد يكون مغنماً وغير مغنم .

ففي الكلام فوائد ليست في البيت ، ومطابقة لفظيةٌ وهي ذكر الغلة والكثرة .

ومع هذا فإن صاحب النثر مطالبٌ بطريق معانيه على أنفاظه ، غير مُسامح بضرورة ولا مجازف باستعمال كلمة مرفوضة ، وليس (٤١) كذلك الشعر ، لأنه ينبغُ الوزن ويتقادُّ إلى ما تقتضيه القافية ، وصاحبُه مُساهلٌ فيما خالف القياس ، مُسامحٌ بما لا يَسْتَحُ به لمُترسلي ولا خطيب .

فإن قيل : إذا كان النثر في أعلى طبقٍ من البلاغة ، لخلوه من سبب يُحسُّهُ

واكتنافه ببلاغته وتأليفه المخصوص ، فما يمنع أن يكون الشعر أفضل من أجل أنه لو قدر أن كلاماً منشوراً بلغ الغاية من البلاغة بنفسه وتأليفه وتقول على صورته إلى الموزون نصار في أفضل من حالته الأولى ، لجمعه بين بلاغته وهو نثر وما اكتسب من تحسين الوزن ، لا سيما ولا منزلة من البلاغة في غير الشعر إلا ونقلها إلى الشعر ممكن .

قلنا : هذا لا يصح ، لأن الكلام البليغ نمط من التأليف وضرب من الترتيب .
ونقل الشاعر^(١) ، قول علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه : (قيمة كل امرئ ما يحسن)^(٢) ، فقال :

فيا لائمي دعني أغالي بقمي
فقيمة كل الناس ما يحسنونه
فإنه وإن كان قد أورد المعنى في نصف بيت على سبيل التضمين والاحتدام والنقل لم يأت بما ينسب إليه إلا لفظاً بدله وزاده لإقامة الوزن . والذي طبعه سليم وحسنه مستقيم لا يقتضيه إلى تعريفه فرق ما بين الكلامين ، إلا أن هذا الشاعر زاد فاء في قوله : (فقيمة) ، وهي مستكرهة ثقيلة في هذا الموضع ، وأبدل لفظه (امرئ) بلفظة (الناس) ، و امرؤ أعذب وألطف ، ونقل قوله : (ما يحسن) إلى قوله : (ما يحسنونه) ، (٤٢) والجمع بين هاتين النونين وليس بينهما إلا حرف ساكن ، والساكن لا يُعَدُّ به ، مستوخم^(٣) .

وفي هذا دلالة على بطلان نقل المنشور إذا علت طيفته في البلاغة إلى المنظوم وهو على الصورة التي كان عليها في المنشور ، وهنا في الرجز [من] النثر فكيف بالسهب الكثير الذي يحتاج فيه إلى التبديل والتغيير . ولولا خوف التطويل لأتينا بأمثلة من النثر والنظم . وفي الذي أوردنا كفاية في مناقضة من ذهب إلى تفضيل النظم على النثر .

(١) ابن طباطبا ، شعر : ١٦١ .

(٢) المحاسن والمساوي : ١٦١ / ٢ .

(٣) ينظر : صبح الأعشى ٥٩ / ١ .

[مراتب صناعة الكتابة]

وأما المراتب التي تنقسم إليها صناعة الكتابة فخمسة عشرة مرتبة ، وهي :
الوزارة والتوقيع والرسائل والخارج والضياع وبيت المال والخزائن
والنفقات والجيش والزمام والبريد والغض والمظالم وكتابة القضاء وكتابة
القواد والأمرأ وكتابة المعاون .

وقلنا فيما سلف إن اسم الكاتب إنما يقع في الحقيقة على الكاتب المستقل
بجميع آلتها ، المحيط بكلية أدائها ، لا من تعلق منها بالسبب المتصرم
وامتد إلى الركن المتهدم . وينبغي لمن تمسك بحبلها وأحب أن يكون من
صرحاء أهلها ، أن يتحلل بحلية فضلها ، ويصبر^(١) على المشقة في اجتياز
مداها ، ولم يقتصر على اسمها دون معناها ، لتحصل له حقيقة ما انتسب إليه ،
ولا يكون دعياً ملصقاً ، ويفوز بمعنى ما يُستقَى به ولا يكون صفرأ منه مُبْلَقاً ،
فإن عجز عن استتمامها ، وقصر عن استيفاء أقسامها ، فلا يقف في القرن الذي
(٤٣) يعتري إليه من فنونها دون غايتها ، ولا يرضى بالخروج من خاصته إلى
عامته .

وقد مثلت الحكماء الملك وأعوانه بالنفس والأعضاء ، فقالوا : مثال
الملك مثلاً النفس التي تسوس جميع الجسد ، ومثال الخدم مثلاً الأعضاء التي
تخدم النفس . وقسموا الخدم بحسب انقسام الأعضاء فقالوا : إن منهم من
يخدم الملك خدمة القلب للنفس التي هي التفكير وإجالة الرأي ، وهذا عمل
وزير السلطان الذي يستعين بأرائه في مصالح الملك . ومنهم من يخدم الملك
خدمة اللسان للنفس التي هي العبارة عن الضمائر وإخراج الصور الوهمية إلى
المخاطبين ، وهذا عمل كاتب الملك الذي يأمرُ عنه وينهى ويخاطب . ومنهم

(١) في الأصل : صبر .

من يخدمُ الملك خدمة اليد للنفس التي هي تناول الحاجات ، وتُقرَّب ما يحتاج إلى تقريبه ، وتدفعُ الأذى عن الجسم والمغالبة والمباوضة إذا احتيج إليهما ، وهذا عملُ أجناد الملك وأنصاره وتُخَدِّمُهُ الذين يقومون بمرافق الملك .

ومنهم من يخدمُ الملك خدمة الرجل للنفس التي هي للسعي والحركة إلى المواضع التي يستدعي لها حاجاته ومهماتهُ ، وهذا كرسل الملك . ومنهم من يخدمُ الملك خدمة البصر للنفس التي تلحظُ له الأشياء وتحفظها وتساعدُها ، كأميناء الملك وعماله . ومنهم من يخدمُ الملك خدمة السمع للنفس التي هي آتيةً بالأصوات على حقائقها ، وهذا عملُ أصحاب البُزُو الذين يفحصون عما غاب عن الملك (٤٤) ويطالعونه به .

وهذا دأبُ على أنَّ أهل هذه الصناعة هم المتحملون لمعظم شؤون الملك والقائمون بجمهور أمورهِ . ولا ينبغي لأحدٍ منهم أن يتعرض لنوع من أنواع خدمته إلا بعد مهارته في ذلك النوع ، وإرتياضه به ، وثقته بنفاذه فيه .

ونحن نذكرُها هنا ما يلزمُ كلَّ طبقة من هذه الطبقات الخمس عشرة أن تستقلَّ به من العلوم والآداب بالقول المجمل ، ليأخذها من معادنها ، ويجتلبها من مظانها . والله المستعان .

الوزارة :

هي الرئاسة . وصاحبُها يجب أن يكون قِيَمًا بجميع أنواع الكتابة وأقسامها . عالمًا بشروطها وأحكامها ، لأن كلَّ ناظرٍ في فُرْ من فنونها إليه يرفعُ ما ينظرُ فيه ، فلا يجوزُ أن يكون جاهلًا بشيءٍ منه ، وأن يكون نافذًا في علوم الدين ، لأنَّ الذين أسَّسَ الملك الذي يبنى عليه أمره ، وأن يكون فاضل العقل ، أصيل الرأي ، جيد الروية ، ثاقب البديهة ، جميل الصنح ، مُتَرَفِّعًا عن المباهاة برئاسته والمطاولة بمنزلته ، عفيف الطعمة ، شريف النفس ، وقورًا ، صموتًا عن الخوض فيما لا يعنيه ، كثير الأناة ، متزهزأً للفرصة ،

متصرفاً لبلاغتي المنطق واليد ، فاضل الطبع ، مجبولاً على العدل ، عالي
 الهمة ، صادق اللهجة ، مثاباً في وعيده ، يلائن أهل الطاعة والانقياد ويُنَافِظُ
 على ذوي المصبة والعتاد ، لا يسرع إلى العقاب متهوراً ولا يطمع في إغفاله
 مضجعاً ، أخذاً بالنقوى ، عادلاً عن الهوى ، لا يشقى به المحق وإن كان
 عدواً ، (٤٥) ولا يسمد به المُبطل وإن كان ولياً ، سهل الحجاب ، مفتوح
 الباب ، لطيفاً باللهيف المظلوم ، عسوفاً على الغشوم الظلوم ، محباً للخير ،
 مستكملاً شرائط المروءة وأقسامها ، في سعة المنزل والطعام ، وجودة الفرش
 والثياب ، وعطر الرائحة ، وفراغة الدواب ، وكثرة الأصحاب ، من غير
 مبالغة تطغي وتزدهي ، ولا تقصير يفض ويغضب ، متجنباً للغضب ، قليل
 اللهو والطرب ، مداوياً للجارب ، ملاسماً للنواب ، عارفاً بتصرف
 الأحوال ، عالماً بوجوه الأموال ومصالح الأعمال ، مستوياً لحقوق السلطان
 من غير حيف على معاملته ورعيته ، معتمداً للإنصاف لهم والانتصاف منهم ،
 مقدماً أهل الفضيلة والدين والغناء ، مُستَكفياً للكفاة ، عارفاً لذوي البيوتات
 والرتب أقدارهم ومنازلهم ، مُنَزِّلاً بحيث يستحقون منها ، بصيراً بمكاييد
 الحروب ومُعاجمه الخطوب وتدبير الدولة وسياسة الرعية ، عارفاً بما يعتمد
 كل طبق منها من عسف ولطف وخشونة ولين وما يصلح عليه من السَّير
 المتضادة ، لا يشغل كبير أمر عن صغيره ، مقدماً للحزم ، عاملاً بالعزم ،
 ناظراً في العواقب ، مخلص النية ، صحيح الطوية ، حارساً .

وسنذكر في الباب العاشر ما يحتاج إليه كافة الكُتَّاب من الاعتقاد والتخلق
 والعمل ، إن شاء الله تعالى .

التوقيع :

صاحب التوقيع هو يذ الوزير ونائبه ، ومتولي العرض على الخليفة إذا
 غلب . وإذا لم يكن للسلطان وزير منصوب (٤٦) فالموقع يدخل مدخله .
 وينبغي أن يكون مستقلاً بكل ما يستقل به الوزراء ، ماضياً في جميع علوم

الدواوين على اختلافها ، عارفاً بأوضاعها وبوجوه الأموال وتشميرها وصلاح الرجال وسياستها ، وقد يحتمل تقصير الكاتب في أشياء : فمنها أن يكون عفيفاً أميناً وإن لم يكن ناقداً بصيراً ، ومنها أن يكون عارفاً بوجوه المال موفراً له عاجزاً فيما سوى ذلك من أقسام الصناعة ، ومنها أن يكون مُقَصِّراً في البلاغة إلا أنه يعبر عن نفسه وعن صاحبه بما يؤدي الغرض من غير إخلالٍ بمعنى ، وقد تمهدت له حرمة ، وعُرفت منه مخالصة ، واستمرت له صُحبة .

فأما صاحبُ التوقيع فلا يحتملُ تقصيره في شيء بالجُملة ، لأنه يدُ السلطان ولسانه ، وإذا علم منه أصحاب الدواوين غباوة وتخلُّفاً وجهلاً بما يخرجونه أدغلوا في المؤامرات وورَّذا عما يؤديهم إلى الارتفاق . وينبغي أن يكون مع تحصيل هذه الأدوات كلُّها حسن الخط ، سريع اليد ، ديناً ، أميناً ، نزه النفس ، لا يخرجُ عما يؤمَّر به ولا يتعداه لغرض من الأغراض كُلِّها .

الرسائل :

صاحبُ هذه الرتبة هو لسانُ الملك الناطقُ بحجته ، المترجمُ عن عقله ومقاله ، وهو حليةُ المملكة وزينتها ، يرفعُ ذكرها ويُعلي قدرها ويُعظمُ خطرَها ويدلُّ على فضل ملكها ورئيسها . وهو المتصرفُ عن السلطان في الوعد والوعيد والترهيب والإحجام والإذمام واقتضاب (٤٧) المعاني التي تُقَرُّ الولي على ولائه وطاعته وتبعُدُ العدو العاصي عن عداوته ومعصيته (١) .

وينبغي أن يكون قتيماً بكلِّ ما يشتملُ عليه كتابنا هذا من الآداب الأخر التي تُؤخذُ من مواضعها .

ومتولي الرسائل إذا لم يكن للسلطان صاحبُ توقيع ينوبُ منابه ويكفي فيما يتولاه .

(١) ينظر : صبح الأعشى ١/٥٦ .

ويجب أن يكون موجزاً في موضع الإيجاز ، مُطنباً في موضع الإطناب ، حتى إذا وقع جَمَعَ المعاني وأجملها ، وإذا كتب بسطها وفصلها . وهو يرأس طبقات الكتاب ويتقدمهم بالفضائل التي ذكرناها في الباب الأول من هذا الكتاب وبما خُصَّ به من وقار العلم وفصل الحكم ورجاحة الفهم وصواب المنطق ، والتميز عما في الطبقات الأخرى من الطيش وخفة الأحلام وزلل الألسن .

وقالت الحكماء : الكُتَّابُ كالجوارح ، كلٌّ جارحةٌ منها ترفدُ الأخرى في عملها ، وكتب الرسائل بمنزلة الروح المشاركة للبدن المنيرة لجميع جوارحه وحوادثه .

وهذا تمثيلٌ صحيحٌ لأن هذا الكاتب هو الذي يمثلُ لكلِّ عاملٍ في تقليده ما يعملُ عليه ، ويتصقَّح ما يردُّ منه ، ويصرفه بالأمر والنهي على ما يؤدي إلى استقامة ما عُلِّقَ به^(١) . وهو يحتاج إلى أن يكون بين يديه كُتَّابٌ يُعَيِّنونه في الإنشاء ، وآدابهم كأدابه .

فأما آدابُ الصناعة والسياسة التي يفتقر إليها كاتبُ الترسيل فقد استوفينا القول عليها في البابين التاسع والعاشر من هذا الكتاب . والله الموفق للصواب بمنه وكرمه .

(١٨) الخراج :

خطر متولي الخراج بحسب ما يتولاه من أموال السلطان التي يستظهر بها على جهاد أعدائه وإرهاق عزائم أوليائه . وهو يحتاج إلى المعرفة بوجوده الأموال ومصالح الأعمال ورسوم الخراج واستدعاء ما يجب منه في أوقاته وتناوله من جهاته ، والاستقلال بجزء غير يسير من كتابة الرسائل لما يحتاج إلى إنشائه من العهود الخراجية المودعة شروط العمالة ، والمناشير المتعلقة

(١) ينظر : صبح الأمل ١/٥٦.

بالماملين ، وكتب القبالات^(١) والضمائم ، والكتب النافذة إلى العمال في جباية الأموال والحث والاستبطاء في حملها والاستحاج بما يوجب المبادرة بها واستدعاء الحساب وشواهد وغير ذلك مما يقع في عمله ، والعلم بالفروض والزكوات والأعماس والأعشار التي أوجب الله تعالى على المسلمين إخراجها من أموالهم ، لتناولها على حقها الذي أئز به ، والشروط الفقهية ليستعملها إذا ضمن وقيل ، والرسوم الديوانية التي يستعملها السلطان استظهاراً على معامليه ، أنه لا يجوز له أن يخرج عن حكم الفقه والدين ، والتميز في الحساب وجودة العقد وتآليف أنواعه واستيفائه من رافعيه على الصحة والحقيقة . وهذه الثلاثة أشياء^(٢) التي هي العقد والتآليف والاستيفاء هي أصول الأعمال الديوانية ، فليتنظر فيما يحتاج إليه العمال من أحكام المساحة والزراعات وأوقاتها وفسادها وصلاحتها ، والأصناف العالية منها ، والأفان الداخلية عليها ، ورسوم السقي (٤٩) وتقسيم الشرب والعمارات وعمل الجسور والشرع وغير ذلك ، والإحاطة بارتفاع كل ناحية ، فمتى سُئل عن ذلك أجاب من غير رجوع إلى شواهد ، وإن أمكنه أن يعرف ارتفاع جميع الكور كان أزيد في فضله ، وحفظ المستخرج والمحصول إلى بيت المال والحاصل ، حتى متى كشف من جهته عن شيء من ذلك ذكره من غير أن يطالع تعليقاً ولا غيره ، والمعرفة بالعمال الذين يتصرفون من قبله والكتاب والخزان وأسمائهم وأسماء آبائهم ومنازلهم وطرائقهم وسيرهم ومبالغ أرزاقهم ، وأن يكن مع ذلك صبوراً أميناً نزهة مستوفياً للحجة في المناظرة متفقداً لديوانه معتمداً للحق عادلاً عن الهوى مستشعراً خيفة الله تعالى .

الضبياع :

كتابة الضبياع جليلة المقدار ، لم تزل عناية الملوك مصروفة إلى من يعرفها

(١) جمع قبالة ، وهي الكفالة .

(٢) الصواب : الثلاثة الأشياء .

ويُسندُ إليه أمرها من ذوي السابقة والقدر والخُزْمة والوجاعة . وصاحبها يحتاج إلى أمر كثير وجزء كبير من المعرفة بأحكام الترسيل لما يكتبه من مناشير الوكلاء والأمناء والمساح والخُزْان وكتب القبالات وعلم الحساب ومعرفة التأليف والجبابة والاستخراج .

وهذه وإن كانت أنواعاً فهي ترجع إلى جنس واحد وهو استيفاء حقوق السلطان وترتيب الارتفاع والحمول والنققات والحواصل والبواقي ، ليضع كلاً من ذلك في مكانه ، والفاذ في المسايح علماً وعملاً والكيل والتقدير ، والعلم بأمور الزراعة وأصناف النبات (٥٠) من الشجر والزرع وما يفضّل بعضه بعضاً منها ، وأوقات الغرس والزراعة ، والآفات العارضة للنبات ، وأخذ العاملين بالتوفر على ما يلزمهم من العمائر والمصالح ، والنظر في أمور الحرث والاهتمام بذلك واحتفار الخليج والحوطة على المياه وتقسيبها على قوانين الري ، ونهد ما يُسقى بالذوالي والسواقي ، وتقوية ما يجب تقويته من أصناف الزرع والبذر والحصاد والدراس ورفع الغلات ، ومطالبة المستخلفين بعمل كل شيء من ذلك في وقته . ومنسوفي القول في كتاب الخراج إن شاء الله .

بيت المال والخزائن :

متولي هذه الكتابة هو أمين السلطان على أمواله وعروضه وذخائره وزين دولته في الجواهر والملابس والأواني وغير ذلك من الأسلحة والمراكب وآلات المراكب وما يجاريها .

ويجب أن يكون ثقةً حافظاً ، عارفاً قدر ما ائتمن عليه ، متجنباً للخيانة ، عالماً بالأصناف التي تحت يده ، حازماً لا تتمّ عليه حيلة ، وأن يكون قيماً في الحساب بما يكفي في ضبط ما يُحملُ إليه من ذلك .

النققات :

متولي النققات كأنه ضدّ متولي الخراج ، لأن صاحب الخراج موضوعه

جمعُ أموال السلطان من جهاتها ، وصاحبُ النفقات موضوعه تفرقتها في مستحقها من رجال الدولة وحمايتها الذين يسدون ثغورها ويذبون عنها . وعليه القيام بحساب ما يُنفق (٥١) فيهم وفي غيرهم من سائر النفقات الخاصة والعامة . وينبغي أن يكون قِيَمًا بالحساب ، عارفاً بنصيب دفاتره وتنبه واستيفائه ، وأن يُقدّم ما يجب تقديمه من النفقات ويؤخّر ما يجب تأخيرها منها ، فإن مُؤن السلطان التي يحتاجها للاستظهار في عُددته وتزيين مملكته مؤسّسة على مساواة دخله ، ولا يصحّ ذلك إلّا بالحزم في نفقاته وتقديم الأهم منها وتأخيرها ما يمكن التسوية به ، حتى لا يخلو بيت المال من حاصلي يكون ذخيرة فيه إن عرض للسلطان مهمٌ يدعو للاستعانة بماله ، فإنه إن فقد ذلك وقت الحاجة إليه اتهم كاتبه بالخيانة وإن كان أميناً ، وقلة الاضطلاع وإن كان كافياً ، وإن وجد ما يستعين به على بلوغ غرضه زادت حظوته وعلت رتبته وتأكدت القرية له .

ومراتب كُتّاب النفقات تختلف على اختلاف ما يتولونه .

الجيش :

خطر منزلة كاتب الجيش بمقتضى خطر ما ينظر فيه من أمور الرجال الذين هم أعضاء السلطان وأعوانه . وهو يحتاج إلى الاستقلال بجزء كبير من الحساب وإلى معرفة شِيَبَات الخيل وأسنانها وعناقها وأوصافها المحسودة والمذمومة وعيوبها الأصلية والحادثة وأخلاقها وخلقها ، والمعرفة بالأسلحة وأنواعها ، والسيوف وجواهرها ومياهاها ، والرماح وأجناسها والمختار منها ، والقسى والسهام والدروع (٥٢) وما يجاريها من الآلات التي ألهم الله تعالى الإنسان إعدادها للدفاع عن نفسه وجعلها له عوضاً مما جعلت اتخاذها باقى الحيوانات الأخر من الأعضاء التي يدافع بها عن نفسه كالأنياب والمخالب والقرون والحوافر ، وأن يطالب الأجناد بتحصيلها وعرضها في كل وقت ، كما يمرض الخيول التي يثبت شِيَبَاتها في ديوانه ، ولا يفسح لأحد منهم في الاستبدال من جيّد بردي ولا من عتيق بهجين ولا من أصيل بدني ، ومن غير

شيثاً ألزمه بتعويض ما غيَّره . ولهذا أوقع خَزَمَةُ الملوك الوسوم على الخيول والعلامات على الأسلحة .

ولا بأس بأن يكون قد تأدَّب بالفروسية وأخذ بطرفٍ من العمل بالسلاح ، وأن يكون فيه حُسْنُ مداراةٍ وحِمْيْلٌ مَلَقِيٌّ وصِدْقٌ عَلَى مُرَّ أخلاقٍ من عامله ، فإنه مدفوع إلى سياسة طوائف عدَّة من أهل الحميَّة وعِزَّة النفس . وهو محتاجٌ إلى رياضتهم وحُسْنِ السيرة في معاملتهم ليتمكن من حملهم على الحقِّ ، وأن يبيِّن أمره على النزاهة عن الطمع ، ليفتدِر بذلك على ما يرومه من تنزيلهم منازلهم ، وليحذر وضع الأعلى ورفع الناقص ، وليأخذ بالحزم والأمانة فإنَّ خيانة كاتب الجيش يتوجه على المال والرجال ، ولا يخص أحداً دون آخر ، فإنه إذا اعتنى بمن لا كفاية عنده نزله منزلة الكافي ، وفرض له من مال السلطان ما يفرض للكُفَاة ، فيكون خائناً بإعطائه من لا يستحقُّ . (٥٣) ولا غناء به عن جزء من كتابة الترسيل ، لأنه رُبَّمَا نُدِبَ مع والي حرب واحتاج إلى المكاتبه عنه بخبر الفتح وغيره مما يعرض له .

الزمام :

كاتبُ الزَّمام يجبُ أن يكون ذا رئاسة وموضع في نفوس الناس ونفاذ في نوع الكتابة التي تُجعلُ زماماً عليه ، ذا علم بأحكامه ورسومه ، فيحتاج إلى التمهُّد فيما يَتَمَهَّرُ فيه كاتبُ التفقات ليطالب عماله بما تقتضيه خدمته ويستوفي منه شروطها وقوانينها وينبغي أن يكون أميناً مُتَحَرِّزاً محتاطاً ، غير مُقَصِّر ولا مُسَالٍ .

وقد جرت العادة بأن يردَّ إلى صاحب الزَّمام خاتم الخليفة ، ويكون إليه ختم الكتب التي تنفذ عنه . ومنذكر الرسم المستعمل في ذلك في موضعه ، إن شاء الله تعالى .

البريد :

هذه الكتابةُ كتابَةٌ خطيرةٌ الشأن في أعمال السلطان ، وذلك أنَّ السلطان

كما يحتاج إلى كاتب يُعَيَّر عنه ويُخاطبُ بلسانه الجمهور ، وكاتب يجمع أمواله ، وكاتب يُفَرِّقها في وجوهها ، وكاتب يتولى أمر جنوده ، فكذاك يحتاج إلى كاتب يريد يُسهي إليه أخبار الحُكَّام والمُتَمَلِّين وولاة الأعمال وقتاً وقتاً ، ليُقابِلها من في التدبير بما يجري الأمر أحسن مجاريه .

ولولا أصحاب الأخبار والبُرُود لم يُحِطِ السلطانُ من الأحوال إلا بما دنا منه . وصاحبُ هذا العمل يحتاج إلى حظٍّ وأخر من كتابة الترسيل ، لأنَّه يكتأبُ السلطانَ في المهمات والأسرار (٥٤) التي لا يطلعُ عليها غيره . وينبغي أن يكون قادراً على مخاطبته من الكلام البليغ الجامع للمعاني بما تقتضيه رتبته ، ثممكناً من التصرف في الصناعة ، ليتأدب في مكاتبته له ، ويتجنب مقابلته بما لا يجوز أن يُقابل به ، وأن يستقلَّ في الحساب بما يقدره على ضبط ما يجري على يده من أرزاق المستخدمين في البُرُود وغيرهم ، وأن يتخلَّق بالشفقة والنصيحة والأمانة واتباع الحق ، والفحص عن المستور من الأخبار وإيثار ما يعودُ بصلاح السلطان والرعية ، وأن يستوي عنده الولي والعدو في الحق ، فلا يفتيح ما يكتأب به في العدو ولا يُحسنه في الصديق ، ولا يُهادي أحداً من العمال في عمله ولا يُداعبهم ولا يقبل هداياهم ولا يحضر دعوهم ولا يأنس بهم ولا يكتُم شيئاً من أمورهم ويحضر مجالس الولاة ويطلع ما يحتاج إلى عمله مما يجري في كلِّ منها .

الفضن :

كاتبُ الفضن يجب أن يكون بليغاً ماهراً في صناعة الترسيل ، قادراً على جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة ، وكاتبُ المصروفين يسؤونه المُخرج ، وخدمته في مجلس الوزارة ، وموضوعه أن يُخرج من الكتب الواصلة إلى السلطان من عماله جوامعها ويوردها بقولٍ وجيزٍ في سراح ليخرج أمره في معنى كلِّ كتاب بما يراه ، إذ لا يتسع زمانه لقراءة فصوص الكتب الواردة عليه . وينبغي أن يكون هذا الكاتب كنزاً للأسرار (٥٥) خازناً للسان حافلاً لما يمرُّ عليه .

المظالم :

معاملة متولي هذا الديوان جارية مع أهل الخراج ومن يجري مجراهم ممن يتظلم من عمال السلطان الذين لا يمكنُ الحكام إحضارهم ولا بثّ الحكم بينهم وبين من يدعي عليهم ، لأنَّ جُلَّ دعاوي هؤلاء في أشياء من حقوق الزراعات وحدود الأرضين والسواقي والضياع التي لا تقوم البيّنات عليها بالشهود المعدلين ، ويمكن أن يستدلَّ على الحقِّ فيها بشواهد وعلامات يُرجعُ إلى مثلها ، ويقع التراضي بشهادة من يشهد عليها من المجاورين والمستورين ، ولذلك حيز هذا الديوان عن الحكام .

وينبغي أن يردَّ النظر فيه إلى رجل ذي أمانة وعدلٍ ورحمةٍ ليعملَ بالحقِّ ويرؤفَ بالضعيف . وأولُّ ما يجبُ عليه أن يطلب البيّنة من المترافعين إليه كما يطالبها الحكام ، فإن قامت له بيّنة مرضية استغنى عن الاستدلال بالشواهد والعمل على الشائع الذائع فإذا انتقلت عليه الأمور فليدعُ إلى الصلح ولا يدخل فيما يتقلّد منه إنمأ . وينبغي أن يتأدّب بكثير من آداب الحكم التي يشتملُ عليها رسمُ تقليد القضاء الذي يأتي في موضعه من هذا الكتاب .

كتابة القضاء :

هذه الكتابةُ كان حكامُ الفرس يسقونها كتابة العدل . وهي تلي منزلة الحكم في الشرف والفضيلة ، لأنَّ كاتب الحكام يدوِّه ولسانه الذي يخاطب به نوابه وخلفاءه ، ويُمثِّلُ لكلِّ منهم (٥٦) ما تجري الأحكامُ عليه في عمله . والمرشَّحُ لهذه الكتابة لا يفتنى عن التمهُّر في البلاغة وتآليف الكلام والقيام بعلم موفوي من علم الفقه والأحكام الشرعية ، لا سيما ما دخل منها في الدعاوي والبيّنات والإقرار والشهادات والمصالحات والشروط والوثائق والسجلات وما أشبهها .

وينبغي أن يكون ديناً حليماً وقوراً أميناً عفيف النفس والجوارح موسوماً بجميل السيرة وحسن السريرة .

كتابة الأمراء والقواد :

تُكتبُ الأمراء والقواد يحلون منهم محل الوزراء من الملوك والخلفاء . وينبغي لهم أن يتصرفوا في جميع فنون الكتابة ، لأنهم الذين يكتبون الناس عن أصحابهم ، فلا يَنْتَوْنَ عن خطأ متوفر من الترسل ، والذين ينظرون في أموالهم ، فلا مندوحة لهم عن المعرفة باستخراج المال وأسباب العمارة والمهارة في كتابة التفصيل ، والذين يستوفون حقوقهم من ديوان الجيوش ويعرضون رجالهم ودوابهم ، ولا غنى لهم عن العلم بأمور الجيش ورسومه ، وكذلك سائر ما يدخل في أعمالهم .

وينبغي أن يكون فيهم مع ذلك لطفٌ وحسنُ مداراةٍ وعشرةٌ ووفاءٌ وأمانةٌ ، وحسنُ منابٍ وسفارةٌ عن أصحابهم عند الرؤساء .

كتابة المعاون والأحداث :

كاتبُ المعاون يحتاج مع شدِّهِ ما لا غناء به من أدوات الكتابة التي يدعي مع شدوها إلى المعرفة بالأحكام الشرعية في الحدود التي أمر الله تعالى بها (٥٧) على من تعدَّى إلى معارمه من القود والقصاص والقتل والديارات والأرض والضرب والصلح وغير ذلك مما يُجاريه ، ليمضي الحكم فيه على ما يسلم من دينه ودين من استكتبه .

فهذه مراتبُ الكتابة التي تنقسم إليها الصناعة ، وما يلزمُ المرتين فيها أن يقوموا به تم العلوم والآداب والأخلاق .

القول على هذه الصناعة في أي مذهب هي من المذاهب :

قد قلنا فيما سلف أن حكماء اليونانيين كانوا يستئون صناعة الكتابة : العلم المحيط . وهذا اسمٌ واقعٌ لانتقار جميع الأشياء وحاجتها إلى الاستعانة بها في تكميل معانيها . وهي لذلك قميقة بأن تكون العلوم والصنائع في حيزها أو في حيزٍ شيء منها ، وأن يكون لها رتبة السلطنة والمملكة عليها . ويؤكد ذلك أن

هذه الصناعة تستعملُ جميع العلوم والصنائع الخاصة عن وجهين : أحدهما أنها تستخدم^(١) بعضها لما لها من الشركة ، والآخر أنها تستعملُ بعضاً عن طريق الأدب والتحلية من غير مشاركة . . نحو علم البلاغة واللغة والنحو والحساب والمساحة والهندسة والمنطق ، والتي تستعملها على طريق الأدب والتحلية هي ما لا تغتر^(٢) في تمامها إليه ، نحو صناعة الطب والنجوم والموسيقى ، فإن هذه الصنائع وإن كانت غير متعلقة بالكتابة ولا مشاركة لها ، فإن الكاتب لا يغتر عن التأدب بمعرفة جُمَلِها وجوامعها ، إذ لا يخلو أن يؤمر بالكتابة فيها بما يفتح به جهله وأن يحاضر في مجلس سلطانه من علمائها من يضطر إلى مفاوضته (٥٨) فيها . . جميع العلوم والصناعات كالأجزاء والأعضاء لهذه الصناعة ، وهي تحلُّ فيها محلُّ كلِّ من بعض ، وأصلها من فرع ، ألا وأنها وإن كانت كما ذكرنا فإننا إذا عدنا إلى قسمة الصنائع وجدناها تنقسم إلى ثلاثة أقسام : إما عملية كالنجارة ، أو علمية كالهندسة ، أو علمية وعملية كالموسيقى ، ووجدنا صناعة الكتابة من الصناعات العلمية العملية لأنها تغتر في كمالها إلى معرفة العلوم التي عدناها وإلى رسم الرسوم الخطية للإبانة عن المعاني وعقد الحساب الذي تُبرِّزُه الأوهام باليدن ، فهي على الجملة للصنائع ذوات الأخبار ومحيط بها فليست في حيِّز شيء منها ، وعلى التقسيم الصناعي من حيِّز الصنائع العلمية العملية .

القول على الرسم :

الرسمُ مُنْبِئٌ^(٣) عن غرض الشيء للمرسوم مثل الرسوم الواقعة على الصنائع وغيرها . فإننا إذا قلنا صناعة الكتابة وصناعة التجارة وصناعة الصياغة عُرِفَتْ من هذه الرسوم أغراض تلك الصناعة .

(١) في الأصل : يستعمل .

(٢) في الأصل : يغتر .

(٣) في الأصل : مبني .

وَرَسَمْنَا كِتَابَنَا هَذَا بِمَوَادِّ الْبَيَانِ دَالَّةً عَلَى إِحَاطَتِهِ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي تَعُدُّ صِنَاعَةَ الْبَيَانِ . وَعَلَى هَذَا يَجِبُ أَنْ يَجْرِيَ الْأَمْرُ فِي سَائِرِ مَا يَرَسُمُ ، أَعْنِي أَنْ يَكُونَ الرَّسْمُ دَالًّا عَلَى غَرَضِهِ .

القول على عِلَّةٍ وَضَحَ الْكِتَابَ :

المعرفةُ بعِلَّةٍ وَضَحَ الْكِتَابَ يَدُلُّ عَلَى الْمَسَبِّبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضِعَ الْكِتَابُ . وَعِلَّةُ وَضَعْنَا لِكِتَابِنَا هَذَا رَغْبَتُنَا أَنْ نَصْنَعَ كِتَابًا جَامِعًا لِمَا تَنْظُمُهُ (٥٩) صِنَاعَةُ الْكِتَابَةِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْأَدَابِ الْخَاصَّةِ بِهَا ، لِيَجِدَ مَنْ يُعْنِي بِهِذِهِ الصِّنَاعَةُ جَمِيعَ مَا يَرُومُهُ مِنْ أَصُولِهَا وَفُرُوعِهَا الَّتِي فَرَّقَهَا الْمُصَنِّفُونَ فِي الْكُتُبِ مَوْدَعَةً فِيهِ ، وَيَعْرِفُ بِهِ الطَّالِبُ جَلَالَتهَا وَخَطَرَهَا وَارْتِفَاعَ قَدْرِهَا مِنْ بَيْنِ الصِّنَائِعِ ، وَيَصْرِفُ هِمَّتَهُ إِلَيْهَا لِيَتَمَيَّزَ مِنْ انْتِمَائِهَا بِالْأَسْمِ دُونَ الرَّسْمِ وَبِالزِّيِّ دُونَ الْمَعْنَى .

وإِذْ قَدْ أَتَيْنَا بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ ، فَإِنَّا نَقُفُّ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ مِنْ هَذَا الْبَابِ ، وَنَأْخُذُ فِيمَا يَلِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الباب الثاني في البلاغة وأقسامها

البلاغة هي العبارة عن الصُّور القاتمة في النفس بمعانٍ جامعة لتلك الصُّور محيطاً بها ، والألفاظ لتلك المعاني مساوية لها . ولصعوبة الغرام في تركيب الكلام من ألفاظ ومعاني مشتملة على الصفة التي وصفناها قلّ البلغاء وصارت البلاغة صناعةً تخصُّ قوماً دون قوم .

ولو كانت البلاغة إنشأ هي العبارة عن هذه الصُّور بما يحضر كلُّ مُعَبِّرٍ لتساوى الناس في حيازة فضيلتها ، ولم يكن لأحدهم منزقة على الآخر فيها ، لكن أكثرهم يعدل عن طريقها من وجهين :

أحدهما : أن يأتي بالألفاظ عامية متبدلة سخيفة النسيج لا تدلُّ على المعاني في أول وهله .

والآخر^(١) : أن تكون الألفاظ مَكْرُوزَةً بأعيانها أو مترادفةً ينوب بعضها عن بعض في الدلالة على المعنى المدلول عليه (٦٠) ويؤخذ الطريق إلى الإبانة عنه بجزء منها ، على أن استعمال الألفاظ المترادفة أيسر قُبْحاً من استعمال الألفاظ المكررة لما تقيده المترادفة من توكيد المعنى . وفي التنزيل العزيز : ﴿وَيَنْ أَلْجَبَالِي جُدَدٍ بَيْنَ وَحْشٍ مَخْتَلِفٍ أَلْوَنًا وَعَرِيبٍ سَوْدٌ﴾^(٢) والغريب هو الأسود . قال ذو الرمة^(٣) :

لميساء في شَفَتَيْهَا حُوءٌ لَمَسَ وفي اللِّمَاءِ وفي أنيابها شَنَبٌ
واللَّعْسُ حُوءٌ ، فَرَادَةُ لَمَّا اختلفت اللفظان ، ويجوز أن يكون لَمَّا ذكر
الحُوءُ خشي أن يتوهم السامع سواداً فيحاشي أنَّهُ لَمَسَ ، واللَّعْسُ حَسَنٌ في

(١) في الأصل : والآخرى .

(٢) لاطر : ٢٧ .

(٣) جوهان : ٣٢ .

الشفاء ، وأمثال هذا كثير .

وإنما يجب تجنب الألفاظ المترادفة في المواضيع التي تقتضي الإيجاز والاختصار ، ولا يحسن فيها الإطالة والإكثار ، كمخاطبة الأعيان من الرؤساء الذين لا يجوز أن تُشغَل أَسْمَاعُهُمْ بما يقطعهم عن أمورهم المهمة ولا أن ينفذ زمانهم فيما همّهم مصروفة إلى مطالعة غيره . وهذه الطبقة من الناس لا يجوز الإقدام عليهم بمخاطبة ولا مكاتبة إلا بعد المعرفة برتب الألفاظ والمعاني ليخضها منها بما تقتضيه منزلتها ومخاطبة أهل الذكاء والفيضة الذين يستدلون بصدور الأمور على أعجازها ، وينتظر فكرهم من أوائلها إلى أواخرها ، ويكون الإيجاز عندهم أوقع من الإطناب ، والاختصار أنجع من الإسهاب .

فإنما مواقف الخطباء بين (٦١) العامة وفي الأندية الحافلة والمهود السلطانية والمكاثبات في الفتوحات والمخاطبات المبينة على إيصال المعاني إلى من لا يتصورها بأدنى إشارة ، وما جرى هذا المجرى ، فإن الإطالة فيها وترديد الألفاظ المترادفة داخل في عَفْدِ البلاغة وغير خارج عنها .

فإنما البلاغة عند العرب فهي الإشارة إلى المعنى بلمحظة تدل عليه لأنهم يستحيون أن تكون الألفاظ أقل من المعاني في المقدار والكثرة . قال بعضهم بصف كلاماً : كأن ألفاظه قوالب لمعانيه . يريد : أنها مطابقة لها غير زائدة عليها ولا ناقصة عنها . وهذا هو الطريق القاصد إلى البلاغة ، وعليه يجب أن يعتمد ألا في الأماكن التي يحسن بها الإطناب .

وحكي عن جعفر بن يحيى البرمكي^(١) ، وكان من بلغاء عصره ، أنه قال : إذا كان الإيجاز كافياً كان الإطناب عيباً ، وإذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً . وعلى هذا الترتيب تنقسم البلاغة إلى ثلاثة أقسام : إشارة دالة ومساواة لفظ لمعنى وإسهاب يقتضيه الحال .

(١) نزل الخليفة هارون الرشيد سنة ١٨٧ هـ . (الوزراء والكتّاب ٢٠٤ ، تاريخ بغداد ١٥٢/٧) .

وبين البلاغة والإبانة فرق ذكره أفلاطون ، وهو أنَّ الإبانة وصفُ الشيء بأخصر الأشياء وأوجزها ، وترتيبها في القول على مراتبها فيه ، واعتماد المتكلم أن يكون كلامه كالكالب لمعناه . والبلاغة وصفُ الشيء بالغاية مما يليقُ به وتوثيق أحسن ما في اللغة من اللفظ وأقربه إلى أفهام المستمعين (٦٢) وفضيلة البلاغة إنما يحوزها ويفوز بها مَنْ يَحْدُ خايطه في تأليف الكلام مخاطباً ومكاتباً ، لأنَّ لكل من المخاطبة والمكاتبة موضعاً تكون الحاجة فيه إلى البلاغة يوزن الحاجة إليها في الآخر ، فأما من استقل بإحدى الحالتين وعجز عن الأخرى فهابط عن الدرجة العالية التي توجب حيازة الفضيلة .

[حدود البلاغة] :

وقد حُدَّت البلاغة بحدود^(١) ، ورُسِّمَت برسوم رأينا أنَّ نورد بعضها على سبيل التحلية والترصيع ، فمعناها قولهم :

البلاغة إيصالُ المعنى إلى النفس في أحسن صورة من اللفظ .

والبلاغة حسنُ اللفظ مع صحة المعنى .

والبلاغة حسنُ العبارة مع صحة الدلالة .

والبلاغة أن يبلغ السامع أقصى نهاية المعنى بالإبانة له والإفصاح عنه .

والبلاغة الإيجاز مع الإفهام والتصرف من غير إضجار .

والبلاغة القوة على البيان مع التصرف والقرآن . والقرآن : المشاكلة .

والبلاغة القوة على البيان مع حسن النظام .

والبلاغة إدراك المطالب وإقناع السامع .

وقال اليوناني : البلاغة تصحيح الأقسام واختيار الكلام .

وقال الرومي : البلاغة حسنُ الانتصاب عند البنداهة والغزارة يوم الإطالة .

(١) ينظر في حدود البلاغة : البيان والبيان ٨٨/١ . عين الأخبار ١٧٠/٢ . الرسالة المدراء ٤٤ .
العقد الفريد ١٨٩/٤ . زهر الآداب ١٠٢ . العمدة ٢٤١/١ . غرر البلاغة ٦٦ . كفاية الطالب ٤١ . نهاية الأرب ٧/٧ .

وقال الهندي : البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وتحسن الإشارة .
 وقال الفارسي : البلاغة أن يقرب الفصل من الوصل .
 وقال العربي : البلاغة أن يكون اللفظ مُحِيطاً بمعناك مُجَلِّياً عن مغزاك .
 (٦٣) وقال معاوية لصُحَّار العَبْدِيِّ^(١) : ما هذه البلاغة التي فيكم : قال :
 شيء نجيش به صدورنا ثُمَّ تَقْدِفُهُ السَّنَنُ .
 وقال الأصمعي^(٢) : البليغ من طَبَّقَ الْمُفْصِلَ وَأَغْنَاكَ عَنِ الْمُقَسِّرِ .
 وقال الزُّمَّانِي^(٣) : القول بالإيجاز أنْجِعَ مِنَ الْبَيَانِ بِالْإِطْنَابِ .
 وقال أرسطاطاليس : الزيادة في المنطوق بعض منه .
 وقال خالد بن صفوان^(٤) : أحسن الكلام ما قَلَّتْ الْفَاطَةُ وَكَثُرَتْ مَعَانِيهِ .
 وقيل : خير الكلام ما شَوَّقَ أَوَّلُهُ إِلَى اسْتِمَاعِ آخِرِهِ .
 وَكَلَّمَ رَجُلٌ سَقَرَاةً بِكَلَامٍ طَوِيلٍ ، فَقَالَ : أَنَسَانِي أَوَّلَ كَلَامِكَ يُبْغِدُ الْعَهْدَ بِهِ
 وَفَارِقَ وَهَمِي . . .
 وقيل : قليل يُشْنِهُنَّ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُجْتَوَى .
 وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « رَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَوْجَزَ فِي كَلَامِهِ وَاقْتَصَرَ عَلَى
 حَاجَتِهِ »^(٥) .
 وقيل : لا يستحقُّ كَلَامُ اسْمِ الْبَلَاغَةِ حَتَّى يَسْبِقَ لَفْظُهُ مَعْنَاهُ وَلَفْظُهُ ،
 فَلَا يَكُونُ لَفْظُهُ أَسْبَقَ إِلَى سَمْعِكَ مِنْ مَعْنَاهُ إِلَى قَلْبِكَ .

-
- (١) من خطباء العرب . ت نحو ٢٠ هـ . (المحبر : ٢٩٤ . الأعلام : ٣ / ٢٨٧) .
 (٢) عبد الملك بن قريب . ت ٢١٦ هـ . (مراتب النحويين : ٤٦ . إنباء الرواة ٢ / ١٩٧) .
 (٣) علي بن حسين النحوي . ت ٣٨٦ هـ . (تاريخ بغداد ١٢ / ١٦ . إنباء الرواة ٢ / ٢٩٤) . وفي الأصل
 الربيعاني .
 (٤) من فصحاء العرب المشهورين . ت نحو ١٣٣ هـ . (وفيات الأعيان ٣ / ١٢ . نكت الهميان ١٤٨) .
 (٥) ينظر : الممثلة ١ / ٢٤١ واللسان (بقي) .

ولما كانت البلاغة ، كما قلنا فيما سلف ، إنما هي العبارة المركبة من الألفاظ والمعاني وجب أن نتكلم على الألفاظ البسيطة الجارية مجرى الموضوع لها بمفردها ، وما يلزم من تصحيحها على شرائط اللغة وينبغي من تخيير ما يقع منها في الصناعة ، وعلى المعاني الحالة منها محل الصورة بمجردها ومزلتها من الألفاظ ، وما يتعين من تهذيبها وتحريها وعلى الجملة المركبة منهما التي هي ذات البلاغة وتعرف الطريق الأقصد إلى تركيب اللفظ (٦٤) والمعنى التركيب الذي يتظم في سلك البلاغة . ونحن قائلون في ذلك بحسب الاختصار إن شاء الله .

قول في الألفاظ البسيطة :

الكلام في الألفاظ البسيطة ينقسم إلى قسمين :

أحدهما^(١) : أحكامها واستعمالها على أحكام اللغة .

والثاني : تخيير ما يقع منها في صناعة الكتابة .

فأما أحكامها واستعمالها على أحكام اللغة فإنه ينقسم إلى قسمين :

أحدهما محل من الصناعة محل المادة ، والآخر محل منها محل الأداة .

فأما الذي محل منها محل المادة فهو بسانط اللغة من الأسماء والأفعال والحروف . والكاتب يحتاج إلى التوسع فيها والمعرفة بيسهلها وزعورها وتناولها من العلماء بها والكتب الموضوعة فيها الصحيحة النقل ، ليسلم من الزلل والتصحيف وتقليد العامة فيما وضعته غير موضعه ، والمهارة في معرفة مشترك الألفاظ ومتواطئها ومشترتها ومتباينها [وسترادفها] .

فأما المشتركة فهي التي تدل على أسماء متباينة الذوات ، كلفظة العين الدالة على العين المبصرة وعين الماء وعين الذهب وغير ذلك^(٢) .

(١) في الأصل : أحدهما .

(٢) ينظر في معاني الدين : المأثور عن أبي المفضل ٨ ، المتجدد في اللغة ٣٢ .

وأما المتواطئة فهي التي تدلُّ على أشياء متفقّة الذوات ، كلفظة الحيوان الدّالة على الإنسان والفرس وكلّ حي .

وأما المشقّة فهي التي اشتقّت من معانيها ، كفصيح من الفصاحة وعالم من العلم وحكيم من الحكمة ونحوها .

وأما المتباينة فهي التي يدلُّ كلّ منها على خلاف ما يدلُّ عليه الآخر .

(٦٥) وأما المترادفة فهي التي يدلُّ كل واحد منها على مثلي ما يدلُّ عليه الآخر ، نحو قطرٌ وغيثٌ ومطرٌ ، والعلمُ يتصرّفها في وجوه الدلالات ليقندر على استعمالها ويأمن من تداخلها وتكريرها المهجين للمعاني ويجدّ السبل إلى التصرّف في العبارة عن الصّور القائمة ، في نفسه ، فإنّ التعبير عن المعاني من طريق البلاغة غير ممكن ، وإن كانت المعاني عديدة في نفس المعبر ، إذا كانت الألفاظ يزرّة عنده ، وإنّما يقوى على إيانة المعاني متى توفّر حفظه من الألفاظ واقتدر على التصرّف فيها ، لأنها حاملة المعاني ومركّبةا .

وأما القسم الثاني الذي هو كالأداة فهو ما يتضمّنه علم النحو من معرفة تصريف الأفعال واختلاف أبنية المصادر ووجوه الإعراب والجمع والتوحيد والتأنيث والتذكير والمقصود والممدود والاشتقاق ومراتب الأفعال والنعموت . والكاتب محتاجٌ إلى النظر في هذه الأشياء كلها لأسباب نحن ذكروها .

فإنّما حاجته إلى علم التصريف لأنه يقع من أقسام الكلام الذي هو كالعادة للصناعة في الأفعال ، والأفعال عليها مدار الكلام ، فلا غناء به عن العلم بالجليل من تصرّفها الواقع في الفعل الثلاثي وما تشعب منه دون الدقيق الذي يتكلّفه النحويون ، والذي يكفي من ذلك أن يعلم أنّ الأفعال ثلاثة أصول ، وهي الثلاثية والرابعة والخماسية ، لا تنقص عن الثلاثي إلا بتقصين يدخل على البناء ، ولا تزيد (٦٦) على الخماسي إلا بزيادة تدخل على البناء ، فإن ما يزيد على الثلاثي حتى يصير رباعياً أو خماسياً يسمى الأفعال المتسعة ، والذي

يدخلُ منها في الكلام ثمانية أمثلة ، وهي التي مصادرها : الأفعال والانفعال والافتعال والمفاعلة والتفعيل والتفعل والتفاعل والاستفعال .

ولكل واحد من هذه الأفعال دلالة تخصُّهُ ، وقد توجدُ للواحد منها دلائلٌ عدَّةٌ وبها تتغيَّر معاني الكلام .

وكلُّ واحد من هذه الأصول ينقسم من جهة مخارج الكلام إلى أربعة أقسام ، وهي : الأفعال المضاعفة والصحيحة (و) الممتلئة والمهموزة .

ولا بُدَّ لمن يرومُ تصحيح ألفاظ اللغة أن يعرفَ تصوُّفها وطريق استعمالها في العاصي والحاضر والمستقبل والأمر والنهي ومخاطبة الشاهد والإخبار عن النفس والغائب واستعمال أحكام التوحيد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث وكيفية استعمال هذه الأمثلة في الفعل الذي لا يسمى فاعله .

وأما الحاجةُ إلى علم المصادر فلأمرين : أحدهما ألا يجهل الصواب فيها فيضع في موضعه ما لا تجوزُه اللغة ، وذلك أن مصادر الفعل الثلاثي تكثر وتتنوِّر ألفاظها ودلائلُها وليس كحالِ مصادر الأفعال المشتقة من الفعل الثلاثي التي لها أمثلةٌ محصورةٌ ، لكنَّها تقبلُ الاختلاف وتكثرُ جدًّا ولا نحصلُ إلا بالسماع والأخذ من الكتب الموضوعة فيها ، ومتى استعمل شيءٌ منها على سبيل القياس والحدس (٦٧) وقعَ الخطأ فيه . وأكثر ما يغمضُ الأمرُ في الأفعال التي تتفقُ أبينها في الماضي والمستقبل ولا يفرقُ بين معانيها إلا بالمصادر المختلفة ، وذلك مثل قولهم : وَجَدَ يَجِدُ ، فَإِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ يَشْتَرِكُ فِيهَا عِدَّةٌ معانٍ ولا تتميزُ إلا بالمصادر ، فإنه يُقالُ في ضِدِّ العَدَمِ : وَجَدَ يَجِدُ وجوداً . وفي الظُّفْرِ بالضَّالَةِ : وَجَدَ يَجِدُ وَجْدَاناً . وفي الثَّرْوَةِ : وَجَدَ يَجِدُ وَجْدَاناً وَجْدَةً . وفي الحُزَنِ : وَجَدَ يَجِدُ وَجْدَاناً . وفي العنتِ : وَجَدَ يَجِدُ مَوْجِدَةً . وأمثالُ هذا .

ومن المصادر ما يزيدُ في روتنِ الكلام ويغمُّه ، ولا يُستغنى عن معرفة ما

يحلل في الذوق منها ، فليست وإن تساوت في الدلالة متساوية في العذوية والفقامة ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ ﴾ وهو مؤيدٌ فلا كُفْرَانٌ لِتَجْدِيدِهِ ^(١) . ولذلك كانت العرب تختار مصادر الكلام وتوقعها في المواقع اللاتقة بها .

وأما حاجته إلى علم النحو فلأنه يُقَافُ اللسان وحلية الكلام وميزان الألفاظ التي لا تصح على أحكام العربية إلّا به .

وأما هذه اللغة فإنها بما يلحقها من لواحق الإعراب تُعطي دلالات زائدة في المعاني يفتقر بها الكلام تغييراً ظاهراً ويستحيل لأجلها إلى وجوه مختلفة . وصاحب هذه الصناعة جدير أن يأخذ منه بالنصيب المتوفر الذي يضمنه عن هجنة اللحن من غير إغراق يقطع عن حيازة الأعود عليه من الأمور الخاصة (٦٨) لصناعته .

وأما حاجته إلى معرفة علم التوحيد والجمع فإن أمثلة الأسماء تختلف اختلافاً كثيراً حتى تشابه مصادر الأفعال الثلاثية في التشعب ، وكلُّها مأخوذة من السماع دون القياس ، وقد يقع فيها نوادر لا تقاير لها ، نحو جمعهم (دُخان) على (دواخن) و(وَرْشان) و(كَروان) على (وَرْشان) و(كَروان) ، بكسر الفاء ^(٢) ومتى لم يتمم الكاتب في معرفة الجمع وعوّل على القياس أخطأ ولم يعلم ودل ذلك على قصوره .

وأما حاجته إلى علم المؤنث والمؤنث فلما يقع فيه من الالتفات أيضاً ، وذلك أنّ المؤنث على ضربين : ضرب فيه علامة من علامات التأنيث الثلاث ، وهي الهاء والألفان الممدودة والمقصورة ، نحو طلحة وحمنة ولبياء وعظمية ، وهذا الاختلاف فيه . وضرب لا علامة فيه وإنما يوجد من السماع ،

(١) الأنبياء : ٩٤ .

(٢) اللسان والتاج (ورش . كرى) . والورشان والكروان : طائران .

ويُعْه فيه أشياء كثيرة تحتل التذكير والتأنيث كاسم السلطان واللسان^(١) ، فإنَّ من العرب مَنْ يذكّرهما ومنهم مَنْ يؤنثهما . ومتى لم يعرف الكاتب الحكمَ في ذلك نقصَ من وضحيه .

وأثماً حاجته إلى الممدود والمقصور فلاختلافهما في الدلالات على المعاني ، وذلك أنَّ اللفظة الواحدة نفسها تدلُّ على مضمينين متغايرين إذا مُدَّت وقُصِرَتْ ، كقولنا : (هوى) بالقصر ، و(هواء) بالمُدَّ^(٢) و(صفا) بالقصر و(صفاء) بالمُدَّ^(٣) . و(سنا) بالقصر ، و(سناء) بالمُدَّ^(٤) ولأنَّه يحتاجُ إذا أضاف الممدودُ أن يضيفَ في موضع الرفع زيادةَ واو ، وفي موضع النصب زيادةَ ألف ، وفي موضع الخفض زيادةَ ياء ، ومتى أضافَ (٦٩) المقصور لم يحتجْ إلى إيقاع زيادة فيه ، وإنَّما يُبدلُ الياء فيما يُكتب بالياء ألفاً مقصورة . فمتى لم يكن عارفاً بالمقصور والممدود جمع بين إحالة المعنى وخطأ الهماء .

وأثماً حاجته إلى الاشتقاق فلأنَّ الأسماء في كلِّ لغة تنقسم إلى قسمين : موضوع : ومشتق من الموضوع الذي ليس وراءه اشتقاق ، وإنَّما هو سبغة واقعة على ذات من الذوات . ضروري ، لأنَّه لو ادَّعى مدَّع أن الأسماء كُلَّها مشتقة لأوجبَ ذلك أن تكون غير متناهية إلى مبادِ اشتقت منها ، وهذا محالٌ .

ولو ادَّعى أنَّ الأسماء كُلَّها موضوعة لناقض ما يوجبُ الامتناع لأنَّ حكم الاشتقاق مطرود في أكثرها نحو : مركب ومجلس ومحمل وماتزل مما ينطق بأنَّه مشتق . ولولا الاشتقاق لضاقَّ المنعجب في التسمية ولم يكن سبيلٌ إلى التوسع في المنطق .

وقد كان الأمر في معرفة الاشتقاق في الأزمان السالفة مرجوعاً فيه إلى أهل صناعة الكتابة دون غيرهم .

(١) ينظر : التذكير والمؤنث للقراء ٨٣ ، ٧٤ . والمصدر ١١٣ ، ١١٤ . ولابن الأنباري ٣٨١/١ و ٣٦٢ .

(٢) ينظر : الممدود والمقصور ٣٠ ، ٣٣ .

(٣) ينظر : حروف الممدود والمقصور ٩٩ ، ٩٥ .

(٤) ينظر : حلية المفرد ٤ ، ٢٠ .

والاشتقاق وإن كان موجوداً فهي كل لغة فإنَّه في اللغة العربية أكثر تفرقاً وتصرُّفاً .
 فمَنْ لم يكن الكاتب عالماً بالاشتقاق ظنَّ أنَّ كلَّ لفظة من الألفاظ المشتقة
 موضوعاً ، وإذا ظنَّ ذلك لم يتمكن من التصرف في الكلام واستعماله في وجوه
 أغراضه ، وإذا علم بالوجه في الاشتقاق أمكنه أن يستعمل الكلام في جميع المعاني
 التي لها شُرْكَةٌ فيه ، ألا ترى أنَّه إذا علمَ لِمَ سُمِّيَ الجنينُ الذي في الحشائشِ ، وأنَّه
 (٧٠) لمعنى الشَّرِّ والتفطية أمكنه أن يتصرَّف في هذه اللفظة برُدِّها إلى أصلها
 فيقول : كان أمرٌ كذا وكذا وأمرٌ آجئياً حتى ظهرَ كذا وكذا ، وأمثال ذلك كثيرٌ .

وأما حاجته إلى العلم بمراتب الأفعال والنوع فإنَّ الألفاظ إنما هي عبارة
 عن المعاني ، وإذا كانت كذلك فيجب أن يكون يلزام كل معنى خاصَّ لفظاً
 خاصَّ يدلُّ عليه دلالةٌ خاصَّةٌ تعطيه حقُّه من العبارة على الشَّام . وهذا عزيزٌ في
 اللغات ولا تكادُ لغةٌ تستوفيه إلَّا أنَّها وإن كانت كذلك فإنَّها تختلفُ فيه ، فمنها
 ما يوجد أحسن تمييز مراتب النوع والأفعال من غيرها وأتمَّ عبارة . وللغة
 العربية من هذا الباب حظٌّ متوفِّرٌ تميَّزُ به عن كثير من اللغات ، لأنَّ مراتب
 النوع فيها متضَمَّةٌ ، وذلك مثل ما قسَّموا نعوت الحُسْن فقالوا : حَسْرٌ
 وجَميلٌ وبَهِيٌّ ووسيمٌ وقسيمٌ وغير هذا . وكذلك فعلوا في ترتيب الفُحج
 والسَّخاء والبُخل والشَّجاعة والجُبْن . وعلى مِثْلِ هذا الترتيب ربُّوا الأمثالَ
 فقالوا : سَرَّني الشيء وأفرحني وأبْهَجني وأجْذَلني . وبيَّده : غَشِي الشيء
 وأوحَشني وأترَحني وأحزَنْني وأفْلَقني وأمرَضني ومضني ونحو هذا .

وقد عني أربابُ الكلام وأهلُ النظر بترتيب الأوصاف ، لحاجتهم إلى
 المعرفة بما يجوز أن يطلق بها في الله تعالى وما لا يجوز ، وذلك أن الله تعالى
 لا يحسن أن يوصفَ إلَّا بالافضلِ الأشرفِ مثلاً يقع في كلِّ باب من أبواب الثناء
 والتسبيح ، لقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ ^(١) . ولهذا المعنى

(١) الأعراف : ١٨٠ .

يُطلق فيه تعالي اسمُ الجواد ولا يُطلق فيه اسمُ السخي ، لأن رتبة الجواد أعلى من رتبة السخاء . ويُطلق فيه صفة الحليم ولا يطلق فيه صفة الصبور ، لأن رتبة الحليم أعلى من رتبة الصبر ، إذ في الصبر من المشقة الواصلة إلى النفس ما ليس في الحليم . ويُوصف بأنه مُصَوِّر ولا يُوصف بأنه مُشكِّل ، لأن مرتبة التصوير أعلى من مرتبة التشكيل . ونحو هذا مما يطول تعدادُهُ .

وعوالمُ أهل اللغة لا يراعون مراتب النعوت والأفعال ، فلذلك لا تقع الفاضلهم مطابقةً لمعانيهم مطابقةً نائمة . والكتاب لا يحتمل ذلك لهم ، لأنهم الذين يكتبون عن الملوك ، والملوك هم الذين يتكلمون ترتيب الأمور العامة ووضع الصغير والكبير منها في رتبته ولا يترضون أن يخرج ما يكتب عنهم عن الاعتدال والترتيب القاضل ، وليسوا أصراً بشيء منهم بالكلام الذي يُخاطبون به الخواص والعوام ، ألا ترى أنهم يصلون بالصلوات العظيمة والأموال الجسيمة ولا يسمحون بزيادة الرجل اللفظة الواحدة من الدعاء ، وإذا سمحوا بذلك كان موقعهُ في النعم الموقع الذي لا يكافأ .

ومنى لم يعرف الكاتب مراتب النعوت والأفعال أزال مخاطبة السلطان عن جهاتها بالتقديم والتأخير والرفع والحط [و] هَجَنَ كتابَهُ ووضع منه ودل على تقصيره في كتابته .

وليس سواء أن تقول : وَقَعَ هذا الأمرُ لمحتني ، وأن تقول : وقعَ لسرتي ، فإن بينهما بوناً بعيداً . ولا أن تقول : أوحشني هذا (٧٢) الأمرُ ، وأن تقول : سأتني وهمتي . وليس يُحكَمُ هذا الأمرُ إلا بمعرفة خواص النعوت والأفعال وإيقاعها في مواقعها .

فلما القسم الثاني الذي هو تَخِيْرُ ما يقع في الصناعة من الألفاظ فإن الألفاظ على ثلاثة أصرب :

فَصْرُبُ متوَعِّرٍ حوشي معاصٍ لا يُدرك ما يدل عليه حتى يعرب ويفسر مثل الذي يوجد في الأشعار الجاهلية والمُخْطَب العربية ، ولوقوعه في هذين النوعين

من الكلام احتاجا إلى ما غيِّفَ فيهما من التفسير .

وَصَرَبَ فصيحٌ جَزَلٌ سافِرُ المطالع عذبُ المشارع مطابقٌ للمعاني أصحُّ مطابقةً دالٌّ عليها أقربُ دلالةً ، وهو الذي تَمَيَّزَتْ بِلُغَاةِ الْكِتَابِ لِرِسانِهِمْ واستعملوه في كتبهم ، إذ الغرض فيها تقريبُ المعاني التي تشتملُ عليها من الألفاظ وإيصالها إليها بسرعة وسهولة من غير إبطاء ولا عُسْر .

وَهَزَبَ مُبْتَدَلٌ شَوْقِي ، ساقِطٌ عامي ، وهو ما يقعُ في المخاطبات والمكاتبات الدائرة بين العوام الذين لا تنفاد طباعُهم إلى تأليفِ الكلام .

وينبغي لِمَنْ يَزُكِّرُ التحقيق بهذه الصناعة أَنْ يسلِّكَ في الألفاظ مذهبَ التوسطِ الذي سلَّكه مَنْ تقدَّمه من أهل صناعته ، فإنه هو الاعتدالُ ولا شيء أفضلُ من الاعتدالِ في^(١) الأمور التي يقع فيها تفاوت من جهتي الإفراط والتقصير . وقد عَلِمَ أَنَّ المعتدِلَ من كلِّ شيء هو الأفضلُ الأحسنُ ولا سيما في الكلام . وَقُلْ مَنْ يوقِّعه الله تعالى في (٧٣) أفعاله ومذاهبه ، لِمَا رُكِّبَتْ عليه الطبائعُ من الميل إلى الأطراف والمخروج على الاعتدال ، فَمَنْ نالَ مرتبةَ التوسطِ فيما بقصده فقد أَخَّرَ الفضيلةَ في ذلك الأمر المقصود .

ولحيازةِ الْكِتَابِ هذه الفضيلةَ أجمعَ تَقَدَّه الألفاظ والمميزون لصورِ التأليف على أَنه لا يُوجَدُ لِيَصِفَ من أصناف المتعاطين لنظم الكلام من البُلغاء والخطباء والشعراء ما يناسبُ ألفاظَ الْكِتَابِ في العذوبة والرِّقَّة والحلاوة والرشاقة ، وَأَنَّ كلامَ المؤلفين ينحو نحوهم ويرومُ التشبُّهَ بهم بإيقاعِ المناسبةِ بين الألفاظِ ، علماً منه بأنَّهم قد قصدوا في الألفاظ الطريقةَ المثلى ، فاستعملوا السُّلْسَ السَّهْلَ الفصيحَ الجَزَلَ ، واجتنبوا الطَّرَفَيْنِ فتركوا ما كَانَ حَوْشِيًّا وحشيًّا مُبْتَدَلًا عَاشِيًّا ، وانحطوا عن مرتبةِ الكلام الذي يستعمله فَصَحَاءُ أَهْلِ الْبَدْوِ وَمُسْتَدَقُو اللُّغَوَيْنِ ، وارتفعوا عن مرتبةِ العامة الذين لا يتأثرون لنظم الكلام وتأليف

(١) في الأصل : والأمور .

البيان ، وإنما يعرفون عن أغراضهم بما سَمِعَ لهم مما يُعْرَبُ عنها .

ولا سبيل إلى تَليل هذه الرتبة في الكلام إلا باختيار الأَخَصَّ منه على الطباع ، الأسوِغ في الأسماع . والطريق إلى اختيار ما هذه صفته إنما هو بتَنخُلِ الأسماء وتصاريف الأفعال ومصادرها ، لأنها متى اعتدلت مخارجُها وتبدَّلَ اللسانُ بها ولطفت في ذواتها وكثُرَت في استعمال الخاصة حَسَنَ جَرْمُها في السمع وخَفَّتْ على النفس ، ومتى كانت متنافرة المخارج (٧٤) ثَقِيلَةً على اللسان مستكرهة في ذاتها أو غريبة في الاستعمال أَبْهَنُها الطباع وَمَجْنَهَا الأسماع وَبَثَّ عن التأليف .

فأما تَنخُلُ الأسماء فإنَّ الأسماء المترادفة على الذات الواحدة منها ما هو أَخَفُّ وَأَعْدَبُ ، ومنها ما هو أَثْقَلُ وَأَبْشَعُ ، ومنها ما هو أَعْرَفُ وَأَشْهَرُ ، ومنها ما هو أَغْرَبُ وَأَعْمَضُ .

وعُدُولُ الكاتب عن الخفيف العذب والمعروف المشهور إلى الثقيل البشع والغريب الغامض غير مناسب لصناعته ، ألا ترى أنَّ الماء الْعَذْبُ يُسَمَّى في غريب اللغة نَفَاحاً ، والجاري منه يُسَمَّى قَلْجاً ، والسماء تُسَمَّى الصَّكَاكَة^(١) ، والشمس تُسَمَّى بِرَاح^(٢) ، والقمر أو غلافه يُسَمَّى السَّاهور^(٣) ، والظلُّ يُسَمَّى نُبْعاً لأنَّ الشَّمْسَ تَبِيعُهُ مَتَسَخَةٌ ، والسرَّاب يُسَمَّى دَيْسَقاً^(٤) ، والدهر يُسَمَّى سَنَةً وَمُحَبَّةً ، والريُّحُ تُسَمَّى حَرْجَفاً^(٥) .

ولو استعمل كاتب هذه الألفاظ في الترسل لعب بها ، لأنَّ منها غريباً غير متعارف وثقيلاً في السمع غير مقبول . وينبغي أن يقع الاختيارُ من الأسماء على

(١) يقال للهواه : شَكَاكٌ وشَكَاكَةٌ ، والسين . (ينظر : الزاهر ١/ ٤٦٠) .

(٢) الأزمدة ١٦ ، الزاهر ١/ ٣٦٢ .

(٣) اللسان والفتاح (سهر) .

(٤) اللسان والفتاح (سقي) .

(٥) رسالة في أسماء هريج ٣٠ .

الْأَخْفَ الْأَوْضَحُ دُونَ الْأَثْقَلِ الْأَغْمَضُ .

فَأَمَّا تَنْحُلُ أَمْثَلُ التَّصَارِيفِ فَإِنَّ مِنْهَا الْخَمَاسِيَةَ الثَّقِيلَةَ عَلَى الْأَلْسَنِ الْبَشْعَةَ فِي الْأَسْمَاعِ ، وَمِنْهَا الْمُضَاعَفَةُ الَّتِي تَتَجَاوَرُ فِيهَا حُرُوفُ الْحَلْقِ فَلَا تَعَذِّبُ وَلَا تَحُلُو فِي النَّفْسِ ، نَحْوُ الْأَفْعَالِ الَّتِي مَصَادَرُهَا :

الْإِفْعِنْسَاسُ وَالْإِسْمِزَازُ وَالْإِهْبِقَاقُ وَالْإِسْحَنْكَكَ وَالْإِحْرَنْجَامُ وَالْإُسْلُسُلُ وَالْإِطْطِطْحُ^(١) ، وَمَا شَابَهَهَا مِنَ الْأَمْثَلِ الْخَشَنَةِ (٧٥) الْمُسَوَّخَةِ . وَمِنْهَا الْأَمْثَلُ الْمَهْجُورَةُ وَإِنْ كَانَتْ خَفِيفَةً نَحْوَ (الْعَطْرِ) الَّذِي هُوَ التَّائُولُ ، فَإِنَّ هَذِهِ اللَّغَةَ ثَلَاثِيَّةَ خَفِيفَةٍ لَمْ يَسْتَعْمِلُوهَا إِلَّا فِي التَّغَاعُلِ ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ : فَلَانْ يَتَاعَلِي كَذَا وَكَذَا ، فَلَا يَسْتَقْلُونَ ذَلِكَ لِاسْتِفَاضَتِهِ ، فَإِذَا رَجَعُوا إِلَى الثَّلَاثِيَّ مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ فَقَالُوا :

فَلَانْ لَا يَزَالُ يَعْطُو ، قُلَّ عَنْدهُمْ لِقَلَّتِهِ فِي الْإِسْتِعْمَالِ وَإِنْ كَانَ أَقْدَمَ فِي التَّرْتِيبِ ، لِأَنَّ (أَفْعَلَ) أَقْدَمُ مِنْ (تَفَاعَلَ) الَّذِي هُوَ مُشْتَقٌّ مِنْهُ . وَنَحْوُ لَقِظَةٍ (أَمْتَحَنَ) فَإِنَّهَا مِنَ الْمِخْنَةِ ، وَقَوْلُهُمْ :

مَتَحَنَ يَمَحَنُ أَقْدَمُ مِنْهَا ، لِأَنَّهُ مِثَالُ ثَلَاثِيٍّ ، إِلَّا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قِيلَ :

مَتَحَنَ فَلَانْ بِكَذَا فَهُوَ مِمْحُونٌ بِهِ ، بِدَلَالَةٍ مِنْ : أَمْتَحَنَ فَهُوَ مَمْتَحَنٌ بِهِ ، لَا سَتَقِيلُ . وَكَذَلِكَ مَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى إِلَّا أَنْ يَقَعَ فِي الشَّعْرِ فَإِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَقْلِلٍ ، فَإِنَّ الشَّعْرَ يَحْتَمِلُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمَهْجُورَةِ مَا لَا تَحْتَمِلُهُ الرِّسَالَةُ .

وَأَمَّا تَنْحُلُ الْمَصَادِرُ فَإِنَّ مِنْهَا الْوَاضِحَ الْأَقْرَبَ ، وَمِنْهَا الْمَشْكَلَ الْأَعْرَبَ ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ : ذَهَبَ ذَهَابًا وَذُهَوِيًّا ، وَهِيَ مَصْدَرَانِ أَصْلِيَانِ إِلَّا أَنَّ الذَّهَابَ أَقْرَبُ وَأَوْضَحُ مِنَ الذُّهُوبِ .

(١) الْفِعْنَسُ : اجْتَمَعَ اِسْمَازٌ : انْقِضَ : اِهْبَقَ : دَلَسَ جُلُوسَةَ الْمَرْوِ . اِسْحَنْكَكَ اللَّيْلُ : اِسْتَحْ ظِلَامُهُ . اِحْرَنْجَمَ : اَزْدَحَمَ . نَسَلَ الْمَاءُ فِي الْحَلْقِ : جَرَى . طَطْطَحَ : تَفَرَّقَ .

وينبغي أن يكونَ المستعملُ من المصادر ما شهر وظهر وكثر في الاستعمال
دونَ ما غمضَ وبطنَ وقلَّ استعمالُهُ .

وقد يُستعملُ مصدرُ الثَّعال في مكان مصدر الفعل لاشتراكهما في
المعنى ، مثل استعمال التضراب في موضع الضرب ، والتَّسيار في موضع
السَّيْر ، وهو مستقلٌ لِقَوْلِهِ . ويستعملُ بالجارية كالتحوال والتَّقوال (٧٦)
والترحال فلا يثقلُ لكثرتُهُ . فيجب أن يُرجَعَ في المصادر إلى المستعمل
المشهور دونَ المُغفل المجهور .

ونحنُ وإن كُنَّا قد حَضَّضْنَا الكاتبَ على لزوم طريقة التوسط في الألفاظ
فلسنا نقولُ : إنه [يجب] أن يلزم هذه الطريقة في جميع الأحوال التي يحتاج
فيها إلى المكاتبات والمخاطبات ولا يعمدها إلى غيرها ، لكنَّا نقولُ : إنه
يجبُ أن ينتقل في استعمال الألفاظ على حسب ما تقتضيه رَتَبُ الخطاب
والمخاطبين وتوجيه الأحوال المتغيرة والأوقات المختلفة ليكون كلامُهُ
مشاكلًا لكلِّ منها ، فإنَّ أحكام الكلام تتغيَّرُ بحكم الأزمنة والأمكنة ومنازل
المُخاطَّبين والمكاتبين^(١) من الرؤساء والعظماء والأكفاء والنظرَاء والمرؤوسين
والأتباع ومراتب الأشياء التي تنفذ فيها الكتبُ ومواقعها من مَهَمَّات السلطان
ومواضعها من أعمالِهِ ، ومتى لم يحصل التشابهُ والتشاكلُ بين ألفاظِ الكُتَّابِ
وبين ما تقتضيه الحال المكتوب فيها والزمان والمكان والكاتب والمكتوب إليه
عاد ذلك بالخلل على الصناعة ، والنقص على الكاتب والمكتوب عنه .

ولتحرِّي المصدر الأول من الكُتَّاب إيفاءَ المناسبةِ بين كتبهم وبين الأشياء
التي عددناها استعملَ كُتَّابُ الدولة الأموية من الألفاظ العربية الفُعلة (والمثنية
المجرَّلة) ، ما لم يستعمل مثله كُتَّابُ الدولة العباسية ، وذلك لأنَّ أولئك قصدوا
ما شاكلَ زمانهم الذي استفاضت فيه علومُ العرب ولغاتها حتى عُدَّت في جُملة

(١) ينظر: صبح الأعشى ٦/٢٩٧.

الفضائل التي تُثابِر على اقتنائها ، (٧٧) والأمكنة التي نزل بها ملوكهم من بلاد العرب ، والرجال الذين كانت الكتب تصدر إليهم وهم أهل الفصاحة واللسن والخطابة والشعر^(١) .

وهؤلاء استعملوا من التسهّل والألفاظ البيّنة ما شاكل زمانهم ، والمواضع التي نزل بها ملوكهم ؛ والقوم الذين كانوا يكتبونهم .

فإنّ زمانهم فإنّ اليهّم تقاصرت عمّا كانت مقبلة على تطلّبه مما تقدّمه من العلوم التي ذكرناها ، وشغلت بخيرها من علوم الدين .

وأما المواضع التي نزل بها ملوكهم فهي ديارُ العراق وما يجاورها من بلاد فارس ، وليس استفاضة لغة العرب فيها كاستفاضة أرض الحجاز والشام .

وأما القوم الذين كانوا يكتبونهم فمن المعلوم أنهم لا يجارون تلك الطبقة في الفصاحة والمعرفة بدلالات الكلام .

وكما انتقل الكتّاب المتأخرون عن ألفاظ المتقدمين إلى ما هو أعذب منها وأخفّ للعقل التي ذكرناها ، فكذلك انتقل الخطباء والشعراء الثالون عن ألفاظ الخطباء والشعراء الأولين وتكبّوا ما فيها من اللفظ المنيّن الجَزَل إلى ما استعملوه من الرقيق السهل .

فينبغي للكاتب أن يُراعي هذه الأحوال ويوقع المشاكلة بين ما يكتب وبينها ، وإذا احتاج إصدار كتاب إلى ناحية من النواحي فليُنظر في أحوال قاطنيتها ، وإن كانوا من الأدباء والبلغاء العارفين بنظم الكلام وتأليفه فليودع كتابه الألفاظ الجزلة التي (٧٨) إذا حُلّيت بها المعاني زادت بها فخامة في القلوب وجلالة في الصدور ، وإن كانوا ممن لا يفرّق بين خاصّ الكلام وعامّه فليُضمّن كتابه الألفاظ التي يتساوى سامعوها في إدراك معانيها ، فإنّه متى عدل عن ذلك

(١) ينظر: صبح الأعشى ٢٩٧/٦ .

أضاع كلامه ولم يصل معنى ما كتب فيه إلى من كاتبه ، لأنَّ الكلامَ البليغ إنما هو موضوعٌ بإزاء أفهام البلغاء والفصحاء . فأتانا العوامُّ والخشونة فأتنا يصلُّ إلى أفهامهم الكلامُ العاطل من حُلِّي النظم العاري من كُتُن^(١) التأليف .

ويجبُ للكاتب إذا كاتبَ من هذه صورته أن يستعملَ في مخاطبته أدنى منازل البلاغة وأقربها من أفهام العامة ، وكذلك إذا كانت أمة من الأمم الأعجمية^(٢) فليعتمد تصوير المعاني التي يودعها كتابه في صور يتهيأ نقلها إلى لغة المكاتبين على حقائقها ولا يمتصُّ على المترجم لها . فهذا جرت عادةُ بلغاء الكُتَّاب .

وأوَّلُ مَنْ سَلَكَ هذه السبيل في كتبه سيِّدنا محمد ﷺ ، فإنَّ مكاتباته التي نفذت إلى ملوك المعجم كانت في نهاية البيان والوضوح وسهولة الألفاظ وقربها على الناقل لها . فأتنا مكاتباته التي صدرت إلى رؤساء العرب فإنَّها بخلاف هذه الصفة ، وذلك أنها مشتملةٌ من غريب الألفاظ وجزلها على ما يليق بمخاطبة مَنْ نفذت إليه . وفيما نوحاه ﷺ من ذلك ما يوضح أنَّ استعمالَ الكلام إنما هو بحسب مراتب المخاطبين وأحكام الأزمنة والأمكنة .

(٧٩) فأتنا مراتب الأشياء التي تنفذ فيها الكتبُ عن السلطان فإنَّ منها كُتُب الفتوحات والسلامات ونحوها . فهذه تحتلُّ الألفاظ الفصيحة الخجولة والإطالة الفاضية بإشباع المعنى ووصوله إلى أفهام كافة سامعيه من الخاص والعام . ومنها كتب الخراج وأمور المعاملات والحساب . وهذه لا تحتلُّ اللفظ الفصيح ولا الكلام الوجيز ، لأنَّها مبنيةٌ على تمثيل ما يعملُ عليه وإفهام مَنْ لا يصلُّ المعنى إلى فهمه إلَّا بالبين الشافئ من العبارة^(٣) .

(١) في صبح الأعين : كسوة

(٢) ينظر : صبح الأعين ٦/٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٣) ينظر : صبح الأعين ٦/٢٩٨ .

وأما الكتب الاخوانية النافذة في التهاني والتعازي وما يُجاريها فإنها تحتمل الألفاظ الغريبة القوية الأخذة بمجامع القلوب الواقعة أحسن المواقع من النفوس ، مع الإيجاز والاختصار ، لأنها مبيّنة على تحسين اللفظ وتزيين النظم . وإظهار البلاغة فيها مستحسن واقع في موقعه^(١) .

وهذا كافٍ في تعرّف أحكام الألفاظ البسيطة والطريق إلى استعمالها على شرائط اللغة والصناعة ، ونحن نُشغفه بالقول على المعاني إن شاء الله تعالى .

قول في المعاني المجردة :

المعنى ما يمكن أن يدلّ النفس ويدلّ عليه . وأصله القصْد إذا كان مصدراً ، ولكنه كثر حتى صار مستعملاً في كل ما يصح أن يُقصَد .

والمعاني هي ثلاث الصور القائمة في الأوهام المقصودة بالعبارة لتخرج من القوّة إلى الفعل فيتعرّف بعض المميزين بخروجها في المواد اللغوية بحقائق تلك الصور القائمة البعض . ومحلّها من الكلام محلّ الأرواح (٨٠) من الأجسام والمستخدمين من الخدام . والحاجة إلى أحكامها ألزِم من الحاجة إلى أحكام الألفاظ ، لأن مدار الصناعة إنما هو على إصابتها .

وإذا كان حظّ الألفاظ من العناية الحظّ الذي تقدّم شرحه ، وهي في الرتبة التي ذكرناها ، فينبغي أن يكون حظّ المعاني من التهذيب أوفر ونصيبها من الترجيح أكثر ، لأنها أساس المنطق وقاعدته وجناحه وثمرته . ولو حصلت صناعة الكتابة بالألفاظ دون المعاني لاستقلّ بها كل من مهّر في معرفة الألفاظ من أعراب البدو وعلماء اللغويين .

ونحن نجلد الأمر في الشاهد بخلاف ذلك ، فنستدلّ على أن الصناعة إنما تحصل لمن جمع بين المهارة والألفاظ ، لأنّ مثال صاحب الألفاظ البسيطة

(١) ينظر : صبح الأعشى ٢/٢٩٩ .

مثال الصيدلاني الذي يجمع أصناف الأدوية المفردة ولا يتأني لتركيبها . ومثال الكاتب الذي يأخذ تلك الألفاظ فيظهر فيها صورة تأليف مثال الطبيب الذي يُركّب الأدوية المفردة التركيب الشافي من الأدوية المُعضلة . ولهذا صار مَنْ يُحسن الكتابة بلغة من اللغات يمكنه إذا استفاد لغة أخرى أَنْ يستعمل معاني الصناعة في ألفاظ تلك اللغة ولا تُفارقُه صناعته . ولهذا أمكن المُبرِّزون في اللغتين العربية واليونانية نقل كتب الحكمة إلى اللسان العربي بالألفاظ الفصيحة المطابقة لمعانيها أشدَّ مطابقة .

وقد سلك هذا المذهب مُقدِّمو (٨١) الكُتَّاب فنقلوا رسوم المكانيات المستعملة (التي) كانت في اللغة الفارسية إلى اللغة العربية ، نَسَمَ ونقلوا أوصاف الحساب وقوانينه أيضاً ، لأنَّ الدواوين لم يزل ما يجري فيها من أعمال الخراج بلغة الفُرس وقلبيهم إلى أَنْ نُقلت في أيام الحجاج بن يوسف^(١) إلى العربية .

والطريق إلى تصحيح المعاني وتخصيصها وتهذيبها وتنقيحها أَنْ تُصغى مما يشوبها وتحصل وتميَّز في الأوهام ، وتخلص التخليص الثام ، فلا تختلط ولا تشارك ولا يدخل فيها ما يكون فَضلة ولا يخرج عنها ما لا تتم إلا به ، ثم تُكسب من الألفاظ ما يكون عليها طبعاً ولها لَفْقاً . على أَنهم قد استحسبوا أَنْ تكون الألفاظ أقل من المعاني في المقدار والعدد ، ولهذا موضع يحسن فيه قد ذكرناه^(٢) فيما سلف .

فلما حصر أنواع المعاني بقوانين كليّات تجمّعها فتمتدّد ، لأنَّ المعاني مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية ، وليس حُكْمُهَا حُكْمُ أَسْمَانِهَا ، لأنَّ أَسْمَانَهَا محصورة معدودة ومحضلة محدودة . فإن قيل : كيف يصحُّ أَنْ تدلَّ أسماء متناهية على معاني غير متناهية ؟

(١) عامل الخليفة عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان . ت ٩٥ هـ . (مروج الذهب ٣/١٢٥ ، وفيات الأعيان ٢/٢٩٧) .

(٢) (قد ذكرناه) مكررة في الأصل .

فيل : يصح ذلك من وجهين : جملة وتفصيل .
 فأما الجملة فتدلُّ عليها الكلمة ، كقولك : غير متناهية .
 وأما التفصيل فيدلُّ عليه النقلُ والتأليف . وذلك أنَّ المعاني على ثلاثة
 أصْرُب : محقق ومقدَّر ومجهول :
 فالمحقق هو الذي عرفه أهلُ اللغة فوضعوا له اسماً يدلُّ عليه . والمقدَّر
 هو الذي توهموه فقدَّروا له اسماً يدلُّ عليه على جهة التوهم لمعنى .
 والمجهول لم (٨٢) يضعوا له اسماً إذ لم يخطر لهم ببال .
 ولهم في هذا ثلاثة أشياء :

أحدهما : تمييز المقدَّر حتى أخرجوا بعضه على التقدير وأخرجوا بعضه
 على التحقيق ، كالحركة والسكون والاجتماع والافتراق^(١) وسائر الأغراض ،
 فإنهم أخرجوها إلى تحقيق معاني غير الأجسام ، وكانت في الأصل على التقدير
 فأخرجوها إلى التحقيق . فأما المدم والوجود والقدَم والحدوث فأبقرها على
 التقدير ، إذ كان الاستنباط يوجب أنَّه لا مُسَمَّى تحتها في الحقيقة ، فلما يدلُّ
 على تقدير مُسَمَّى يزيد في الموصوف معنى .

والثاني : نَقْلُ الأسماء لما عرفه العلماء مما يجهله أهلُ اللغة قبل
 الاستدلال ، وذلك كتقلبهم الحدَّ إلى ما يحصرُّ المعاني ويحيط بها وإنما أصلُه
 نهاية الجسم ، وقد ورد مثلُ هذا في ألفاظ الدين كالكاfer^(٢) والغاسق^(٣) ،
 وأصلهما السائر والخارج .

والنقلُ على ضربين : فقد يفيدُ معنى الوصف ، ولا بدَّ فيه من مراعاة معنى
 الأصل ليكون النقلُ إلى ما قرَّب منه . ونقل لا يفيدُ معنى الوصف ، فلا يراعى

(١) في الأصل : الافتراق .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبي عبيد ١٣/٣ ، الزاهر ١/٢١٦ .

(٣) ينظر : غريب الحديث للخطابي ١/٦٠٣ ، الزاهر ١/٢١٧ .

فيه معنى الأصل ، وإنما يجري مجرى التلقين في أنه يخصر الذات بعينها .
والثالث : الدلالة على ما عرّفه العلماء بالاستنباط مما لم يعرفه أهل اللغة
بالتأليف . وذلك أنّ تأليف الكلام لا نهاية له ، ويدلّ على هذا ما نجده من
اختلافه في الرسائل والخطب والأشعار وغيرها من فنون الكلام ، وليس هذا
بواقف عند غاية .

وسنّ سرائر إحكام الصناعة الكتابية إذا نظّلت نفسهُ إلى تحصيل هذا العلم
افتقر إلى تقديم (٨٣) مقدّمات كثيرة بقطعهُ الإشتغال بها عن مرابعه .
ولما كانت الطباع الفاضلة توافّق الصواب وتباین الخطأ وتقوى على نظم
المعنى الذي يحتاج إلى إبرازه مؤلفاً تأليفاً حسناً في أكثر الأحوال عني عن
صرفها عما يترتّب له إلى إلزامها أعظم مشقّة ، وتبديلها من الأسهل بالأصعب
ومن الأرفق بالمتعّب .

قول في المركب من الألفاظ والمعاني :

لما كانت المعاني هي المقصودة بالعبارة حسبما قلنا فيما تقدّم من القول ،
وكانت صورها لا تخرج من القوة إلى الفعل فتصير حقائقها معلومة لمن قصد
إعلامه إياها إلا بالآلفاظ الموضوعة للتعبير عنها والدلالة عليها ، أوجب ذلك
اشتراك المعاني والآلفاظ وارتباطهما كما ترتبط الصور بسوادها والأرواح
بأجسادها ، واقتضى هذا الاتصال بالتواضع والاختلاط والتمازج مراعاة الحال
في تأليفها وتنزيل ما تركّب منها على حسب منازل الأغراض التي تقع
المخاطبة والمكانة فيها والأزمة والامكنة ومراتب المخاطبين وتوفية كل
موضع ما تقتضيه رتبة كما قلنا فيما سلف .

والسبيل إلى تركيب المعاني والآلفاظ هذا التركيب يكون بتدبير الكلام من
جهة كَيْفِيَّتِهِ ، ومن جهة كَمِّيَّتِهِ ، ومن جهة تَرْبِيئِهِ .

الكيفية :

إنما تدبيره من جهة الكيفية فمن وجوه عدة :

منها : أن يختير له من الألفاظ ما يناسب الأمور التي عددناها ، فيستعمل كلًا من جزئها وفصيحتها وسلسلها وسمحها في موضعه .

ومنها : أن يسلك في تأليفه الطريق التي تخرجه (٨٤) عن حكم الكلام المنثور العاطل الذي^(١) تستعمله العامة في المخاطبات والمكاتبات إلى حكم المؤلف الحالي بخلق البلاغة والبديع كالاستعارات والنشبهات والأسجاع والتقسيم والتنسيم والمقابلات وغيرها من الأنواع التي سنستوفي القول عليها فيما بعد إن شاء الله تعالى . فإن الكلام إنما يُخرجُ من حدّ النثر إلى حدّ النظم ما يقع فيه من هذه الغنون ، إلا أنها وإن كانت كذلك فإنه لا ينبغي للكاتب أن يستعمل شيئاً منها على سبيل استكراه وتعسف ، وإنما يجب أن يستعمل منها ما جادت به قريحته من غير كد ودرث به غريزته من غير غصب ، فإنه إذا تكلف إيقاع هذه الأنواع في كلامه ولم يأت عفوًا لم يخلُ من إفساد المعنى وإحالة وإدخال الخلل فيه والاضطرار إلى وضع اللفظة في غير موضعها ، اللهم إلا أن يكون مطبوعاً على النظم متمكناً من قران الألفاظ بأخواتها وتنزيلها في منازلها ، لا يُحيل معنى من وجهه ولا يستعمل لفظاً في غير مكانه ، فإنه إذا توخى ترشع كلامه بهذه الأساليب زادت في رونقه وبهجته وتزيينه وحليته .

ومنها : أن يؤسس كلامه بمقدمات في صدره ليخرجه من حدّ النثر إلى حدّ النظم ، فإن منزلة هذه المقدمات من كل كلام مؤلف منزلة الرأس من الجسد والأساس من البناء ، وكما أن الرأس يضم أعضاء الجسد ورأسها ، وكذلك المقدمة التي يقدّمها (٨٥) المُثَنِّي في صدر كلامه تضم ما تنبئ وتقع في ضمنه .

(١) في الأصل : البني .

وكما أن الباقي لا بُدَّ له من وضع أساس لما يبنيه يعتمد عليه ويستند عليه^(١) ، كذلك مؤلف الكلام لا يعني عن تقديم مقدّمة يتطرقُ منها إلى ما يروم التأليف فيه ، لأنَّ كلَّ كلام لا يخلو من فرش يُقرَّش قبله غير داخل في حكم الكلام المنظوم ، وإنّما تخلو من المقدّمات كتب الأخبار التي تتضمَّنُ نصوصاً ما يخبر به ، وما يدور بين الناس في المعارض والحاجات من الكلام المبتذل . وهذه المقدّمات يشترك في استعمالها أصناف المؤلفين من الخطباء والشعراء والكتّاب وغيرهم من المصنّفين .

أمّا الخطباء فإنَّ عادتَهم جاريةٌ بافتتاح خطبهم بفنون محامد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على رسوله محمد ﷺ ، واتباع ذلك بمقدّمة جامعة لما يرومون القول فيه والإرشاد إليه من مصالح الدين والدنيا .

وأمّا الشعراء فإنَّ عادتَهم جاريةٌ أنّ يفتتحوا قصائدهم المنظومة في مدائح الملوك والعظماء التي يزيّنون بإنشادها المجالسَ الحفلة ويقومون بها بين السامعين بالتشبيب الرقيق الغزل ، وإنَّ لم يكن مناسباً لهذه المواقف ، قصداً لتقديم ما تهشُّ الأسماعُ إليه وتقبل القلوب عليه قبل الأخذ بالغرض الذي يرومون القول فيه . فإذا ارتاحت له وتحركت نحوه وانبسطلت بعد الانقباض وأخذت حظاً من الطلاقة والهشاشة ورد عليها ما اشتمل عليه النظم من المعاني وهي مهيّئة لقبوله متطلّعة إلى سماعه .

فأمّا الكتّاب فإنَّ عادتَهم جاريةٌ بأن يفتنوا في المقدّمات التي يُقدّمونها أمام رسائلهم بحسب أفتانٍ أغراضها ، لا يخلو ومالّة منها من فرش يتطرق به إلى ما بعده . ولموضع غايتهم بذلك قال بعضهم : إنّه لا يحسنُ بالكتّاب أن يخلو كلامه وإن كان وجيزاً نافذاً في أحقر الأمور من مقدّمة يفتحه بها وأن وقعت في سرفين أو ثلاثة ليوفي التأليف حقّه .

(١) كذا في الأصل . والأصح . إليه .

(٨٦) وعلى هذه السبيل جَبرُوا في جميع الكتب كالعهد والفتوح والتهاني والتمازي والتهادي والاستحاث والاستبطاء والإحماء والإذماء ، من افتتاحها بمقدمات تكون من طريق اللفظ بسطاً لما يريدون القول فيه ومن طريق المعنى علة لما يأمر به السلطان وحجة يستظهر بها^(١) مثل ما يصدر به الكتب في افتتاح الخراج . فإنَّ الكُتَّاب مع علمهم بمعرفة الرعايا بالحقوق الواجبة عليهم وأنها مما لا يجوز الإغضاء عنه لا يقنحون في استئذانها بأن يقتضوها بالقول المطلق حتى يقدموا في ذلك مقدمات مشتملة على حاجة السلطان إلى الاستعانة بما يستخرجه من حقوقه في عمارة الثغور وتحصين الأعمال وتقوية الرجال وقمع أعداء الملة والدولة وغير هذا من المصالح الراجعة إليهم المائدة عليهم .

فإنما كيفية استعمال هذه المقدمات فلا يمكن الإبانة عنها برسوم كلية تجمعها ، وإنما يرجع في ذلك إلى معرفة الكاتب بما يستحقه كل نوع من أنواع الكلام من المقدمات التي تشاكلة .

فإنما ما يمكن الإخبار عنه بالقول المُجمل فتدبير هذه المقدمات من جهة ألفاظها ومن جهة معانيها : فأنما ألفاظها فيجب أن تُشخِّر من أوجز الألفاظ وأشرفها وألطفها وأخفها ، لأنَّها مبادئ الكلام التي تفرغ الأسماع أولاً ، وإذا شرفت شرف ما يلحقها ويرادفها لتعلق القلب بالابتداء والمقطع وإقبال المستمع عليهما دون ما (٨٧) يتطوي بينهما ، ودلالتهما إذا حسنا على تأتي الصانع للدخول في الصناعة والخروج منها ، ولهذا وُصف البارغ من الكلام والحديث والغناء بمُشْنِ مُفْتَتِحِهِ وَمُخْتَمِرِهِ . وأنما معانيها فيجب أن يودعها كل ما يحتاج إلى الإبانة عنه ، لتدلَّ بصورها على أعجازها وبمبادئها على تواليها ولا يخفى عن سامعها ما تنتهي إليه خاتمها ، لأنَّ المقدمة متى لم تكن بهذه الصفة لم يستحق الكلام اسم البلاغة . وبراعة مقدمات الكلام يظهر فضل

(١) ينظر: صبح الأعشى ٦/٢٧٨ .

بعض الكُتَّاب على بعض ، ويُشَدِّلُ على مهارة الماهر وتقصير المقصّر .
والنافذ في الصناعة المطبوع عليها لا يفتقر إلى زيادة على ما ذكرناه .

وأما عن هذه الثلاث الطبقات من المُصَنِّفِينَ فَإِنَّ عَادَتَهُمْ جاريةٌ بَأَن تَكُونُ
مَقْدَمَاتٌ مَصْنَعَاتُهُمْ مُسْتَبِطَةٌ مِنْ أَنْفُسِ الْعُلُومِ الَّتِي صَنَّفُوهَا وَدَالَّةٌ عَلَى
أَعْرَاضِهَا .

وَمَنْ نَظَرَ فِي التَّصَانِيفِ الْمَوْضُوعَةِ فِي جَمِيعِ أَقَانِينَ الْعِلْمِ لَمْ يَكُذِّ يَقَعُ عَلَى
كِتَابٍ خَالٍ مِنْ مَقْدَمَةٍ يَتَطَرَّقُ مِنْهَا إِلَى مَا بَعْدَهَا وَيَرْتَفِي عَلَيْهَا إِلَى مَا يَتْلُوهَا .

ومنها : أَلَّا يَتِمَّتْ فِي الْكُتُبِ النَافِذَةِ إِلَى الْمُلُوكِ وَالصَادِرَةِ عَنْهُمْ بَشْيءٌ مِنْ
الشعر إجلالاً لهم عن شَرِّ الْعِبَارَةِ^(١) عَنْ عَزَائِمِ أَوَامِرِهِمْ وَنَوَاهِيهِمْ وَالْأَخْبَارِ
الْمَرْفُوعَةِ إِلَيْهِمْ يَخَالِفُ نَمَطَهَا وَضَعَهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّعْرَ صِنَاعَةٌ مَغَايِرَةٌ لِصِنَاعَةِ
التَّرْسِيلِ ، وَإِدْخَالُ بَعْضِ صِنَائِعِ الْكَلَامِ فِي بَعْضٍ غَيْرِ مُسْتَحْسِنٍ .

فَأَمَّا الْكُتُبُ الْإِخْوَانِيَّةُ وَالرِّقَاقُ الْعِينَةُ (٨٨) عَلَى الْمَدَاعِبَةِ وَفَنُونُ التَّهَانِي
وَالْتَعَاذِي وَالتَّزَاوُرِ وَالتَّهَادِي فَإِنَّ^(٢) بَوْدَعَ الْآيَاتِ عَلَى وَجْهِ التَّمْثِيلِ وَعَلَى وَجْهِ
الِاخْتِرَاعِ ، فَقَدْ كَانَ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ مِنَ الْكُتُبِ يَسْتَعْمِلُونَ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي التَّوَاضُعِ
الَّتِي يَبْتَئِهَا . وَكَذَلِكَ كَانَ الْخُطْبَةُ فِي الْمَحَافِلِ وَالْمَجَامِعِ يَرْتَجِلُونَ فِيهَا عَرْضَ
الْخُطْبِ الْآيَاتِ مِنَ الشَّعْرِ إِظْهَاراً لِفَضِيلَةِ الْبَيَانِ وَالتَّوَسُّعِ فِي الْمُنَظَرِ .

ومنها : أَنَّهُ يَقْتَصِرَ فِيمَا يَسْتَعِيرُهُ مِنْ آيَاتِ التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ فِي الْمُكْتَاتِيَّاتِ
الْنافِذَةِ فِي الْأُمُورِ الْجَلِيلَةِ لِلتَّرْصِيعِ وَالتَّحْلِيلِ وَالِاسْتِشْهَادِ لِلْعَمَانِيِّ عَلَى مَا يَقَعُ فِي
مَوْقِعِهِ وَيَلِيقُ بِالْمَكَانِ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ ، وَلَا يَسْتَكْثِرُ مِنْهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْغَالِبُ
عَلَى كَلَامِهِ تَنْزِيهاً لِلْكَلامِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْإِبْتِدَالِ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُسْتَعَارُ عَلَى سِجَةِ
التَّبَرُّكِ وَالزَّيْنَةِ لَا لِجَعْلِ حُشْوٍ لِلْمَصْهَبِ مِنَ الْعِبَارَةِ وَمَادَّةٍ لِالْكُنْ الْمَفْحَمِ ، إِذَا

(١) (شوب العبارة) مكررة في الأصل . وينظر : صبح الأعشى ٦/ ٣٠٧ .
(٢) في الأصل : أن بودع .

استمرار منه شيئاً فليحكيه على هيئته ولا ينقله عن صنمته ليسلم من تحريفه عن مواضعه ومخالفة اختيار الله فيه ، وكما لا يجوز الإكثار منه فكذلك لا يجوز أن يخلي كلامه من شيء منه يُحلبه ، فإنْ خلو الكلام من القرآن يتخون محاسنه وينقص بهجته ، ولذلك كانوا يسئون الخطبة الخالية من القرآن براء .

وحال الكتب الجليلة النافذة في معازم أمور الدين والسلطان مناسبة لحال الخطب في استحقاقها ما يستحقه من العيب إذا خلّت من وقوع شيء من القرآن فيها .

ومنها : ألا يؤخر ما يجب تقديمه (٨٩) ولا يقدم ما يجب تأخيرُهُ ، ولا يستعمل في الرسائل ما جاء به القرآن العظيم من الحذف ومخاطبة الخاصّ بالعامّ والعامّ بالخاصّ والجماعة بلفظ الواحد والواحد بلفظ الجماعة وما يجري هذا المجرى ، لأنّ القرآن نزل بلغة العرب وخُوطب به فصحاؤها ولا يجوز حمل الرسائل على طريقته ، وكذلك لا يجوز أن يُستعمل فيها ما يُستعمل في الشعر من صرف ما لا ينصرف وحذف ما لا يُحذف وقصر المدود ومدّ المقصور والإضمار في موضع الإظهار وتصغير الاسم في موضع التكبير إلّا أن يريد تصغير العظيم ، وهو كقول القائل^(١) : (أنا مُجَذِّلُهَا الْمُحَكِّكُ وَعُدْبُهَا الْمُرَجَّبُ) . وقول الشاعر^(٢) :

وكلُّ أناسٍ سوف تدخلُ بينهم دُونِيهِ تَضْفَرُ منها الأناسيلُ
ومنها : أن يرفع الرؤساء والعظماء عن المدح بما يتملّح به العامة من صفّي الحديث ووفاء القول وتأدية الأمانة وإنجاز الوعد وردّ الوديعة والمحافظة على العهد والقيام بالغرض ، وإن كانت هذه الأشياء من الفضائل التي يمدّح بها ، لأنّها ممّا يشترك الخاصّ والعامّ في إيجائه واقتراضه ، ولا يمدّح الملوك بالخروج من الواجبات وإنّما يمدّحون بتعشّل النوافل وسنّ السنن الجميلة

(١) الخبّاب بن المنذر الأنصاري ، ينظر : الأمثال لأبي مبيد ١٠٣ ، مجمع الأمثال ٢١/١ .

(٢) لبّيد : ديوانه ٢٥٦ وفي الأصل : يدخل .

والشَّيْرُ بِالشَّيْرِ الْفَاضِلَةُ وَإِبْنَاءُ الْمُحَامِدِ وَالْمَكَارِمِ وَاحْتِقَارُ الْجَسَائِمِ وَالْمَعَاطِمِ ،
ولهذا يُعَيَّبُ عَلَى الْأَحْوَصِ (٩٠) قَوْلُهُ فِي مُخَاطَبَةِ مَلِكٍ (١) :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبِمَقْصُومٍ مَلِيقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ
ومنها أَلَّا يُخَاطَبَ أَحَدًا بِالصَّلَاةِ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهَا الرَّحْمَةُ ، لِأَنَّهَا لَفْظَةٌ قَدْ
قَصُرَتْ عَلَى مُخَاطَبَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْخُلَفَاءِ ، وَلَا بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ أَمَرَ فِيهِمْ ، لِأَنَّ
هَذِهِ اللَّفْظَةَ قَدْ خُصِّتْ بِهَا الْخُلَفَاءُ فَقَط .

ومنها : أَلَّا يَصِفَ مَلِكًا بِالْكَيْسِ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ مِنَ الْأَلْفَاظِ
الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي مَوْضِعِ الْعَقْلِ ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ عَلِيٍّ (٢) ، عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَمَّا تَرَانِي كَيْسًا مُكَيِّسًا

يُرِيدُ عَاقِلًا مَعْقِلًا ، لِأَنَّ الْعَامَّةَ قَدْ وَضَعَتْهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا . وَكَذَلِكَ مَا
جَرَى مَجْرَاهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي قَدْ أُحِيلَتْ عَنْ حَقَائِقِهَا وَأَوْقَعَتْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا .

ومنها : أَلَّا يَنْحَفَّ فِي الْكُتُبِ النَّافِلَةُ عَنِ الْأَنْبَاءِ إِلَى الرُّؤَسَاءِ مِنْ تَضَخُّمِ
اسْمِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ ، كَقَوْلِكَ : تَقَدَّمْتُ وَخَرَجْتُ بِكَذَا وَأَنْهَيْتُ إِلَى كَذَا ،
فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ وَأَمْثَالُهَا مِمَّا يُخَاطَبُ بِهِ الْأَنْبَاءُ رُؤَسَاءَهُمْ ، وَأَنْ يَمْدُلَ عَنْهَا إِلَى مَا
يَحْفَظُ مَعَانِيهَا يَقُولُ : وَجَدْتُ صَوَابَ الرَّأْيِ يُوجِبُ كَذَا فَفَعَلْتُ ، وَرَأَيْتُ
السِّيَاسَةَ تَقْتَضِي كَذَا فَأَمَضَيْتُهُ ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا (٣) .

ومنها : أَلَّا يَكْتَبَ بَنُونَ الْعِظَمَاءِ إِلَّا عَنِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنَ
الْوُزَرَاءِ وَعِظَمَاءِ الْأُمَرَاءِ وَفُضَلَاءِ الْكُتَّابِ وَالْعُلَمَاءِ دُونَ غَيْرِهِمْ ، لِأَنَّهَا لَفْظَةٌ لَا
يُسْتَعْمَلُهَا إِلَّا أَمْرٌ أَوْ نَاهٍ (٩١) أَوْ جَلِيلُ الْخَطَرِ وَالْمُرْتَبَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا .

(١) شعره : ١٧١ .

(٢) انحل به ديوانه ومعه في الرسالة العذراء ١٦ ، وتعليق اللغة ٤٧١/٧ ، واللسان (خبي) ،
وتخريج الدلالات السبعية ٣٢٤ .

(٣) بنظر : صبح الأعشى ٣٠٢/٦ .

ومنها : أن يتوَقَّن الشكلَ والاعجام إذا كَاتَبَ رئيساً ، لأنَّ في ذلك تعريضاً باستقصاه . فإِذَا كَتَبَ الرئيسُ إلى مَنْ هو دُونُهُ فجائزُ أَنْ يَشْكُلَ ما يَشْكُلُ ويُجَمِّعُه إيجاباً للمُتَّعِجَةِ وزيادةً في الإيضاح ، ولولا ذلك لما حَسُنَ .

وقد استعملَ بعضهم الشَّكْلَ والإعجام في المكاتبات النافذة إلى الرؤساء واحتجَّ بأنَّ فيهما ترفيحاً لهم عن مراجعة الفِكر فيما يَشْكُلُ ، وهذا تأويل لا ترتضيه الخاصة لما في شكل الكتب من استغناء المكاتب .

ومُحْكِي أَنَّهُ عَرَضَ على المأمون كتابٌ قد أَعْلَلَ كاتبُهُ بضبط ما يَشْكُلُ من حروفه فتوقَّف في قراءته وصحَّفَ ألفاظاً منه واستغفلَ ترجيعه والنظر فيه وقال : (ما لهؤلاء الكتاب لا يشكلون ويعجمون المواضع المشككة من كتبهم) . فاعتلَّ له مَنْ حَضَرَ بما يتأوَّلونه فقال : (ليس هذا بحجة ولا ينظر في هذا مُنْصِفٌ من الملوك ، لأنَّ الخطَّ تلوُّ اللفظ في الدلالة على المعاني ، وكما أنَّ التعقيدَ في اللفظ يهيجُهُ ويحملُ سامعيه على استغفاله وملاله فكذلك الإشكالُ في الخطِّ يهيجُنْ محاسنَهُ ويدعو قارئه على التضخُّر منه والاضراب عنه وإنَّ كانَ جليلَ الفائدة^(١) . وقد ذهب المأمونُ في هذا المذهب الصحيح إلَّا أَنَّهُ لا سبيلَ إلى مفارقة الإجماع والاصطلاح .

والصوابُ عندي للكاتب أن يعتمدَ في إثبات الشكل والاعجام وحذفهما على ما يعلمُ من فهم المكاتب وتقصيره ، فإنَّ الغرضَ إيصالَ المعنى إليه (٩٢) لا غير .

ومنها : أن يفترقَ بينَ مَنْ يكتبُ عنه وَمَنْ يكتبُ إليه . وقال الأخضر^(٢) : إنَّ أَقْلَ الناسِ تقول للسلطانِ : انظر في أمري ، لفظُهُ لفظُ الأمر ومعناه معنى السؤال .

(١) ينظر : أدب الكاتب ٥٨ .

(٢) أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، م ٢٦٥ هـ . (مراتب التحريين ٦٨ ، نزهة الألباء ١٣٣) .

وحجة الكتاب أن المشافهة تحتل ما لا تحتله المخاطبة ، لأن المشافهة خاطر يخطر للإنسان لا يمكنه تقييده وترتيبه والمكاتب بخلاف ذلك ، فلا عذر لصاحبها في الإخلال بالأدب . فأما من دون هذه المتزلة فيقول للمكاتب منهم : ينبغي أن تفعل كذا ، ومن دون ذلك فجميعهم ينبغي أن يخاطب بأن يتأمل : افعلوا كذا . وأما النظراء والمساوون في المراتب فخطابهم : فإن رأيست أن تفعل كذا ، وهذا شرط لا يذ في جوابه من الفعل والفاء للمستقبل ، وإن جئت به مستقبلاً تقول : فإن ترد ذلك فافعله ونفعله . وإن شئت أتيت بالآول مستقبلاً وبالثاني ماضياً . ويقول الرجل لمن دونه قليلاً : وأحب أن تفعل كذا .

وهذا كاف في معرفة تدبير الكلام من جهة كَيْفِيَّتِهِ .

الكمية :

فأما تدبير الكلام من جهة كَيْفِيَّتِهِ فقد قلنا فيما سَلَفَ إنَّ البلاغة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أحدها : الإيجاز والاختصار وجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة والإشارة إلى الغرض بالمحجة تدل عليه .

والثاني : مساواة اللفظ للمعنى وتحدو أحدهما على الآخر حتى يكون له لفظاً وعليه طبقاً .

والثالث : الإطناب والإشباع والشفاء والإقناع وترديد الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد .

وهذه قسمة طبيعية ، لأنه لا يخلو شيء من طَرَفَيْنِ ووسط ، إلا أنه قد (٩٣) مال قوم إلى اختيار الإيجاز ففضلوه واحتجوا بأنه صورة البلاغة على الحقيقة ، وقالوا : إنَّ ما يجاوز مقدار الحاجة من الكلام فضلة داخلية في حيز الهذر واللغو .

وماً قومٌ إلى اختيار التوسط والاعتدال ومساواة اللفظ للمعنى ففضلوه واحتجوا بأن منزع الفضيلة من الأوساط دون الأطراف وأن الحُسن إنما يوجد في الشيء المعتدل .

وماً آخرون إلى اختيار الإسهاب ففضلوه واحتجوا بأن المنطق إنما هو بيانٌ ، والبيان لا يحصل إلا بإيضاح العبارة ، وإيضاح العبارة لا يتبهاً إلا بمرادفة الألفاظ على المعاني حتى تحيط بها إحاطة يؤمن معها من اللبس والإبهام ، فإن الكلام الوجيز لا يؤمن وقوع الإشكال فيه ، ولذلك لا يحصل معانيه إلا خواص أهل اللغة العارفين بدلالات الألفاظ وأن المشيع الشافي سالمٌ من الإلباس لتساوي الخاص والعام في فهمه .

والاختلاف الواقع في اختيار أقسام الكلام بين مختاربيها مظهر بين الناس في سائر الآراء الاختيارية ، لأن من الناس من يميل باختياره إلى الأطراف ويخرج إليها عن الأوساط وهم الأكثر ، ومنهم من يفضل التوسط وهم الأقل .

والذي يوجبُه النظر الصحيح أن الإيجاز والمساواة والإسهاب صفات موجودة في الكلام ولكل منها موضع لا يخلفه فيه رديفه وعقيبه ، إذا وُضِعَ بغيره (٩٤) وهن منه ودل على نقص الواضع وجهله برسوم الصناعة^(١) ، لأنه لو استعمل كاتبٌ ترديداً ألفاظ ومرادفتها على المعنى الواحد في مكانية ملكٍ مصروف اليهم إلى أمور كثيرة متى انصرف عنها إلى غيرها دخلها الخلل لرُكِبَ كلامه في غير رتبته ودل على جهله بها . وكذلك لو بنى كتاباً يكتبه في فتح جليل الخطر حسن الأثر ليقرأ في الحفل والمساجد الجامعة على رؤوس الأشهاد من العامة ومن يُراد تفخيم شأن السلطان في نفسه على الإيجاز لأوقع كلامه في غير موقعه ونزله في غير منزلته ، لأنه لا أقبح ولا أسمى من أن تُستفتر الدهماء لسماع كتاب قد ورد من السلطان في بعضٍ معاطم أمور الملك أو

(١) ينظر : صبح الأعشى ٢/ ٣٣٦.

الدين ، فإذا حضرَ الناسُ كَانَ يَتَوَلَّى على أسماعهم من الألفاظ^(١) [وارداً مودة الإيجاز والاختصار لم يحسنْ موقفه وخروج من وَضْعِ البلاغة لَوَضِعِهِ في غير موضعه ، كالألفاظ التي اشتمل عليها كتاب المُهَلَّب بن أبي صُفْرَةَ^(٢) الذي كتبه في فتح الأزارقة على ارتفاع خَطَرِ هذا الفتح وطول زَمَانِهِ وعظم صِيبِ السلطان به ، فإنه قال في هذا الكتاب : (الحمد لله الذي كَفَى بالإسلام فَقْدَ ما سواه ، وجعلَ الحَنَدَ متصلاً بنعماء ، وقضى الأَينَ قطعَ الزيدِ من فضله ، حتى ينقطع الشكرُ من خَلْقِهِ ، ثُمَّ إِنَّا كُنَّا وعدونا على حالتين مختلفتين نرى منهم ما يسرُّنا أَكْثَرَ مما يسرُّنا ، ويرونَ منا ما يسوءهم أَكْثَرَ مما يسوءهم ، فلم يَزَلْ ذلك دأبنا ودأبهم ، ينصرونَا الله ويخذلهم ويُنْخَصُّنا ويمحقهم ، حتى بلغ الكتاب بنا وبهم أَجَلَهُ ﴿ فَطُغِيَ كَأَيُّ الْقَوِمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآلَاءُ مِنْ آتِيَيْنِ ﴾^(٣) (٤)] .

وهذا اللفظ وإن كَانَ وجيزاً بليغاً جامعاً للمعاني (٩٥) مُحِيطاً بها مُدَوِّناً في المختار من الكلام البليغ ، فإنما حَسُنَ في موضعه وهو مخاطبة السلطان ، والغرض الذي قصده كاتبه هو البداءُ بإنهاء صورة الحال . فإن كَتَبَ كاتبٌ مثل هذا الكتاب عن السلطان في مثل هذا الفتح أو ما يقاربه لِيُورِدَ على العامة ويُعَزِّزَ في نفوسهم به قدرَ النعمة الحادثة وموضع السلطان من التمسك وعلو الشأن لم يحسنْ موقفه وخروج عن شرط البلاغة بوضعه إياه في غير موضعه^(٥) .

فإنما المواضع التي يجب أن يستعمل فيها كلُّ من المذاهب الثلاثة فإننا نذكرها بقولي مجتل ثم تشفعه بقولي مفضل .

(١) أشار الناسخ إلى زيادة بعد هذه الكلمة لكنه لم يذكرها ، وهي في صبح الأعشى ٢/ ٣٣٨ نقلاً عن مواد البيان . وقد سقطت بسبب انتقال النظر . وهو ما يحدث في الجمل المتشابهة النهايات .

(٢) ت ٨٣ هـ . (المعارف ٣٩٩ ، وفيات الأعيان ٥/ ٣٥٠) .

(٣) الأنعام : ٤٥ .

(٤) ينظر : الكامل ١٣٤٩ ، أدب الكاتب ٢٣٥ ، سرح العيون ٢٠٢ ، صبح الأعشى ٦/ ٣١٨ .

(٥) ينظر : صبح الأعشى ٦/ ٣١٩ .

فاما المُجملُ فإنَّ الموجزَ يصلحُ لمُخاطبة الملوك وذوي الأخطار العالية
والهمم المستقيمة^(١) [والشؤون السيئة] ، ومن لا يجوزُ أن يشغلَ زمانه بما
هتته مصروفة إلى مطالعة غيره .

ومساواة اللفظ للمعنى يصلح لمخاطبة الأكفاء والعُقراء والطبقة الوسطى
من الرؤساء ، وكما أنَّ هذه الرتبة متوسطة بين طَرَفَي الكلام فلذلك يجبُ أن
تُخصَّ بها الطبقة الوسطى من الناس .

والإسهابُ يصلحُ للمكاتبات الصادرة في الفتوحات ونحوها ممَّا يُقرأ في
الحل ، والجهود السلطانية ، ومخاطبة من لا يصلُ المعنى إلى فهمه بأدنى
إشارة . والكاتب إذا عرف هذه الجملة عملَ في تفصيلها بما يقتضيه .

وأما القولُ المفصلُ فإنَّ ترتيبَ ما يوضع في كلِّ موضع من هذه المواضع لا
يستلُ به إلَّا المبرزُ الماهرُ في الصناعة العالمُ بمراتب الأشياء التي يكتبُ فيها
وما يخصُّ كُلًّا من أنواع المخاطبات . (٩٦) وهذا ما لا تنهين الإبانة عن
أحكامه وشروطه بقول مبسوط يشتمل على أطرافه وحواشيه ، وإنما نتكلَّم عليه
بكلام جامع نعرفُ الوجه فيه فنقول :

إنَّ المعاني التي يحتاجُ الكاتب أن يُنثيَ الكتبَ فيها عن السلطان وإليه
ترجع إلى أصول محدودة وأجناس معدودة ، كالأمر والنهي وهما جنسٌ واحدٌ
لأنَّ كلَّ مأمور به منهيٌّ عن خلافه ، والخبر الذي يقعُ مرَّةً فيما يخاطبُ به
السلطانُ عُائلةً ورعاياه كإطلاعه إيَّاهم على ما يشجِّدُ له من عطيةٍ وزرقةٍ ليقوِّزَ
في نفوسهم جلالةَ خطيرِ المنح التي جدَّها الله عنده وسهولة موقع المحن
العادة به ، ويقعُ أخرى فيما يخاطبُ به الثُمَالُ سلاطينهم ورؤساءهم ،
كمالعتهم إيَّاهم باستقامة الأحوال المعذوقة بهم واطرادها أو اضطرابها
وفسادها ، وما يحتاجُ السلطانُ أن يخاطبَ به نوَّابه وُجَّاعه وكُفَّاته في معنى

(١) من صبح الأحرى ٢/٢٣٦ وهي غير مفروضة في الأصل .

الإحسان والإحسان ، والشأن والتفريط والعذر والتوبيخ والاستقصاء والوعد والوعد ، فإن هذه كالأجناس لما يكتب السلطان فيه ويكتب إليه .

فإنما ما يكتب فيه السلطان إلى رعيته فإن كان خبيراً يريد تقرير صورته في نفوسهم كإبائهم بالفتوحات المتجددة في أعداء الدين والدولة والسلطان فيجب أن يشيع القول فيها وينشئ على الإسهاب وتكرير الألفاظ المترادفة ليحرفوا قدر النعمة الحادثة وتزيد بصائرهم في الطاعة ويعلموا موضع سلطانهم من عناية الله ، عز وجل (٩٧) فتقوى من أوليائه وتنزل قوتي أعدائه .

وإن كان خبيراً يريد التورية عنه وسر حقيقته كإعلامهم بالحوادث الحادثة على الملل والنائب الملمة بالدولة ، من هزيمة جيش أو تغيير رسم أو إحدائه أو تكليف الرعية ما لا يسهل عليها نكفئه أو ما أشبه ذلك ، فيجب أن يقصد إلى الاختصار والإيجاز ويعدل عن استعمال الألفاظ الخاصة بالمعنى إلى غيرها ، مما يحتمل التأويل ولا تنفخ الأسماع منه ولا تزعج القلوب له من غير أن يحكي كذباً صراحاً ولا محالاً تنواتر الأخبار بخلافه ، فإنه لا شيء أقبح بالسلطان ولا أغصص^(١) . شأنه وقدره من أن ينضم كتابه ما ينكشف للعامة بطلانه .

وينبغي للكاتب أن يتخلص من هذا الباب التخلص الحسن الذي يري به الأثر من غير تصريح بكذب ، ويتأني الاعتلال والاعتذار ، ويتحلى في إحالة المعجز تماماً والحيث إنصافاً والتقصير تشميماً ، وما على المكاتب له^(٢) ، ويخرج الباطل في صورة الحق ، ويعرض السلطان للإحسان والتقريب من حيث يستحق التائب والإحسان ، فإن هذه سبيل البلاغة وطريقة فضلاء العصر .

وقد أوضح ذلك عبد الله بن المقفع^(٣) في صفة البلاغة وتحديدها أنها كشف ما غمض وتصوير الباطل في صورة الحق .

(١) في الأصل أفسس ، بالصاد . والمصوب ما أثبتنا . ينظر : صبح الأعشى ٣١٦/٦ .

(٢) كذا . ولظن عبارة (وما على المكاتب له) مقحمة . ينظر : صبح الأعشى ٣١٦/٦ .

(٣) القول للمعاني في البيان والتبيين ١/١١٣ .

وهذا كلام يشهدُ لنفسه بالصحة لأنَّ الأمرَ الجميلَ الشاهدَ ، الحسنَ الظاهرَ ، المجمعَ على الاعتراف بفضله ، لا يحتاجُ في العبارة عن حُسنِهِ والدلالة على جماله إلى كَذِّ (٩٨) المخاطر وإتاعاب الوِثْرِ ، لأنَّ بعضُ الأَكثَرِ فكيف بالآسَنِ ويوجدُ الطريق إلى البيان بما يستمليه منه ويتستخفه عنه ، وإنما الفضلُ في تحسِين ما ليس بِحَسَنٍ وتصحيح ما ليس بصحيح بضرٍ من الترمية والحيل وخلق المعاذير والعلل المعفية على الإساءة والتفصير التي لا بشوبها كذب صراح ولا زورٌ مطلق .

وإن كان أمراً ونهياً فيجب أن يؤكدَ ويحزمَ القول فيه من جهة كمية الكلام لا من جهة كَيْفِيَّتِهِ ، لأنَّ حُكْمَ كتب الأوامر والنواهي السلطانية حُكْمُ التوقيعات الجازمة الوجيزة الجامعة للمعاني . هذا إذا كان الأمر والنهي واقعيين في معنى واحد لا يحتاج أن يرسم فيه ويمثل ما يكون العمل بحسبه ، فإن كانا مما يحتاجُ إلى رسم رسوم أو تمثيل مثل يعملُ عليها فإن الحُكْمَ فيها مخالفٌ لما تقدّم ، لأنها محتاجة إلى الإطالة والتكرير دون الحذف والإيجاز ، وذلك كالذي يؤمَرُ به ويُنهى عنه في الكتب المختصة بالخراج وجباية الأموال وتدبُّر الأعمال ، فإن سبيل هذه الكتب أن يقتصر فيها ما رآه السلطان وأمر به ثم يختم بفصل مقصور على التوكيد في أمثال أمره وإنفاذه ، ولا يقتصر على ما تقدّم من الاقتصاد إيجاباً للحجة وتضييعاً للثُغُرِ وحَسْماً لأسباب الاعتلال .

وإن كان إحماداً وتقريظاً وثناءً ووعداً أو استقصاراً وتوبيخاً وعذلاً وتوعداً وجب أن يشيعَ الكلام ويمدَّ القول بحسب ما تقتضيه آثار المكتوب إليه في الإساءة والإحسان والاجتهاد والتفسير ليشرح صدرُ المُشْرِ (٩٩) المُحْسِنِ ويسطَ أمله ودرجاءه ويُراغ قلبُ المقصِّرِ المُسيءِ ويرتدَّ عَنَّا يَدَمُ منه ويتلافى ما فَرَّطَ فيه^(١) .

(١) ينظر: صبح الأعشى ٣١٦/٦ وفيه : ويسطَ أمله ودرجاءه .

وأما ما يكتب فيه الأتياع إلى السلطان وَمَنْ يُجاريه من الرؤساء فسيبيل ما كان واقعاً في باب الإخبار بأحوال ما ينظرون فيه من الأعمال ويجري على أيديهم من المهمات أن يُوفي حقه من الشرح والبيان ويسلك فيه طريقة تجمع بين إيضاح الأغراض من غير هنر ويضجر وبعل ولا اختصار يقتصر ويخل ، وأن يقصد إلى استعمال الالتقاط السهلة التي تصل معانيها إلى الأفهام من غير ساطلة ، ويتجنب ما يقع فيه تعقيد وتوغل وإيهام وتعثر ، إلا أنه قد تعرض في هذا النوع من المكاتبات حاجة إلى استعمال الكناية^(١) مكان الإفصاح ، والتورية موضع الإيضاح ، والاستبدال من اللفظ الخاص بالمعنى المطابق له بلفظ يحفظ صورته ويخالف طريقته ، ولا يصح بالمعنى كل التصريح ، فإنه قد يتفق لِمَنْ يطالع الرؤساء بالأخبار والأنباء الحادثة أن يدفع إلى المكاتبة بما لا يجوز كشفه وإنهاؤه على فضيه ، أو ما في ذكره على نصبه هناك ستر ، أو في حكايته أطراف مهابة السلطان وإسماعه ما يلزم في حق الأدب إجلاله عن سماعه ، مثل لفظ قبيح يطلقه عدوه فيه ، أو ما في الصلح عنه ما يسوؤه ويخالف محبة ، فيحتاج المنشئ إلى استعمال التورية في هذه المواضع ، والتلطف في العبارة عن هذه المعاني ، وإبرازها في صور تقضي حق السلطان في التوقير والإجلال والإعظام والتنزيه عن المخاطبة بما لا يجوز إمرأته على (١٠٠) سمعه وإيصال المعنى إليه من غير جنابة في طي ما لا غناء به عن علمه ، وهذا ما لا يستغل به إلا المبرور في الصناعة المتصرف في تأليف الكلام .

وسبيل ما يقع في باب الشكر عن نعمه يسبقها سلطانها عليه ، وعارفة يسبدها إليه الأيمن على إسهاب يتجاوز الحد ، فإن إطناب الأصاغر في شكر المتبرعين داخل في باب الإضجار والإبرام ، ولا سيما إذا رجعوا إلى [خصوصية و] تقدم شزمة^(٢) .

(١) ينظر: صبح الأعشى ٦/٣٢٢ .

(٢) ينظر: صبح الأعشى ٦/٣٢٠ .

ولمّا ينبغي أن يؤتى في هذا الفن باللفظ الوجيز الجامع لمعاني الشكر
المشتمل على أساليب الاعتراف والاعتداد ، وكذلك لا يحسن بالخواص
الإكثار من الثناء على رؤسائهم ، لأن ذلك تملق لا يليق إلا بالأباعد الذين لم
يتقدّم لهم من الموات والحرّم ما يدلّ على صحة عقائدهم ولم يصفّ عليهم من
النعم ما يوجب خلوص نياتهم .

فأمّا إن كان المثني أجنبياً متكسباً بالتقريظ والثناء لم يفيح به الإيغال
والإغراق فيهما . وكذلك لا ينبغي للخاصة أن يكثرُوا من الدّعاء ويكرروه في
صدور الكتب ^(١) وأثانها ، لأنّ تكلف ذلك أمرٌ يستفله حرمة الملوك ويحملونه
على التملق الذي لا ترغيبه الحُصفاً ^(٢) .

وسبيل ما يكتب به في مسألة حُسن النظر ألا يُنثى على شكاية الحال من
جهد وضّر وإقلال وفقر ، فإن التصاغر بذلك والتطويل فيه يجمع بين الإملال
والاستفقال وذمّ السلطان بتقصيره في أمره وإغفاله النظر في حاله ويخسه حفظه
من نعمته ، بل يجب أن يُنثى القول على الإيجاز في الشكوى ويمزجها (١٠١)
بالشكر والاعتداد بالألاء والرغبة في مضاعفة الإحسان والزيادة في البرّ
والإلحاق بالطبقة الراجعة في إكلاء العوارف ، فإن ذلك أعطف لقلب الرئيس
وأدعى إلى بلوغ الغرض ^(٣) .

وسبيل ما يكتب في باب التنصّل والاعتذار مما رُقي إلى السلطان عن التابع
أن يُنثى على الاختصار ويُعدّل فيه عن الإطناب والإكثار ، ويُقصد إلى النكت
التي تزيل ما عرض من الشبهة في أمره وتمحو الموجدة السابقة إلى ضميره ،
ولا يصترح ببراءة الساحة فإن ذلك مما يكرهه الرؤساء من أتباعهم ، لأنّ عادتهم
جارية بليثار اعتراف الخدم لهم بالتقصير والتفريط والإخلال بالفروض ، ليكون

(١) ينظر : صحيح الأمشئ ٦ / ٣٢٠ .

(٢) في الأصل : الحُصفاً .

(٣) ينظر : صحيح الأمشئ ٦ / ٣٢١ .

لهم في العفو عند الإقرار عارفةٌ توجبُ شُكراً مُستطوعاً ويدّ تقتضي نشرأ مستأنفاً . فأما إذا أقامَ التائبُ الحجةَ على براءته مثا قُرف به فلا موضعٌ للإحسان إليه في إقراره على منزلته والرضا عنه ، بل ذلك من الواجب له الذي إن متعه إياه ظلمه وتمدّى عليه^(١) .

فأما أنواعُ السكاتات البسيطة فليست مما يمكنُ الإبانة عشا يجب استعماله فيها من إسهاب وتوشيط وإيجاز بقولٍ جامع ، إلّا أننا قد أنشأنا في المشهور منها الكثير الدور في الاستعمال رسوماً ومثلاً أودعناها الباب الثامن من هذا الكتاب ، وأوردنا في صدرِ كُلِّ مثالٍ القوانين التي ينبغي أن تستعمل فيه ، على أننا لا ندعي أننا وقينا ذلك حقّه ، لأنّ مرآة الإحاطة (١٠٢) بكلّ ما ينتظمه يصعبُ ويتعلّق ، وصاحب الغريزة المطبوع إذا وقف على ما أوردناه اكتفى به إن شاء الله تعالى .

الترتيب :

وأما تدبيرُ الكلام من جهة ترتيبه فإنّ الوجه فيه أن يضع الكاتبُ كلامه من جهة ألفاظه ومن جهة معانيه في المواضع التي تقضيها الصناعة ، ويستعمل في كلّ موضع ما يليقُ به من إيجاز ومساواة وإطناب ، ويتصرّف في تفخيم الألفاظ تارة وتلطيفها أخرى التصرّف الذي توجبه الأحوال التي تقع فيها المكاتبة .

وهذا بابٌ خطيرُ الشأن يجبُ على الكاتب أن يصرفَ إليه عنايةً ، ويوفّرَ عليه رعايته ، ويتحفّظَ من أن يتخلّله خللٌ أو يُلَمَّ به زللٌ . ومدارُ الأمر في أحكامه على تقسيم الألفاظ والمعاني على أقدار المخاطبين والمكاتبين والأمكنة والأزمنة والأحوال التي تقع فيها المكاتبة حسبما قلنا فيما سلف .

فأما تقسيمُ المعاني فإنها وإن كان كلُّ معنى منها جنساً بعينه كالتهمته والتعزية والاعتذار والعتاب والاستبطاء ونحو ذلك فلا يجوز أن يخرج المعنى

(١) ينظر: صبح الأعشى ١/٣٢١ .

لكل مخاطب على صيغة واحدة من اللفظ ، وإنما ينبغي أن يخرج في الصيغة المشاكلة للمخاطب اللائقة بقدره ورتبته ، ألا ترى أنك لو خاطبت سلطاناً أو رئيساً بالتحذير عن مصيبة من مصائب الدنيا لما جاز أن يُنَى الكلام على وعظه وتبصيره وإرشاده وتذكيره وحضه على الأخذ بعظم من الصبر ومجانبة الجزع وتلقي الحادث بالتسليم والرضا ، وإنما الصواب (١٠٣) أن يُنَى الخطاب على أنه أعلى شأنًا وأرفع مكاناً وأوضح حزمًا وأرجح حِلماً من أن يُعزى نسبياً وتذكيراً وهدايةً وتبصيراً ، ويُعرّف بالواجب في تلقي السراء بالشكر والفرء بالصبر ، فإنك إنما تبعثُ الشك في تأدية حقوق النانية والعائدة والقيام بفروض المحبوب والمكروه . وكذلك إذا كتبت رئيساً في معنى الاستزادة والشكوى لا يجوز لك أن تأتي بمعناها في ألفاظها الخاصة بهما ، بل يجب أن تعدل عن ألفاظ الشكوى إلى ألفاظ الشكر ، وعن ألفاظ الاستزادة إلى ألفاظ الاستعطف والسؤال ، لتكون قد رَغِيتَ كلامك في رتبته ، وأخرجت معنك مخرج من يستدعي الزيادة لا من يشكو التقصير^(١) حسبما بيّناه فيما تقدّم .

وكذلك لو رفع رافع إلى السلطان نصيحة لم يجز أن يوردها مورد التنبيه له على ما أغفله ، الموقف لما أهمله ، المُعرّف من الصواب بما جهله ، القاصد إلى الشورى عليه برأي أصله ، لأن ذلك قبيح جداً لا يحسنه الرؤساء من الأنبياء ، على أن السلطان أعلى عيناً وأصح رأياً وأكثر إحاطة بصدور الأمور وأعجازها ، وأن آراء خدّميّه أجزاء من رأيه ، وأنهم إنما يتغرسون في مخايل الإصابات بما وفّقوا له من سلوك مذهبه والتأدّب بأدبه والارتياض بسياسته والتشغل في خدمته ، وأن ما يفرضونه في حكم الإشفاق والاهتمام وما سُبّح عليهم من الإنعام المطالعة بما يجري في أوهامهم ويهجن في أفكارهم من الأمور التي يتخيلون أن (١٠٤) في العمل بها مصلحة للدولة وعمارة للمملكة ، لينصّحه بأصانته التي هي أوفر ، ورأيه الذي هو أثقب ، فإن استرقفه أمضاه ، وإن رأى

(١) ينظر: صبح الأعشى ٢/٣٠٥ .

خلافه الغاء ، وكان الرأي الأعلى ما يراه .

وعلى هذه السبيل يجب أن يكون ترتيب المعاني في مخاطبة الملوك والعظماء .

وأما تقسيم الألفاظ فإننا وإن كنا قد خَصَصْنَا على استعمال المتوسط منها ، ودَلَّلْنَا على فضله ومطابقته للمعاني ، فإنه إنما يحسن استعماله إذا شابه رتبة المخاطب والحال التي يقع فيها الخطاب والزمان والمكان حسبما ذكرناه فيما سلف .

فأما إن خالف بعض هذه الأحوال وَجِبَ (١) العدولُ عنه إلى ما يُناسبها ويضاهيها . وحاجة الكاتب لذلك إلى استعمال الجزلي في موضعه بوزن حاجته إلى استعمال كلٍّ من المتوسط والسهل في موضعه ، ألا ترى أنه مدفوع إلى المكاتب عن السلطان في الأمور الجلية الواقعة في معظم شؤون الدين والملك المحتملة لفصيح الألفاظ وجزلها ، وإلى المكاتب عنه في تمثيل الأعمال ومخاطبة العامة والمعاملين بالأوامر والنواهي التي لا يليق بها إلا اللفظ السهل القائم بإزاء أنهم هذه الطبقة ، إذ ليس الغرض تحسينها وتزيينها وإنما الغرض تقرير صورها في نفوس من تصدر إليه ، وإفهامهم ما أمر به في معنائهم من إنصاف المظلوم وإعزاز المهضوم واستيفاء الحق وتوقيته ، ولا مدخل لغريب الألفاظ فيما هذه سبيله ، وإنما الذي يدخل في هذا النوع هو اللفظ الذي (١٠٥) يسبقُ معناه إلى قلب سامعه وتحتمله طاقة هؤلاء القوم ، إذ لا يجوز خطاب طبقة من الطبقات من الألفاظ إلا بالمتعارف الدائر بينها ، وما أحسن قول الإسكندر لنوفوس الخطيب وقد خطب بين يديه في التحمل فطوَّنَ الخطبة وأغربها : (ليس الحسن أن تكون الخطبة على إطاق الخاطب ولكن على إطاق السامع) ، وإلى مكاتبه سلطانه عن نفسه بما تدعوه الحاجة إلى المكاتب به . وهذا النوع لا يحتمل قوِّي الألفاظ ولا ضعيفها ، لأنه يُحرِّك فيه غير سلطانه منه على تعاطيه البلاغة في مكاتبته ، ويكلفُ الفصاحة في مخاطبته ، وذلك غير

(١) كذا في الأصل . والأصح مجيء الفاء بعد الهمزة .

جائز في الأدب ولا محتمل من خادماً ، وإن تنازل إلى الطرف الآخر ، أعني الألفاظ المتبدلة الدائرة في مخاطبات السوق ، لوضع من السلطان بمقابله إياه بما لا يشبه رتبته من الخطاب ، والدلالة على أنه إنما يسهل في مكاتبه لعلمه بتقصيره عن إدراك المعاني إذا وردت عليه في الألفاظ الكتابية ، وإنما يجب أن يستعمل في خطابه اللفظ المتوسط الذي يشبه موضوعة من الخدمة وفي الخطاب عنه اللفظ العالي المشابه لموضعه من السلطان إذا اقتضت الحال ذلك .

هذا هو الأصل الذي يجب مراعاته أولاً ، فأما ما يتبعه من آداب ترتيب اللفظ فإن الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد مع تقاربها وتشاكلها ليست بمتكافئة في الدلالة عليه ، بل بينها مع التشابه والتقارب فروق لطيفة تميز بعضها من بعض (١٠٦) ، ومنها الأرفع الذي يدل على غايات المعنى ونهاياته ويحيط به أشد إحاطة ، ومنها الأوضع الذي يدل على مبادئه وأوائله ولا يحيط به كلفة الإحاطة . وكل لفظة من هذه الألفاظ يصلح للمعبرة عن حال من الأحوال التي ينتظمها المعنى دون الأخرى ، ولطبقة من طبقات المخاطبين دون طبقة ، وينبغي للكاتب أن يعرف الفروق بينها وخواصها في الدلالة ليعدّل نظم كلامه ولا يشوب رقيعة بوضيعة ولا يدخل خطاب طبقة في خطاب طبقة أخرى .

ومثال ما حكيناه في هذه الألفاظ المتشابهة الواقعة في جنس واحد من المعاني المميّزة بالفروق الموجودة منه : أن يقول القاتل : حسن موقع الشيء مني ، ولطفت موضعه عندي ، ووقع بوقاي محبتي ومشاكله إرادتي . وأن يقول : أنسني الشيء وسرّني وأبهجنني وأجدلني وما شابهها ، فإنها توجد متشابهة لما بينها من التقارب والتشاكل والترادف على المعنى ، وهي مفترقة بدلالاتها الخاصة وكل منها بإزاء معنى هو المطابق .

ومما يوضح التقارب الواقع بين الألفاظ المتشابهة التي ينخيل سامعها أنها تدل على معنى واحد ما يوجد من الفرق بين منزلتي (التقريب) و(الإحماذ) ،

فإنهما وإن كانا يشتبهان في بعض الوجوه حتى يُظنَّ أنهما يقتضيان معنى واحداً فإن بينهما فرقاً واضحاً ، فما كلُّ مَنْ يُوْهِلُّ للإحسان يُوْهِلُّ للتقريب . وكذلك ما يوجد من الفرق بين (الاستقصار) و(التوبيخ) ، فمما كلُّ مَنْ يستقصّر في فعل يجوز توبيخه (١٠٧) بل هذه مراتب مختلفة في بابي الرضا والسخط ، وذلك أنَّ أوَّل مراتب الرضا التأهيل للإحسان والاحتباء ، والثاني للمدح والتعريض ، والثالث للثناء والدعاء ، والرابع للوعد والتنمية وكريم المكافأة والجزاء .

وأوَّل مراتب السخط الاستبطاء والاستقصار ، والثاني التعجيز والتفريع ، والثالث العذل والتوبيخ ، والرابع الإعذار والوعيد .

هذا هو المستعمل في مكاتبة السلطان لمن دونه من كفاة أشغاله ، وقد يقع في مكاتبة الإخوان شبيه بهذا كالابتداء بالمعانية ، ثمَّ يجاوزها إلى الاستزادة ، ثمَّ يخطئها إلى الشكاية ، ولهذه الألفاظ نظائر كثيرة ، وقد تقدّم من القول على مراتب الأفعال والموت ما فيه إقناع وكفاية .

وينبغي للكااتب أن يسمّهر في العلم بهذا النوع من الكلام ، ويعرف الوجه في تصريف هذه الألفاظ في الدلالة على المعاني ، لتلا يظنَّ أنها متواطئة فيسأل نفسه في وضع بعضها مكان بعض ، وإنما يجب أن ينظر إلى منزلة المخاطب في نفسه من ريس ونظير وتابع ومرتبة الأمر الذي تقع فيه المخاطبة ، فيختار الأجل من الألفاظ للأجل من المخاطبين ، والأفخم منها للأفخم من المعاني التي يرومُّ العبارة عنها . وكما أنَّ الألفاظ ليست بمساوية في الحقيقة ولا متكافئة فليس سواء أن يؤنَّ بها مفردة وأن يؤنَّ بها مزدوجة أو مثثلة أو مربعة ، لأنَّ المراتب تتغيّر بحسب تغير هذه الألفاظ وزيادتها ونقصها . (١٠٨) فإنَّ المخاطب إذا أفرّد اللفظة فقال : سؤني الشيء ، كان ذلك دون أن يزواج بين لفظتين فيقول : سؤني وأبهجني ، وكذلك إن اقتصر على مزاجية واحدة كان ذلك في الترتيب دون أن يقرنَّ بها مزاجية أخرى فيقول : سؤني وأبهجني وأجلدني وأفرحني . وكذلك إن أتى بمزاجية كان ذلك أكثر إجلالاً وتعظيماً إلّا

أَنْ ما جاوز مزاجيتين من أمثال ما ذكرناه بثقل ويستقيح ، ولا يحسن الاختصار على اللفظة المفردة بل يجب أَنْ يُؤْتَى بمزوجة واحدة أو مزوجتين ، ليكون القطع على الأزواج دون الأفراد ، فإن ذلك أحسن في السمع وأبلغ في تزيين نظم الكلام .

ومن أدب ترتيب الكلام أَنْ يبني الكاتب على ما أسسه من كلامه ، وإذا سلك طريقة أم يمد فيها ولا يتنازل عنها إِنْ كانت رفيعة ولا يرتفع منها إِنْ كانت وضعية ، ولا يخرج عن غرض إلى غيره يكمل كل ما ينتظمه ويتسلك فيه ، ولا يأتي بما يخالفه كَأَنْ يُشَىء كتاباً في العذل فيشوب ألفاظه بألفاظٍ تنخرج عن الخشونة إلى اللين ، فَإِنَّ اختلاف رُقعة الكلام من أشد عيوبه . وكذلك إذا افتتح كتابه بخطاب فلا يتقل عنه إلى غيره ، مثل أَنْ يقولَ في صدره : أطال الله بقاء سيدي ، ويقول في موضع آخر : وحرمن مُدَّتكَ ، ونحوه ، لأنَّه مخالف على ما عُقد عليه الخطاب ، على أَنَّ النحويين قد أنكروا أَنْ يخاطب أحدٌ بغير الكاف ، وقالوا : قولُ الكتاب : (أطال الله بقاء سيدي) دعاءٌ لغائب إلاَّ أَنْ (١٠٩) هذا من الاصطلاح الذي (١) لا يجوزُ مخالفته .

ومما يدخل في هذا الباب ترتيب الأجوبة ، فَإِنَّ كُتِبَ الرئيس إذا صدرت إلى عامله وتابعه جواباً عمّا ورد إليه من جهته كَانَ له أَنْ يبينها على الاختصار ويجمع معانيها في ألفاظ وجيزة محيطة بما وراءها ، كَانَ يقول : وصل كتابك في معنى كذا وفهمناه .

فَأَمَّا كُتِبَ التابع إلى الرئيس فَإِنَّها لا تحتملُ ذلك بل الواجب أَنْ يُخَيَّرَ فصولها على نَصّها ويفيض على وجهها من غير إخلال بشيء منها إعظاماً للرئيس وإجلالاً للخطاب .

وليس للمجيب إِنْ مرَّ في الخطاب الذي يتقضيهِ لفظه غيرها أَوْفَقَ في

(١) في الأصل : التي .

موقعها أن يدلّها بها ، لما في ذلك من الإشارة إلى أنّ له نقداً أصبح من نقد رئيسه في ألفاظه ومعانيه . فإن كان الفضلُ مبنياً على شكره وتقريظه والثناء على مسعاه في الخدمة لم يجز أن يأتي به على وجهه لأنّ ذلك غير مستحسن ، ولا أن يُغفل ذكره دفعةً فيكون قد أُخلّ بما يجبُ شكره من تشريف رئيسه له بوصفه وإحماده بل الواجب في اقتصاص ما هذه حاله أن يرفع تلك الصفة على جملة يجعلُ نفسه بعضها ، كأن يقول : (فأنا ما وَصَفُهُ من اعتدائه بخادمه في جملة من نهضَ بحقوق خدمته وقامَ بفروض طاعته ، وأخلَّه لما يرفعُ الأقدار من إحماده وثنائه ويُعلي الأخطار من شكره ودعائه) ، وما يُضاهي هذا من العبارة التي تشتمل على معاني ألفاظ الرئيس ، أنه إذا قصّد هذه السبيل في الاقتصاص جمع بين البلاغة والإتيان على معاني ألفاظ (١١٠) رئيسه والأدب في ترك التضمين لنفسه بإضافته إليها إلى جملة الخاصة دون إيقاع المدح عليها .

وسنستوفي القول على ترتيب الأجوبة في الباب الثامن من هذا الكتاب بعد انقضاء أمثلة البُدائيات ورسومها إن شاء الله .

ومما يجب العمل عليه في ترتيب الكلام أن يقصّد الكاتب إلى استعمال ألفاظ الصناعة التي نَصَّصنا على فضلها ، ولا يخرج منها إلى ألفاظ غريبة عن الصناعة غير مجانسة لها .

وإنما يؤتى الكاتب في هذا الباب من جهة أن يكون له شركة في صناعة غير الكتابة ، مثل صناعة الفقه والكلام وغيرهما ، ومثل صناعة أصحاب الإعراب والمتعاطين لعلم الغريب ، ولكل أهل طبقة من هذه الطبقات ألفاظ خاصة بها يستعملونها فيما بينهم عند المحاوراة والمخوض في الصناعة . ومن عادة الإنسان إذا تعاطى باباً من هذه الأبواب أن يسبق خاطره إلى الألفاظ المتعلقة به فيوقعها في الكتب التي يُشغها لعلّه عادة استعماله إليها فيهيئها بإدخاله فيها ما ليس من ألفاظها .

ومما يجب العمل به أيضاً في ترتيب الكلام أن يضيف الكاتب إلى كل

معنى ما يليق به وينخرط في سلكه ، فإذا ذكر النعم وسبوغها أثبت بها بإخلاص الحمد والشكر لموليا سبحة والاستزادة من فضله .

وإذا ذكر الشكوى شفعها بالاستغاثة بالله تعالى والرجوع إليه فيها وزد الأمر إلى حوله وقوته . وإذا ذكر البلوى قرنها بسؤاله تعالى في دفع المحذور وصرف السوء . وإذا ذكر المصيبة أقر بالرجوع لله تعالى فقال : (١١١) ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (١) .

ومتابع ما ذكرناه في باب ترتيب الكلام الثاني لتدبير المقدمات المبينة عن اغراض الكتاب لتكون محيطاً بما وراءها جامعة لبارع الألفاظ وناصح المعاني . والطريق إلى إصابة المرمى في هذه المقدمات أن تجعل مشتتة على ما بعدها من الأغراض والمقاصد ، وأن يوضع للأمر الخاص مقدمة خاصة وللأمر العام مقدمة عامة ، ولا يطول في موضع الاختصار ولا يقتصر في موضع الإكثار ، ولا يجعل أغراضها بعيدة المآخذ مُغتاضة على المُتَصَفِّح . وذلك أن الكاتب إذا قصد إظهار القدرة على الكلام وتصرف في وجوه المنطق فخرج إلى الإملال والإضجار اللذين تُسرع النفوس إليهما ، ولا سيما نفوس الملوك ذوي الأخطار ، ولا يجعل بإزاء الشر مثل رفاع الثخف والهدايا مقدمة تكثر الفاظها ، فإن ذلك غير جائز ولا واقع في موقعه ، ألا ترى أنهم استحسنا قول بعضهم في صدر رُقعَةٍ مُقترنة بتحفٍ : (هذا يوم جرت فيه العادة بأن يهدي العبيد إلى السادة) ، واستطروا الكاتب لإيجازه وتقريبه المآخذ (٢) .

وعلى هذا السبيل يجب أن يكون مذهب الكلام في التخفيف عن الرؤساء والإتيان باللفظ الخفيف والمعنى اللطيف . وينبغي أن يكون الكلام في هذه المقدمات ، مع لزوم شريطة الإيجاز وحذف الفضول ، مُجَانِساً لما يقع فيه الخطاب محرّكاً للقوة التي يعتمد عليها في نجاح المطلب .

(١) البقرة : ١٥٦ .

(٢) ينظر : صبح الأعشى ٦/ ٢٧٩ .

ومثال ذلك أن يكونَ الكلامُ في التَّنْضِيلِ عندَ السلطانِ واستتلالِ موجدته
 فَيُتَيْنِ على تجزِيلِ قوَّةِ الصَّفْحِ (١١٢) والتَّجَاوُزِ والإِذْكَارِ بما يُؤْمَلُهُ أَوْلِيَاؤُهُ
 وَغَدَائِمُهُ من تَغْمِدهِ وَصَفْعِهِ ، أو يكونُ في الاستمطافِ ومَسْأَلَةِ حُسْنِ النِّظَرِ فَيُتَيْنِ
 على هَزِّ قوَّةِ الجَوْدِ والسَّمَاحِ والتَّنْبِيهِ على ما يلزِمُ الخاصَّةَ والرُّوسَاءَ والسَّادَةَ من
 المحافظةِ على شروطِ الكَرَمِ ، أو يكونُ في التَّصَحُّحِ والمطالعةِ بما يقتضيه الحَزْمُ
 وسَدَادُ السِّيَاسَةِ فَيُتَيْنِ على تجزِيلِ قوَّةِ الرَّأْيِ والعَقْلِ نحوِ إِعْمَالِ الرُّوِيَّةِ في
 الأُمُورِ التي يُقَدِّمُ عليها ويَحْجِمُ عنها ، والإِصْخَاءَ إلى ما يورِدُهُ النِّصْحَاءُ
 والمُخْلِصَاءُ الَّذِينَ إِنَّمَا يَسْتَخْلِصُهُمُ لِلْمُطَالَعَةِ بما يَحْضُرُهُمُ مِنَ الآرَاءِ وتَدْبِيرِ
 الخُطُوبِ التي يشاركونه فيها فيَتَحَلُّ ما يَخْتَارُهُ وَيَسْتَصَوِّئُهُ وَيَرْدُلُ ما يَذْهَبُ
 وَيُخْطِئُهُ .

وفي جُمْلَةِ القَوْلِ إِنَّهُ يَجِبُ على الكاتِبِ أَنْ لَا تُخَالِفَ مَقْدَمَاتُ كِتَابِهِ
 أَغْرَاضَهَا وَمَعَانِيهَا إِلَى مَا لَا يُطَابِقُهَا . فَقَدْ قُلْنَا إِنَّ مَحَلَّ الْمَقْدَمَةِ مِنَ الْكِتَابِ
 مَحَلَّ الرَّأْسِ مِنَ الْجِسْمَانِ وَالْأَسَاسِ مِنَ الْبَنِيَانِ .

والَّذِي أَتَيْنَا بِهِ كَافٍ فِي مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الْبَلَاغَةِ وَأَقْسَامِهَا الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي هِيَ
 الْأَلْفَاظُ الْبَسِيطَةُ وَالْمَعَانِي الْمَعْجُودَةُ وَالْمَرْكَبُ مِنْهُمَا الَّذِي هُوَ ذَاتُ الْبَلَاغَةِ ،
 وَتَدْبِيرُهُ مِنْ جِهَةِ كَيْفِيَّتِهِ وَمِنْ جِهَةِ كَمِّيَّتِهِ وَمِنْ جِهَةِ تَرْتِيبِهِ .

وَنَحْنُ نَخْتَمُ هَذَا الْبَابَ عَلَى هَذَا الْمَعْدُ ، وَنَأْخُذُ فِي الْقَوْلِ عَلَى مَا يَلِيهِ ، إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الباب الثالث

في أقسام البلاغة الفرعية

وإذ كُنَّا قد استوفينا القولَ على أقسام البلاغة الأصلية الحالَّة منه محلُّ الأركان والقواعد والأساس والأروم ، فلنأخذ الآن في القول على أقسامها الفرعية الواقعة منها موقعَ الأعضاء والأجزاء والأفتان والأغصان ، وهي عشرة أقسام :

الإيجاز والاستعارة والتشبيه والبيان والنظم والترتيب والتلازم والتصرف والمشاكلة والمثل .

ولنقدم قبل الأخذ في هذه الفنون القولَ على الحقيقة والمجاز والفرق بينهما والوجه في استعمالهما لحاجة الكاتب إلى العلم بهما في تصريف الكلام واختراع الاستعارات إن شاء الله تعالى .

قول في الحقيقة والمجاز :^(١)

لَمَّا كانت العبارة هي الدلالة التي يُوَصَّلُ بها إلى الإفهام ، وكان لا سبيل إلى إيصال المعنى المحمول عليها إلى الفهم إلَّا بأنْ تكونَ مُبَيَّنَّة على التحقيق دون التوسع ، احتيجَ إلى معرفة الفرقان بين الحقيقة والمجاز ، لتلا يُطْلَقَ القول مجازاً على معنى فيظنَّ سَامِعُهُ أَنَّهُ حقيقة ذلك المعنى .

فالحقيقة : هي القول الدالُّ لصيغة اللفظ الذي لم يُغَيَّر عن أصله المستغنى في الإبانة عن وسيطه من مراجعة شيء يكونُ أصلاً لذلك اللفظ ، وهي على ضربين : أصلية وفرعية .

(١) ينظر في الحقيقة والمجاز : المحصول ٣٩٥/١ - ٤٨٧ ، الكوكب الذي ٤٨٥ ، شرح الكوكب المنير ١٢٦/١ - ١٩٨ . وينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٤٥٣/٢ و ١٩٣/٣ وما فيه من مصادر.

فالأصلية: هي التي لن تغيّر العبارة فيها عن أصلها، كقولك: الله العادل.
والقرعية: هي التي تقلب إلى أصل ثانٍ يحلُّ منها محلُّ الأول في الإبانة
عن المعنى من غير تقدير الأصل، كقولك: الله العدل^(١). وذلك أن العدلَ
يصدرُ ولكنه كثرَ فظهرَ معناه كظهور معنى الأوصاف وصارَ (١١٤) دالاً من غير
تقدير الأصل كما تدلُّ الحقيقة الأصلية.

وأما المجازُ فهو القولُ المعبَّرُ عن أصله الدالُّ بتقدير الأصل المفتقر في
الإبانة إلى وسيطه (من) مراجعة شيء يكونُ أصلاً لذلك اللفظ، وهو كقوله
تعالى: ﴿وَتَكَلَّى الْقَرِيْنَةَ﴾^(٢) لأنه يدلُّ متى فُكِّرَ أصله ورجع إليه، وهو:
واسأل أهل القرية.

ولكلِّ مجازٍ حقيقةٌ وهي ذكرُ الأصل، وجميعه مُعَبَّرٌ عن أصله، وأصله
حقيقة المرجوع.

وأكثر ما يقع المجازُ في الحذف والاستعارة والتقديم والتأخير توسعاً في
اللغة.

والفرق بين الحقيقة والمجاز أن المجاز إنما يظهرُ معناه برده إلى أصله،
والحقيقة معناها ظاهرٌ في لفظها لا يحتاج أن يرده إلى غيره.

ولا يخلو استعمال المجاز من أن يكون للبلاغة أو للتوسع في العبارة أو
لإيضاح المعنى وتقريبه، ولهذا يُعدَّلُ عن الحقيقة إليه.

ومن المجاز في كتاب الله تعالى قوله في الكافر:

﴿قَاتِمٌ هَكَوِيَةً﴾^(٣) لثا كانت الأم كافلة الولد، وكانت النار للكافر
كذلك جعلها أثراً.

(١) في الأصل: العادل.

(٢) يوسف: ٨٢.

(٣) القارعة: ٩.

وقوله في أزواج رسول الله ﷺ :

﴿وَأَزْوَاجُهُمْ أَسْهُمٌ﴾^(١) أي كأنهن أمهاتهم في الحرّات .

وقوله تعالى : ﴿سَمِعْنَا لَكُمْ آيَةَ الْفَلَاحِ﴾^(٢) ومجازه : متفقد لكم بعد طوله الترك والإمهال ، لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن .

ومن المجاز في كلام الناس قول القائل : (سل الأرض من شئ أنهارك ، وغرس أشجارك وجمي ثمارك ، فإن لم تجبك حواراً أجايتك اعتباراً) ، فاستعار لفظ (سل) وإنما يريد : استدل واعتبر بالأرض ، (١١٥) وفيه حذف أيضاً لأنه أراد : فقل من شئ أنهارك .

ومنه قول امرئ القيس^(٣) :

وليل كموج البحر مَرَّخٌ سُدُولُهُ عليّ بأنواع الهموم ليلتي
فقلتُ له لئما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناءً بكلكل
إلا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بضبح وما الإصباح فيك بأنثلي
فاستعار السدول ، وهي السور ، وتمطى وأردف والكلكل ، وهو الصدر .

وعاطب الليل بالأمر على جهة استعارة اللفظ ، والأصل في (مرخ سدولة) متكافئ الظلمة . وفي (تمطى بصلبه) امتد الوقت ، شبه بالكسلان الذي يتمطى ولا يبرح في موضعه . وفي (أردف أعجازاً) أتى بظلمة بعد ظلمة . وفي

(١) الأحزاب : ٦ .

(٢) الفرقان : ٣١ .

(٣) ديوانه ١٨ . وجاء في هامش الأصل : (وفي الصلب ثلاث لغات مشهورة : بضم الصاد وسكون اللام ، وبضمهما ، وبفتحهما ، ولفظة غريبة وهي الصقب) . وأشار إلى الزورني (بنظر : شرح المحققات للزورني : ٤٦) . وجاء هامش آخر في شرح البيت الثالث عن الزورني . (والمعنى : قلت لليل لما فرط طوله وثامت أوائله وازدادت أوائره تطاولاً . وطول الليل ينسب عن مقاسة الأحران والشدائد والسهرة المتوكله منها ، لأن المضموم يستطيل ليله والمسرور يستقصره) . (الزورني ٤٧) .

نَاء بكلكل) تهباً أوله للذهاب ، شيهة بالبحير إذا نهض بصدره . وفي (ألا انجلي) ليت الليل انجلي بالصباح . ومنه قول الكُمَيْت^(١) :

أخْبَرْتُ عَنْ فَعَالِنِ الْأَرْضِ وَاسْتَطَقَ مِنْهَا الْيَتَابُ وَالْمَعْمُورَا
أَرَادَ أَنَّهُ حَفَرَ فِيهَا الْأَنْهَارَ وَغَرَسَ الْأَشْجَارَ وَأَبْرَ الْأَبَارَ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ لِلنَّاسِ
صَارَتْ كَأَنَّهَا مُخْبِرَةٌ بِذَلِكَ .

وقول عوف بن الحر^(٢) ، وذكر الدار :

وَقَفْتُ بِهَا مَا يَبِينُ الْكَلَامَ لَسَائِلِهَا الْقَوْلَ إِلَّا سِرَارَا
يقول : ليست تبين الكلام لمخاطبها ، إلا أن ظاهر ما ترى دليل على الحال ، فكأنه سرائر من القول .

(١١٦) وقول الآخر^(٣) :

شكا إليّ جملي طُولَ الشَّرَى

والجمل لم يشك ولكنه خبر عن كثرة أسفاره وإتاعيه جملة ، ففضى على الجمل بأنه لو كان متكلماً لاشتكى ما به .

ومثله قول عنترة^(٤) ، وذكر قرطبة :

فَأَزْدَدُ مَنْ وَقَعَ الْقَنَا بِلَابِهِ وَشَكَا إِلَيَّ بِمَيَرَةٍ وَتَحْمُصِمِ

ليس الفرسي شكوى ولا استعبار ، لكنه لما كان الذي أصابه يشكى منه ويستعير جملة شاكية مستعبراً ، ولهذا قالت الحكماء : (كل صامت ناطق) .
يريدون أن أثر الصنعة يدل على محدثه ومُدْبِرِهِ .

(١) شعره : ٢٠٣/١ .

(٢) المنفصلات ٤١٣ وشرح المنفصلات ٨٢٧ ورواية الصدوق فيهما : وقفت بها أملاً ما تبين .

(٣) التلخيص من حرملة في شرح لبيت سيبويه ٣١٧/١ . وينظر : فرحة الأديب ١٧٩ .

(٤) ديوانه ٢١٧ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قَوِّمْنَا فِيهَا جَدَارًا رِيْدًا أَنْ يَنْقَضَ ﴾ (١) .
ومثله قول الشاعر (٢) :

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِسَلَمِي لَزَمَانٌ يَمُومٌ بِالْإِحْسَانِ
وقول الآخر (٣) :

بِرِيدِ الرِمَحِ صَنُرُ أَبِي بَرَاءٍ وَيَرْغُبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عُقَيْلٍ
وأمثال هذا كثير .

وقد بجيء من المجاز ما يشكل ، وهو المصادر ، كالتحرُّك والسكون والبقاء والوجود . وذلك أنَّ هذه الأسماء موضوعة على تقدير أنَّه إن كان للموصوف معنى لأجله صار على ما وُصِفَ به فالاسم له حقيقة ، وإن لم يكن له معنى لأجله صار على ما يُوصَفُ به فالاسم له مجاز . فلما كان التحرك والسكون واقعيين على معنى كان الاسم (١١٧) لهما على الحقيقة إذ هما على ما قُدِّرَ .

ولمَّا كان البقاء والوجود لا يقعان على معنى لم يكن الاسم حقيقةً وكان مجازاً .

والأصل في وضع الجميع التشبيه بما يتيقن أنَّه من أجل معنى ، كقولك : (والدُّ) من أجل الولد ، و(موسيرٌ) من أجل اليسار ، وما أشبهه فهو على التقدير .

والأصل في التقدير كان معنى به صار بالبقاء باقياً كما صار الموسيرُ باليسار موسيراً . فأجرئ المصدر الذي لا يتيقن على التقدير ، وجعل اللفظ موقوفاً في الحقيقة والمجاز على ما يُخرجه الاستنباط .

(١) الكهف : ٧٧ .

(٢) صبر بن أبي ديمة ، ديوانه ٢٩١ - وفيه : بِسَلْمِي . . . بهم .

(٣) بلا عزو في الأغنياء ١٧٢ .

ولعمدرو هذا المعنى غلط قوم فجعلوا الحركة والسكون كالبقاء والوجود في أنهما أسماء لا مُسَمَّى تحتها ، وإنما تمَّ ذلك عليهم لأنهم راعوا المقابلة بالألفاظ دون الاستدلال والاعتبار .

ومن حُكم المجاز أن لا تقع عليه مقابلة ، وذلك أنه لو سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ قَوِّمْنَا فِيهَا جَنَاتًا نُرِيدُ أَنْ نَبْقِضَ ﴾^(١) فقال : هذه الإرادة من يفعل مَنْ ؟ لأخطأ إذ المجاز لا يقع فيه قياس وإنما يقاس بالحقيقة ، والمجاز لا يتصرف تصرف الحقيقة ولا يطرُد أطرادها ، ألا ترى أنه يقال : إنَّ الله تعالى بكلِّ مكان ، ولا يقال : إنه في البيت ولا في السوق .

ومن المجاز ما يشكُّل معناه حتى يفسَّر بالحقيقة ، ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ فَأَنبَأَ اللَّهُ يَتِيمَهُمْ بِرَبِّكَ الْقَوَّامِ ﴾^(٢) معناه : أناهم برباهم . وقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْمَرْيَمَ ﴾^(٣) أي استولى . وقوله : ﴿ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾^(٤) أي قصد وعتمد .

وقد تتداخل الحقيقة والمجاز فيشبهان ، والطريق إلى تمييز أحدهما عن الآخر أن يراعى الكلام ، فما كان مفتقراً إلى (١١٨) إحصاء ذكر الأصل فهو مجاز ، وما استغنى عن مراجعة الأصل فهو حقيقة أصلية ، وما دلَّ ، وهو^(٥) فرع ، واستغنى عن مراجعة أصله لكثرة وظهوره فهو حقيقة فرعية .

وتنصل الحقيقة من المجاز بتغير الكلام عن أصله ، إمَّا بزيادة أو نقصان أو حذف أو إبدال أو تقديم أو تأخير .

فالزيادة أن يكون الكلام بإدخال الكلمة وإخراجها لمعنى واحد ، كقوله

(١) الكهف : ٧٧ .

(٢) النحل : ٢٦ .

(٣) الأعراف : ٥٤ .

(٤) البقرة : ٢٩ .

(٥) في الأصل : ضمير .

تعالى : ﴿ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ الْأَخْفَى ﴾^(١) ، ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا ﴾^(٢) ، ﴿ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾^(٣) ، ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْكُمْ مِنْ قِتْلٍ ﴾^(٤) ، ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾^(٥) ، ﴿ وَلَقَدْ مَكَنْتُمْ بِمِثْلِ مَا مَكَنْتُمْ فِيهِ ﴾^(٦) ، ﴿ وَمَا قَلِيلٌ ﴾^(٧) ، ﴿ أَيَا مَا تَدْعُوهُ ﴾^(٨) ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٩) ونظائر لهذه كثيرة في كتاب الله سبحانه وتعالى .
وكقولك : ما جاءني من أحد وليس زيد بقائم .

والحذف أن يكون الكلام لا يصح حتى يُقَدَّرَ معه شيء آخر كقوله تعالى :
﴿ وَتَحِلُّ الْقَرْيَةُ ﴾^(١٠) ، أي أهل القرية . وقول العرب : (بنو فلان تطوهم الطريق)^(١١) ، أي أهل الطريق .

والإبدال أن يكون الأصل غير الملفوظ في الاستعمال ، وهو يقع في باب الاستعارة كثيراً ، كقوله تعالى : ﴿ سَبِّحُ الْقُلُوبَ ﴾^(١٢) أي مجيب الدعاء .

والتقديم والتأخير أن يكون الكلام على غير أصله في الترتيب كقولهم :
(أدخلت القلنسوة في رأسي)^(١٣) . وإنما هو أدخلت رأسي في القلنسوة .

وقد يُغَيَّرُ الشيء عن الأصل ولا يُغَيَّرُ ما كان في معناه ، وذلك كقولهم في

(١) قل عمران : ١٥٩ .

(٢) العنكبوت : ٣٣ .

(٣) الأعراف : ١٥٤ . وفي الأصل : والذين . وما أثبتاه من المعصيف الشريف .

(٤) الذاريات : ٥٧ .

(٥) النور : ١٣ .

(٦) الأحقاف : ٢٦ .

(٧) المؤمنون : ٤٠ .

(٨) الإسراء : ١١٠ .

(٩) الشورى : ١١ .

(١٠) يوسف : ٨٢ .

(١١) اللسان (وعلا ، طرق) وفيه : يطوهم .

(١٢) قل عمران : ٣٨ .

(١٣) اللسان (سكت) .

صفة الله تعالى : علي بمعنى قاهر ، ولا يقولون : رفيع بمعنى قاهر .

وأول التبرير مجاز ، فإذا كثُر حتى يستغني في دلالة عن مراعاة (١١٩) أصله فهو حقيقة ، فنقول : لم يزل الله علياً ، لأن هذه اللفظة قد كثُر استعمالها بمعنى قاهر حتى صارت حقيقة .

والفصل بين الحد والحقيقة أن الحد يفيد علماً بالمحدود غير العلم الأول ، والحقيقة إنما تأتي بالدلالة الموضوعة له على التحقيق دون المجاز ، فإن قال قائل : ما حقيقة سميع الدعاء ؟ قلنا : موجب الدعاء . وهذا ليس بحد إذ لا يفيد علماً غير العلم الأول ، والحد [ليس] من التفسير اللغوي في شيء . والحد لا يبد أن يفصل المحدود من غيره ويميّزه من سواء ، والحقيقة قد تكون ما ليس له غير ، كقولك : الشيء ، فإنه لا غير له فيفصل منه .

وأيضاً فإن الحد يقوم من الجنس والفصل والحقيقة تقوم من الأصل والحقيقة نظير الأصل في العبارة ، والتحقيق نظير التحديد ، ومطابقة اللفظ للمعنى نظير الحقيقة ، والفرع في الكلام والتعبير عن الأصل نظير المجاز ، والعلة التي من أجلها كان القول حقيقة دلالة على المعنى بغير وسيطة ، وسواء كان ذلك في أول الوضع أو صار عليه فيما بعد ، والعلة التي لأجلها كان القول مجازاً دلالة على المعنى بتقدير الأصل ، ولا يكون كذلك إلا وهو معبر عن الأصل .

وقد تكون دلالة المجاز أوضح من دلالة الحقيقة ، وذلك بالإيجاز والاستعارة : أمّا الإيجاز فله سهولة المطلب وقرب المتناول ، وأمّا الاستعارة فلإخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة .

والمجاز كله مع ذلك إذا وقع فيه التباس^(١) فُسّر بالحقيقة ، وإنما يكون المجاز أوضح إذا أوصل إلى النفس معنى الحقيقة (١٢٠) وزاد عليه في الدلالة

(١) في الأصل : التباس .

ما يَكُونُ تَمَيُّزٌ لَهُ المثل المضروب للحقيقة ، فأما إذا عُرِبَ عن النفس معنى الحقيقة فلا بُدَّ من الرجوع إليه بالتفسير له .

وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ المجازَ كذبٌ . وهذا قولٌ فاسدٌ ، لأنَّ الصديق والكذب إنما يدخل في الإخبار ، ولو كانَ المجازُ كذباً وكلُّ فعلٍ ينسبُ إلى مَنْ لا يصحُّ منه الفعلُ باطلاً لفسدَ أكثرُ الكلامِ لأنَّهم يقولون : تَبَّتْ الْبُقْلُ ، وطالَ الشَّعْرُ ، وأبْنَعُ الشَّعْرُ ، ورخصَ الشَّعْرُ ، وكانَ هذا الفعلُ منك في وقتٍ كذا ، والفعلُ لم يكن وإنما كُؤِنَ ، والله سبحانه يقولُ : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأُمُورُ ﴾^(١) والامرُ لا يعزمُ وإنما يعزمُ عليه . ويقول : ﴿ فَمَا يَصْحَتُ يَجْعَزُهُمْ ﴾^(٢) والتجارةُ لا تبيعُ وإنما يبيعُ فيها .

ولو شاءَ معيِّرُ أن يعيِّرَ عن هذه الأحوالِ وأمثالها بعبارة لا يُنسبُ إليها فينلَ لتعذُّرٍ عليه في هذه اللغة ، نعم وفي غيرها من اللغات . والعربُ تقولُ : (بأرض بني فلانٍ شجرٌ قد صاح) ، إذا طالَ ، لما تبيَّنَ الشجرُ للناظرين بطوله دلٌّ على نفسه ، جعلوه كأنَّه صاح ، لأنَّ الصائحَ يدلُّ على نفسه . ومثله قولُ العجاج^(٣) :

كالكسرمِ إذ نادى من الكافور

وتقولُ : هذا شجرٌ واعدٌ ، كأنَّه لما نَوَزَ وَعَدَ أَنْ يَشْمَ ، ونباتٌ واعدٌ : إذا أقبلَ بقاءه ونَفَسَرَه . قال سُوَيْدُ بْنُ كُرَاعٍ^(٤) وذكر النَّوَزَ :

رَعَسَ غَيْرَ مَلْعُورٍ بِهِنَّ وَرَاقَهُ لَعِيسَاحُ نَهَادَهُ الدَّكَادِكُ وَاِئِدُّ^(٥)
(١٢١) وهذا كافٍ في تعرفِ أحكامِ المجازِ .

(١) محمد : ٢١ .

(٢) البقرة : ١٦ .

(٣) ديوانه : ٣٣٩/١ .

(٤) شعراء مقلون : ٥٢ .

قول في الإيجاز^(١) :

قد^(٢) ذكرنا عند القول على كمية الكلام المواضع التي تصلح للإيجاز والاختصار وحذف فصول الكلام ، واستوفينا ما يختص بهذا المعنى هناك استيفاءً لا تحتاج معه إلى إعادة قوله فيه .

ونحن نذكرها هنا ماهية الإيجاز وأوضاعه والوجه في استعماله ، لنكون قد وقينا هذا الكتاب حقه بوضع كل فن منه في موضعه .

فنقول : إن الإيجاز هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف .

وهو على ضربين :

أحدهما : مطابقة العبارة للغرض من غير زيادة ولا نقص ، وهذا الذي قلنا فيما تقدم إنه مساواة اللفظ للمعنى .

والآخر : أن يكون في اللفظ حذف للثناء عنه في ذلك الموضع ، كقولك : بنو فلان يطوهم أهل الطريق ، والسخاء سخاء حاتم . والمحذوف : بنو فلان تطوهم الطريق ، والسخاء حاتم .

وقد يحذف المبتدأ ، كقولهم : الهلال والله . وقوله تعالى : ﴿ شِئْرُ أُزْلَيْهَا ﴾^(٣) أي : هذا الهلال ، وهذه سورة .

ويحذفون الخبر ، كقوله سبحانه : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾^(٤) . أي : طاعة وقول معروف أمثل ويحذفون خبر (إن) ، كقول الشاعر^(٥) :

(١) ينظر في الإيجاز : التكت في إصجاز القرآن ٧٦ ، الصناعين ، ١٧٩ ، المصنعة ١/ ٢٥٠ ، نهاية الإيجاز ٣٤٧ ، تحرير التعبير ، ٤٥٩ ، جوهر الكثر ٢٦٨ ، الإيضاح ١٨٢ ، البيان للطبيي ، ١٤٥ ، الطراز ٨٨/٢ ، الخزانة للصموي ، ٣٦٤ .

(٢) في الأصل : عند .

(٣) النور : ١ .

(٤) محمد : ٢١ .

(٥) الأعمش ، ديوانه ، ٢٢٣ .

إِنْ مَنَعَلَا وَإِنْ مَرَّتَخَلَا وَإِنْ فِي الشُّفْرِ إِنْ مَقَّوَا مَهَلَا
أي : إن لنا محلاً .

ويحذفون الجواب ، كقوله عز اسمه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ خَلِّمَ بِهِ الْأَمْوَالُ ﴾^(١) . كأنه قيل لكان هذا القرآن . وقوله تعالى (١٢٢) : ﴿ وَبِيبْقِ الْأَوْبَانِ اتَّقُوا رَبَّ إِلَى الْجَنَّةِ مَرَّاحِينَ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا مَلَمٌ عَلَيْكُمْ طُبْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَائِدِينَ ﴾^(٢) . فكأنه قيل :

حصلوا على النعيم الذي لا يشوبه تكدير ، وإنما صار حذف الجواب ها هنا أبلغ من إتيانه ، لأن النفس تذهب كل مذهب ، ولو ذكر لكان مقصوداً على ما ذكرناه .

ويحذفون المضاف ويقيمون المضاف إليه مقامه ويجعلون الفعل له ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَنْشِرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْيُسْجَلَ ﴾^(٣) أي : حبب العجّل ، وقوله : ﴿ وَلَكِنْ أَلَيْسَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾^(٤) ، أي : بئ من آمن بالله ، وقوله : ﴿ وَمَنْ لِي الْفَرِيَّةِ ﴾^(٥) ، أي : أهل القرية ، وقول الهذلي^(٦) :

يُخْسِرُ بَيْنَنَا حَانُوتُ خَمِيرٍ مِنْ [الْخُرْس] الصراصرة القِطَاط
أي : صاحب حانوت خمر .

ومن الحذف أن يوقع الفعل على شيئين وهو على أحدهما ويضمر للآخر فعله ، كقوله تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَالَّذِينَ لَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا بُعْثًا مِمَّا يُكَفِّرُونَ ﴾^(٧) .

(١) الرعد : ٣١ .

(٢) الزمر : ٧٣ .

(٣) البقرة : ٩٣ .

(٤) البقرة : ١٧٧ .

(٥) يوسف : ٨٢ .

(٦) المختل : ديوان الهذليين ٢/ ٢١ ، وما بين القوسين منه .

والخرس الصراصرة : يريد أعجم من نبط الشام يقال لهم الصراصرة ، والقِطَاط : الجعاد .

يَصْدُقُونَ عَنْهُ وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٧﴾ وَفَكَفَّهُمْ سُبْحَانَ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٨﴾ وَيَقْرِ طَبِيرَ سُبْحَانَ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ وَحُورٌ
عِثَّ ﴿٢٠﴾ (١) ، والفاكهة والهور واللبم لا يطاف ، وإنما أراد : ويؤتون بها كفة
ولحم طير وحور ، وكقول الشاعر (٢) :

إِذَا مَا الْغَنَائِاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا
وَالْعُيُونُ لَا تُرْجَعُ ، وإنما أراد : وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَكَعَلْنَ الْعُيُونُ .

ويحذفون الكلمة والكلمتين اختصاراً كقوله تعالى : ﴿ وَكَوْزٍ تَرْجَى إِذِ
الْمُخْرَجُونَ نَاقِصُوا رُؤُوسِهِمْ مِنْ دَبَّحَةٍ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ (٣) (١٢٣) أي :
يقولون ربنا أبصرنا وسَمِعْنَا ، وكقول ذي الرمة (٤) يصف حميراً :

فَلَمَّا لَبَسَ اللَّيْلُ أَوْ حِينَ نَصَبْتُ لَهُ مِنْ خَلْدِهَا آذَانَهَا وَهُوَ جَامِعُ
أَرَادَ : أَوْ حِينَ أَقْبَلَ . وكقوله تعالى : ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٥) . أي : هي للذين آمنوا في الحياة مشتركة وفي الآخرة خالصة .

ويحذفون بعض الكلام بالاختصار والإضمار فيشكل ، كقوله تعالى :
﴿ آمَنَ زَيْنٌ لَمْ يَمُوتْ عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ
نَفْسُكَ عَنْهُمْ حَزَنٌ ﴾ (٦) . والمعنى : آمَنَ زَيْنٌ لَهُ سَوْءُ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا ذَهَبَتْ
نَفْسُكَ حَزَنًا عَلَيْهِ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ حَزَنًا عَلَيْهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
ويهدي من يشاء . وكقول الشاعر (٧) :

فَلَا تَدْفِنُونِي إِنْ دَفَنِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ خَامِرِي أَمْ حَامِرِي

(١) الواقعة : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

(٢) الرامي السبيري ، ديوانه : ٢٦٩ .

(٣) السجدة : ١٢ .

(٤) ديوانه ٨٩٧ وفيه . وهو جاتج ، والخلفا : الاسترخاء .

(٥) الأعراف : ٣٦ .

(٦) طاهر : ٨ .

(٧) الشنفرى ، شعره : ٣٦ ، وروايته .

لا تقبروني إن فري لا تقبروني إن فري .

پیرید : لا تدفونونی ولكن دعونی للتي يُقال لها إذا جِئْتُ : خامري أم
عاصم ، یعنی الضیمة لیا کانی .

ويحذفون جواب القسم ، كقوله تعالى : ﴿ ق وَالْفَرْقَانِ الْمَجِيدِ ﴾ بل يحذفون
جاءهم مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿١﴾ لَوْ أَنَّا رَأَيْنَا ذَلِكَ مِثْلَ
بَيْتِ ﴿٢﴾ ١ . كَأَنَّهُ قِيلَ : ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ لَتُبْعَنَّ ، فقال الكافرون : هذا
شيء عَجِيب ، أَتَدْرَأْنَا نُبْعَنَّ ، ثم قالوا : ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ .

ويحذرون (لا) من الكلام ، والمعنى إثباتها ، كقوله تعالى : ﴿ تَأْتِيهِمْ نَفَسٌ ﴾
تَذَكَّرُ يُوسُفُ^(٦) . والمعنى : لا تزال تذكر يوسف . وكقول الشاعر^(٧) :

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَجْرُحُ قَاعِداً

(١٢٤) ومن الحذف أن يضمروا لغير مذكور اختصاراً ، كقوله تعالى : **حَتَّىٰ تَلُوتَ بِالْجَبَابِ** ^(٤) ، يعني الشمس ولم يذكرها قتل . وكقول لبيد ^(٥) :

حتى إذا ألْقَيْتَ يَدَا فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ النُّورِ فَلَا تُهَيِّئْ لَهُم مَخْرَجًا وَيُخَذُّونَ الصَّفَاتِ، كَقَوْلِهِ، عَزَّاسُهُ: ﴿وَإِذَا كَالَيْهِمْ أَوْزُونُهُمْ يَخِرُّونَ﴾ (١)، والمعنى: وإذا كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ يَخْسِرُونَ.

ومن مستحسن الإيجاز المطابق قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ ^(٧)
لِغَايَةِ مَنْ حَسَّنَ النِّظْمَ وَقَلَّ الْحُرُوفُ وَوُضِّحَ الْإِبَانَةُ .

(١) ق ١ - ٣ وما بين قوسين من المصحف الشريف لأن السياق يقتضيه .

(۲) صف : ۵۸

(۳) امری القیس ، دیوانہ ، ۳۲ ، و ص ۷۰ ، دار الفکر ، بیروت

22:10 (1)

213: 213 (0)

(٦) المطففين ٣٠ وفي الأما ١٠

(٧) البقرة : ١٧٩

وقوله تعالى: ﴿يَسْجُدْ كُلُّ مَخْلُوقٍ عَلَيْنَا﴾^(١) والغرض فيه المبالغة في وصفهم بالفرع ، وقد بلغ في سهولة العبارة وقلة النظم كل مبلغ في الرصف بذلك .

وقول النبي ﷺ : « إنكم لتكثرُونَ عندَ القَرْعِ وتقلون عندَ الطَّمْعِ »^(٢) ، وقوله : « المرء كثيرٌ بأخيه »^(٣) .

وقول علي عليه السلام : (قيمة كل امرئ ما يُحسِنُ)^(٤) ، وقوله : (المرء مخبوءٌ تحت لسانه وتكلموا تُعرفوا)^(٥) .

وقول ابن عباس^(٦) : وقد شئت : أني لك هذا العلم ؟ فقال : قلب عقول ولسان سؤل .

والإيجاز على ضربين : حذف وحضّر .

فالحذف : إسقاط كلمة من الأصل ، ! وقد مُثلَ بأمثلة كثيرة .

والحضرّ : إيراد المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة ، كقول امرئ القيس^(٧) :
على عَيْكَلٍ يَمَكِكُ [قبل سؤاليه] أفسانيسَ جَزِيٍّ غَيْرَ كَرٍّ وَلَا وَاثِنٍ
(١٢٥) لأنه قد جمع بقوله (أفانيس) ما لو فصله وعدده لكان كثيراً .

فالكلام ينسبُ إلى الطول لثلاثة أشياء : الخروج عن الغرض ، وسلوك الطريق الأبعد في الإبانة عن المعنى ، وكثرة الفائدة .

(١) المتفقون : ٤ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٤٣/٣ .

(٣) مستند الشباب ١/١٤١ ، الدرر المنيرة ١٧٧ .

(٤) البيان والتبيين ١/٧٧ .

(٥) نهج البلاغة ٤٩٧ .

(٦) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، صحابي ، م ٦٨ هـ . (أسد الغابة ، ٢٩٠/٣ ، الإصابة ١٤١/٤ .

(٧) ديوانه ٩١ ، وما بين قوسين منه .

فالأول : كالذي يدخل في الدعاء من الإطراء والتعظيم والتشبيب الذي يتقدم المدح .

والثاني : كقولك : تحرك حركة سريعة في مكان : أمرع .

والثالث : كقولك في المدح : فلان نعم الرجل .

فإن قلت : صححت ديانته وثبتت مروءته ، فقد أفدت تفسير الأول .

فإن قلت : كريم الأصل زكي الفرع ، فقد زدت في الفائدة ما لم يتقدم ذكره في جملة ولا تفصيل .

والكلام يتفاضل في الإيجاز ، وذلك كقولك : لو جاز أن يقوم الإنسان لكانت قيمته بحسب ما يحسن . وأحسن منه قول علي عليه السلام : (قيمة كل امرئ ما يحسن) .

ومن مستحسن الشعر الموجز قول زهير (١) :

مَنْ يَلْقَ يَمّاً عَلَى عِلَاقِهِ هَرِمّاً يَلْقَ السَّامِحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقاً
وقول جرير (٢) :

إِذَا غَفِيتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَاباً
وقال عبد الرحمن بن حنّان (٣) :

وَأَنْ أَمْرًا يُعْصِي وَيُصْبِحُ سَالِمًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ
والنظم الوجيز كثير .

والاختصار على ضربين : اختصار بإسقاط معنى ، واختصار من غير إسقاط معنى .

(١) ديوانه ٥٢ .

(٢) ديوانه ٨٢٢ .

(٣) شعره ٢٢٠ .

(١٢٦) فالاختصارُ إسقاطُ معنى يحسُن عند ذكر الأهمِّ وما كانت الحاجة إليه الزم لتقدُّم الأوَّلِي بالتقدمة .

والاختصار من غير إسقاط معنى يكون لخمسة أوجه :

الجملة والاستعارة والتشبيه والتخليص والترتيب .

فالاختصار بالجملة يوضحه التمثيل بالعدد ، لأنَّك إذا قلت :

(عليه تسعةٌ واحد عشر وثلاثة عشر وسبعة عشر) ، كان قولك (عليك

خمسون) اختصاراً من التفصيل ولم يخل .

ومن الاختصار بالجملة ذكر الجنس بدلاً من الأنواع ، كقولك : (الله خالقُ

الأنفلاك والأرضين والرياح والأمطار والشحب والحيوانات وغيرها من

الجزئيات والكليات) . فإذا اختصرت قلت : (الله خالقُ كلِّ جوهر موجود) ،

أتيت بالمعنى من غير إخلالٍ ، إلَّا أن تفصيل الأنواع أثبت ، فذكره يحسن في

موضع الإطناب للبيان . ومنه : وضع الاستخبار على النظام ، كقولك :

(أين فلان) ؟ فقد انتظم كل ما يستخبر عنه من الأمكنة وأغنى عن قولك :

(أفان بالشام أم بمصر أم بالعراق أم بغيرها) ؟ .

والاختصار بالاستعارة يبين المعنى الغامض ويخرج ما لا تقع عليه الحاشية

إلى ما تقع عليه الحاشية وما لم تتمكن به المعرفة إلى ما تتمكن به ، ويوجب

اختصاراً لا محالة ، لأنَّه لو عبّر عنه على الحقيقة لاحتجج إلى شرح طويل يظهره

بعد غموضه ، ومثال ذلك أنَّك لو أسقطت الاستعارة من قوله امرئ القيس^(١)

في وصف القرس (قيد الأوبد) لاحتجت أن تقول : (هذا القرس لشدة غدوه

(١٢٧) يتمكن من أخذ الأوبد أشد تمكن فكانه يقبضها) ، وصفته به (قيد

الأوبد) يبنى عن هذا كله .

(١) ديوانه ١٩ وهو : ولد أغندي والطير في دكانها بمنجد قيس الأوبد هيكلي

والاختصار بالتشبيه^(١) يُخرج المعنى الأغمض إلى الأوضح كما تُخرجه الاستعارة ، وذلك أَنَّك إذا قلتَ : (إدراك العقل للمعاني كإدراك البصر للمبصرات) أوضحت واستغنيت عن إطالة الشرح والتفسير .

والاختصار بالتخليص أَنَّك إذا خلَّصْتَ معنى مما اختلط به استغنيت أن تذكر ما ليس منه مع ذكره . وهذا يُدرك بالبحث عن الغرض وما يُحتاج في الغرض إليه وما يُطابقه . فإذا علمتَ هذه الأشياء بأن الحشو في الكلام والفضول التي لا يُحتاج إليها .

فإنما الاختصار بالترتيب فإنَّ الترتيب إذا وقع في الكلام بأنَّ واستغنى عن الشرح ، وإذا عُدِمَ الترتيب استغنى واحتاج إلى التكرير والتفسير ، ومن عرف مرية الشيء قصده واستغنى عن تطلبه ، ولا يستوي مَنْ طلب شيئاً ومن عرف موضعه ، إذ مَنْ طلب شيئاً وهو يعرف موضعه غير محتاج إلى تكلف ما يحتاج إلى تكلفه مَنْ طلب شيئاً وهو لا يعرف موضعه . وهذه سبيل المعاني إذا رُبِّت وإذا لم تُرَبِّب .

والإيجاز والإطناب المقرونان بالإبانة داخلان في حكم البلاغة ، كما أنَّ التفسير والتطويل داخلان في حكم العمي كما ذكرنا فيما سلف .

والإيجاز شرطه ألا يخل بشيء من المعنى المُفاض فيه ، وليس كذلك التفسير فإنه لا بُدَّ من تخلُّل الإخلال له .

والإطناب حكمه تفصيل المعنى وإيراد توابيعه (١٢٨) واقتصاص الفروع المتشعبة منه في المواضع التي يحسن فيها التفصيل ، وله أمانة يفترق فيها إلى استعماله قد عددناها فيما تقدَّم .

وأما التطويل فعمي لأنه تكلف الكثير فيما يكفي فيه القليل ، ومستعمله كسالك الطريق البعيدة جهلاً منه بالقرية التزمت ، ومستعمل الإطناب البين ليس

(١) في الأصل : بالنسبة ، وهو خطأ .

كذلك لأنه كسالك طريق بعيدة .

والإيجاز أيضاً على وجهين :

أحدهما : إظهار النكتة بعد الإحاطة بشرح الجملة ، وهذا يكون في العلوم القياسية ، لأنَّ الجملة إذا حصلت اكتفى بذكر النكتة^(١) لأنها حيث تكون دالة عليها . وهذا الضرب من الإيجاز لا يكون إلا بعدما يتقرر في النفس من المعرفة بشرح الجملة .

والآخر : اختصار المعنى بأقل ما يمكن من العبارة ، وهذا لم يتقرر له حال خاصة يكون جاراً لها من حيث يعلّق بها عند مَنْ فهم كيف وجه التعلّق فيها .

وهذا كافٍ في معرفة أحكام الإيجاز ، ومع بسطنا للقول في الإيجاز وتعرّينا بضروبه ووجوه فلا ينبغي للكاتب أن يستعمل أكثر ما ذكرناه من الحذف الواقع فيه في الرسائل ، ذاعياً في ذلك مذهب القرآن ، فإن القرآن نزل بلغة العرب فخطوبوا بالمتعارف بينهم ، وليس كذلك حكم الرسائل ، وإنما ينبغي له أن يعرف أحكامه ، ويكون الذي يستعمله من الإيجاز جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة ، والمطابقة التي هي مساواة اللفظ للمعنى في المواضع التي (١٢٩) تقتضي ذلك حسبما بيّناه في باب البلاغة وأقسامها الأصلية .

قول في الاستعارة^(٢) :

للاستعارة موقع من البلاغة خطير وموضع من الإبانة كبير ، لأنها إذا وُفيت حقها ووضعت بحيث يليق بها أكسبت اللفظ جوهرية تنقله عما كان عليه لو استعمل على ما وضع في اللغة زاده وضوحاً يضوّع أريجه ويسيق أجيبه . والفرق بينها وبين التشبيه أن التشبيه على أصله في الكلام لا يستعمل إلا

(١) في الأصل : النكتة ، وهو خطأ

(٢) ينظر : الفتاوتين ٢٧٤ ، حقائق الشعر ١٢٢ ، اللّغة في صفة الشعر ٥٣ .

بأداته الموضوعية له في أصل اللغة فلم يتغير عن حقيقته . وليست كذلك الاستعارة لأنها تعليق العبارة على غير ما وُضعت له في أصل اللغة .

وكلُّ استعارة فلا بُدَّ فيها من ثلاثة أشياء : مُستعارٌ منه ، ومُستعارٌ لهُ ، ومُستعارٌ .

فالمُستعارُ منه : هو معنى الأصل الذي وُضعت له العبارة أولاً .

والمُستعارُ له : هو معنى الفرع ، وهو المعنى الذي لم توضع له العبارة أولاً .

والمُستعارُ : هو اللفظ الذي نُقِلَ عن معنى الأصل إلى معنى الفرع .

والمُستعارُ منه والمُستعارُ له لا بُدَّ من اشتراكهما في معنى واحد ، إلا أنَّ المُستعار منه هو الحقيقة ، وله قوَّةٌ في المعنى والدلالة ليست للمُستعار له ، ولولا اشتراكهما في معنى واحد لم يكن هناك مناسبة ولا مقارنة ولكانَ كلُّ واحد منهما غريباً من الآخر وكانتِ الاستعارة لا تحسُن .

(١٣٠) وكلُّ استعارة فهي جمعٌ بينَ شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيانَ أحدهما بالآخر كالتشبيه ، إلَّا أنَّ الاستعارة نقلُ الكلمة بأداته الدالة عليه .

والاستعارات كلها تتضمَّنُ معنى التشبيه ، وليس كلُّ تشبيه يتضمَّنُ معنى الاستعارة .

وكلُّ استعارة بليغةٌ توجبُ بياناً لا تقومُ فيها الحقيقة مقامها ، ولو قامت الحقيقة ذلك المقام لأجزّت ولم يُحتج إلى الاستعارة^(١) .

ولو استعرت استعارةً اجتمع المُستعار له والمُستعار منه فيها في معنيين متشاكلين غير متماثلين لم يخرجهما ذلك من أن تكون^(٢) المشاكلة تجمعهما

(١) ينظر في الاستعارة : البديع ١٩ ، الصناعتين ٢٧٤ ، الممددة ٢٦٨/١ ، أسرار البلاغة ٢٩ ، البديع في نقد الشعر ٤١ ، الرسالة المحمدية ١١٥ ، كفاية الطالب ١٥٨ ، نزهة الأعراف ١٣٤ ، السمع البديع ٢٣٥ ، الأقصى القريب ٤٠ ..

(٢) في الأصل : يكون .

في معنى من أجله تشاكلا إنما بالنفس وإنما بغيرها .

ولا تخلو استعارة من حقيقة ومعنى مشترك بين المستعار والمستعار له
وبيان لا يفهم بالحقيقة ، فالحقيقة هي أصل الدلالة على المعنى في اللغة ،
كقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ ﴾ (١) .
وحقيقة (قدما) : عمدنا ، و(قدما) أبلغ ، لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة
القادم من سفره ، لأنه لإمهاله إياهم كالفانين عنهم ، فلما قدم وأهم على
خلاف ما أتر به ، والهباء المنثور : ما ترى في شعاع الشمس الداخل من
الكوي ، والهباء المنبت : ما سطع من سنابك الخيل . وإنما أراد : أنا أبطلناه
كما أن هذا مبطل لا يلمس ولا يتنع به .

وكقوله : ﴿ فَأَصْدَقَ صَاحِبُ الْمِثْلِ ﴾ (٢) : حقيقة فبلغ ، إلا أن للصدع تأثيراً كتأثير
صدع (١٣١) الزجاجية ، والتبليغ قد يضعف حتى يكون لا تأثير له ويجمع
معناها الاتصال ، والاتصال الذي له تأثير كصدع الزجاجية أبلغ من الاتصال
الذي لا تأثير له .

وكصفة امرئ الفيس بـ(قيد الأوبد) والحقيقة مانع الأوبد ، و(قيد
الأوبد) أنصع وأبلغ .

وكقولهم : (المعروض ميزان الشعر) ، حقيقة (٣) تقويم الشعر ،
والاستعارة فيه أحسن .

والمعنى المشترك بين المستعار [منه] والمستعار له والبيان الذي يفهم
بالاستعارة ولا يفهم بالحقيقة يتضح بهذا التمثيل : قال الله تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلْيِ مِنَ الرِّجْمِ ﴾ (٤) ، المستعار منه جناح الطائر ، والمستعار له

(١) الفرقان : ٢٣ .

(٢) المعبر : ٩٤ .

(٣) في الأمل : حقيقة .

(٤) الإسراء : ٢٤ .

الذَّل ، والمعنى الذي يجمعهما الانخفاض ، والبيان الذي يُفهم بالاستعارة ولا يفهم بالحقيقة أنَّ انخفاض الطائر بجناحه أثبتَّ من انخفاض الإنسان بدلالة أنَّه يساعد انخفاض الطائر بجناحه وله في ذلك قُوَّة ليست لغيره ، لأنه على حسب قوته في الاستعارة تكون قوته في الانخفاض .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَشْتَكَى الرَّأْسَ مَكِينًا ﴾^(١) ، المستعار منه النار ، والمستعار له الشيب ، والعنى الذي يجمعهما الانبساط ، وانبساط النار فيما وقعت فيه أقوى ، فالقُوَّةُ هنا للانبساط وهي أثبتُّ .

وقال سبحانه : ﴿ وَفِي عَاوِذٍ أَرْسَلْنَا ظَلُمُومُ الرِّيحِ الْعَقِيمِ ﴾^(٢) ، المستعار منه المرأة ، والمستعار له الريح ، والمعنى الجامع لهما النَّشْءُ . والمرأة العقيم يمنع منها نشءٌ وليدٌ ، والريح يمنع منها نشءٌ سحابٌ . (١٣٢) والاستعارة على ضربين : حسنة وقييحة .

فالحسنة : ما أوجبت بلاغةً ببيان لا تنوب فيه الحقيقةً منابها ، كوصف امرئ القيس الفرَسَ بد(قيد الأوابد) .

والمراتب على مراتب في الفُحج ، فأقبحها ما خلا من وجوه البلاغة ، وأقربها من الحسن ما كثرت فيه وجوه البلاغة ، وما يُرتب على حسب كثرة أسباب البلاغة وقيلتها .

وقد عاب قومٌ على أبي تمام قوله^(٣) :

لا تسقني ماءً السلام فإُنسي صَبٌّ قد استعذبتُ ماء بُكائي
لأن قوله : (ماء السلام) لا بيان فيه ، بل قوله (لا تلمني) وهو حقيقة أوجز وأبين .

(١) مريم : ٤٠ .

(٢) القدرت : ٤١ .

(٣) ديوانه ٢٢ / ١ . ويظهر : اختيار أبي تمام ٣٣ ، والموازنة ٢٧٧ / ١ .

ومثل هذا قد يحسنُ بعضُ المحسِنِ لما فيه من مطابقة (ماء الملام) بماء البكاء ، كما تحسنُ الاستعارةُ على المزاوجة ، وهي كقوله تعالى : ﴿مَتَنٍ أَعْتَدْنَا عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْنَا مِثْلَ مَا أَعْتَدْنَا عَلَيْكُمْ﴾^(١) ، فالاعتداء الثاني ليس باعتداء وإنما هو جزلة ، وفي هذه الاستعارة بيانٌ لا تلبسه الحقيقة .
وأما قوله^(٢) :

سبعون ألفاً كأساد الشرى نضجت أعمارهم قبل نُضج التين والعنبِ
فاستعارة في غاية الفُحْج ، إذ ليس فيها بيانٌ يحسنُ في البلاغة لا توديه الحقيقة ، ولا مطابقة كالمطابقة في البيت المتقدم ، على أن بعضَ المفسرين قد احتجَّ له في هذه الاستعارة بأن الروم كانوا يقولون : لا ينضجُ التينُ والعنبُ حتى يهلك هؤلاء القوم ، (١٣٣) فلما أهلكهم المسلمون قبل الوقت الذي كانوا ينتظرونه استعمل هذه الاستعارة على وجه التكذيب . وهذا ما لا يلزم أن يعرفه السامع ولا يجري إلى خلده .
ومن الاستعارة القبيحة قولُ بعضهم^(٣) :

أسفري للعيونِ بِمَا فَسَّرَ الشمسِ

لُبَّه من جميع طرق الاستعارة وخروجه عن دائرتها ، وما جرَّأ هذا المستعبر على الاستعارة إلا ظنُّه أن الضرة لا تكون إلا وضية جميلة .

ومما يفرقُ الاستعارتين القبيحة والحسنة قول الشاعر :

أَيَا سَرَّ رَمَى قَلْبِي بِسَهْمٍ فَأَنْفَذَا

فقوله : « فَأَنْفَذَا » استعارة حسنة ، لأنها بلاغة في وصف السرعة

(١) البقرة : ١٩١ .

(٢) ديوانه - ٦٩/١ ، وفيه : تصعون .

(٣) بعض المولدين في المصداق ٢٧٢/١ ، وروايته : أسفري لي القباب

والسهولة ، وكذلك لو قال : (فأقصدا) لأنها بلاغة في تحقيق الإصابة . ولو قال : (فأدخلا) أو (فأولجا) لكانت استعارة قبيحة مخالفة للبلاغة ، لأنها لا توجب المبالغة في الوصف بالسهولة والسرعة .

والأصل في الاستعارة أنَّ العرب كان تستعير الكلمة فتضعها في مكان الكلمة إذا كانت مجاورة لها أو بسبب منها ، فيقولون للنبات : نؤء ، لأنه عن النؤء يكون . قال رؤبة^(١) :

وَجَفَّ أَنْوَاءُ السَّحَابِ الْمَرْتَزِقِ

أي : جفَّ النَّقْلُ .

ويقولون : أصابنا ربيعٌ باكرٌ ، أي مطرٌ ، لأنه يكون في الربيع (١٣٤) ويقولون للمطر : سماءٌ ، لأنه ينزل من السماء ، قال الشاعر^(٢) :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِي قَوْمٍ وَطَشَاءُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا
ومنه قولهم : ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم .

ويقولون : وَسَمَ فلانٌ فلاناً بميسم سوء ، إذا ألصق به عاراً . قال الله تعالى في الوليد بن المغيرة : ﴿ سَكَيْتُمْ عَلَى كُرُورِي ﴾^(٣) أي : نلصق به عاراً ، ولا عار أفحش ممّا وصفه به من الحلف والغيبة والنميمة والبخل والعُظم والإثم والجفاء والدعوة . قال جرير^(٤) :

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِسْمِي وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ
يريد : أنه أبقى عليهما من عار الهجاء ما يقوم مقام الجدع والوسم .

-
- (١) ديوانه ١٠٥ ، وفيه : وخفَّ . . . الربيع . وفي الأصل : المورق .
(٢) معانيه بن مالك (معرود الحكماء) في المفضليات ٣٥٩ ، وشرحها ٧٠٣ . والرواية فيهما : إذا نزل السحاب وعيناه .
(٣) القلم : ١٦ - وينظر : تأويل مشكل القرآن ١٥٦ ، وتفسير القرطبي ١٨ / ٢٣٧ .
(٤) ديوانه ٩٤٠ .

ويقولون : دُقُّ ما عند فلان ، ودُقِّي الفرس . أي : اختبرهما . وأصل الذوق بالغم ، ولكنه لما كان الذوق للاختبار والاعتبار رُدَّ إلى أصله . وأمثال هذا في الكلام كثير .

ثم وقع التوسُّع في الاستعارات واستنبط الناس منها ما حملوه على حكم اللغة لتحسينها للكلام ومنها في البيان المتأب الذي لا تنويه الحقائق .

ومن الاستعارة في كتاب الله :

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا لَنَاصِتُكَ الْمَاءُ ﴾^(١) .

وقوله : ﴿ بَرِيعٌ مِّنْ رَّيِّكَ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ سَيُوشِلُكَ نِسْفًا وَهِيَ قُوَّةٌ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿ وَأَقْبَدْتُهُمْ عَوَاءً ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ وَلَا يَطْلُشُونَ قَبِيلًا ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ وَلَا يَطْلُمُونَ قَهْرًا ﴾^(٧) .

(١٥٣) وقوله : ﴿ يَوْمَ يَكْتَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾^(٨) .

وقوله : ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾^(٩) .

وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَغْرَأْنَا عَلَيْهِمْ ﴾^(١٠) .

(١) الحاقة : ١١ ، درست في الأصل : طفن .

(٢) الحاقة : ٦ .

(٣) الملك : ٧ .

(٤) الأعراف : ١٥٤ .

(٥) إبراهيم : ٤٣ .

(٦) النساء : ٤٩ .

(٧) النساء : ١٢٤ .

(٨) التلم : ٤٢ .

(٩) طاهر : ١٣ .

(١٠) الكهف : ٢١ .

وقوله: ﴿وَرَبُّنَا عَلِيمٌ غَدِيرٌ﴾^(١).
 وقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾^(٢). والسُّرَّ هاهنا النكاح ، لأن النكاح يكون
 سرّاً ولا يظهر .
 وقوله: ﴿يَسْأَلُكُمْ رَبُّكُمْ لَكُمْ﴾^(٣).
 وقوله: ﴿مَنْ يَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ يَأْسَ لَكُمْ﴾^(٤).
 وأسأل لذلك كثيرة .

ومن الاستعارة في كلام البلغاء من الناس :
 قول النبي ﷺ : « النساء حبات الشيطان »^(٥) ، وه الشباب شُعبَة من
 الجنون^(٦) ، وه المسلم مرآة أخيه^(٧) .
 وقول علي عليه السلام : (السُّفَرُ ميزان القوم)^(٨) .
 وقول الحسن لابن عليهما السلام : (إذا أنكرت ذنوبك فاقصدْهُ بعقل) .
 وقول الحجاج^(٩) : (رَجِمَ الله امرأاً جَعَلَ لنفسِهِ عظاماً وزماماً فقادها بزمامها
 إلى طاعة الله وقادها بخطاياها عن معصية الله) .
 وقول بعضهم في وصف حرب : (لَحِقُواهُمْ فَجَعَلُوا الْمُرْأَةَ أَزِيَّةَ الْقُلُوبِ
 فَاسْتَقْوَاهَا أَرْوَاحَهُمْ) .

-
- (١) الشرح : ٢ .
 (٢) البقرة : ٢٣٥ ، والزينة من المصحف الشريف .
 (٣) البقرة : ٢٢٣ .
 (٤) البقرة : ١٨٧ .
 (٥) الأمثال والحكم ١٣١ ، مستد الشهاب ١/٦٦ ، كشف الخفاء ٢/٤١٨ .
 (٦) الأمثال والحكم ١٣١ ، مستد الشهاب ١/٦٦ ، المقاصد الحسنة ٢٤٩ . وفي الأصل : شعبة .
 (٧) الأدب المفرد ٩٣ وفيه : المؤمن مرآة أخيه ، وينظر : مستد الشهاب ١/٦٠٥ ، والمقاصد الحسنة
 ٤٣٩ ، وفيهما : المؤمن مرآة المؤمن .
 (٨) الصائغتين ، ٢٨٤ .
 (٩) الحجاج بن يوسف الثقفي ، ت ٩٥ هـ ، (الأوائل ٢/٦٠ ، وفيات الأعيان ، ٢/٢٩) .

وقولُ بعض الأعرابِ : (خرجتُ في ليلٍ قد أَلَقْتُ على الأرضِ أكارصَهَا
فَمَحَمْتُ صورةَ الأبدانِ فما تتعارفُ إلا بالأذانِ) .

ومن الاستعارة بالشجرِ :

قول امرئ القيس^(١) :

وليلي كموج البحر .. وقد تقدَّم ..

وقول الأعشى^(٢) ، وذكر روضة :

يُضاحِكُ الشمسَ منها كزُكَبٍ شَرِقُ مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ الثُّبْتِ مُكْتَهِلُ

والعرب تقول^(٣) : ضَحِكَتِ الأرضُ ، إذا أَثْبَتَتْ ، لأنها تُبَدِّي عن حُسنِ

النبات وتُثَقِّقُ (١٣٦) عن الزهر كما يفتُر الضاحكُ عن الشجر . ولذلك قالوا

لطلع النخل إذا انفتق عنه كافورُهُ : الضَّحِكُ ، لأنه يبدو منه للنَّاظِرِ كيباضي
الشَّجَرِ .

وقيل : الثَّورُ يُضاحِكُ الشمسَ ، لأنه يدورُ معها .

وقال الآخرُ :

ضَحِكَ المُرْنُ بها ثم بَكَى

يريدُ يَضْحِكُهُ انعقافه بالبرق ، ويُبْكِيهِ المَطَرُ .

وقولُ ذي الرُّمَّةِ^(٤) :

وَدَوَّقَنِي مِثْلَ السَّمَاءِ عَمَّتُهَا وقد صَبَغَ اللَّيْلُ الحَصَى بِسَوَادِ

وقولُ دُكَيْنِ^(٥) :

(١) ديوانه ١٨ .

(٢) ديوانه ، ٥٧ ، وفي الأصل : بِعَمِيمِ اللَّيْلِ ، وهو تصحيف .

(٣) نزل الموقف هذه الأقوال من المتناعبين ، ٢٨٣ .

(٤) ديوانه ، ٦٨٥ ، وفيه : احْتَضَنَهَا . والدوية : المستوي من الأرض .

(٥) المؤلفات والمخطوط ، ١٤٧ ، لمنظور بن حبة ، قال : ويروي لدكين .

وقد نعاللت دَمِيلَ العَنَسِ
بالشَّوْطِ فِي دَيْمُومَةِ كَالْتَرَسِ
إِذْ عَرَجَ اللَّيْلُ بِرُوحِ الشَّمْسِ

وقول طَرْفَة (١) :

وَوَجِبَ كَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ رِداءَهَا عليه نَفْسِي اللَّوْنِ لَمْ يَتَّخِذُوا
وقول الأَفْوَى (٢) :

كَيْفَ الرِّشَادُ وَقَدْ خُلِّفَتْ فِي نَفَرٍ لَهُمْ عَنِ الرِّشْدِ أَغْلالٌ وَأَقْبَادُ
وقول أبي ذُوئَيْبٍ (٣) :

وَإِذَا الْمُنْبَةُ أَنْفَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
(١٣٧) وقول لَبِيدٍ (٤) :

أَلَا طَرَفْتُ مَعِيَ هَيَومًا بِذِكْرِهَا وَأَيْدِي الشُّرَيْكَا جُنَحَ فِي الْمَغَارِبِ
وقول الْفَرَزْدَقِ (٥) :

أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى ذُوِيَ الْعُودُ فِي الثَّرَى وَمِاقَ الشُّرَيْكَا فِي مُلَائِمَةِ الْفَجْرِ
وقول ابنِ الْمُعْتَزِّ (٦) :

وَقَدْ رَكَعْتُ بِنَا خَيْلَ الْمَلَاهِي وَقَدْ طَرْنَا بِأَجْنِحَةِ السَّرُورِ
وقول أبي نُوَاسٍ (٧) :

مَا زِلْتُ أَسْتَلُّ رُوحَ الدُّنْ فِي لَطْفٍ وَأَسْتَقِي دَمَهُ مِنْ جُوفِ مَجْرُوحٍ

(١) ديوانه ، ١١ .

(٢) ديوانه ، ١٠ .

(٣) ديوان العقيلين ، ٣/١ .

(٤) اخل به ديوانه . وهو لذي الرمة في ديوانه ١٩٦ .

(٥) اخل به ديوانه . وهو لذي الرمة أيضاً في ديوانه ٥٦١ ، وفيه : ذُوِيَ الْعُودِ وَالنَّوَى .

(٦) شعره : ١٢٦/٢ .

(٧) ديوانه ٩٢ ذرواينه : والدن منظره جسماً بلا روح .

حتل انثنيت ولي روحان في جسدي والذئ مطرحاً ذئاً بلا روح
والاستعارات كثيرة في سائر فنون الكلام ، والذي أتينا به كافٍ في
التمثيل .

قول في التشبيه^(١) :

التشبيه : هو العقد على أنَّ أحد الشيئين يسدُّ مسدَّ الآخر ويقومُ مقامه في
المشاهدة حتى لو عُدِمَ أحدهما ووجد الآخر لم يكن بينهما تباينٌ في الحقيقة ،
كجسمين من فضة وجسمين من صُفَرٍ ، فهذا أصل التشبيه ، والتشبيه فعلٌ
التشبيهُ ، والتماثلُ ليس بفعلٍ ، وكذلك التشابهُ ، وإنما يتصرفُ تصرفُ
الفعل ، وحقيقة التماثل بالنفس ونظيره في ذلك الوجوب ، وذلك أنك إذا قلتُ
(١٣٨) في السوادين : إنَّهما متماثلان ، فإنَّهما يتماثلان بأنفسهما لا بفعل
فاعل ، لأنَّهما في الشاهد والغائب مستحقَّان لهذه الصفة .

والمماثلة من الألفاظ المشتركة ، فثارة تكون بمعنى التشبيه وثارة تكون
بمعنى التماثل ، فإذا قلتُ : مائلٌ بينَ الشيئين فهو كقولك : شبهُ أحدهما
بالآخر ، وإذا قلتُ : مائلُ الشيءُ الشيءَ فهو بالنفس ، كقولك : تماثلَ الشيئان .

والتشبيه على ضربَين : تشبيه تحقيق وتشبيه تقدير . فتشبيه التحقيق
المطلق هو التشبيه بالنفس كقولك : هذا الجوهرُ كهذا الجوهر . وتشبيه التقدير
هو التشبيه من وجهٍ دونَ وجهٍ كقولك : الشدةُ كالموتِ صعوبةً ، وهذا تشبيهٌ من
جهة الصعوبة فيهما لا يشبه بالنفس .

والتشبيه تشبيهان : أحدهما يعتبر عنه اللفظ ، والآخر يدلُّ عليه العقلُ من
غير عبارةٍ موضوعاً له ، وهو الجمعُ بين شيئين في معنى يوجبُ الاستدلالَ

(١) ينظر في التشبيه : نقد الشعر ١٠٨ ، الصناعتين ، ٢٤٥ ، الممدد ٢٨٦/١ ، كفاية الطالب ١٦٤ ،
نصر: الاغريض ١٥٠ ، المتزج الجديد ٢٢٠ ، الروض المربع في صناعة البيع ١٠٣ ، جوهر الكنز
٦٠ ، الإيضاح ٢١٣ ، التبيان للطبري ١٨٠ ، الغرارة للمصوي ١٧٣ .

التمثال فيه . فالذي يحترق عنه اللفظ ما كَانَ بِالْأَنشِيَةِ ، كقولك : هذا كهذا ، ومثل هذا ، وشبه هذا ، فإذا استعملت هذه الآلة قد وقع التشبيه ، سواء كَانَ الشَّيْءَانِ متماثلين أو غير متماثلين في الحقيقة ، وذلك نحو : جَهْلُ زَيْدٍ كَالظُّلْمِ بِحَبْرِ فِيهَا صَاحِبُهَا ، وعلمُ زَيْدٍ كَالنُّورِ بِتَصَرُّفٍ فِيهِ صَاحِبُهُ . فالجهل ليس من جنس الظلمة ، والعلم ليس من جنس النور ، وقد شُبِّهَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ .

والذي يدلُّ عليه العقلُ نحو : الطعمُ جسمٌ ، والريحُ جسمٌ ، فهذا يلزم الاستدلالُ التمثالُ فيه .

(١٣٩) وقائِلُهُ مُشَبَّهٌ وَإِنْ خُفِيَ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَتَعَرَّفُ بِالِاسْتِدْلَالِ .

والتشبيهُ إمَّا بالنفسِ وإمَّا لمعْنَى : فالذي بالنفسِ هو الحقيقةُ كقولك : هذا الماءُ كهذا الماءِ . والذي لمعْنَى كتشبيه العلم بالنور ، والمعنى الذي يجمعهما التبيين ، لأن النور يضيئُ فيتبين به ، والعلم يوضح فيتبين به .

وبلاغة التشبيه الجمعُ بين شَيْئَيْنِ بِمَعْنَى يَجْمَعُهُمَا بِكَسْبٍ بَيَانٍ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبُيْطٍ كَثِيرٍ إِلَى الْمَاءِ يُصْلِحُ قَاءً وَمَا هُوَ بِيَكْفِيهِمْ ﴾^(١) ، فقد اجتمعا في الحاجة والحسرة على ما يفوت من درك الطلب . وكقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾^(٢) ، فقد اجتمعا في الوصف بالخفاف والرخاوة ، وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ خَسِلُوا الثَّوَابَ أَنَّهُمْ كَمِثْلِهِمْ كَمْثِلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا ﴾^(٣) ، فقد اجتمعا في الجهل بما حملا .

وقول لبيد^(٤) :

وَجَلَّ السُّبُورُ عَنِ الطُّلُوبِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجَدُّ مِنْوَنَهَا أَقْلَامُهَا

(١) الرعد : ١٤ .

(٢) الرحمن : ١٤ .

(٣) الجمعة : ٥ .

(٤) ديوانه : ٢٩٩ .

فقد اجتمعت الطلول والزبر في التبين ، لأنَّ الطلولَ يَبْتَهِ السَّوْنُ ،
وَالزُّبْرُ يَبْتَهِ الْأَقْلَامُ .

وقوله أيضاً^(١) :

فَلَهَا حَبَابٌ فِي الزَّمَامِ كَأَنَّهَا صَهْبَاءُ رَاخٍ مَعَ الْجَنُوبِ جِهَامُهَا
يقول : إِنَّ النَّاقَةَ يَسُوقُهَا نَشَاطُهَا كَمَا تَسُوقُ السَّحَابَةُ الْجَنُوبَ .

(١٤٠) وقوله جرير^(٢) :

تُجْرِي السَّوَاكُ عَلَى أَغْرِ كَأَنَّهَا بَرْدٌ تَكَدَّرَ مِنْ مُنُونِ عَمَامٍ
قد اجتمعا في البياض والنفاء .

وقوله ذي الرمة^(٣) :

كَحَلَاءٍ فِي بَرْجٍ صَفْرَاءٍ فِي نَمَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ
فقد اجتمعا في بياض يعلوه احمرار .

والجواهرُ وَإِنْ كَانَ اشْتِبَاهُهَا بِالنَّفِيسِ فَإِنَّ التَّشْبِيهَ يَقَعُ وَلَا يُرَادُ تَشْبِيهُ
النَّفْسِ ، نَحْوُ قَوْلِنَا : (هَذَا الْخَلُّ فِي شِدَّةٍ حَمُوضَةٍ كَهَذَا الْعَسَلِ فِي شِدَّةٍ
حَلَاوَةٍ) . وَلَا يُسْتَعْمَلُ هَذَا الصَّرْبُ مِنَ التَّشْبِيهِ إِلَّا مَقِيداً .

والتشبيه البليغ ما أخرج الأعضاض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن
التأليف ، وبين البُلْغَاءِ فِي ذَلِكَ تَغَاضُلٌ .

والأظهر الذي يقع البيان بالتشبيه به على وجوه^(٤) :

مِثْلُ : إِخْرَاجُ مَا لَا تَقَعُ عَلَيْهِ الْحَاسَةُ إِلَى مَا تَقَعُ عَلَيْهِ الْحَاسَةُ ، وَهُوَ كَتَشْبِيهِ
المعْدُومِ بِالْمُغَائِبِ .

(١) ديوانه : ٣٠٤ . وفيه اشتغاف مع الجنوب . . .

(٢) ديوانه : ٩٩٠ .

(٣) ديوانه : ٣٣ .

(٤) نقل المؤلف حقه الوجوه من الذئبت ٨١ ، وهي برمتها في الصناعتين أيضاً ٢٤٦ .

ومنها : إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة ، كشيء البعث بعد الموت بالاستيقاظ بعد النوم .

ومنها : إخراج ما لا يُعلم بالبدئية إلى ما يُعلم بالبدئية ، كشيء إعادة الأجسام بإعادة الكتاب .

ومنها : إخراج ما لا قُوَّة له بالصَّفَةِ إلى ما له قُوَّة في الصَّفَةِ ، كشيء ضياء الذبالة بضياء النهار .

وقال بعض أهل البلاغة : التشبيه على أربعة أضرب : تشبيه عيني (١٤١) بعيني ، وتشبيه حَدَثٍ بِحَدَثٍ ، وتشبيه عيني بِحَدَثٍ ، وتشبيه حَدَثٍ بعيني .

فتشبه العين بالعين ، كقول امرئ القيس (١) :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصابيحُ زُهَّانٍ تُنْبِئُ لِقَالٍ
فتشبه إضاءة النجوم بإضاءة المصابيح فهما عَيْنَانِ .

وتشبيه الحَدَثِ بالحَدَثِ ، كقول الآخر (٢) :

كأنَّ بَيْنَ شُجَيْهَا غُذِيَّةٌ
حَفِيفَ رِيحٍ أَوْ نَيْسَنَ حَيَّةٍ

فتشبه الصَوْتَ بحفيف الريح ، وهما حَدَثَانِ .

وتشبيه العيني بالحَدَثِ ، كقول النابغة (٣) :

فلئنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي وإنَّ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ
فالعينُ المخاطبُ ، والحَدَثُ الليلُ .

وتشبيه الحَدَثِ بالعين ، كقوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْوَيْلَاتُ كَثْرًا مِنْ دُرَيْهِمْ ﴾ [

(١) ديوانه : ٣١ .

(٢) بلا عزو في المبع ١٢٧ .

(٣) ديوانه : ٥٢ .

أَعْتَلَهُمْ كَرَامًا أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ^(١) ، فشبه الأفعال وهي حَدَثَ بالرماد وهو عين .

وهذه الضروب الأربعة قد انتظمها كلها أقسام التشبيه المتقدمة ، وإنما^(٢) مثلناها هنا ليتج القسم ما يستحقها من التفصيل .

ومن التشبيه بلاغةً وحقيقةً : فالبلاغة كشبيه أعمال الكفار بالسراب ، والحقيقة نحو : هذا الذهب كهذا الذهب^(٣) .

وتشبه البلاغة يستلزم تشبه التقدير ، وهو يحتاج (١٤٢) إلى تمثيل لكثرة وأطراده ، والثاني كقول امرئ القيس^(٤) :

إذا ما الشرق في السماء تعرّضت تعرّض أنشاء الوشاح المُفَصَّل
وأصدق التشبيه ما إذا عكس لم يتوصّ ولم يطل ، بل يبقى على حاله .
وأحسن ما تقابل في البيت الواحد منه تشبيهان لمشبهين كقول امرئ القيس^(٥) :

كأن قلوب الطير رطباً وبابساً لذئ ونكرها العناب والحشف البالي
وقول بشر^(٦) :

كأن مزار النخس فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل نهاوي كواكب
وقوله أيضاً^(٧) :

من كل مشتهر في كف مشتهر كأن غرته والسيف نجماني

(١) إبراهيم . ١٨ ، والزيادة من المصنف الشريف .

(٢) مكررة في الأصل .

(٣) وهو قول الرماني في التكت ٨١ .

(٤) ديوانه : ١٤ .

(٥) ديوانه : ٣٨ .

(٦) ديوانه : ٣١٨/١ .

(٧) أشل به ديوانه . وهو له في المصنف ٢٩١/١ .

والتشبيهات المفردات الحسان كثيرة جداً ، فمنها قول الشاعر^(١) :

من وخش وخرة مؤسسي أكاريعة ملاوي المصير كسيف الضيق الفريد
وقول ذي الرمة^(٢) :

وعين كمين الرثم فيها ملاحنة هي السحر أو أذهن التباساً وأغلقت
وقول ابن المعتز^(٣) :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد
(١٤٣) يتلو الثريا كفا غير شريحه يفتح فاه لأكل عتقود
والتشبيه تشبهان : حسن ، وقبيح^(٤) :

فالحسن ما أخرج الأغمض إلى الأظهر فأفاد بياناً وأخبر عن حقيقة
الشيء ، وقد ذكرت أحكامه وأمثلة فيما تقدم .

والقبيح ما كان على خلاف ذلك ، فمعه قول بعضهم^(٥) :

صدغته فيه خذ مثل ما الوعد عد إذا ما اعتبرت فيه الوعيد
وهذا عكس ما ينبغي أن يكون عليه التشبيه ، من قيل أنه شبه الأوضح
بالأغمض وما تقع عليه الحاشية بما لا تقع عليه الحاشية .

قول الآخر^(٦) :

ولس غيرة كلون وصالو فوقها طيرة كلون صدود
فأتى فيه من القبح بمثل ما في الأول ، وشبه محبوباً ، وهو سواد الطيرة ،

(١) النابتة الليثاني ، ديوانه ٧ .

(٢) ديوانه ٤٦٥ .

(٣) شعره : ١٠٠ / ٢ .

(٤) وهو قول الرماني فيما نقل ابن رشيق في المصنف ٢٨٧ / ١ .

(٥) بلا عزو في المصنف ٢٨٧ / ١ .

(٦) بلا عزو في المصنف ٢٨٧ / ١ .

يزل في الآخرة ، ويوضح ذلك أن يجعله بين شخصين أحدهما لم يزل في الآخرة ، والآخر قد (كان) في الدنيا ثم انتقل إلى الآخرة ، ومثل قول الهذلي^(١) :

وإذا مَضَى شيءٌ كأنَّ لم يُفْعَلْ

وقول امرئ القيس^(٢) :

كأنني لم أركب جواداً لَلْمَدَّةِ ولم أَتَبَطَّنْ كاعباً ذاتَ خَلْخالٍ
قول في البيان^(٣) :

(١٤٥) البيان : اختصارُ المعنى للنفس في صيغةٍ توصِّلُ إليها من غير مُهلٍ . وإنما قالوا : من غير مُهلٍ ، ليرق بينه وبين الدلالة ، لأنَّ الدلالة تحضُرُ المعنى للنفس وإن أبطأت^(٤) .

والبيان : الكشفُ عن المعنى حتى تدركه النفس من غير توقُّفٍ ، وإنما قيل : من غير توقُّفٍ ، لأنَّه قد يأتي التعقيد في الكلام الدالُّ فلا يستحقُّ اسمَ البيان على الإطلاق لموضع الحاجة إلى التوقف عليه ومراجعة الفكر فيه .

والبيان على طبقات متفاضلة : فأعلاها ما هجم السامعُ على حقيقة المعنى من غير حائلٍ يحول بينه وبين إدراكه في أسرع مدَّةٍ . وأوسطها ما أوصل المعنى إلى النفس بحائلٍ كالزُّجاجةِ إلَّا أنه بسهولة . وأدونها ما أوصل المعنى إلى النفس بحائلٍ كالشَّفِّ الرقيق والغلس اليسير من غير تعقيد .

وقيل^(٥) : البيان اسمٌ لكلِّ شيءٍ كشفَ لك قناعَ المعنى ، وهتكَ الحجبِ دونَ الضمير ، حتى يقضي السامعُ إلى حقيقته ، ويهجم على محصوره كائناً ما

(١) أبو كبير ، ديوان الهذليين ١٠٠/٢ ، مصدره : فإذا وذلك ليس إلا حيةً .

(٢) ديوانه : ٣٥ .

(٣) ينظر في البيان : البيان والبيان ٧٦/١ ، النكت ١٠٦ ، الممددة ٢٥٤/١ ، المتزج المبدع ٤١١ .

(٤) في الأصل : أبطت .

(٥) القول للمحافظ في البيان والبيان ٧٦/١ .

كَانَ ذَلِكَ الْبَيَانُ ، وَمِنْ أَيْ جَنْسٍ كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ^(١) ، لِأَنَّ مَدَارَ الْأَمْرِ وَالْمَغَايَةِ الَّتِي يَجْرِي إِلَيْهَا الْقَاتِلُ وَالْمَسْمُوعُ ، إِنَّمَا هِيَ الْفَهْمُ وَالْإِفْهَامُ ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ بَلَغَتْ الْإِفْهَامَ وَأَوْضَحَتْ^(٢) الْمَعْنَى ، فَذَلِكَ هُوَ الْبَيَانُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ .
وَأَصْنَافُ الدَّلَالَاتِ عَلَى الْمَعْنَايِ مِنْ لَفْظٍ وَغَيْرِهِ خَمْسَةٌ^(٣) : اللفظ ، والإشارة ، والخطأ ، والعقد ، والنُصْبَةُ : وهي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تُقْصَرُ عنها .

(١٤٦) وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْخَمْسَةِ صُورَةٌ نَخْطُهَا تَنْفَرِدُ بِهَا عَنِ الْآخَرِ ، وَجَلِيَّةٌ لَا يَشْرُكُهَا فِيهَا سِوَاهُ ، وَهِيَ الَّتِي تَكْشِفُ أَعْيَانَ الْمَعْنَايِ فِي الْجُمْلَةِ ثُمَّ حَقَائِقِهَا فِي التَّصْمِيرِ ، وَتَوْضُحُ أَجْنَاسِهَا وَأَقْدَارِهَا وَخَاصَّهَا وَهَائِهَا وَطَبَقَاتِهَا فِي السَّازِ وَالضَّارِ وَالذَّائِرِ وَالْمُتَجَرِّعِ وَالْمَاقُطِ الْمَخْدُجِ .

وَالْإِشَارَةُ وَاللَّفْظُ شَرِيكَانِ فِي الْبَيَانِ . وَالْإِشَارَةُ بِالطَّرْفِ وَالْحَاجِبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْجَوَارِحِ يَنْوِبُ كَثِيرًا عَنِ اللَّفْظِ فِي أَشْيَاءٍ يَقْصِدُ سِتْرَهَا عَنْ بَعْضِ اللَّفْظِ ، وَإِخْفَاؤُهَا عَنْ قَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ مِنَ الْجُلَاسِ ، وَفِيهَا عَرَفَقٌ وَمَعُونَةٌ حَاضِرَةٌ ، وَلَوْلَاهَا لَمْ يَتَفَاهَمِ النَّاسُ خَاصَّةً الْخَاصُّ وَجَهْلُوا هَذَا الْبَابَ جُمْلَةً ، وَخَاصَّةً الْخَاصَّ الدَّلَالَةَ عَلَى الشَّيْءِ بِمَا لَا يَشْرُكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ ، كَقَوْلِكَ : مَكَّةُ ، وَعِمَانُ ، وَجَنَّةُ الْخَلْدِ ، وَجَهَنَّمُ ، وَكَقَوْلِكَ : هَذَا ، مَعَ الْإِشَارَةِ إِلَى الشَّيْءِ ، فَلِأَنَّهُ دَلَالَةٌ تَخْصُ الشَّيْءَ بِعَيْنِهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ^(٤) فِي ذَلِكَ :

أَشَارَتْ بِطَرَفِ الْعَيْنِ خِيفَةً أَهْلِهَا إِشَارَةً مَخْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ
فَأَبْقَيْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَمَلًا وَسَهْلًا بِالْمُجِيبِ الْمُكَيِّمِ
وَقَالَ آخِرُ^(٥) :

(١) البَيَانُ وَالْبَيِّنُ : كَانَ الدَّلِيلُ .

(٢) فِي الْبَيَانِ وَالْبَيِّنِ : وَأَوْضَحَتْ عَنِ الْمَعْنَى .

(٣) الْكَلَامُ وَشَوَّلَهُ لِلْحَاجِظِ فِي الْبَيَانِ وَالْبَيِّنِ ٧٦/١ - ٨٣ ، وَمَا بَيْنَ الْقُرْسَيْنِ مِنْهُ .

(٤) عَمْرٍو لِي رُبَيْعَةٍ ، جِوَاهِرُهُ ، ٢٠٤ .

(٥) بَلَاغُ عَزْوٍ فِي الْبَيَانِ وَالْبَيِّنِ ٧٨/١ .

تَرَىٰ عَيْنُهَا عَيْنِي فَتَعْرِفُ وَحَيْثُمَا
وقال الآخر^(١) : (١٤٧)

وللفلسب عِلْمُ الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينٌ يَلْقَاهُ
وفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَابِلُكُمْ وَأَنْبِيَاءُ
وفِي الْعَيْنِ غَنَى لِلْعَيْنِ مَنْ أَنْ تَنْطَلِقَ أَفْوَاهُ
وسبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت . ويحسن الإشارة باليد والرأس
والعين والحاجب يتمُّ حُسْنُ الْبَيَانِ .

وَأَنَا الْخَطُّ فَفَضِيلَتُهُ ظَاهِرَةٌ ، وَقَدْ بَرَهْنَا عَلَيْهَا فِيمَا تَقَدَّمَ .

وَأَمَّا الْمَقْدُ فَهُوَ تَشْكِيلُ الْأَعْدَادِ بِالْأَتَامِلِ ، وَهُوَ صُورَةُ الْحِسَابِ كَمَا أَنَّ
الْخَطَّ صُورَةُ اللَّفْظِ ، وَالْحِسَابُ وَإِنْ كَانَ دُونَ اللَّفْظِ وَالْخَطِّ فِي الرِّبَةِ فَقَدْ شَهِدَ
التَّنْزِيلُ بِفَضْلِهِ وَدَلَّ عَلَى فَوَائِدِهِ ، وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى مَعَانٍ كَثِيرَةٍ وَفَوَائِدَ جَلِيلَةٍ ،
وَفِي عَدَمِ اللَّفْظِ ، وَ[فساد] الْخَطِّ ، وَالْجَهْلُ بِالْمَقْدِ فَسَادٌ جَلُّ النِّعَمِ ، وَفَقْدَانُ
جُمْهُورِ الْمَنَافِعِ ، وَانْتِقَاصُ^(٢) كُلِّ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ [لَنَا] قِرَاماً وَمُصْلِحَةً وَنَظَاماً .

وَأَمَّا التَّصْبِيَةُ فَفِيهَا الْحَالُ الدَّلَالَةُ بِغَيْرِ عِبَارَةٍ ، النَّاطِقَةُ بِغَيْرِ لَفْظٍ ، الْمَشِيرَةُ بِغَيْرِ
يَدٍ وَلَا طَرَفٍ . وَهِيَ ظَاهِرَةٌ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَكُلِّ صَامِتٍ
وَنَاطِقٍ ، وَجَمَادٍ وَنَامٍ ، وَمَقِيمٍ وَظَاعِيٍّ ، وَزَائِدٍ وَنَاقِصٍ ، فَالدَّلَالَةُ الَّتِي فِي
السَّمَوَاتِ الْجَامِدَةِ كَالدَّلَالَةِ الَّتِي فِي الْحَيَوَانَاتِ النَّاطِقَةِ ، فَالصَّامِتُ نَاطِقٌ بِمَا فِيهِ
مِنَ الدَّلَالَةِ ، وَالْأَعْجَمُ مُعَرَّبٌ بِمَا فِيهِ مِنَ الْبُرْهَانِ ، وَمَتَى دَلَّ الشَّيْءُ عَلَى مَعْنَى
فَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ صَامِتاً وَأَشَارَ إِلَيْهِ (١٤٨) وَإِنْ كَانَ سَاكِناً ، وَهَذَا الْقَوْلُ
شَائِعٌ فِي جَمِيعِ اللَّفْظِ ، قَالَ نُصَيْبٌ^(٣) :

فَعَايَا فَاثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

(١) بلا عزو في البيان والتبيين ١/ ٧٨ . وفيه : غنى للمعرو .
(٢) في البيان والتبيين : اختلال .
(٣) شعرو : ٥٩ .

وقال أبو العالية^(١) :

ومعشر صبيد ذوي تجلج
تري عليهم للندي أدلج

وقد تقدم استشهدنا على مثل هذا الموضع بقول الحكماء :

(كل صامت ناطق) . وقلنا : إن الصامت وإن كان لا يعرب عن حاله فإن
في شاعده من الدلائل عليه ما ينوب مناب نطقه لو نطق فهو لذلك كالناطق .
والكلام على ضربين :

ضرب لا يسب إلى البيان وإن دل على المعنى ، كقول الفرزدق^(٢) :

وما مثله في الناس إلا ملأ
أبو أثب حي أبره يقارب
وضرب يسب إلى البيان ، وهو كقوله أيضاً^(٣) :

نصرم عني وذو بكر بني وائل وما كان عني وذهم ينصرم
فولس تائني وتحقرونها وقد يملأ القطر الإناء فينصرم
وكقول جرير^(٤) :

أفاز الجميع الصالحين بذئ المذر أبني لنا إن التحية عن عفر
فلا تسوسوا بيني وبينكم الشر فلأن الذي بيني وبينكم مشري
(١٤٩) فهذه الأبيات تدل وفيها بيان ، والبيت الأول يدل ولا بيان فيه .
وأسباب الأشكال التي تخرج الكلام عن البيان ثلاثة :

التعبير عن الأغلب ، وسلوك الطريق الأبعد ، واستعمال المشترك من اللفظ .
وكل أسباب الأشكال قد انتظمها بيت الفرزدق الأول ، لأنه قدّم وآخر ،

(١) بلا عرو في البيت والبيان ٧٨/١ .

(٢) ديوانه : ١٠٨ .

(٣) ديوانه ٧٨٦ ، وفي الأصل : . . . ذكر ودين وائل وما كان مني . . .

(٤) ديوانه ١٨٨ ، ٤٢١ . وفيه : إن البلية عن عفر .

واستعمل ما يقل استعماله ، فعبر الكلام عن الأغلب ، ولو أتى به على حقه
لكان : وما مثله في الناس شيء يفارقه إلا ما تمك أبو أمه أبوه .

وأما سلوك الطريق الأبعد فإن أبا هذا المملك أبو هذا الممدوح ، فدل
على أنه خال بهذا اللفظ البعيد .

وأما استعمال المشترك من اللفظ فقوله : شيء ، لأن هذه اللفظة مشتركة
بين شيء من الحياة وشيء من أحياء العرب .

ويحتاج في البيان إلى ثلاثة أشياء : النشاط ، والتمكن ، والتخيير .

فالنشاط له أوقات تميز مراعاتها وأسباب يجب تصديها ، والحذر مما
يذهبها ويقضي بالفتور ووقوف النفس عنه .

وأما التمكن فإنه ينبغي أن يتلطف في تمكين المعنى في النفس ، في الفكر
فيه ومحاولة التصور له وتشبيهه بما قارب ، منه من أبين الأشياء ، فإن تمثيله
يزيد في وضوحه .

وأما التخيير فينبغي أن يتخير العبارة بعد تمكين المعنى في النفس ، ويقصد
إلى أخصر ما يدل عليه منها .

والتنزيل كله في غاية البيان ، والذي نذكره منه باعث على التدبر والتأمل .

قال الله تعالى : ﴿ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُبْنِي السَّمْعَاءَ وَهِيَ
رَبِّسَةٌ ۖ قُلْ يَحْيَا آلَ أَدْنَاهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهِيَ كَلَّتِ عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ الْأَجَلُ يُوسِّدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۖ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُمَا لَمَّا هُوَ عَنْهُمْ ۖ ﴾ (٣) .

ومن البين في كلام البشر قول سيدهم محمد ﷺ ، في خطبة له : (فلبأخذ

(١) يس : ٧٨/٧٩ .

(٢) الزمر : ٦٧ .

(٣) الأنعام : ٢٨ .

العبدُ من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لأخريه ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، فولدني نفس محمد بيده ، ما بعد الموت من شئتَ ، ولا بعد الدنيا [من] دار ، إلا الجنة أو النار^(١) .

وقول الشاعر^(٢) :

يا إلهي المُتَخَلِّي غير شبيه
إنَّ التخلُّقَ يأنِّي دونه الخُلُقُ
فلا يُؤاتيك فيما ناب من حَدَثٍ
إلا أخوئقة فانظر بمن تسقُ

وقول جرير^(٣) :

نراضت من تكزُّبها قرينُ
برء الخيل دامية الكلوم

وقول الحطَّبة^(٤) :

وذاك فتى إن تائب في صبيغ
إلى ماله لا تائب بشقيغ

وقول زهير^(٥) :

على مكثريهم حق من يعتريهم
وعند المُقْلِينَ الساحة والبذل

وقول الأعشى^(٦) : (١٥١) .

ولكن أرى الدهر الذي هو خاير
إذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا

شباب وخشب وافتصار وثروة
فله هذا الدهر كيف ترددا

وقول المزار^(٧) :

(١) البيهقي والبيهقي ٢٠٢/١ ، والزيات منه . وفي الأصل : والذي نفس . . .

(٢) سالم بن دابسة في التوابع في اللغة ٤٨٨ ، والمؤتلف والمختلف ٣٠٤ ، وفيهما : ولا يواسيك ، ونظر : شرح أبيات مفتي اللبيب ٢/٢٤٣ ، وشرح شواهد المعنى ٤١٩ .

(٣) ديوانه ٢١٩ .

(٤) ديوانه ١٨٤ .

(٥) ديوانه ١١٤ .

(٦) ديوانه ١٣٥ .

(٧) شعراء أمويون ٢/٤٨٢ .

إذا شئت يوماً أن تسيدَ عشيرةً
فللحلم غيرُ فاعلمنَّ مغبَّةً
فبالحلم شدُّ لا بالملامة والشتم
من الجهلِ إلا أن تَشْمَسَ مِنْ عُلَمٍ
وقول جميل^(١) :

لا تصرمي يا جُمَلِ حُبلي فإني
وإني على سَفْحِ الدموع التي تَرى
لجلدٍ على يَتَنِ الحبيبِ صُورُ
على ما يعينني من قُدَى لبصيرُ
إضامات لنا وحشية غيرُ أنها
مع الإنس ترعى ما رَعَوْا وتسيرُ
وهكذا كافٍ في معرفة أحكام البيان ، واحتذاء سَنَتِ الكلام البين .

قول في النظم^(٢) :

نَظْمُ الكلام : هو تَأْلِيفُهُ على وضع الاتساق وتساوي الأقسام واعتدال
الفصول والأجزاء ، لأنَّ الكلامَ قد يؤلَّف مخلطاً غير متناسب ولا مقسم فلا
يستحقُّ اسم النظم ، وإنَّما يستحقُّ هذا الاسم إذا كان موصوفاً مُرتباً ذاهباً في
مذهب الانتظام (١٥٢) وموازنة الأقسام .

والنظم على خمسة أضرب : نَقْل ، وَفَضْل ، وَوَزْن ، وَقَلْب ، ومثل .
فالنقل في الكلام بالتقديم والتأخير ، وهو يحسنُ من ستة وجوه :
الأول : أنْ تَكُونَ الحاجة إلى ذكره أشدَّ والعلم به أهم ، كقولك : قَطَعَ
اللسنُ الأميرُ .

والثاني : أنْ يَكُونَ التأخيرُ أليقَ بما اتصل به من الكلام ، كقوله تعالى :
﴿ وَنَشَأْنَ وُجُوهُهُمْ أَلْكَارٌ ﴾^(٣) ، فهذا أليقُ بما بعده وهو قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ

(١) أحلُّ بها ديوانه .

(٢) ينظر في النظم : نظرية النظم - تاريخ وتطور : للدكتور حاتم صالح الغامدي . نظرية عبد القاهر في
النظم : للدكتور درويش الجندي .

(٣) إبراهيم ٥٠ .

أَحْسَنُ ﴿٥٦﴾ (١) ، وهو أيضاً أشكل بما قبله ، لأنَّ قبله : ﴿مُقَرَّرِينَ فِي الْأَشْغَالِ﴾ ﴿٥٧﴾ (٢) .

والثالث : أن يكون الأولُ أعرفَ من الثاني ، وذلك في الأخبار والصفات . وأما الأخبارُ فكقولك : (زيدٌ قائمٌ) ، ينبغي أن يُبتدأ بذكر زيد لتطلع النفس بذكر ما يعرف إلى الإخبار عنه بما لا يعرف ، فتقع الفائدة حيثُ على حَقِّها وفي مرتبتها . فهذا أصلُ الكلام في كلِّ خبرٍ إلَّا الأفعال ، كقولك : (قام زيدٌ) ، فإنه يُخَمَّنُ بالتقديم لقوَّة تعلُّقه بالمخبر إذا كان لا يخلو منه . وأما الصفاتُ فيجب أن يقدِّم الأعراف منها ، كقولك : (زيدٌ الطويلُ) ، فزيدٌ أعرفُ من الطويل .

والرابع : تقديم الحروف التي لها صدر الكلام ، مثل حروف الاستفهام ، كقولك : (أزيدُ في الدار) ، فهذا أحسنُ من قولك : (زيدٌ هو في الدار) .

والخامس : تقديم المعنى بعَفْده في الجملة ، ثم تفسيره بذكر تفصيله ، كمقدِّم هذا الباب في الجملة على باب النظم وتفسير هذا العقد بتفصيله (١٥٣) إلى الفصول الخمسة التي ذكرناها .

والسادس : أن يكون المعنى الأول يقتضي الثاني ويدلُّ كالفعل فأنك إذا فسَّرته وقرَّنته ذلكَ به على الثاني ، فهو في مرتبة الدلالة المقدَّمة على العلم بالفاعل .

وكذلك كلُّ نتيجة فهي بعدُ مُقَدِّماتُها من حيث كانت دالة عليها ، وهي قبلُ مُقَدِّماتُها من حيث كانت عرضاً فيها .

وكذلك كلُّ لفظٍ يُحْضِرُ النفس المعنى الثاني ، كالفعل فإنه يحضر معنى الفاعل ، والحركة تحضر معنى المتحرِّك ، والإرادة تحضر معنى المرید .

(١) إبراهيم ٥٦ .

(٢) إبراهيم ٤٩ .

فهذه الأوجه الستة يحسنُ فيها التقديم والتأخير ، إلا أن الترتيب المذكور أحسنُ .

ومن هذا الباب ثمانية أضرب لا يجوز فيها التقديم جملةً :

الضرب الأول : تمام الاسم ، كالصلة والمضاف ، تقول في الصلة : (الذي في الدار من شأنه كذا وكذا) ، ولا يجوز : (في الدار الذي من أمره كذا وكذا) على التقديم ، لتمام الاسم عليه . والمضاف من^(١) تمام الاسم أيضاً ، كقولك : (دار فلان) ، لا يجوز تقديم (فلان) على (الدار) .

والثاني : توابع الأسماء ، وكل تابع فهو بعد المتبوع ، كقولك في التأكيد : (أناي القومُ كلهم) ، وفي الصفة : (جاءني زيدٌ الطويلُ) وفي البدل : (رايتُ القومَ خمسَهم) ، وفي المطف : (جاءني زيدٌ وعمرو) .

والثالث : الفعل ، فإنه يتقدم الفاعلُ لدلالته عليه ، والدلالة قبل المدلول .

والرابع : تقديم المفسر على الظاهر في اللفظ والمعنى ، لا يجوز من قبل أنه رجوع إلى الذكر بالإيجاز ، تقول : (ضربَ زيدٌ غلامَهُ) ، ولا (١٥٤) يجوز : (ضربَ غلامَهُ زيدٌ) .

والخامس : التقديم إذا ألبس ، كقولك : (ضربَ هذا ذاك) ، ولا يجوز فيه التقديم والتأخير ، ويجوز في : (ضربَ هذا زيداً) .

والسادس : الحروف التي لها صدر الكلام ، لا يتقدم ما بعدها على ما قبلها ، تقول : (ما زيدٌ قائماً) ، ولا يجوز : (قائماً ما زيدٌ) .

والسابع : ما لم يكن له قوة في العمل كالفعل ، وهو الصفة المشبهة ، والتمييز ، وما عمل فيه حرفٌ ، وعمل فيه معنى :

(١) في الأصل : فمن .

فالأول : كقولك : (إِنَّ زَيْدًا قَاتِمٌ) .
والثاني : كقولك : (تَصَيَّبَ عِرْقًا) .
والثالث : كقولك : (إِنَّ زَيْدًا قَاتِمٌ) .
والرابع : كقولك : (هَذَا زَيْدٌ قَاتِمًا) .
والثامن : ما فُصِّلَ فيه بين العامل والمعمول مما ليس منه ، كقولك :
(كَانَتْ زَيْدًا الْحُمَّى تَأْخُذُ) .

والفصل : هو أن تجعل بين الشيئين حاجزاً يمنع أخذهما من الانصال
بالآخر ، وهو على ضربين : قافية ، وسجع .

فالقافية^(١) حرفُ الروي ، وهي التي لا بُدَّ منها في كلِّ الشعر ، ونحن نسمي
بها وضع في القوافي عن التشاغل بالقول عليها في هذا الموضع ، إلا أن الذي
يحتاج إلى ذكره هنا لمجانسته للأسجاع واشتباه حاله بحالها أن يعلم أن
القوافي على ثلاثة أضرب :

ضَرْبٌ مَتَمُّ : وهو كقول امرئ القيس^(٢) يصف القرس :

إذا ما جرى شأؤُني وابتلَّ عطفهُ تقولُ هَزِيرُ الرِّيحِ مَرَّتْ بِأَثَابِ
والأَثَابُ : شجرٌ يكون للريح في تضاعيفه حفيفٌ شديدٌ ، فزاد في الصفة
أنه (١٥٥) يجيشُ بعد عرقه ولا يكلُّ .

وضَرْبٌ مَتَمَكُن : وهو كقول زهير^(٣) :

وأعلم ما في اليومِ والأَمْسِ قَبْلُ ولكنني عن عِلْمِ ما في عَدِ عَمِ
فلَمَّعَ ما هنا موقعَ لطيف .

(١) ينظر في القافية : القوافي للأخفش ، القوافي للتوسي ، المعيون الغامزة على نبيها الرمزية

(٢) ديوانه ٤٩

(٣) ديوانه ٢٩

وَصَرَّبْتُ مُكَتَّفَ لَا يُرَادُ بِهِ غَيْرُ التَّقْفِيَةِ ، وَهُوَ كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ ^(١) :
كَالظَّبْيَةِ الْأَدْمَاءُ صَافَتْ فَارْتَعَتْ زَهَرَ الْقَرَارِ الْقَسْفُ وَالْمُتَجَانِ
لَاَنَّ الظَّبْيَةَ لَا تَنْتَعُ إِلَّا بِأَنَّهُا تَعْطُو الشَّجَرَ رَافِعَةً رَأْسَهَا مَذْعُورَةً ، فَأَمَّا رَعِيْهَا
الْجَنَاحَاتُ فَلَا يَزِيدُ فِي حُسْنِهَا ، وَالْجَنَاحَاتُ ^(٢) أَيْضاً فَلَيْسَ مِنَ الْمَرْعَى .
وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ نَظْمَ الشَّعْرِ وَإِنْشَاءَ الرِّسَالِ أَنْ يَتَخَيَّرَ الْأَلْفَاظَ الَّتِي تَقَعُ فِي
الْقَوَائِي وَالْفُصُول ، لِتَأْتِيَ مَتَمِّمَةً الْمَعْنَى مَتَمَكَّةً غَيْرَ قَلْقَةٍ وَلَا نَافِرَةٍ ، فَإِنَّ مِرَاعَاةَ
السَّامِعِ ، كَمَا قُلْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ ، إِنَّمَا هِيَ مَصْرُوفَةٌ إِلَى تَتَبُعِ مَبَادِيءِ الْكَلَامِ
وَمُقَاطِعِهِ .

وَأَمَّا السَّخَجُ ^(٣) فَهُوَ تَقْفِيَةُ مُقَاطِعِ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ وَزْنٍ ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنْ
السَّاجِعِ ، وَهُوَ الْمُسْتَقِيمُ لِاسْتِقَامَتِهِ فِي الْكَلَامِ وَاسْتَوَاءِ أَوْزَانِهِ . وَقِيلَ : هُوَ
مَشْتَقٌّ مِنْ سَخَجِ الْحَمَامَةِ ، وَهُوَ تَرْجِيئُهَا بِكَاءِهَا عَلَى حَدِّ وَوَاحِدٍ . يُقَالُ :
سَجَجَتِ الْحَمَامَةُ تَسْجَعُ تَسْجَعاً فَهِيَ سَاجِمَةٌ . وَإِنَّمَا اشْتَقَّ هَذَا النَّمْتُ لِهَذَا النُّوعِ
لِأَنَّ مُقَاطِعَ الْفُصُولِ تَأْتِي عَلَى أَلْفَاظٍ مُتَوَازِنَةٍ مُتَعَادِلَةٍ ، وَكَلِمٍ مُتَوَازِنَةٍ مُتَعَادِلَةٍ ،
وَيُشَبِّهُ ذَلِكَ التَّرْجِيْعَ .

وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ أَبُو الْفَرَجِ قُدَّامَةُ ^(٤) وَأَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ ^(٥) (١٥٦) وَأَبُو عَلِيٍّ
الْحَافِظِيُّ ^(٦) وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ عِيْسَى الرُّمَانِيُّ .
فَأَمَّا أَبُو الْفَرَجِ قُدَّامَةُ فَإِنَّهُ قَالَ فِي الْمَنْزِلَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ كِتَابِ الْخِرَاجِ الْمَرْسُومَةِ

(١) ديوانه ٣١٢/١ .

(٢) النِّبَات ٨٧ .

(٣) ونظر عن السجع : الصناعتين ٢٦٦ ، الإيضاح في علوم البلاغة ٣٩٣ ، المطول ٤٥٣ .

(٤) ابن جسر ، ت ٣٣٧هـ . (الفهرست ١٤٤ ، معجم الأدباء ١٧/١٢) .

(٥) الحسن بن أحمد النعمري ، ت ٣٧٧هـ . (نزهة الألباء ٣١٥ ، إنباء الرواة ١/٢٧٣) .

(٦) محمد بن الحسن ، ت ٣٣٨هـ . (معجم الأدباء ١٨/١٥٤ ، بقية الوعاة ١/٨٧) . وفي الأصل :
أبو حاتم الطائي ، وهو وهم .

بالكلام على البلاغة ، بعدما حذف من عبارته للاختصار : التصریح نصب الأجزاء والألفاظ متناسبة الوضع ، متقاسة النظم ، متعادلة الوزن ، يتوخى في كل جزأين منها مثالان متداولي الكلام يكون مقطعاهما على حرف واحد من السمع ، أو حرفين متقاربي المخرجين من الفم ، فإن انضاف إلى ذلك أن تكون ألفاظ الجزأين مسجوعة كان أحسن ، كما قال أبو علي البصير^(١) : (حتى عادَ تعريضُك تعريضاً ، وتريضُك تصحيحاً) ، فإن لم تتوجه هذه المنزلة ، وهي أشقُّ المنازل وأشقها على المتناول فما دونها ، وهي السجع بالحرف الواحد أو ما ضارعه وخرج من مخرجه من غير تزاوج الألفاظ ، كما قال بعضُ الكتاب : (إذا كنت لا تولي من نقص كرم ، وكنت لا أوتي من ضعف سبب ، فكيف أخلف خيبة أمل ، أو عدولاً من اغتفار زلل ، أو فتوراً من لم شعث وإصلاح خلل) . فوضعهُ النقص بإزاء الفطور مناسبة في رُضِع الألفاظ وصحة موازنة ، وإلا فقد كان يمكن أن يقال مكان نقص : قلة ، ومكان فطور : تقصير ، فكانت حيث لا غير متوازنة . وإن لم يسهل أن يكون الجزآن متوازيين في القدر فليكن الأخير أطول .

وأما أبو علي الفارسي فإنه قال : السج مسجعان ، حالو وعاطل : فالحالي ما جاءت الكلمتان (١٥٧) اللتان في آخر الفصلين على روي واحد ، وهو كقوله تعالى : ﴿وَالْأَجْرُ إِنَّا هَوَيْنَ﴾ (١) ﴿مَا ضَلَّ صَائِحُكَ وَمَا عَوَيْنَ﴾ (٢) . والعاطل أن تكون الكلمتان على وزن واحد وروي مختلف ، كقوله سبحانه : ﴿فَكَيْفَ إِذَا فُتِنَهُمُ الْمَلَأُكُ بِغَيْرِ رِيءٍ وَبُيُوتُهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾ (٣) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاسْخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (٤) . فقابل أذبارهم بأعمالهم ، وهما على الوزن لا على الروي .

(١) الفصح بن جعفر ، ت ٢٥٨ هـ . (معجم الشعراء ١٨٥ ، معجم الأدباء ١٣ / ١٨١) .

(٢) التيسر ١ - ٢ .

(٣) محمد ٢٧ - ٢٨ .

وأما أبو عليّ المعانيّ فذكر في (حلية المحاضرة) أنه^(١) قد استوفى القول على السجع في كتابه المنعوت به (المعالي والماعول) ، ولم يقع إلّٰي هذا الكتاب فأطلع من تضمنته على مذهبه فيه .

وأما أبو الحسن علي بن عيسى الرمانيّ فإنه كره إيقاع السجع في الكلام ، ولذلك لم يُحدِّده ولا تَقسِّمه ولا تكلِّم على ماهيته فأعلم ما عنده من خلاف ووافق ، ولكنه قال : إنّ مُستعملَ الأسجاع يضطر إلى أنّ يجعل المعاني تابعة لها ، وأنّ ذلك عكس ما توجُّبه الحكمة في الدلالة ، إذ الغرض الذي هو حكمة الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة . فإذا كانت المُشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ، لأنّه تكلف من غير الوجه الذي توجُّبه الحكمة ، ومثل الفاعل لذلك كمن رَضَعَ تاجاً وألبَسَه زنجياً ساقطاً ، ونظّم قِلادة دُرٍّ وطوّقَ بها كلباً .

واستدلّ على سقوط السجع وخلوه من المعاني باشتقاقه من سجع الحمامة ، وقال : كما أنّه ليس في سجع الحمامة إلّا (١٥٨) الأصوات المتشاكلة فكذلك ليس في سجع الكلام إلّا الحروف المتشاكلة^(٢) .

وأبو الحسن ، رحمه الله ، وإنّ كانَ الصدر الذي به يُقنَدَى ومن مُصنّفاته يُسْتَمَلَى ، فإنّه أطلقَ القولَ في هذا الموضع إطلاقاً من سلم إلى عفوها جثّه ، وبادره خاطره ولم يراجع قوله منعماً للنظر فيه ، ولو أعطاه حقّه من التأمل لهدّبه وصقله ، ونقّعه ونقّى قِذاه .

ونحن نقول في كلامه هذا قولاً فضلاً ، ونحكمُ عليه حكماً عدلاً ، فنقول : إنّ اشتقاق السجع في الكلام الذي هو حروف متوازنة متعادلة ، وكلم متوازية متعادلة ، صحيحة المعاني ، مبهمة للمعاني ، من سجع الحمامة الذي هو أصوات متشاكلة ورجيعات متماثلة لا معنى تحتها ، غير موجب لتشابههما

(١) في الأصل : فإنه .

(٢) التكت في إحصاء القرآن ٩٨ . وفيه : المتشاكلة .

من جميع الجهات ، وتضاهيهما من كل الصفات ، لأنه لو كان كل مشتق يطابق المشتق منه مطابقة المثل للمثل ، والعقيب للعقيب ، لأنه يقع التباين بينهما في الدلالة على ما يدلان عليه ، وإنما العادة جارية أن يشتق الشيء من الشيء إذا وقعت بينهما مناسبة في بعض الأحوال ، كاشتقاقهم من لفظة : (جنان الشيء) المتضمنة معنى السر والتغطية تسمية عالم الأرض بالجن لاستتارهم عن الأعين ، وتسمية القلب جنناً لتغطيه بما يستره ، وقولهم (جن عليه الليل) ، إذا ستره بظلامه ، وتسمية الدرع (١٥٩) جُنَّةً والترس وجنّاً لاستتار المحارب بهما مقارن عليهما من قرنه . وتسمية الولد الذي في بطن أمه جنيناً لاستتاره في الرحم والحشا ، وتسمية القبر جنناً لستره الميت . وقد قرعوا على هذا الأصل فروعاً فسَمَوْا صنفاً من أصناف الحيات جناناً ، لزعيمهم أن الجن تظهر في صورة الحيات ، وسَمَوْا الإنسان الذي تمرض له الجن فتخيله مجنوناً ، وأمثال هذا الاشتقاق كثير نُطِيلُ بذكرها .

وكذلك الحكم في التشبيه والاستعارة ، فإنهم يشبهون الشيء بالشيء وهم يريدون بعضه ، كتشبيههم المرأة بالظبية ، وإنما يريدون جيدها وعينها ، والسيف بالجدول ، وإنما يريدون زرقته وأطرافه ، ومن ذلك : ضحكت الأرض ، إذا أنبت ، لأنها تفتق عن التور والزهو كما يفتق الضاحك عن الشعر ، وتسميتهم طلع النخل إذا انفتق عنه كافتق الضحك ، لأنه يبدو كما يبدو نخر الضاحك .

ومن اعتبر الاشتقاقات والتشبيهات والاستعارات الواقعة في الكلام ، وضح له أن هذه سبيل جميعها ، وإنما اشتق سبع الكلام من سبع الحمام لما يجمعهما من معنى التناسب في التقسيم والتعديل وتوازن المقاطع ، لا من طريق خلط سبع الحمام من المعاني .

ولو قصدنا قاصداً أن يؤلف كلاماً من حروف متشاكلة في السمع لا نزيد جملته المركبة من اللفظ والمعنى لكان هاذياً (١٦٠) لأنهم قد حدوا الكلام بأنه

ما تألفت حروفه وفهم تأليفه وأفاد سابعه . وهذا يفسد قوله : إنه ليس في سجع الكلام إلا الحروف المتشاكلة كما أنه ليس في سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة ، لأننا نجد جميع الكلام المسجوع مفيداً ، وإنما يتفق أن يوجد في بعضه استكرأة أو ألفاظ موضوعة في غير مواضعها ، إنما لأن ساجعه متكلف غير مطبوع ، فالألفاظ لا تنقاد له إلى مطابقة المعاني . وهذا الفن من السجع هو الذي يضطر صاحبه إلى عكس الواجب في تقديم العناية بالألفاظ على العناية بالمعاني ، دون غيره مما لا يدخله هذا العيب ويلزم به . وما كان من الكلام هذه صفته فليس السجع يساقط فيه حسب ، بل والمعنى واللفظ ، وإن كان غرضه رُجماً فهم يترديد النظر والتأمل وإعمال الفكر ، لأن الفضيلة إنما هي للكلام البين الذي يوصل المعنى إلى النفس بغير حائل ولا مهلئ ، فالسجع ليس بمكروه لذاته متى استعمل على حقيقته وحده ، وإنما المكروه أن يتكلفه من ليس بمطبوع عليه فيوقعه في غير موقعه ، أو من يقصد تحسين كلامه ويخلل بإتقان معناه ، فأما إذا استعمله المطبوع المناسب له بفريزته الموفية للمعاني والمعاني حقها من التصحیح ونصيبها من التصحيح ، فوضعه في موضعه (١٦١) فتتم به معاني كلامه ، ونظمه في سلك لفظه ، فلا مزية في حسنه ومزيته ، لأن مقاطع الكلام إذا كانت ألفاظاً متوازية مُتَّعَمَةً للمعنى وقعت أحسن موقع من القلب والسمع .

ومن المجمع عليه بين نقدة المعاني وجهابذة الكلام أن الشاعر إذا تَمَّ معنى بيته قبل القافية ثم أتى بها لحاجة الشعر إليها فكثرت المعنى أوزادته ما هو من صفته فقد حاز إلى فضيلته فضيلة أخرى ، كقول امرئ القيس (١) :
 كأن عيونَ الوحشِ حولَ غيبتنا وأرجلنا الجَرعِ الذي لم يُقْبِ
 فإنه أتم التشبيه بقوله : (الجرع) ، ثم لما اضطر إلى الإتيان بالقافية قال :

(الذي لم يشق) ، فزاد في حسن التشبيه وثَقَمَ المعنى أحسن تنميط وبلغ به في التوكيد إلى الأمد الأقصى ، لأنَّ عيون الوحش بالجنح غير المثقَّب أوقع في التشبيه .

وحكى أبو بكر بن دريد ^(١) عن التَّوْزِي ^(٢) قال : قلت للأصمعي :

مَنْ أَسْعَرَ النَّاسَ ؟ قال : من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعلهُ بلفظه رفيعاً ، فيقتضي كلامُهُ قبل الغافية ، فإذا احتاج إلى الغافية أفادَ بها معنى ، قلتُ : نحو مَنْ ؟ قال : نحو قول الأَعشى ^(٣) حيث يقول :

كناطِيعَ صَخْرَةٍ يَوْمَما لِيُفْلِقَها فلم يَفْضَرْها وأوهى قَرْنَهُ الوَجَلَ
فقد نَمَّ الكلامُ على قوله : (وأوهى قرنه) ، فلما احتاج إلى الغافية قال :
(الوجل) فزاد معنى ، قلتُ : فكيف صار الوجع مفضلاً على كلِّ ما ينطَحُّ ؟
قال : لأنَّه ينحطُّ من الجبل على قرونه (١٦٢) فلا يستضرُّ بذلك .

وإذا كان هذا متسهلاً للناظم المحصور في سجن الوزن فكيف يتوعر على الناظم المطلق العنان أن يوقع في مقاطع كلاميه من الألفاظ ما ينخرط في سلك معناه ويشتمه ، ولا سيما وهو غير مدفوع في جميع فصول رسالته إلى ما يُدْفَعُ إليه الشاعر في جميع قوافي قصيدته من الإتيان بها على حرف واحد ، وإنما يأتي بمزاوجة أو مزوجتين ثم ينتقل إلى غيرها ، وهذا أمر ظاهر لا يُدْفَعُ .

وما أرى أنَّ أحدًا يكره السجع إذا سلم من الاستكراه ، وطابق المعنى ، وكان مبنياً على البيان والفائدة في تكميله للمعنى أظهر من مزاوجة اللفظ ، وسلم مخرجه ، وحسن موقعه ، وقرب متناوله .

وقد قال أبو الحسن ، رضي الله عنه : إنَّ ما هذه صفته من السجع ليس

(١) محمد بن الحسن ، ت ٢٢١هـ ، (مراتب النحويين ٨٤ ، معجم الأديب ١٨/١٢٧) .

(٢) أبو محمد عبد الله بن محمد ، ت ٢٣٠هـ ، (مراتب النحويين ٧٥ ، إنباء الرواة ٢/١٦٦) .

(٣) ديوانه ٦١ .

يسجع ، وإنما هو فضل بلاغة . فكأنه إذا عدنا إلى التحقيق إنما يخالف في الاسم دون المعنى ، لأن هذا هو السجع المرغوب فيه المؤثر المنتظم في سلك البلاغة .

وقال : إن الأسجاع التي وقعت في مقاطع الآي ليست بأسجاع وإنما هي فواصل . واحتج بأن الساجع يأتي بالسجع في كلامه للموازنة بين مقاطع قُصُوله ، والفواصل تأتي للإيدان بختام الآية . وهي حجة صحيحة ، إلا أن بعض العرضيين وإن اختلفا فلا خلاف بين الأسجاع والفواصل ، وذلك أنه قال^(١) : والفواصل على وجهين : على الحروف المتجانسة ، والحروف المتقاربة ، ومثل المتجانسة (١٦٣) كقوله تعالى : ﴿ وَالْقُلُوبُ ﴾^(٢) وَكَتَبَ تَسْطُورُ^(٣) فِي رَقْعٍ مَشْهُورٍ^(٤) ، وهذا من السجع الحالي . ومثل المتقاربة كقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْوَعْدُ الْبَرُّ ﴾^(٥) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا نَقْلٌ مِنْ عَجَبٍ^(٦) ، فهذا من المتوازن .

ولو أطلقنا وقوع السجع في القرآن لم يكن ذلك مادحاً في إعجازه ولا واضعاً من مناره ، لأنه إذا تضمن ما في طباع البشر أن تأتي بمثله ثم قصرت عن مضاماته فلا برهان أنور من برهانه ، ولا إعجاز أبهر من إعجازه .

وبعض ما ذهبنا إليه من حسن موقع السجع في الكلام إذا طابق المعنى ، وحسن في المختتم والمبتدأ ، ووقع في الموقع اللائق به ، وأعجز من يروم تبديله وجود ما ينوب مثابة من الألفاظ .

وقد طعن أبو الفرج قدامة على من ذم السجع وأزرى عليه بقوله : وقد رأيت قوماً يذهبون إلى كراهة السجع من غير أن يعرف لهم في ذلك حجة ، ولا وجد فيما ينكرونه منه دليل ، فعلمنا أنهم ذوو لئام وراموه فلم يصلوا إليه ، وإلا

(١) النكت في إعجاز القرآن ٩٨ .

(٢) الطور ١-٣ .

(٣) فذ ٢-١ .

فلا كلام أجل من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ، وقد وردَ في كتاب الله ، وكان رسول الله يتوخاه ويقصده ، كقوله للحسن والحسين ، عليهما السلام : (أعيذكُما من السائة والعامة وكل عيني لامة)^(١) ، وإنما أراد : مُلَمَّة ، فللمقارنة بين الألفاظ وإتباع الكلمة أخواتها في الوزن قال : (لامّة) .

وقوله : (ارجعن مازورات غير مأجورات)^(٢) ، وإنما أراد : موزورات ، من الوزر ، فجاء بها للمكان أختها^(٣) .

وكذلك قوله ﷺ : (١٦٤) (خير المال سبكة مابورة ومهرة مأمورة)^(٤) . والقياس : مؤمّرة ، فجاء بها للمكان أختها .

وقال ﷺ ، في بعض كلامه : (هل من خلاصي أو مناصي ، أو مراري أو محاري ، أو معاذ أو ملاذ) .

ولست أقول إنّ تطلب الأسجاع وغيرها من أثواب البديع بمغيب واستدعاء بعضها بمغيب مما يصفّل فيزند الكلام ويزيد في جوهر النظام ، لكنّ أقول : إنّ الحسن أن يكون الكلام مطّرداً متسقاً ، فإذا نهأت للتكلم فرصة السجع انتهزها وورقها في الموضع الأشبه بها ، فإن جاد الخاطر في جمع الكلام بالسجع من غير تكلف يخدم نور المعنى ويفض من روائه ويهيجفه فهو أشرف وأشرف .

والوزن ، في الأصل : هو التعديل بين الشئين في الخفة والثقل ليعلم مقدار أحدهما من الآخر ، لا يخلو من أن يكون مساوياً أو زائداً أو ناقصاً .

فإنّ الوزن في الكلام فهو التعديل بالحروف والحركة والسكون ، والتعديل بالحروف من وجهين : أحدهما المساواة من غير زيادة ولا نقصان ،

(١) ينظر : سنن الترمذي ٣٤٦/٤ ، النهاية ٤٠٤/٢ .

(٢) سنن ابن ماجه ٥٠٢/١ ، النهاية ١٨٩/٥ ، وفي الأصل : مأجورات غير ، وهو خطأ .

(٣) ينظر : إصلاح المنطق ٣٧ ، الزاهر ١٥٧/١ ، دغاني التصريف ٢٢٧ .

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ٣٤٩/١ ، مستد الشهاب ٢٣٠/٢ .

والآخر المساواة في الخفة والثقل .

فأما المساواة من طريق عدد الحروف والحركة والسكون فهو للشعر خاصة ، لأن كل بيت من الكلام مساوٍ لما قبله وي بعده ، إلا ما جازوه للزحاف .

وأما المساواة في الخفة والثقل على اللسان فهو في سائر الكلام ، وهو على مراتب ، والعلّة فيه أنّ من الحروف ما يتناثر في التاليف ، فكُلّما جمعت الحروف المتناثرة كان أضعف وأخسر ، ومن ذلك ما ولدوه من تأليف (١٦٥) الحروف ، ولا يرتضيه العرب لثقله على اللسان فُرِفِضَ وأُلْقِيَ . ومن المتناثر قول ابن بشر^(١) :

لَمْ يَضْرِبْهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ وَانْتَشَتْ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُولٍ
فإن ألفاظ هذا البيت يتبرأ بعضها من بعض ، وهو من معاييب الكلام .

وأحسن الكلام ما التأمّت أجزاؤه وتناسبت نظامه وخفت على لسان موره ، كقول الثميري^(٢) :

مَنْ كَانَ ذَا عَضْدٍ يُدْرِكُ غُلَامَتَهُ إِنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضْدُ
تَبْوَ يَدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ وَيَأْنِفُ الضَّمِيمَ إِنْ أَتَى لَهُ عَدْدُ
وَالْقَلْبُ : على ضربين : إبدال كلمة مكان كلمة ، وتغيير حرف من صورة إلى صورة .

والإبدال يكون لأمر ثلاثة : الأوضح ، والأخف ، والأشكل .

فأما الإبدال للإيضاح فكقول القائل^(٣) :

لِبِالسِّيِّ اللَّهُمَّ يَطْيِينِي فَاسْتَبْعُهُ

(١) بلا عزو في سر القصيدة ١٠٨ ومنهاج البلاغة ، ٢٢٤ .

(٢) للأجرد التنقي في الشعر والشعراء ٧٣٤ ، وللمفني في البيان والبيان ٦٧ / ١ ، ونب الأول إلى المتخلص في جمهرة الأمثال ١ / ٥٤٠ ، وينظر ديوانه ٢٧٩ .

(٣) نو الرمة ، ديوانه ٣٨ ، وعجزه :

كَأَنَّ سِيَّيَ فَمَارِبَ فِي غَمْرَةٍ لَمِبَ

وأما المطابقُ فيكون في اللفظ والمعنى ، وذلك كمطابقة الجواب للسؤال ، فيقال في هذا إنّ الجواب مثل السؤال في المقدار من غير زيادة ولا نقصان .

والمجانسُ كقول أبي تمام^(١) :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حَدِّهِ الحَدُّ بينَ الحَدِّ واللَّعِبِ
فالحَدُّ الثاني ليس بمثل الحَدِّ الأول على الإطلاق ، ولكنه مجانسٌ له .

وسنذكر الفرقَ بين المجانِس والمزاج والمطابق في باب المشاكلة ، إن شاء الله .

قول في الترتيب :

الترتيبُ وضع الشيء في حَقِّه . ويقال : إيقاع الشيء في موقعه . ويقال : تصوير الشيء في مرتبته . وله حظٌّ عظيم في تهذيب المعاني وتنقيحها وتعديل أقسام (١٦٧) الكلام وتصحيحها .

ولما كان الكلام هو الطريق إلى الإبانة عما في الأوهام ، وكان منه المستقيم والخطل ، والمرتب الحسن والمخلط القبيح ، احتجج إلى تمييزه ليسلم من وقوع عيب فيه ، لأنَّ التخليط إذا وقع في الكلام أفسد بنيته وسلب حليته وفتح صيغته ، فإنَّ زاد فيه مع تخليطه ما ليس منه زاد ذلك في قبحه ، وإنَّ جمع إلى تخليطه وزيادة ما ليس منه ما لا يتم إلا به كان أشدَّ قبحاً ، لأنَّ الكلام إذا خالطه ما ليس منه زال عن مرتبته وصار بغير مكانه لامتراجه بما لا يُناسبه ، وإذا خرج منه ما هو منه انتقص رُتبته ، لأنَّه صار الخارجُ منه بالمكان الذي ليس على التقدير .

والكلامُ وغيره مما يرتب يخرج عن رتبته بأحد ستة أشياء ، وهي : التقديم

(١) ديوانه ١٠/١ .

والتأخير والرفع والحط والأخذ يميناً وشمالاً .

وليس ترتيب الكلام بتخيير الفاظه ، لأنه لا لفظة من الألفاظ وإن أنصحت كل الإنصاع إلا والحاجة ماسة إلى العلم بها لأمرين : أحدهما : أن تضرب مثلاً في الفتح ، ولذلك حسن التمثيل بالشعر السخيف في الموضوع اللائق به .
والآخر : ليحذر من تهجين الكلام بإيقاعهما فيه . وإنما ترتيب الكلام بوضعه في الموضوع الذي يستحقه كاتباً ما كان ذلك الكلام .

وينبغي لمن رام ترتيب الكلام أن يتميزه ليتمكن من إلحاق كل شيء بشكله وما هو أولى به ، ثم يتبعه بالترتيب ليضعه في الموضوع الذي هو له . حقيقة التمييز قرآن الشيء بما هو أولى به ، ولا سبيل إلى (١٦٨) استقامة الترتيب إلا بصحته .

وفي الترتيب فوائد جمة ، منها : وجود المطلوب مرتباً ، وتحسين الصورة ، والعلم بقدر كل جملة ، ورفض ما لا يقع فيه ، وحضور النفس كل طبقة ، والإرشاد إلى الملتبس بالصفة ، وظهور ما تقع به المعرفة ، إلى غير هذا من الفوائد .

ودلالته من أوضح الدلالات ، لأنك إذا قلت : (ظننتُ الرجلَ امرأةً) دَلَّتْ على معنى ، فإذا قلت : (ظننتُ المرأةَ رجلاً) دللت على معنى آخر .

ومن دلالته ما يقع في ترتيب المصنفات ، كتعديد أبواب الكتاب وعقد كل باب على ما ينظمه من الفصول ، وذلك أن جميع الفصول متعلقة بما عُقِدَ عليه الباب ومرتبطة به ، فهي ما يعدله ، وترتيبه بذلك المكان منها دالٌّ عليها ومذخرٌ بها ومعين على ضبطها ومبين لمتناسبها وموضح لمشكلها بالمقابلة والتناسب .

ومن دلالته أيضاً نظم المعاني على ما هو أولى بالتقديم ، كتقديم صدر الكتاب ، وإتباعه بما هو أقرب منه وأشكل به ، ثم نسق ما يتلو ذلك شيئاً قسماً

إلى آخر الكلام المُفاض فيه .
وعلى الجملة فإنَّ كلَّ ما رتَّب كانَّ أوضح وأجلى ، وأملح وأبهى ممَّا لم
يُرتَّب .

والتخليط في الكلام وإيراد المعاني على غير نظام فيصح مسترذَل والغرض
في الترتيب ما فيه من حُسن الدلالة وبهاء الصورة وسهولة ما يُستصعب .
وبهاء الصورة بالترتيب ظاهرٌ في أمور كثيرة (١٦٩) كالنفوس المرتبة
المتعادلة القسمة ، والخطوط المتناسبة المتشاكلة ، والأبنية وغير ذلك .
وهذا كُلُّه فإنَّما هو مثالٌ لترتيب المعاني الوهمية ، وبمُحسِن الترتيب
تفاضلتِ البلغاء والشعراء والخطباء .

ولا بد في الترتيب من مراعاة التناسب والتشاكل والتخير والتقسيم والتمييز
والتحصيل والتحديد والنظم والوصف ، فمتى وقع الإخلال بشرطٍ أو الخطأ
في مقدِّمة كانت المضرة بحسبها .

أما المشاكلةُ فلأنَّ المشاكلَ أولى من المتباين .
وأما المناسبةُ فلأنَّ النسب في الجملة أولى من الغريب .
وأما التخيُّرُ فلأنَّ به يُدرك الأولى بأن يكون مع المرتَّب في المرتبة أو بعده
أو قبله .

وأما التقسيمُ فلأنَّ به تتبيَّن المناسبةُ .
وأما التمييزُ فلأنَّ به ينفرد ما كان على المشاكلة .
وأما التحصيلُ فلأنَّ به يظهر المطلوبُ برتبته من غيره .
وأما التحديدُ فلأنَّ به يسقطُ حشو الكلام وفضوله .
وأما النظمُ فلأنَّ بمراعاته يتبيَّن التقديم والتأخير والذكر والإسقاط .
وأما الوصفُ فلأنَّ بمراعاته يتبيَّن موضع الموصوف .

فإذا حضرت المعاني للنفس فليس يحتاج بعدها إلا إلى حُسْن الترتيب ،
وبحسْن الترتيب يكونُ الكمَالُ والتَّمام .

والأسبابُ التي يحسُنُ بها الترتيب في الكلام كثيرة ، منها الوزنُ ، ومنها
المتاسبة ، ومنها المطابقة ، وكل ذلك في اللفظ والمعنى .

(١٧٠) والترتيب على ضربين : ترتيب في المكان على الحقيقة ، كعقد
الباب وما يُذكر بعده من تفصيله ، وترتيب ما قدّر تقدير المكان ، كتقديم بعض
اللفظ على بعض ، وذكر بعضه دون بعض ، وهو أيضاً على ضربين : حَرْب
ينقل الصورة من مكان إلى مكان كترتيب الكتب بعد تمييزها ، (وحَرْب) تُنشأ
فيه الصورة من مكانٍ دون مكانٍ كالخط .

والترتيب عُدَّة للبيان ، وذلك أنَّ أسباب الأشكال أربعة : الاشتراك
والتخليط والتباعد والتعبير .

والاشتراك في الصورة الواحدة يغلط في اعتقاد ذات المقصود ، ويضدُّ عن
إدراك المطلوب .

والتخليط يمنع من التمييز .

والتباعد يمنع من الضبط والتحصيل .

والتعبير يمنع من درك الحقيقة .

فقد وضع أنَّ الترتيب أحد أسباب البيان التي تمنع الإلباس .

ولفضل الترتيب قالوا في مراتب العلم إنها كالموافى لاتوصل إلى العاشرة
إلا من التاسعة .

ويجب أن يُعتمد في الترتيب على الغرض ، والغرض ما اكتسب منفعة أو
دفع مضرة ، والمُجتنب من الأغراض على حسب العلوم المفاض فيها .

وقد أشرنا فيما تقدّم إلى أنَّ لغير صناعة البلاغة شركة في هذا الباب .

ونحن لذلك نقصّرُ منه على ما أوردناه لغنى الكاتب بمعرفته عن معرفة ما سواه .

قول في التصرف :

(١٧١) في التصرف ضرورتٌ من البيان لا يلحقُ بها غيرها ، ولا يجري مجراها سواها ، لأنّك إذا دلت على الشيء الواحد من وجوه متباينة وطرقٍ متشعبة كان أوضح له وأبين من أن تدلّ عليه من طريق واحدة .

ويحتاج فيه إلى علم : ما التصرف ؟ وما الحاجة إليه في البلاغة ؟ وكيف تصرف اللفظ دون المعنى والمعنى دون اللفظ ؟ وكيف تصرفهما معاً ؟ وما الطريق إلى علم التصرف ؟ وما يناسب المعاني في التصرف ، وما يتصرف والأصل واحد ، وما يتصرف والأصل مختلف .

والتصرفُ تغييرُ المعنى عما كانَ عليه ، ثم كثر حتى قيل لتغيير الدلالات عليه تصرف ، وإن كانَ لم يتغير في نفسه ، وذلك أن المعنى قد يكون مرّةً ماضيةً ومرّةً حاضرةً ، وتارةً مفعولاً ، وتارةً غير مفعول ، وقتاً مأموراً به ، وقتاً منهيّاً عنه ، وفي حال مُختبرٍ به ، وحيناً يكونُ مثبتاً ، وحيناً يكونُ منفيّاً ، وحيناً لا مثبتاً ولا منفيّاً ، وكثرةُ بُنى الصفة من الفاعل ، وكثرةُ بُنى من المفعول به ، وكثرةُ تدلُّ عليهما .

والحاجةُ إلى التصرف في علم البلاغة شديدة ، وذلك أنّه قد يكونُ في موضع إطنابٍ ، وقد يكونُ في موضع إيجازٍ ، والعاجزُ عن التصرف فيهما يقصّرُ في البلاغة .

وأما تصرفُ المعنى دون اللفظ ، وهو أن يقع على وجوه مختلفة بلفظٍ واحدٍ كالعين ، فإنها تتصرف في معانٍ كثيرة^(١) والأصل واحد ، وهو : عينُ

(١) ينظر في معاني (العين) : ما اتفق لفظه واختلف معناه : ٨ ، المنجد في اللغة ٣٢ ، الزايع ٥٢ ، السامي في الأسامي ٣٢٤ .

الحيوان ، ثم يقال : صَيَّنُ الماء ، وَعَيَّنُ القوم ، والعَيْنُ الذهب ، وعَيْنُ الشمس ، وعَيْنُ الميزان .

ولو قيل في هذا إِنَّ اللفظَ يتصرف لكان صواباً ، لأنَّ تصرفه وضعه في هذه المواضع المختلفة ، فعَيْنُ الماء شبه بعَيْنِ الحيوان وعَيْنِ القوم ، كأنهم يرون به لأنَّه يؤدي إليهم ما تؤدي العين . والعَيْنُ الذهبُ (١٧٢) مُشَبَّه بعَيْنِ الحيوان لشرفه على ما يُعامل به ، فهو كالعين في شرفها على جملة البدن . وأما عَيْنُ الميزان فمُشَبَّه بعَيْنِ الأحرار^(١) ، ألا ترى أَنَّهُ يُقالُ : في الميزان حولٌ ، وهو أحوَلُ .

وأما تصرفُ اللفظ دون المعنى فهو أَن يتغير اللفظ ولا يتغير المعنى ، كقولك : قَرَبَ واقترَب ، والظُلوع والمطلع ، وقراح وقروح في جمع قرح ، والذهاب والذهوب في مصدر فَهَبَ .

وأما ما يتصرف لفظه ومعناه فعليه أكثر الكلام ، كقولك : الضرب والاضطراب والضراب والمضاربة والتضارب والاستضراب .

وأما تناسبُ المعاني في التصرف فهو^(٢) أَن يرجع إلى أصل واحد ، ومثاله أَن معنى الفخر يدور في كلِّ ما تصرف كما يتصرف معنى الضرب في جميع بابه .

وقد تناسب المعاني بوجهين أحدهما حَسَمَ الأصل لها ، فَإِنَّ الأنساءَ كُلَّها ، أعني الأصلَ في أنفسها كما يكونُ ذلك في الألفاظ سواء ، والمضرب أقربُ إلى الضراب منه إلى الاستضراب ، لأنَّ زيادته عليه حرفٌ واحدٌ ، والزيادة في الاستضراب ثلاثة أحرف .

وقد يتصرف في المعنى الواحد بألفاظ مختلفة الأصل والفرع ، وذلك كقولك : حركةً ، ونقطةً ، وزوالً ، فالأصل والفرع في اللفظ مختلف والمعنى واحد .

وأما الطريقُ إلى علم التصرف فهو يتوفر الخواطر على الفكر والرياضة

(١) في الأصل : الأحرار ، وهو وهم .

(٢) في الأصل : هو .

والرواية والدراسة ، (١٧٣) فإن اتفق مع ذلك حصول طبع فاضل بلغ الغاية العالية من البلاغة ، وعلى حسب قصور الطبع يكون التفسير فيها .

ومن التصرف في كتاب الله تعالى قوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) ، وقوله في موضع آخر : ﴿ إِنَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ (٢) ، وقوله في قصة موسى ، عليه السلام : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ نُوحًا وَهُوَ أَمَرٌ مُؤْمِنٌ قَالُوا لِيُخْرِجْنَا مِنْ هَاهُنَا فَقَالَ نوحٌ ابْنِي نوحُ خُذْ قَوْمَكَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ هَارُونَ وَهَارُونَ أَخٌ لَهُ ثَمَارٌ وَهَارُونَ أَخٌ لَهُ ثَمَارٌ وَهَارُونَ أَخٌ لَهُ ثَمَارٌ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ إِنْ فِرْعَوْنُكَ وَمَلَائِكُهُ قَاتِلُوا قَوْمًا فَجَرِمِينَ ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٦) .

فإنما التصرف في مشور الكلام ومنظومه فأشهر من أن يحتاج إلى تمثيل ، لأن ضروب المعاني التي يستعملها الكتاب والخطباء والشعراء لو عُدَّت لكانت أصولها محصورة . وقد تصرف كل من هؤلاء في كل أصل من أصول التصرف الذي لا ينحصر ولا يتحدد ولا يقف عند غاية ولا أميد ، لأنه مع الخواطر في السيلان على ممر الآباء والأزمان .

قول في المشاكلة :

أصل المشاكلة في الاشتقاق التقييد ، ومنه : شكك الدابة وشكل الحروف لأنها يُقَيَّدَانِهما ، والشكل في الهندسة ، لأنه صورة يُقَيَّدُ (١٧٤) المثل في النفس .

-
- (١) البقرة ٢٤ . وفي الأصل : وإذا قال ربك للملائكة . والصواب ما أثبتنا .
 (٢) الكهف ٥٠ .
 (٣) الأعراف : ١٠٣ .
 (٤) يونس ٧٥ . وما بين القوسين المربعين من المصحف الشريف .
 (٥) مود ٩٦ - ٩٧ .

والشَّكْلُ : الدُّنْ ، لآته تشابه بعض الأحوال ببعض في الحُسْنِ ، فهناك معنى ربط كل واحد منهما بالآخر وقِيْدُهُ بصاحبه .

والمشاكلَةُ تكونُ في اللفظ ، وتكون في المعنى ، وتكون فيهما معاً .

والمشاكلَةُ والمماثلَةُ تكونُ بالنفس ، ولمعنى غير النفس ، فالمماثلَةُ بالنفس أن يسدَّ كلُّ واحدٍ من الشيئين مسدَّ الآخر ، كالسوادَيْنِ والبياضَيْنِ وما أشبه ذلك . والمماثلَةُ لمعنى غير النفس أن يسدَّ أحدُ المتماثلين مسدَّ الآخر من جهة ، كالعلم والنور فإنهما يشاكلان في معنى الإبانة .

والفرقُ بين المشاكلَةِ والمشابهة أن المشابهة بالنفس والمشاكلَةُ بمعنى ، إلا أنهما قد تداخلتا فصار كلُّ واحدٍ منهما يُستعمل مكان الآخر .

والمشاكلَةُ باللفظ تكون بالحروف ، وبالإعراب ، وبالوزن .

فالمشاكلَةُ بالحروف على وجوه ، منها : القافية والسجع والحروف المتقاربة المخارج والحروف المتجانسة .

فالقافية والسجع فقد مضى الكلام عليهما .

وأما الحروف المتقاربة المخارج^(١) فإن بها تكونُ المشاكلَةُ في الكلام ، وذلك أن للحروف ستة عشر مخرجاً^(٢) ، فإذا كانت الكلمة مؤلفة من حروف متقاربة المخارج كان الناطق بها بمنزلة من يمشي وهو مقيدٌ ، وإذا كانت الكلمة مؤلفة من حروف متباعدة المخارج كان الناطق بها بمنزلة الواثب من مكان إلى مكان .

(١٧٥) واستكره هذين التركيبين يظهر بثقلهما على اللسان وبشاعتهما في السمع ، وإنما يحسنُ التأليفُ إذا كان من حروف معتدلة ليست بذات بُعْدٍ بعيد ولا قُربٍ قريب .

(١) بعدد ما في الأصل كلمة مقبضة هي : المتجانسة .

(٢) ينظر : الكتاب ١٠٥/٢ ، ستر صناعة الإعراب ٤٦ ، الرواية ٢٤٣ ، حشد القاري ٣٠ ، إبراز المعاني ٤٤٦ .

وأما الحروف المتجانسة فثلاثة عشر صنفاً ، وهي : المجهورة ، والمهموسة ، والشديدة التي تمنع الصوت الجري معها ، والرخوة ، والمتحركة ، والشديدة التي يجري الصوت معها ، والمُكْرَرَة ، واللينة ، والهاوية ، والمطبقة ، والمتفتحة ، والمستعيلة ، والدُّق . وينبغي أن يعرف كل جنس منها ، وما يحسن ويقبح من تأليفها وتركيبها ، ليختار المتناسب المشاكل ويعدل عن المتباين المتنافر .

وقال الخليل بن أحمد^(١) : أصناف الحروف تسعة ، وهي :

الحلقية واللهوية والشجرية والأسلية والنطعية والثوية والذلقية والشفهية والهوائية .

قال^(٢) : والذلاقة في المنطق إنما هي بحروف أسلّة اللسان ، ودلّ اللسان تحديده مثل ذلك السنان ، ولا ينطلق شَبَا اللسان إلا بالحروف الذلقية ، وهي : الراء واللام والنون ، ويلحق بها الحروف الشفهية ، وهي : الفاء والباء والميم .

قال^(٣) : ولما ذلقت هذه الحروف ومَدَل بها اللسان سهلت على المنطق وكثرت في أبنية الكلام ، فليس يفرى شيء من الرباعي والخماسي التام منها أو من بعضها . فإن وردت كلمة رباعية أو خماسية مُعْرَأة من هذه الحروف الستة فالكلمة مُحَدَثَةٌ مولدة ليست من كلام (١٧٦) العرب .

قال^(٤) : وقد قالوا : المسجد والقُدَاحِس^(٥) ، ولولا ما لزمهما من العين والقاف ما حسنتا ، إلا أن هذين الحرفين لا يدخلان في بناء إلا حسنة ، لأنهما

(١) القراهدي ، ت ١٧٥ هـ . (طبقات النحويين واللغويين ٤٧ ، نور القبس ٥٦) .

(٢) العين ٥١/١ .

(٣) العين ٥٢/١ .

(٤) العين ٥٣/١ .

(٥) القُدَاحِس : الجريء الشديد (العين ٣٢٣/٣) .

أطلق الحروف . أما العين فأنصع الحروف جزءاً والبناء سماعاً . وأما القاف فأبهر الحروف وأصعبها جزءاً ، فإذا كانتا في بناء حسن لصاعتهما ، فإن كان البناء اسماً لزمته السين والدال مع لزوم العين والقاف ، لأن الدال لانت عن صلابه الطاء وكزازتها ، وارتفعت عن حقوق التاء فتحسنت وصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك ، ولهذا لا يضرك الكلمة ما خالطها من الحروف الصم .

قال (١) : والهاء تحتل في البناء لها شأنتها وأنها نفس لا اعتناص فيها .

قال (٢) : والمضاعف بناء تستحسنه العرب وتستلذه ، فيجوز فيه جميع ما جاء من الصحيح والمعتل والذلق والطلق والصم ، وذلك : الضلصلة والزلزلة ، والمهارة في هذا وما يناسبه يدل على [ما] يحسن من التأليف ويقيح ، وما يقع في أعلى الطبقات وأوسطها وأدونها ، ويعين على مشكلة الأعلى بالأعلى والأوسط بالأوسط والأدون بالأدون .

وأما المشكلة بالإعراب فإنك إذا قلت : (ضربت زيداً) قلت : (وعمرأ كلمته) ، لأنك بنيت الكلام على الفعل ، ومنه قوله تعالى : ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣) .

وأما المشكلة في الوزن فتكون في أبيات القصيدة ، إذ كل بيت منها على (١٧٧) زنة ما قبله وما بعده . وتحسن في المقاطع ، كقوله تعالى : ﴿إِذْ تَادَعَتْ رَبُّهُمُ بِذَلَّةِ خَوِيصٍ﴾ قَالَ رَبِّي وَإِيَّاهُ وَعَنِ الْعَظَمِ بَنِي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ مَكِينًا وَلَمْ أَصْغُرْ بِذَلِكَ رَبِّ سَفِينًا (٤) .

وأما المشكلة في المنى فهي على ثلاثة أحزب : المجانس ، والمزاج ، والمطابق .

(١) العين ٥٤/١ .

(٢) العين ٥٥/١ .

(٣) الإنسان ٣١ .

(٤) مريم ٣-٤ .

المجانسة كقول أبي تمام^(١) :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حَدِّهِ الحَدُّ بينَ الجِدِّ واللَّجْبِ
فقوله : (في حَدِّهِ الحَدُّ) تناسَّبَ بمعنى الأصل ، وذلك أَنَّ أصلَ البابِ
الشُّعْ ، ففي حَدِّ السيفِ مَنَعٌ ، وفي الحَدِّ بينَ الجِدِّ واللَّجْبِ مَنَعٌ أيضاً ، لأنَّ
معناه الفصلَ الذي يمتنعُ أحدهما أن يختلط بالآخر .

ولم يَهِ هذا البيتَ ترصيعَ آخر ، وهو مقابلةُ صورةِ الحَدِّ بصورةِ الجَدِّ وهما
متفقان خطأ لا لفظاً .

وقد سَمَّى البديعيون المجانسةَ تجنيساً ، وهو تفعيل من الجنس ،
والجنسُ ما كانت تحته أنواع كالحيوان والنبات ، وقد قال قومٌ : إِنَّ النوعَ أعمُّ
من الجنس ، وأنَّ الأجناسَ تحته ، والأكثر هو القول الأول .

ووجدتُ عامةَ مَنْ نظر في البديع لم يفرِّق بين التجنيس والترصيع إلا أبا
عليٍّ الفارسيَّ فإنه فرَّقَ بينهما ، ومثلُ كلاً منهما بأمثلة تميِّزه عن الآخر ، وذلك
أنَّ الجماعة يرون أنَّ ما اتفق لفظه واختلف معناه من باب التجنيس ، وأبو عليٍّ
يراه من باب الترصيع ، ولم أسمع لغير أبي عليٍّ كلاماً في الترصيع ، وهذا يدلُّ
على أَنَّ أبا عليٍّ (١٧٨) قَسَمَ ما ضَمَّنوه باباً في بابين وسَمَّى أحدهما تجنيساً
والآخر ترصيعاً ، وقد أحسنَ كُلَّ الإحسان ، وذلك أَنَّ الكلمةَ إذا اتفقت
صورتها وتقابلت في المنظر بالخطِّ ، أو في المسمع باللفظ أشبهت الجواهرَ
المتفقة الأجسام إذا تقابلت في النظام ، وإذا تَضَمَّنَ بعضُ الكلم ما في البعض
من الحروف فقد^(٢) تجانسا لاشتمالِ كُلِّ كلمة على أكثر ما في الأخرى من
الحروف التي رُجِّبَتْ منها .

ونحن نذكُرُ مذاهبَ الناس في هذين البيابين وغيرهما ، ونشير إلى مواضع

(١) ديوانه ١٠/١ .
(٢) في الأصل : وقد .

الخلافي والوفائي بمشيئة الله تعالى .

فالتجنيس على مذهب عبد الله بن المعتز^(١) : أَنْ يُؤْتَى بكلمتين على لفظ واحد ولهما معنيان ، أو على لفظ تتقارب حروفه .

فمن التجنيس الذي يتفق لفظه ويختلف معناه قول بعضهم : (اللهم إني مُسَلِّمٌ مُسَلِّمٌ) . وهذا القسم عند أبي علي الفارسي داخل في باب التصریح .

ومن التجنيس الذي تتقارب حروفه قول أبي تمام^(٢) :

جلا ظلمات الظلم من وجه أمه أضاء لها من كوكب الحُسنِ أفله

وهذا هو التجنيس الصحيح على مذهب أبي علي الفارسي ، لأن حروف إحدى الكلمتين وهما (ظلمات) و(ظلم) مجانسة لحروف الأخرى .

والتجنيس عنده ، أعني أبا علي الفارسي ، على ضربين : مجموع ومفروق .

فالمجموع ما ليس فيه بين حرفي المجانسة فاصلة ، كقول امرئ القيس^(٣) : (١٧٩)

لقد طمخ الطناخ من بغد أرضيه لئليسني من دائيه ما تكبسا وقول جرير^(٤) :

وما زال معقولا عقالا عن الندى وما زال محبوسا عن الخير حابس لأنه ليس بين (طمخ) و(الطناخ) حرف فاصل .

والمفروق كقول الكناني :

(١) البليغ ٢٥ (الأردية) ٥٥ (المصرية) ، وينظر من التجنيس : الصناعتين ٣٣٠ ، المبدأ ١/٣٢١ ،

البليغ في نقد الشعر ١٢ ، تحرير التحرير ١٠٢ .

(٢) ديوانه ٢٦/٣ .

(٣) ديوانه ١٠٨ .

(٤) ديوانه ١٨٤ .

فَأَزْدَيْنِ الفَوَارِسَ مِنْ فِرَاسٍ وَيَسَالَعُنَا كَرَزْدَ وَمَا نُهِنَا
وقول الكميث^(١) :

فَقُلْ لِحُذَامٍ قَدْ جَلَدْتُمْ وَسِبْلَةً إِلَيْنَا كُمُخْتَارِ الزَّدَافِ عَلَى الرُّخْلِ
لأنَّ بَيْنَ (الفوارس) و(فراس) لفظةً ، وبين (حذام) و(جلدتم) لفظة (قد) .
وقال أبو علي الحائمي^(٢) : التجنيس نوعان ، نوع تجانس في الكلمة
أختها في بعض حروفها ويشقُّ من معناها ، وهو كقول الله تعالى : ﴿ فَأَقْرَرُ
وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيمًا ﴾^(٣) ، وكقول القطامي^(٤) :

فَلَمَّا زَكَا فِي السُّؤْلِ شَالَتْ بِسُؤَالِي يَكُونُ لَهَا لِفَاعًا
وقول النابغة^(٥) :

وَأُطْعِمَ الْخَرَقَ بِالْخَزَاءِ قَدْ جَعَلَتْ مِنْ الْكَلَالِ تَشْكِي الْأَيْنِ وَالسَّامَا
ونوع تجانس الكلمة في الكلمة في حروفها دون معناها ، كقول رجل من
عبس^(٦) :

وَذَلِكُمْ أَنْ ذُلَّ الْجَارُ حَالْفُكُمْ وَأَنْ أَنْفُكُمْ لَا يَأْلَفُ الْأَنْفَا
(١٨٠) وقول جرير^(٧) :

كَأَنَّكَ لَمْ تَمِزْ بِلَادٍ نَعِمٍ وَلَمْ تَنْظُرْ بِنَاطِرَةِ الْخِيَامَا
وقال آخرون : التجنيس أن تجانس الكلمة الكلمة في مسموع حروفها ،
ولم يُراعوا ما راعاه غيرهم من التقسيم المتقدم ، ومثله بقول امرئ القيس :

(١) شرحه : ٦٤/٢ .

(٢) تنظر : حلبة المصاهرة ١٦٤/١ .

(٣) الروم ٤٣ .

(٤) ديوانه ٤٣ .

(٥) ديوانه ١٠٨ .

(٦) الجليج ٢٧ (الأوربية) ٥٨ (المصرية) ، نقد الشعر ١٦٦ ، الموزنة ٢٨٢/١ .

(٧) ديوانه ٢٢٢ درويته : ... بجنوب قز ... ولم تعرف ...

لقد طمّح الطماح

وقد كُتب البيت فيما تقدّم ^(١) .

ويقول عبد الله بن طاهر ^(٢) :

وإنّي للثغر المغفور لطالعي ، وللثغر يجبري ظلّك لسرّسوف

وهذا تجنيسٌ على رأي الأكثر ، وترصيعٌ على مذهب أبي عليّ الفارسيّ .

وأما أبو الفرج قدامة فلم يذكر التجنيس ، ولكنّه ذكر الاشتقاق

والمضارعة ، وقال : إنهما من نعتيّ الألفاظ ، ومثلهما بأمثلة ينتظمُ جميعها

في باب التجنيس على القول الأعمّ ، ويتنظمُ بعضها في باب التجنيس ،

وبعضها في باب الترصيع على قول أبي عليّ الفارسيّ ، فقال : الاشتقاق كقول

خالد بن صفوان ^(٣) : هشمك هشام وخرمك مخروم - وقول الآخر ^(٤) :

(لا ترى الجاهل إلّا مُغرطاً أو مُغرطاً) . والمضارعة كقول بعضهم : (إِيّاكم

والمُشارّة فإنّها نسيبُ الغرّة وتُحيي الغرّة) ^(٥) .

وقد حكى عن أبي عليّ الفارسيّ أيضاً أنّه يرى أنّ التجنيسَ صنفان : لفظي

ومعنويّ .

فاللفظي اشتراك الكلمتين في أكثر حروفهما ، كقوله تعالى : ﴿يَمْحَقْ

اللَّهُ (١٨١) الْيَزِيدَ وَيُزَيِّرِ الْكَذَّابِينَ﴾ ^(٦) ، وقوله تعالى : ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ

(١) نظّر الحاشية (٣) صفحة ١٧٢ .

(٢) شعرو : ٣٨ عن الصلة ١/٣٣٣ ، ويضاف : حلية المعاصرة ١/١٤٦ . وقد اختلّ به شعره في كتاب أدب الظاهرين

(٣) من الخطباء المشهورين . (المعارف ٤٠٣)

(٤) هو الإمام عليّ (عليه السلام) في النهاية ٣/٤٣٥ . ودرواه : لا يرى الجاهل . وهو بالتحنيف :

المُشْرِف في الصل ، وبالشديد : المُقْصِر فيه

(٥) مستدّ الثعلب ٢/٩٥ ، اللسان (هرر ، غرر) .

(٦) البقرة ٢٧٦ .

مُتَيْنَ ﴿١﴾ ، وقوله : ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾ (٢) ، وقوله :
﴿يَقَاهُونَ يَوْمًا ثَلَاثًا فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣) .

والمعنوي أن يأتي في الأول كلام ويأتي في الثاني كلام يدل على أنه جواب
له ، وهذا يقع في الجزاء ، كقوله تعالى : ﴿فَمَنْ أَعَدَّكُمْ عَلَيْهِمْ فَأَعَدُّوا عَلَيْهِمْ يَوْمَ تَكُونُ
الْمُزَاجُجُ﴾ (٤) ، أي جازوه بما يستحق على سبيل العَدْل ، وهذا هو
المزاج ، وسيأتي ذكره فيما بعد .

ومن مستحسن الشعر المُجَنِّس قول بعضهم :

| | |
|---|--|
| فُتِلْهِبِكَ عَنْ وَرْدِ الرِّيَاضِ بَوَاجِنَةٍ | تَوَرَّدَهَا مِنْ يَانِعِ الْوَرْدِ أَفْنَعُ |
| شَهِدْتُ لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ يَمْنَةً | شَهِادَتُهَا مَقْبُولَةٌ لَيْسَ تُدْفَعُ |
| أَبَادِي يَبِضًا يَبْضُثُ وَجْهَ مَطْلَبِي | وَقَدْ كُنْتُ فِي ظُلُمَاتِهَا أُنْكَعُ |
| وَأَغْنَيْتَنِي عَقْرَنُ يَمْنٍ يَمْنَةٍ | وَيُلْفِي عَلَى النَّزْرِ اللَّقَى يَنْفَجُ |

وقول الآخر :

| | |
|---|--|
| لِعَمْرِي لَنْ أَبْلَى الْجَدِيدَانِ جَدَّتِي | وَضَعَضَ مِنِّي الدَّهْرُ مَا يَتَضَعَضُ |
| لَرُبِّ صَبَاحٍ قَدْ سَفَتْ شُرُوقُهُ | صَبُوحاً وَوُرُقَ الْأَيْكِ فِي الْأَيْكِ تَسْمَعُ |
| بِصُرْفِهِ عَلَى صُرْفِ الزَّمَانِ مَعِينَةٍ | وَبِكْرِ مِنَ الْبَكْرِ الْعَقِيلَةِ أَمْنُ |

وقول الآخر : (١٨٢)

فَمَا نَسَلِ الْمَعَاهِدَ وَالْمَغَانِي بِأَلْسِنَةِ الدَّمُوعِ عَنِ الْغَوَانِي
وأما المزاج فقد تقدّم تمثيله ، ومنه قول الله تعالى : ﴿يُخَذِّلُونَ اللَّهَ وَهُوَ
خَذِلُهُمْ﴾ (٥) ، الخِذَاعُ الثاني إنما ورد لمزاج الأَوَّل ، لا على أن الله تعالى

(١) النمل ٤٤

(٢) التوبة ١٢٧

(٣) النور ٣٧

(٤) البقرة ١٩٤

(٥) النساء ١٤٢

هو يخدم أحداً من عباده . وقوله : ﴿وَمَكَرُوا بِكَ بِسَفْهَتِكَ وَمَا كَانُوا بِسَفْهَتِكَ عَلِيمِينَ﴾^(١) ، والثانية ليست بسفهة وإنما هي حق وجزاء . وقوله : ﴿مُسْتَهْزِئُونَ . الله يستهزئ بهم﴾^(٢) ، الاستهزاء الثاني مُستعَارٌ لمزاوجة الأول .

ومن الشعر المزاج قول الشاعر^(٣) :

إلا لا يَجْهَلُنَّ أحدٌ علينا فنَجْهَلُ فَنُحَلِّ الجاهلينا
الجاهل الثاني إنما هو مزاجٌ للأول .

وقول الآخر :

خليلي روحا بي إلى الراح واغتدوا ولا تجعلا شربي لها شربَ تَصْرِيدِ
حمتني مياهُ الورد منها مواردِي فلا تحرماني شُرْبَ ماءِ العناقيدِ
وقول أبي تمام^(٤) :

لا تَنْفِسِي ماءَ السلامِ فإِنَّنِي صَبَّ قَدْ اسْتَعْدَبْتُ ماءَ بُكَائِي
وأما المطابقة^(٥) فهي ذُكْرُ الشئِ وضدّه .

وقال الخليل بن أحمد^(٦) : يُقال : طابقتُ الشيئين إذا جعلتهما على حدو واحد وأصغتهما .

وقال الأصمعي^(٧) : (١٨٣) المطابقةُ وضعُ اليد موضعَ الرجل .
وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ المطابقة اشتراكُ المعنيين في لفظ واحد .

(١) الشورى ٤٠ .

(٢) البقرة ١٢ - ١٥ .

(٣) صمد بن كلثوم ، شرح الفصائل السبع الطوال الجاهليات ٤٢٦ .

(٤) سلف ذكره .

(٥) ينظر في المطابقة : حلية الصحابة ١/ ١٤٢ ، المعنى ٥/ ٥ ، البديع في نقد الشعر ٣٦ ، كفاية الطالب ١٢٨ ، تحرير النحرير ١١١ ، جوهر الكثر ٨٤ .

(٦) العين ١٠٩/٥ .

(٧) المعنى ٦/٢ .

والعلماء بالبدیع مجمعون على خلافهم ومتفقون على أنَّ المطابقة ذكرُ الشيء وضده .

وسبيلُ المطابقة أن يُبنى على التطابق والتوازن ، فلا يطابق اسمٌ مع فعلٍ ، ولا فعلٌ مع اسمٍ ، وإن تطابق الأسماء بالأسماء والأفعال بالأفعال ، فإنَّ ذلك أذهب في الصنعة ، كقول النبي ﷺ ، «لأنصار : (إنكم لتكثرون عند الفرع وتقلون عند الطمع)»^(١) ، فإنه طابق (تكثرون) بـ (تقلون) ، وهما فعلان .

وقد نظم عريف^(٢) القوافي هذا المعنى معكوساً ، فقال يهجو :

أَكْثَرُكُمْ أَقَلَّ النَّاسِ عِنْدَ لِسَانِهِمْ وَأَكْثَرُهُمْ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ وَالْقَبْرِ
وقول عمرو بن كلثوم^(٣) :

بِأَنَّا نُورِدُ الرِّايَاتِ بِيضاً وَنُضَلِّدُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوِينَا
فطابق (نورد) بـ (نصدر) ، وهما فعلان .

وقول زهير^(٤) :

وَمَنْ يَغْصِ اطِّرافَ الرِّجَاجِ غِلَاةً يَطِيحُ الْعَوَالِي رُكْبَتَ كُلِّ لَهْزَمٍ
فطابق (يعصي) بـ (يطيح) ، وهما فعلان .

وقول بشامة النهشلي^(٥) :

إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَنْفُسَنَا وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الرُّوْعِ أَغْلِينَا
فطابق (نرخص) بـ (أغلينا) ، وهما فعلان .

(١) اللانق ١١٥/٣ ، النهاية ٤٤٣/٣ . وقد سلك في ص ١٢٠ .

(٢) في الأصل : عريف ، وهو تعريف . والبيت في شعر عوف (شعراء أمويون ١٤٧/٣) .

(٣) شرح القصائد السبع الطوال ٣٨٨ .

(٤) ديوانه ٣٨١ .

(٥) شرح ديوان الحماسة ١١٤ ، ونسب إلى نهشل بن سرتي (شعراء مقلون ١٢٧) .

(١٨٤) وقول آخر^(١) :

حُلماءُ في النادي إذا ما جئتهم جهلاءُ يومَ عَجَاجَةٍ ولقاءِ
فطابق (حلماء) بـ (جهلاء) ، وهما اسمان .

وقول آخر :

أبا الحسنِ أَقْبَلَهَا حَيْثُ مَخْلَصِي من الوفرِ مجدودٌ من الفهمِ محدودٌ
فطابق مجدوداً بمحدود ، وهما اسمان .
وقول عبد الله بن الزبير الأمدني^(٢) :

فَرَدُّ شَعْوَرُهُنَّ الشَّوَدَ يَبْضاً وَرَدُّ وَجُوهُهُنَّ الْبَيْضَ سُوداً
فطابق البيض بالسود ، وهما اسمان من أسماء الجمع .

وأما أبو الفرج قدامة فلم يذكر المطابقة في (نقد الشعر) ، ولا في المنزلة من (الخراج) المقصورة على ذكر البلاغة ، ولكنه ذكر التكافؤ ، وأحسبه اكتفى به ، إذ ليس بينه وبين المطابقة كبير فرق . على أنَّ غيره قد فرق بين المطابقة والتكافؤ ، وأفرده لكل منهما باباً خاصاً به .

ومستأني بمشيئة الله على شرح ذلك إن شاء الله .

قول في التلازم^(٣) :

الكلامُ المتلازمُ هو ما تناسَبَ تَأْلِيفُهُ ، وارتبطَ بعضُ أجزائه ببعضٍ ،
واتصلتْ فصولُهُ ، وقربَ متناولُهُ ، وعُدَّتْ لفظُهُ ، ولطفتْ معناهُ ، وبرعَ مُبْتَدِئُهُ
ومُنْتَهَاهُ ، ووقعتْ كُلُّ كلمةٍ من كَلِمِهِ في الموضع اللاتقِ بها ، واقتترنتْ بترتيبها
حتى لا يوجدَ أَحَدٌ (١٨٥) منها بالمكان الذي رُتِّبَتْ فيه فيقال : لو كَانَ كَذَا

(١) زهير بن أبي سلمى ، ديوانه ٢٨١ .

(٢) شعره : ١٤٤

(٣) ينظر في التلازم : المكت ٩٤ ، الرسالة المسجدة ١٥٦ ، الروض المربع ١١١ .

مكان كذا لكان أولى ، وخلا من التعسف والاستكراه في اللفظ والوخامة
والقرامة في المعنى ، وعلق بالطباع ، وخف على القلوب والأسماع ، وحلا
في الصدور حتى إنه تعلق بنفس سامعه وتلهج بترديده وهو غير قاصد لذلك .

وقل ما تجتمع هذه المحاسن في كلام المخلوقين ، وإنما اجتمعت في كتاب
الله ، عز وجل ، لنخصه بالمعجز ، إلا أنه ينبغي لمن أحب الحصول على
فضيلة البلاغة أن يرمي بهمة إلى الغاية التي يتمكن أن يصل إليها بلقاء البشر ، وأن
يقدر فكره بالتأمل والنظر حتى يبلغ الحد الذي تقف غريرته عنده وتنتهي قريحته
إليه ، فإن للقرائح حدوداً لا تتعداها ، وللغرائز غايات لا تحوز مداها .

وينبغي أن يعلم أن الكلام على ثلاث طبقات : مثلث في الطبقة العالية ،
وهو كلام الله تعالى كله . ومثلث في الطبقة الوسطى ، وهو كلام البلغاء
والفصحاء من الناس ، وهو الذي يجب أن ترومه وتحداه بطلبه . ومتناثر .

فمن المتلائم في كلام البلغاء المنثور :

قول عمر بن الخطاب : (لا يكن حُبُّكَ كَلْفاً ولا بُغْضُكَ ثَلْفاً) .

وقول الآخر : (من عرف الناسَ داراهم ومن جهلهم ماراهم) .

وقول الآخر : (دَغ ما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره ،
فما كلُّ من حكى عنك ذكراً يطيق أن يوسعه عُذراً) .

وقول بعض الأعراب : (اللهم إن كنتَ حرمتني داعياً لقد رزقتني ساهياً) .

ومن المتلائم في كلام البلغاء المنظوم ^(١) : (١٨٦)

| | |
|--|---|
| رَمْسِي وَبَشَّرَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا | عَرِيَّةَ أَحْجَارِ الْكَناسِ رَمِيمُ |
| رَمِيمُ التِّي قَالَتْ لِحِجَارَةِ بَيْتِهَا | ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ بِهِمُ |
| فَلَوْ كُنْتُ أَطْلُغُ الرِّمَاءَ رَمِيَّتُهَا | وَلَكِنْ عَهْدِي بِالْأُضَالِ قَدِيمُ |

(١) الأبيات لأبي حنيفة السري في شعره : ١٧٢ - ١٧٣ مع خلاف في الرواية .

وقول أبي كبير الهذلي^(١) :

ألا يا حمام الأيك إلك حافِرُ
أفئذ لا تُخ من غير شيء فأنني
ولوعاً فطُنت غيرة دار زينب
وقول ذي الرقة^(٢) :

هي الشمسُ إشرافاً إذا ما تَزَيَّنتُ
ولما تلاقينا جَرَّتْ من عيرينا
فقلنا سقاطاً من حديث كأنه
وقول جميل^(٣) :

إذا ابتذلتُ لم يؤذها تركُ زينو
لها النظرة الأولى عليهم وبسطة
وفيها إذا ازدأنت لذي نقة حُب
وإن كَرِهَ الأبصارُ كان لها العقبُ
والمتنافر^(٤) كثيرٌ في كلام غير البلغاء من الناس . (١٨٧)

ومنه قول الشاعر^(٥) :

وقَبِرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفَرٍ وَلَيْسَ قَرَبٌ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرِ
والسببُ في تناثر الكلام ما ذكرناه من استعمال الحروف المتقاربة
المخارج والموالاة بينها ، أو البعيدة المخارج ، وذلك أنها إذا تباعدت كانَ
المتكلم كالأوائِب من موضع إلى موضع ، وإذا تقاربت كان المتكلم يمضي

(١) اصلها حيوان الهذليين . وفي الأصل : أبي كبير . والأول لأبي كبير في طبقات الشعراء المحادين

١٨٦ . ونظر : الزمعة ١/ ٢٤١

(٢) ديوانه ٧٨٤ - ٧٨٥ .

(٣) ديوانه ٢٧ .

(٤) ينظر في التنافر : البيان والبيان ١/ ٦٥ ، الإيضاح ٢ ، المطرول ١٦ .

(٥) البيان والبيان ١/ ٦٥ بلا عزو .

مقيّداً ، لأنه يرفع لسانه من موضع ويردّه إليه ، وذلك صَغْبٌ ثَقِيلٌ ، والسهولة والخِفَةُ إنّما تكون بالاعتدال ، ولهذا وقع في الكلام الإبدال والإدغام . وهذا كافٍ في معرفة أحكام الكلام المُتَلَامِس .

قول في المَثَل :

المَثَلُ تشبيهٌ سائرٌ^(١) . ومعنى سائر أنّه يكثر استعماله على معنى أنّ الثاني بمنزلة الأول ، كأنّه يسمّى في الناس على هذا الوجه . والأمثال كلّها حكايات لا تغتبر ، وهي من أحسن الطرق دلالةً على المعنى ، لأنها تتضمن حُسْنَ البيان مع شدة الاختصار .

والأمثال تقع في الشر والنظم ، فما وقع منها في الشر فينبغي لاستعماله أنّ يوقعه في المعنى الذي يناسبه والحال التي يشابهها ، ويورده بعبارة التي^(٢) سبق المتمثل به إلى التعبير عنه بها .

وأما ما يقع في النظم منها فإنّ أحسنَ أبيات الأمثال ما اشتمل على ثلاثة أمثال أو مثليين ، ثمّ ما اشتملَ أحدُ مضراعيه (١٨٨) أو جميعه على المَثَل .

فمن الأبيات التي تشتمل على ثلاثة أمثال قول رُهير^(٣) :

وفي الحلم إدهانٌ وفي العفو دُرْبَةٌ وفي الصدق منجاةٌ من الشرّ فاضدُّقِ
وقول النابغة^(٤) :

السرفسقُ يُمنّرُ والأناءُ سعادةٌ فاستأنِ في رفقٍ ثُلَاقٍ نجاحاً
وقول صالح بن عبد القدوس^(٥) :

(١) ينظر عن معنى المَثَل : الأمثال في القرآن الكريم ١٩ - ٦٤ .

(٢) في الأصل : الذي .

(٣) ديوانه ٢٥٢ .

(٤) ديوانه ٢٢٨ . وفيه : والرفق .

(٥) شعره : ١١٨ .

كُلُّ أَنْتِ لَا بُدَّ أَنْتِ وَذُو الْجَهْدِ لَمْ تُعْنَى وَالْعَمُّ وَالْحَزَنُ فَفُضِّلُ
وَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى مَثَلَيْنِ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ (١) :

إِلَهَ أَنْجِجْ مَا طَلَبْتُ بِهِ وَالْبِرُّ خَيْرٌ حَقِيقَةُ الرُّخْلِ
وَقَوْلُهُ (٢) :

فَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَمَا جَزَى ضَعِيفٌ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ
وَقَوْلُ النَّابِغَةِ (٣) :

خَلَّفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ
وَقَوْلُ طَرْفَةِ (٤) :

سُبْدِي لَكَ الْآيَامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ
وَقَوْلُ السُّخَيْبَةِ (٥) :

مَنْ يَفْعَلِ الْغَيْرَ لَا يَخْدَمُ جَوَازِيهَ لَا يَذْهَبُ الْمُرُفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
(١٨٩) وَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي يَشْتَمِلُ أَحَدُ مَضَارِعِهَا عَلَى مَثَلِي قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ
ثَوْرٍ (٦) :

وَحُمَيْدُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وَقَوْلُ الْهَذَلِيِّ (٧) :

(١) ديوانه ٢٢٨

(٢) ديوانه ٤٤ ورواية صبره فيه :

وإنك لم يفخر عليك كفاخر

(٣) ديوانه ٧٦

(٤) ديوانه ٤٨

(٥) ديوانه ٢٨٤

(٦) ديوانه ٧ وصدر البيت :

أرى بصري قد راينني بعد حلق

(٧) أبو خراش • ديوان الهذليين ١٥٨/٢ وصدره :

تُوتَل بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

وقول عترة^(١) :
وَالْكَفَرُ مَحَبَّةٌ لِنَفْسِ الْمُتَعَمِّمِ

وما سبق إليه -

وقول جرير^(٢) :
لَيْتَ الشُّكَّي كَانَ بِالْمُؤَادِ

وقول أبي ذؤيب^(٣) :
وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلْبِي تَقَعُ

وقول الأخطل^(٤) :
وَالْقَوْلُ يَنْقُذُ مَا لَا تَنْقُذُ الْإِبْرُ

ومن الأبيات التي يستوعب البيت منها المثل قول امرئ القيس^(٥) :

وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ
وقوله^(٦) :

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيتُهُ وَقَرَّرْتُ بِهِ عَيْنَايَ بُذِّلْتُ آخَرَا

يلى إنها تعفو الكلام وإنما

(١) ديوانه ٢١٤ وصدره :

لَيْتَ عَمراً غير شاكِرٍ نَعَمَتِي

(٢) ديوانه ٥٠٧ وصدره :

ونعمود سيدنا وسيد غيرنا

(٣) ديوان المهذلين ٣/١ . وفي الأصل : يرد . . . يفتح . وصدر البيت :

وَالنَّفْسُ رَاحِيَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا

(٤) ديوانه ١٠٥ وصدره :

حَتَّى اسْتَكَانُوا وَهُمْ مِنِّي عَلَى تَقْطُرِ

(٥) ديوانه ٩٩ .

(٦) ديوانه ٩٩ .

وقول زهير^(١) :

ومهما تكن عند امرئ من خليفه ولو خالها تخفى على الناس تُنلم
وأبيات الأمثال المفردة كثيرة جداً^(٢) .

ومن الأمثال ما يكون الكلام فيه على المعنى دون اللفظ ، ومن ذلك
(١٩٠) قول الشاعر^(٣) بصف سيوفاً :

ويصف رفاق قد علقهن كبراً يُدأى بها الصّاد الذي في النواظر
الصّاد داء يأخذ البعير في رأسه فيطرح به . ومعناه : أن من كان منكبراً
طامع الرأس كالبعير ذاوينا به هذه السيوف .

ومنه قول جرير^(٤) :

إني امرؤ أخسر غمر الفائق

أي أعالج من به الداء .

وقول الجعفي^(٥) :

وما نور من الهنيئ يُنقى به رأس الكمي من الضداع

وقول المجاج^(٦) :

جاؤوا شغلين ولاقوا حنصاً

والمعنى أنهم جاؤوا يشتنون الشر فوجدوا من شغلهم .

* * *

(١) ديوانه ٣٢ .

(٢) تنظر في : الأمثال والحكم للماوردي ، الأمثال والحكم للرازي .

(٣) الراعي النسيري ، ديوانه ١٣٦ . وفي الأصل : عليهن كثيرة . وهو تحريف .

(٤) نزل ديوانه ١٠٣٣ نقلاً عن اللسان (سلك) . وهو ليندل في اللسان أيضاً (سلك) .

(٥) أخل به شعره .

(٦) ديوانه ١٣٥ / ١ . وفيه : فلاقوا

الباب الرابع في صناعة البديع وأبوابها

إنما سُمِّيَ البديعُ بديعاً لأنَّ الكلمة تأتي في الكناية والاستعارة والتشبيه والإرداف والإشارة لشيء لم يوضع له في أصل اللغة ، فكأنَّها ابتدعت لذلك الموضوع ، لا لأنَّ المُخَدَّثِينَ ، كما ظنَّ قومٌ ، ابتدعوه وفازوا بالسبق إليه واخترعوه .

ويدلُّ على ما ذهبنا إليه (١٩١) أنَّ جميع أقسامه موجودة في كتاب الله تعالى وكلام رسولِهِ ﷺ ، وكلام الأولين من البلغاء والخطباء والشعراء .

وإنَّما صار أخصَّ بالمُخَدَّثِينَ لتنبههم عليه وعنايتهم به واستكثارهم منه واستنباطهم للنوع التي نعتوا بها أقسامه وأضراب مَنْ تقدَّم عن رَوْجِهِ بِكَذِّ القرائع والتمايهِ بِمَشَفِّ الخواطر ، لأنَّهم إنَّما كانوا يقصدون من الكلام ما انقاد طبعاً لا تطبعاً ، وأُتِنِعَ غريزة لا تصنعاً ، ولذلك كان يأتي ما وقع في كلامهم من أنواعه مرتبطلاً بالمعاني أحلى ارتباط ، ملائماً لها أتمَّ ملائمة ، حالاً من الكلام محلَّ الترصيع من الحلِّي .

ومسأني في أبوابه من التمثيل بآيات التنزيل ومثوور ومنظوم البلغاء من القدماء ما يشهد لما قلناه بالصحة .

وينبغي لمن أحبَّ تزيين كلامه بالبديع أن يذهب في استعماله مذهب مَنْ لا يتكلفه ولا يتعسف في طلبه ، فإنَّ القريحة إذا جاءت به عفواً كسب المعنى جوهرأ ناصعاً وكسا اللفظ نوراً لامعاً ، وأفاده من حُسن التقابُل والتقسيم ما يفيد الترصيع للشيء المرضع ، وإذا قصد باستكراه القريحة وكذَّها قاد إلى إيقاع الألفاظ في غير مواقعها ، وإحالة المعاني عن وجوها ، وعكس الواجب في الابتداء بتحصيل ما يشتمل على الصنعة من الألفاظ قبل تحصيل المعاني

التي الألفاظ خادمة لها وانتشار المعاني على أن تظهر من المباني فيما ينافرها .

وقد كان لي في زمان الحداثة صديق من أهل الأدب ، رحمه الله ، مفرماً باستعمال (١٩٢) هذه الصنعة في كلامه ، مفرطاً في تكلفها ، وكان لذلك يضطر إلى ما ذكرناه من إحالة الألفاظ والمعاني وترتيبهما في غير رتبتها وتحليل الاستكراء والوخامة فيهما ، وكان مع شغفه بهذه الصنعة لهجاً باستمارة آيات القرآن وحشو كلامه بها ، وكان أيضاً يُحرِّفها ويغيِّر كثيراً من تأليفها ويعدل بها عن مواضعها . فلما نشأت وقرأت كلام الناس ودلني الذوق والتأمل والطبع على الفرقان بين الكلام السليم والسقيم وضج لي خطؤه في ارتكابه ما ركب وزله في ذهبه إلى ما ذهب ، عاتبته وأعلمته أن ما يتكلفه من هذه الصنعة مُفسد لأصحابه مُحيل لمعانيه فائد له إلى تحريف كلام الله تعالى عن مواضعه سائق إليه هُزّة من نظر في تأليفه وتماجنه فلم ينجح عدلي فيه ومرّ في طلفقه تايماً لعشقه . وله خطبٌ ورسائل كثيرة لا تمرّ بأحد إلّا ضحك منها وهزأ بها ، وقد أتيتُ بفصول ممّا كانني به دليلاً على ما حكيتاه ، فمن ذلك صُدُرُ رسالة : (كلّ وقت يظهر من بلاغة الحضرة الأجلية أعلى الله شرفَ حظّها ويخفيها إلى حيث تكون كواكب السماء من تحتها ، من تنقيفها الكلم ونحتها ما يُعجز المتفهمين لزمها فكيف بالتأخيرين لوقتها ؟ وتبعث ما تبعث من الحكم واثقة منهم بشدّة مقفيتها وأمنة من شنائها ومقفيها ، ﴿وَمَا تَرْجُوهُمْ مِنْ مَائِدَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتَيْهَا﴾^(١) فهم يجدون في تحف رسائلها ما وجده موسى الكلم في عصاه من مآرب وساروب (١٩٣) ومقارع ومنافع لمن عصاه ، بل كلّهم راكبٌ حُطّة غرر وسالك حطّة خطر ، إن لزموه الاقتصار وتجنّبوا الإكثار ، للإعظام لها والاكثار ، لم يأمنوا نافذة تأملها أن يقف علمهم بين يدي تأملها موقف اعتذار ، فيرجعوا بالفجبل وهم يتلون : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ دُفِعُوا عَلَى الْأَرْضِ﴾^(٢) .

(١) الزخرف ٤٨

(٢) الأنعام ٢٧ .

وفي هذه الرسالة : (وإن اعتمدوا بعض ما يعتمدّه في المكاتبات من شريف الكلام وبديع النثر والنظام ، حركوا من غرائب ألفاظها ساكناً ، وأثاروا من رغائب معانيها كامناً ، ومروا من ضروب فصاحتها ما لا ينفذ لبائنه ، وحاشوا من أصلا ملجأها ما لا يساعدهم لبائنه ، وجهزت إليهم من كمأة الفاظها وآدابها ، كتاب ومقانب جيوش لا قبل لهم بها ، فيموتون موت عبي ، ومن سلم منهم من الأئمان وشدّ الوثاق ، تلت فضايلها على من طمع منهم لها باللاحاق ، ما عندهم ينفذ وما عند فلان باق) .

وصدر رسالة أخرى : (أطال الله بقاء حضرة مولاي ما ظهر بحنين عكن غضون ، واكتسى من الورق ثياباً خضراً جسد غصون ، ممتعاً ممتعاً من الضر والألام) .

ومنها : (فهذا الذي إذا سمع السامعون ذكره ، عظموا شأنه واكثروا شكره ، الذي يؤلم عدوه ويعطيل نكره)^(١) .

ومنها : (ورفع بدره إلى سماء كل سؤو وكف عنه كفّ عدو كل عدو) .
وجميع كلام الرجل كما ترى من ظهور الكلفة واستحالة اللفظ والمعنى ، ووضع الآيات المستعارة (١٩٤) في غير مواضعها ، وهذا لا يحتاج إلى التنبيه عليه والإشارة إليه .

وقد اختلفت مذاهب العلماء في بعض البديع ونعوت بعضه واتفقوا على الأكثر . ووجد عند قوم ما ليس عند الآخرين .

فأما أبو الفرج فدانّه قسم البديع إلى ثلاثة أقسام بحسب انقسام البلاغة في الأصل : فقسم يخصص الألفاظ وقسم يخص ما تركب منها ، ولم يُسمّه بديعاً وإنما قال : نعوت الألفاظ ، نعوت المعاني ، نعوت المركب منها .
وأما غيره فلم يراع ذلك ولا مثيره ، وأتى بالأبواب مختلطة .

(١) في الأصل : شكره .

ولا بُدَّ أن نلوخَ في كُلِّ باب من الأبواب بما عرفناه من وفاق العلماء واختلافهم ونلقي القولَ على ما ورد من هذه الأبواب في أقسام البلاغة الفرعية كالاستعارة والتنبيه والسجع والتطبيق والمجانسة والمزاوجة وغير ذلك ممَّا تقدَّم القول عليه إذ لا حاجة إلى تكريره .

والذي وقع إلينا من البديع بعدما انتظمت الأبواب السالفة اثنان وأربعون باباً ، وهي : أحسنُ ما ابتدأ به الكاتب والخطيب والشاعر . الخروج الحسن . الترصيع . المقابلة . التقسيم . التبيين . الالتفات . الاعتراض . التفسير . التتميم . التكميل . المبالغة . التكافؤ . الإشارة . الإرداف . التمثيل . الكناية . التعريض . التسهيم . الترويض . الإعتاب . (١٩٥) الإيغال . التركيب . الإلمام . الاستفهام . التفرع . التبديل . التصريح . الاستدراك . الحشو المقيد . الرجوع . الترويض . الترديد . التصدير . التسميط . التضمين . توكيد المدح بما يشبه الذم . الاستطراد . المماثلة . هزل يُراد به الجد . الاستثناء . التفويف .

ونحن نورد هذه الأبواب على تواليها ، وأقوال العلماء فيها ، إن شاء الله تعالى :

ذكر أحسن ما ابتدأ به الكاتب والخطيب والشاعر ^(١) :

الكلام المؤلف وينقسم ، كما قلنا فيما سلف ، إلى ثلاثة أقسام ، وهي : الرسائل والخطب والأشعار .

وكل قسم منها يحتاج إلى تقديم مقدِّمة تكون فرشاً وبساطاً لما يتلوها . وقد شروحنا ما جرت العادة بأن يفتح به كلُّ فرسٍ من هذه الفنون ، وأوضحنا الطريق إلى ترتيب هذه المقدمات عند القول على كيفية المركب من الألفاظ والمعاني وعند القول على ترتيب الكلام .

(١) ينظر : البديع ٧٥ ، الإيضاح ٤٢٨ ، المطول ٤٧٧ .

والتحعين على ما يكون مثالا لهذه المقدمات من الكلام المنشور على كثرة أنواعه واختلاف بداياته لاختلاف معانيه غير ممكن ، وإنما يرجع في ذلك إلى معرفة الكاتب واستقلاله بوضع كل شيء (١٩٦) في موضعه .

فأما المنظوم فلأن أكثر بداياته في التغزل والنسب ، يمكن التمثيل فيه .
ومن أحسن ما ابتدئ به قول امرئ القيس (١) :

قفا نيلك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ بسقط اللوى بين الدخولِ فَعَوَّلِ
فإن هذا البيت قد تضمن ملحاً من وقوفه واستيفاه وبكائه واستبكائه وذكر
الأحبة والمنزل . وقال الحارثي (٢) : الابتداءات البارعة خمسة :

قول النابغة (٣) :

كليني لهم يا أتيمة ناصبٍ وليل أقياسيه بطيء الكواكبِ
وصدر أراح الليل عازب هَمِّهِ تضاعف فيه الحزن من كل جانبِ
وقوله (٤) :

يا دلة مئة بالعلاء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمدِ
وقول علقمة بن عبدة (٥) :

طحا بك قلب في الحسان طروب بعتد الشباب عصر حان مشيب
وقوله (٦) :

هل ما علئت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

(١) ديوانه ٨ .

(٢) حلية المصاحرة ٢٠٥/١ .

(٣) ديوانه ٥٤ .

(٤) ديوانه ٢ وفيه : سالف الأبد .

(٥) ديوانه ٣٣ .

(٦) ديوانه ٥٠ .

وقول امرئ القيس^(١) :

ألا انعم إلهنا الطلل البالي وهل ينعم من كان في العصر الخالي
ومن الابتلاءات في أشعار المحدثين قول أبي تمام^(٢) : (١٩٧)
أجل إله الزئج الذي تحف أهله لقد بلغت فيك النوى ما تحاوله
وقوله^(٣) :

يا زئج لو زئعوا على ابنه مُموم مُنْتَسِلِمٌ لجوى الفراق سقيم
وقوله^(٤) :

يا بُدْ غايه دُغ العين [إن بُعدوا] هي المصابة طول الدُغِر والتهُدْ
وينبغي للشاعر والمترسل أن يتجنباً افتتاح الكلام بما يتطير منه وينقل على
سامعه ، ويتحفظ ما يستخفي ، كتنفي الشاب وتفزق الأحباب وذم الزمان
وما جرى ذلك ، إذا كان مُنْفِياً إلى مدح الرؤساء ومخاطبة المعظماء .

على أن أكثر ما يقع هذا في النظم دون النثر ، وإنما جمعنا الشاعر والكاتب
في الخطاب لاشتراكهما في استعمال المعاني . فقد عيب على الأعشى^(٥)
قوله :

ما بكاء الكبير في الأطلال وسؤالي وما يرُدُّ سؤالي
وأكثر على ذي الرمة^(٦) قوله :

ما بال فتك منها الماء ينسكب كأنه من كلَى مَفْرِتٍ سَرِبْ
وأشد التابغة^(٧) بعض الملوك قصيدته التي أولها :

(١) ديوانه ٢٧

(٢) ديوانه ٢١/٣

(٣) ديوانه ٢٦١/٣

(٤) ديوانه ١٠/٣ ونبه : هي المصابة . والزيادة منه .

(٥) ديوانه ٣

(٦) ديوانه ٩

(٧) الجعدي ، شعره : ٧٧ .

بَيْتُ أَنْسَاءَ فَأَلْقَيْتُهُمْ وَأَقْنَيْتُكَ بَعْدَ أَنْسَاءِ أَنْسَاءِ
فَقَالَ : ذَاكَ لَقَرِطِ شَوْمِكَ .

وَأَنْكَرَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى ^(١) عَلَى أَبِي نُورٍ ^(٢) امْتِدَاحَهُ إِتَاءَ بَقُولِهِ : (١٩٨)
أَرْبَعُ الْبَلَى إِنَّ الْخَشْيَعَ لِبَادِي عَلَيْكَ وَإِنِّي لَمْ أَخُشِكَ وَدَادِي
فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا قُضِدْتُمْ بَنِي بَزْمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ وَغَادِي
اسْتَحْكَمَ تَطَيُّرُهُ . وَيَقَالُ : إِنَّ الْأُسْبُوعَ لَمْ يَخْرُجْ عَنْهُمْ حَتَّى تُكْبِرَ ^(٣) .
وَأَنشَدَ الْبَحْتَرِيُّ ^(٤) يَوْسُفَ بْنَ مُحَمَّدٍ الثُّغْرِيَّ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

لَكَ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تَطَاوَلَ آخِرُهُ

فَقَالَ : الْوَيْلُ وَالْحَرْبُ لَكَ .

وَأَنْ يَكُونَ انْتِشَاحُ الْكَلَامِ مِنْ أَحْسَنِ مَا يُمْكِنُ وَأَعْلَقَهُ بِالْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ .
وَيَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ أَنْ يَتَجَنَّبَ التَّمْيِينَ فِي تَشْبِيهِ عَلَى اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ النِّسَاءِ فَإِنَّهُ
رُتِمَا وَافَقَ بَعْضَ مَنْ يَكْرَهُ الْمَدْوُخَ ذِكْرَهُ وَيَحْسُنُ النَّأْيَ لِهَذَا وَمَا يُجَارِيهِ .
ذَكَرَ الْخُرُوجَ الْحَسَنَ ^(٥) :

حُكْمُ الْمَقْدَمَةِ وَالتَّشْبِيهِ الْوَاقِعِينَ فِي الْمَشُورِ وَالْمَنْظُومِ أَنْ يَكُونَا مُتَصِلَيْنِ
بِمَا بَعْدَهُمَا وَغَيْرِ مُتَفَصِّلَيْنِ عَنْهُ .

فَأَمَّا مَقْدَمَةُ الْمَشُورِ فَبِأَنْ يَكُونَ اتِّصَالُهَا بِمَا بَعْدَهَا مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى ، وَهُوَ

(١) دَفْنُ الرِّشِيدِ ، ت ١٩٣ هـ . (تَارِيخُ بَغْدَادِ ١٢ / ٣٣٤ ، وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٤ / ٢٧) .

(٢) دِيَوَانُهُ ١ / ١٥٢ - ١٥٥ . (فَاغْنِي) .

(٣) الرِّوَايَةُ فِي دِيَوَانِهِ (فَاغْنِي) ١ / ١٥٦ - ١٥٧ .

(٤) دِيَوَانُهُ ٨٧٦ وَهَجَرُهُ : وَوَشَّيْتُكَ نَوَاسِي حَتَّى تَرْتَمِيَ أَبْدَانَهُ .

(٥) يَنْظُرُ : الْبَيْعُ ٦٠ ، الْمَتَصِفُ ٨٢ ، الْمَعْلَدُ ١ / ٢٣٤ ، جَوْهَرُ الْكَتَرِ ١٥٧ .

اشتمالها بالقول المُجمل على معاني ما جعلت مقدمة له ، واشتمال ما بعدها على تفصيل ما أجمل فيها .

وأما التشبيب فيأن يكون مرتبطاً بما يليه من أغراض الشعر (١٩٩) ارتباطاً يحسن معه التخلص إلى الغرض فقد مثّلوا أبيات القصيدة في اتصال بعضها ببعض وتساها باتصال أعضاء الإنسان ، وقالوا : إنه متى تباينت وتنافت في التركيب غادرها ما يُغادر الإنسان بيائن أعضائه من العاهات وتخون المحاسن .

والنصر على أمثلة للتطرق من مقدّمة المثنوي إلى غرضه فلا يُحتاج إليه لأنواع ما يقع في هذا الباب ، أعني المثنوي .

فأما تمثيل التطرق من تشبيب الشعر إلى غرضه فغير متعذر لِقِلَّة ما يقع في الشعر من المعاني . ومن مستحسن الخروج قول مسلم بن الوليد (١) :

أجذك هل تدرين أن ربّ ليلٍ كأنّ دجأها من قُرونك يُنْشَرُ
نَقَبْتُ لها حتى تَجَلَّتْ بَغْرَةٌ كَهَرَّةٍ يحيى حينَ يُذكرُ جعفرُ
وقول محمد بن وهّيب (٢) :

ما زالَ يُلْثَمُنِي مَراشِقُهُ ويعلّني الأبريقُ والقَدْخُ
حتى استرهُ الليلُ خَلْمَتُهُ وبدأ خلالَ سوادهِ وَصَحُ
وبدا الصباخُ كأنّ عُرْوَتُهُ وَجْهَ الخليفةِ حينَ يُتَدَخُ
وقول البحري (٣) :

قَدْ قُلْتُ لِلنَّيْسِ الرُّكَامِ وَلَجَ فِي إيراقيهِ وألحَّ في إزعاذهِ
(٢١٠) لا تعرضنَّ لجعفرٍ مُتَّيِّهاً بندي يَدَيْهِ فليست من أُنْدادهِ

(١) ديوانه ٣١٦ ، ورواية الثاني فيه : حيرت لها .

(٢) شعراء عباسيون ١/٦٢ ، ورواية الثاني فيه : ونشأ خلال . . . واللمعة في صنعة الشعر ٦٤ .

(٣) ديوانه ٧٠٣ .

وقوله (١) :

اقسمتُ لا أجعلُ الإعدامَ حادثةً تُخشى وعيسى بنُ إبراهيمَ لي سندٌ
وأكثرُ ما يقعُ هذا الخروجُ المُستَحْسَنُ في أشعار المُحدثين ، فأما الجاهليَّةُ
فلم يكونوا يعنون بياض النشيب بما بعده ، لأنهم يعدون النشيبَ كلمةً مُفردةً
ويرون المديحَ قصيدةً على حدة ، ومذهب المُحدثين أحسنُ وأبرعُ .

وذكرُ الترصيع (٢) :

هذا النعت مشتقٌ من ترصيع الحليّ بالجواهر ، لأنهم وضعوا اللفظ في
موضع الحليّ ، ورضعوا الصنعة الواقعة في هذا الباب ، وهي تماثل الألفاظ
في الخطِّ والسَّمع ، وتقابلها مقام ما يرصع الحليّ من الدُّرِّ وغيره . وهو
نعتٌ (٣) واقعٌ في موقعه ، لما بين تقابل الألفاظ المتماثلة في السمع والخط
وبين تقابل الجواهر المتماثلة الأجسام في الترصيع من المناسبة في المعنى ،
وهو أنَّ كلَّ واحدٍ يفعل فيما رصع به الرتبة والتقسيم مثل فعل الآخر .

ولم أجد لأحدٍ من العلماء بصناعة البديع فيه كلاماً إلا لأبي علي الفارسي
فإنه ذكره وقسّمه إلى ثلاثة أنواع : ترصيع حذو وترصيع لغو وترصيع موازنة .

(٢٠١) فأما ترصيعُ الحذو فهو أنَّ تأتي الكلمتان على صورة واحدة وروئي
واحد ، ولا يفرقان إلا في الشكّل والإعجام ، أو في الإعجام حسب ، أو في
الشكل حسب .

فمما يفرقُ في الشكل والإعجام قولُ النبي ، ﷺ : (عليكم بالأبكار فإنهنَّ

(١) ديوانه ٤٩٦ .

(٢) ينظر : نقد الشعر ٤٠ ، الصناعتين ٣٩٠ ، البديع في نقد الشعر ١٦٦ ، تحرير التحرير ٣٠٢ ، جوهر
الكثر ٢٥١ .

(٣) في الأصل : تعب . وهو تصحيف .

أشدُّ حُبًّا وأقلُّ حُبًّا^(١) ، وقول ابن الرومي^(٢) :
 لا أنسرقُ الشمرَ وغيري قاله يكفيني انتحالُه انتحالُه
 ومما يفترقُ في الإجماع حَسْبُ قولِ الله تعالى : ﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا
 نَصِيرًا﴾^(٣) ، وقول النبي ﷺ : (المرءُ يسمي بجدِّه والسيفُ يقطعُ بعده)^(٤) .
 ومما يفترقُ في الشُّكْلِ حسب قولك : العِزَّ والعَرَّ ، القُرَّ والقَرَّ .
 وأنا ترجيحُ اللغو فهو أن تكون الكلمتان على صورة واحدة والروئي
 مختلف ، مثل قولك : (فلان يبله سايع ونبله سايع) ، ومثل قوله تعالى :
 ﴿وَمِنْ حَسَنَاتِ الْإِسْلَامِ أَنْ تَحْسُنَ صُحُفَكَ﴾^(٥) ، ومثل قول أبي عباد^(٦) :
 ولم يكن المُنْعَرَّ بالله إذ سَرَى لِيُعْجِزَ والمُنْعَرَّ بالله طَالِيه
 وهذا النوع إنما يُراعى فيه اتفاق صوره في الخطِّ واختلاف رَوِيه ، وسواء
 بعد ذلك اتفاق حروف تأليفه في السمع واختلافهما ، ألا ترى اتفاق صُورتي
 المنْعَرَّ والمنْعَرَّ في الخطِّ واختلاف رَوِيهما ، وكذلك سايع وسايغ ، واتفاق
 صورتني تحسبون وتحسبون وحروفهما واختلاف رَوِيهما .
 وأنا ترجيحُ الموازنة (٢٠٢) فهو أن يكون البيت أو الفصل مقسوماً كلمتين
 كلمتين من غير زيادة عليهما ، وأن تكون الثانية من كلِّ قسم على وزن الثانية من
 القسم الذي بعدها . ومثاله في المنشور قول بعضهم : (دامت يعمُكُ وحد
 كرمُك وشفي أئلكُ) ، ومثل قولك : (دامت أيامُك ونصرت أعلامُك ونفذت

-
- (١) المشابه ١٢ وجاء برواية أخرى في سنن ابن ماجة ٥٩٨ والجامع الصغير ٦٣ / ٢ .
 (٢) أنزل به ديوانه .
 (٣) الأحزاب ٦٥ . ولعله أراد أيضاً الآية ٩ من الأحزاب وهي : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّهُ وَمَا تَشَاءُونَ عِبِيدًا﴾ .
 فيكون الفرق في الإجماع بين (نصير) و(بصير) .
 (٤) القول للإمام علي رضي الله عنه في المشابه ١٣ وجنى الجنيس ١٨١ .
 (٥) الكهف ١٠٤ .
 (٦) ديوانه ٢١٥ .

أَحْكَمُكَ . ومثاله في المنظوم قول الشاعر :
 الحَرْبُ نُزْهَةٌ وَالنَّاسُ هِمَّتُهُ وَالسِّيفُ حَزَنَتُهُ وَاللَّهُ نَاجِيَتُهُ
 وقول امرئ القيس^(١) يصف الفرس :

رَفَأَهَا ضَرْمٌ وَلَحْمَهَا بَرْمٌ وَجَزَيْهَا جَذَمٌ وَالطَّنُّ مَقْبُوبٌ
 وَالْعَيْنُ قَادِحَةٌ وَالْيَدُ سَابِحَةٌ وَالرُّجُلُ صَارِحَةٌ وَاللُّونُ غَزِيْبٌ
 وَالْمَاءُ مَنَهِيْرٌ وَالسَّدُّ مَنَحِيْرٌ وَالْبَطْنُ مَضْطَمِرٌ وَالْمَتْنُ مَلْحُوبٌ
 وقد سئى آخرون هذا تسيطاً ، قالوا : وهو تصوير الأجزاء في البيت على
 حكم السجع أو ما شابهه مما يكون جنس واحد في التصريف والتمثيل ،
 ومثله بقول امرئ القيس^(٢) :

مَكْرٌ مَقْبِرٌ مُقْبِلٌ مُذِيرٌ
 ويقول زهير^(٣) :

كَيْدَاءٌ مُقْبِلَةٌ وَرَكَاءٌ مُذِيرَةٌ
 والقصد توازن الأجزاء وإن لم تكن مسجوعة .

وقد كنتُ وقفْتُ على كتاب لطيف لأبي منصور الثعالبي^(٤) سماه :
 (أجناس التجنيس)^(٥) ذكر فيه أنها ثلاثة ، وأورد من (٢٠٣) فقر البلاء في كل
 قسم أمثلة من المنظوم والمثور :

فأولها : المتشابه الذي يشبه التصحيف ولم يراع اتفاق زوَيه ولا اختلافه
 ولا تبين حروفه إذا اتفقت صوره في الخط .

(١) ديوانه ٢٢٥ ، ومع خلاف في الرواية .

(٢) ديوانه ١٩ ، وشماه : معاً كجلمره صخر حطه السيل من عل .

(٣) ديوانه ٢٢٧ ، وعجزه : فرداء فيها إذا استمر غبتها خضع .

(٤) عبد الملك بن محمد ، ت ٤٢٩ هـ . (نزاهة الألباء ٣٦٥ ، وفيات الأعيان ١٧٨/٣) .

(٥) طبع ناقصاً ببشاد باسم (المتشابه) ، وتظهر ص ١٢ منه .

ومثله يقول النبي ﷺ : (عليك بالياس من الناس)^(١) .
ويقول الحسن البصري : (ما أعطى الله أحداً الدنيا اختياراً إلا زواها عنه
اختياراً)^(٢) .
ويقول الآخر^(٣) في الفروج : (يخرج كاسياً كاسياً) .
ويقوله^(٤) في الحيوان : (سبحان من جعل بعضه لك غادياً وبعضه عليك
عادياً) .
ويقول بعضهم^(٥) : (ليس في العظم مئج ولا في البيض مئج) .
وهذا الجنس يجمعُ ترصيعي الحدو واللغو .
وثانيهما : المتشابه من التجنيس الصحيح ، وهو أن تتفق صورتا الكلمتين
وحروفهما معاً فلا يفرق بينهما إلا الشكُّ ، وهذا أحد أنواع ترصيع الحدو .
ومثله يقول معاذ بن جبل^(٦) : (الَّذِينَ هَذَمَ الدِّينَ) .
ويقول بعض^(٧) البلغاء : (مَنْ كَانَ كُلُّهُ لَكَ كَانَ كُلُّهُ عَلَيْكَ) .
ويقول آخر : (ذَكَرَ الْمَيَّةَ مِنْ ضَعْفِ الْمَيَّةِ)^(٨) .
ويقول آخر : (مولاي يوليني العفو من عَفْوِهِ ويوليني صفحة صفحِهِ)^(٩) .

-
- (١) المتشابه ١٢ ، وينظر : الجامع الصغير ٦٢/٢ وجنى الجلاس ١٨٠ .
(٢) المتشابه ١٣ .
(٣) هو الجاسط في الحيوان ١٨٤/٢ و ٤١٠/٤ . والقول له في المتشابه ١٤ وخاص الخاص ٩ .
(٤) الجاسط أيضاً في المتشابه ١٤ وخاص الخاص ٩ .
(٥) المتشابه ١٥ .
(٦) صهبي ، ١٨٨ هـ . (لسد الغلبة ١٩٤/٥ ، الإصابة ١٣٦/٦) وقوله في الإعجاز والإعجاز ٣٧
والمتشابه ٣٧ .
(٧) العباس بن الحسن الملوي في خاص الخاص ٩ .
(٨) المتشابه ٣٧ .
(٩) المتشابه ٣٨ .

ويقول آخر : (راحة الجنان ورائحة الجنان)^(١) .

[ويقول آخر : (كلامه [غذاء الروح ومادة الروح)^(٢) .

ويقول شاعر^(٣) :

وليلة نَجْمُهَا كَلِفٌ صَبٌّ وفِي وَجْهِ بِذِرِّهَا كَلِفٌ

ويقول ابن بابك^(٤) : (٢٠٤)

فَصَوْتُ لِسَانِهِ نَعْمٌ وَصَوْتُ يَمِينِهِ نَعْمٌ

والمثال في البيت : (نعم ونعم) لا (صوت وصوب) ، لأنهما من ترصيع

اللغو .

ويقول محمد بن العباس^(٥) :

طُولٌ بِلَا طَوْلٍ وَلَا طَائِلٌ سَيْفٌ كَهَامٌ وَغَمَامٌ جَهَامٌ

وثالثهما : ما يشابه لفظاً وخطأً ويختلف معنىً ، ولا يدُلُّ عليه إلا قرائنه

من الألفاظ دون الشكل والإعجام إذ لا يختلفان وهذا الجنس يشبه^(٦) أن يكون

قسماً رابعاً من ترصيع الحدو .

ومثله بقول صاحب^(٧) : (ليدٌ عنده بليدٌ ، وعبيدٌ وأقرانه له عبيدٌ) .

ويقوله أيضاً : (يضائق في حرف ويعتد المودة على حرف)^(٨) .

(١) المشابه ٣٨ .

(٢) المشابه ٣٨ ، وفي الأصل : ورائحة الجنان وغذاء الروح ...

(٣) ابن بابك في المشابه ٤٠ .

(٤) المشابه ٤١ .

(٥) المشابه ٤١ .

(٦) في الأصل : فيشبه .

(٧) إسماعيل بن حماد ، ت ٢٨٨ هـ . (بيضة الدرر ٣/ ١٩٢ ، معجم الأدباء ٦/ ١٦٨) . وقوله في المشابه ٤٤ .

(٨) في جنس الجنس ٧٦ : (قال الجاحظ : غلان يعاتب على حرف ، ويعيد المودة على حرف) . =

ويقوله : (ما انتصف النهار حتى انتصف الله للحق من الباطل)^(١) .

ويقول البستاني^(٢) : (وَيُحْمِمْ غَيْرُ وَيُحْمِمْ ، وَفَرِيحةٌ غَيْرُ فَرِيحةٍ) .

ويقول ابن الرومي^(٣) :

كَمْ يَمُنُّ وَنَسْوَاسِ الْعِلْيِ وَيَمُنُّ وَنَسْوَاسِ الْهَمْسِ

ويقول القاضي التنوخي^(٤) :

أَبْيَرُ وَقَلْبِي فِي ذَاكَ أَبْيَرُ وَحَادِي رَكَبِي لَسَوْعَةٌ وَزَفِيرُ

فترصيع الخطي على هذا ينقسم إلى أربعة أقسام :

قسم تتفق صُوَرُهُ وحروفُهُ وإعجامُهُ وشكلُهُ ، مثله : (حرف وحرف)
(فريحة وفريحة) .

وقسم تتفق صوره (٢٠٥) وحروفه وإعجامه ويختلف شكله ، مثل : (ذَيْن
وَذَيْن) و(كُلُّ وكُلُّ) .

وقسم تتفق صُوَرُهُ وشكلُهُ وتختلف حروفُهُ وإعجامُهُ ، مثل : (بصير
ونصير) و(سفير وسفير) .

وقسم تتفق صوره وتختلف حروفه وإعجامه وشكله ، مثل : (جُبَّ وجَبَّ)
و(غَبَّ وعَبَّ) .

وأورد في أبواب الجنس الثاني باباً نسبته إلى ما يتشابه لفظاً لا خطاً ، ومثله
يقول البستاني^(٥) :

= الأول : أحد حروف الهجاء ، والثاني : الطرف .

(١) التشابه ٤٤

(٢) بنية الشعر ٤ : ٣٠٦ والتشابه ٤٤ . وفي الأصل : خيم غير وخيم .

(٣) ديوانه ٢١٢٠ .

(٤) بنية الشعر ٢ : ٣٤٤

(٥) شعره : ٢٩٨

وَأَنْ أَسْرَّ عَلَى رِقِّ أَنْبِئَةٍ أَقَرَّ بِالرِّقِّ كُتَّابُ الْأَنْبَاءِ لَهُ
وهذا النوع سَمَّاهُ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ (التركيب) . وله موضعٌ يُذكر فيه من
هذا الباب بمشيئة الله تعالى .

وَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ وَأَبُو عَلِيٍّ الْمَحَاطِي فِيهِمَا يَرِيَانُ أَنَّ أَحَدَ الْأَقْسَامِ
الَّتِي أَدْخَلْنَاهَا فِي التَّرْصِيعِ أَحَدُ قِسْمِي التَّجْنِيسِ ، وَهِيَ لِذَلِكَ أَمِيلٌ إِلَى مُوَافَقَةِ
أَبِي مَنصُورٍ الْعَالِي ، وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ عَلَى هَذَا فِيمَا تَقَدَّمَ .
ذكر المقابلة^(١) :

أَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَّانِيُّ فَمِنْهُمَا لَمْ يَذْكُرَا
المقابلة ، وَأَحْبَبَهُمَا أَلْيَاهَا لِقُرْبِ مَعْنَاهَا مِنْ مَعْنَى الْمِطَابَقَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ
المقابلة التَّوْفِيقَ بَيْنَ الْمَعْنَى مِنْ جِهَةِ الْمَوَافَقَةِ وَالْمُضَادَّةِ ، وَالْمِطَابَقَةُ ذِكْرُ الشَّيْءِ
وَضَدَّهُ .

وَأَمَّا أَبُو الْفَرَجِ قَدَامَةً^(٢) فَقَالَ : إِنَّ الْمَقَابِلَةَ مِنْ نَعَوَاتِ الْمَعْنَى ، وَهُوَ أَنْ
يُؤْتَى بِمَعْنَى (٢٠٦) يُرَادُّ التَّوْفِيقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعْنَى أُخْرَى ، أَوِ الْمُضَادَّةَ فَيُؤْتَى فِي
الْمُوَافِقِ بِمَا يُوَافِقُهُ ، وَفِي الْمُضَادِّ بِمَا يُمَادُّهُ ، وَمِثْلُهُ بِقَوْلِ بَعْضِهِمْ : (فَإِنَّ أَهْلَ
الرَّأْيِ وَالنَّصْحِ لَا يَسَاوِيهِمْ ذُوو الْأَفْنِ وَالْغَشَّ ، وَلَيْسَ مَنْ جُمِعَ إِلَى الْكُفَايَةِ
الْأَمَانَةُ كَمَنْ أُضَافَ إِلَى الْعِجْزِ الْخِيَانَةُ) .

قَالَ : وَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذِهِ الْمَقَابِلَاتِ وَجَدْتَ فِي غَايَةِ الْمَعَادِلَةِ ، لِأَنَّهُ جُمِعَ
بِإِزَاءِ الرَّأْيِ الْأَفْنِ ، وَبِإِزَاءِ النَّصْحِ الْغَشَّ ، وَقَابِلُ الْكُفَايَةِ بِالْعِجْزِ ، وَالْخِيَانَةُ
بِالْأَمَانَةِ ، وَبِقَوْلِ الشَّاعِرِ^(٣) :

(١) ينظر : نقد الشعر ١٣٣ ، حلية المحاضرة ١/١٥٣ ، الصناعتين ٣٤٦ ، كفاية الطالب ١٤٤ ، جوهرة
الكنز ٨٥ .

(٢) نقد الشعر ١٣٣ .

(٣) بلا عزو في نقد الشعر ١٣٣ وكفاية الطالب ١٤٥ .

فَوَإِ عَجَباً كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحَ وَفِي وَطْوَئِيٍّ عَلَى الْغِلِّ غَادِرُ
فَوَفَى الْمَقَابِلَةَ إِذْ جَمَلَ يَزَاءُ نَاصِحٍ مَطْوِياً عَلَى الْغِلِّ ، وَيَزَاءُ وَفَى غَادِراً .

ويقول الآخر^(١) :

تَقَاصَرْنَ وَاخْتَلَوْنِي لِي لَمْ إِنَّهُ أَتَيْتُ بَعْدُ أَبَامَ طَوَالٍ أَمَرْتِ
فَقَابِلَ الْقَصْرِ وَالْحَلَاوَةَ بِالطَوِيلِ وَالْمَرَادَةِ .

وَأَمَّا الْحَاتِمِيُّ^(٢) فَإِنَّهُ عَيَّرَ عَنْهَا بِعِبَارَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ عِبَارَةِ أَبِي الْفَرَجِ ، فَقَالَ :
(الْمَقَابِلَةُ وَضَعُ مَعَانٍ يَعْتَمِدُ التَّوْفِيقَ بَيْنَ بَعْضِهَا وَبَعْضٍ ، أَوِ الْمَخَالَفَةُ فَيُؤْتَى فِي
الْمَوَافِقِ وَالْمُخَالَفِ بِأَمْتَالِهِنَّ عَلَى الصَّحَةِ ، أَوْ تُشْرَطُ شُرُوطٌ وَتَعَدَّدُ أَحْوَالٌ فِي
أَحَدِ الْمَنْبَيْنِ فَيُؤْتَى فِي الْمَوَافِقِ بِالْمَوَافِقِ وَفِي الْمَخَالَفِ بِمَخَالَفِ ، وَمِثْلُهُ بِقَوْلِ
الْبَاهِغَةِ^(٣) : (٢٠٧)

فَقَسَى نَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
وَأَمَّا أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ فَقَالَ : إِنَّ الْمَقَابِلَةَ تَطْبِيقٌ لَفْظِيٌّ ، لِأَنَّ الْكَلِمَةَ تَقَابِلُ
فِيهِ أُخْتَهَا عَلَى تَرْتِيبٍ ، وَهُوَ قَوْلُ حَسَنِ ، لِأَنَّ الْمِطَابَقَةَ لَا يُرَاعَى فِيهَا تَرْتِيبُ
الْفَلِظِ ، وَإِنَّمَا يُرَاعَى الْإِتْيَانُ بِالْأَضْدَادِ ، وَمِثْلُهُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ ، وَالْمِثَالُ فِي
الْبَيْتِ الثَّانِي :

وَعَظِيمِيَّةٌ مِنْ ظِلَاءِ الْأَنْسِيِّ تُؤْنِسُنِي دُرِّيَّةُ الثَّغْرِ كَافُورِيَّةُ النَّفْسِ
نِيكِي وَنَضْحَكُ إِذْ صَدَّتْ وَإِنْ وَصَلَتْ فَتَحْنُ فِي مَنَاقِمٍ مِنْهَا وَفِي عَرَسِ
فَابْتَدَأَ بِالْبِكَاءِ وَأَتْبَعَهُ الضَّحْكَ ، وَقَابِلَ الْبِكَاءِ بِالصُّبْدِ وَالْمَنَامِ ، وَالضَّحْكَ
بِالْوَصْلِ وَالْعَرَسِ عَلَى تَرْتِيبٍ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيمٍ وَلَا تَأْخِيرٍ .

(١) بلا عَزْوٍ فِي نَقْدِ الشَّعْرِ ١٣٣

(٢) حَلِيلَةُ الْمَعَاوِرَةِ ١/١٥٣ .

(٣) الْجَمْعِيُّ ، شَعْرُهُ : ١٧٤ .

ذكر التقسيم^(١) :

من شأن القسمة المعتدلة أن تُحَسِّن الصورة ، ولذلك سموها الحسن
فساماً ، والوجه قسيمة ، وقالوا : وَجْهٌ مَقْسَمٌ ، أي : حَسَنٌ ، كَأَنَّ قسمة
تخطيطه متعادلة ، وَرَجُلٌ مَقْسَمٌ ، إذا كان وضيئاً .

وكذلك نفعل القسمة المعتدلة أيضاً في المعاني الوهمية ، لأنها إذا صَحَّحت
فسنها ظهر أمرها وتميَّز الحسن من القبيح فيها .

وصحَّة القسمة تكون بسلامتها من الزيادة والنقصان والتداخل ، وفادها
يكون بدخول واحدة من هذه العلل عليها ، والقسمة الزائدة هي الفاضلة عن
المقسوم ، والناقصة هي المقصورة عن المقسوم ، (٢٠٨) والمتداخلة هي التي
يدخل فيها حق بعض الأقسام في بعض .

والتقسيم الواقع في هذا الباب على مذهب الجماعة أن يستغني مؤلف
الكلام تفصيل ما ابتدأ به ويستوفيه فلا يغادر قسماً يقتضيه المعنى إلا أوردته .

وقال أبو الفرج قدامة^(٢) : التقسيم من أنواع المعاني ، وهو أن يؤنى
بالأقسام مستوفاة لم يخل بشيء منها ، ومتخلصة لم يدخل بعضها في بعض ،
ومثله بقول بعضهم : (فإنك لم تخل فيما بدأتني به من مجلد ابنتيه أو شكر
تعجلته أو أجر أو منجز أنجزته أو من أن تكون قد جمعت ذلك كله) .

قال : ولم يبق هذا القاسم في هذا الباب قسماً إلا أتى به مع خلوصها من
التداخل ، لأنه ليس فيها قسمٌ مشتركٌ لغيره . ومثاله من المنظوم قول
زهير^(٣) :

(١) ينظر : نقد الشعر ١٣١ ، الصنائع ٣٥٠ ، البديع في نقد الشعر ٦٦ ، كفاية الطالب ١٤٧ ، تحرير
التحصيل ١٧٣ ، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ٢٧٧ .

(٢) نقد الشعر ١٣١ .

(٣) ديوانه ٥٤ .

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطْلَعُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا اغْتَنَقُوا
وَقَوْلُ نُصَيْب^(١) :

فَقَالَ فَرِيقُ الْقَوْمِ : لَا وَفَرِيقُهُمْ نَعَمْ وَفَرِيقٌ قَالَ وَبِكَ مَا نَسْتَدْرِ
وَلَيْسَ فِي أَقْسَامِ الْإِجَابَةِ عَنِ الشَّيْءِ الْمُسْتَجِيرِ عَنْهُ إِلَّا هَذِهِ الْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ .
وَقَوْلُ الْأَشْعَرِيِّ خُثْرَانِ الْجُفَيْيِّ^(٢) يَصِفُ فِرْسًا عَلَى هَيْبَتِهِ مِنْ جَمِيعِ
جِهَاتِهِ :

أَنَا إِذَا اسْتَبَلَّتَهُ فَكَأَنَّهُ بَارٌّ يَكْفِكِفُ أَنْ يَطِيرَ وَقَدْ رَأَى
(٢٠٩) أَنَا إِذَا اسْتَعْرَضْتَهُ مَتَطَرًا فَتَضَلَّ هَذَا بِشَلِّ سِرْحَانِ الْخَفَا
أَنَا إِذَا اسْتَبْرَزْتَهُ فَسَرَقَتْهُ سَاقُ قَمْرٍ مَوْصُولِ الدَّفْعِ عَارِيَةُ النَّسَا
وَقَوْلُ زُهَيْرِ^(٣) :

فَإِنَّ الْخَيْلَ مَقْطَعَةٌ ثَلَاثٌ بِيَمِينٍ أَوْ يَفَارٍ أَوْ جِلَاءٍ
وَقَوْلُ طَرْيِجِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الثَّقَفِيِّ^(٤) :

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يُخْفَوُهُ وَإِنْ عَلِمُوا شَرًّا أُذْيِعَ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَّبُوا
وَقَوْلُهُ^(٥) :

مَنْ حَازَنُوا وَضَعُوا أَوْ سَالَمُوا زَفَعُوا أَوْ عَاقَدُوا فَصَمِنُوا أَوْ حَدَّثُوا صَدَقُوا
وَقَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ^(٦) :

(١) شعره : ٩٤

(٢) نقد الشعر ١٣٢ ، وفيه : يصف فرساً على هيئته ، وحلقة المحاضرة ١/ ١٤٧ .

(٣) ديوانه ٧٥

(٤) شعره : ٧٥ .

(٥) شعره : ٦٨ وفيه إن حازنوا .

(٦) ديوانه ١٥٨٧ - ١٥٨٨ .

وَمِنْكُمْ كَالْمَاءِ يَشْفِي ذَا الْعُسْدَى كُنْفَائِهِ وَيَشُقُّ مِثْلَ شَفِيفِهِ
مَنْ لَهْ حُسْنُ الرِّحِيْقِ وَطَيْبُهُ وَمَزَاجُ شَارِبِهِ وَمَشْيُ تَرِيفِهِ
وَقَوْلُ بَشَّارٍ (١) :

بَضْرِبِ بِذَوْقِ الْمَوْتِ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ وَتَذَرِكْ مَنْ نَجَى الْفِرَاقِ مَنَائِبَهُ
فَرَاخُوا فَرِيْقَ فِي الْأَسَارِ وَمِثْلُهُ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَأَذَى الْبَحْرِ هَارِبُهُ
فقد استوفى حال مَنْ يتوقع به الظَّفر .

وَقَوْلُ الشَّامِخِ (٢) يَصِفُ سَبَابَكَ الْحِمَارِ وَشِدَّةَ رَهْصِهِ الْأَرْضِ : (٢١٠)
نَسَى مَا تَقَعُ أَرْسَاعُهُ مَطْمِئِنَّةً عَلَى حَجَرٍ يَزْفَضُ أَوْ يَنْدَحْرِجُ
ذِكْرُ التَّيْبِينَ (٣) :

هُوَ أَنْ يَزَيَّ بِمَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي مَجْمَلًا ثُمَّ يَبَيِّنُ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ
الْفَرَزْدَقِ (٤) :

لَقَدْ جِئْتَ قَوْمًا لَوْ لَجَأْتَ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دَمٍ أَوْ حَامِلًا يُثْقَلُ مَغْرِمُ
وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْبَيْتَ مُحْتَاجًا إِلَى بَيَانٍ قَالَ :

لَأَلْفَيْتَ مِنْهُمْ مُعْطِيًا وَمُطَاعِنًا وَرَأَيْتُكَ قِذْمًا بِالْوَشِيحِ الْمُصَمَّمِ
أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَبَيِّنُ قَوْلَهُ : (حَامِلًا ثَقُلَ مَغْرِم) بِقَوْلِهِ : (لَأَلْفَيْتُ فِيهِمْ مُعْطِيًا) ،
وَقَوْلَهُ : (طَرِيدَ دَمٍ) بِقَوْلِهِ : (مُطَاعِنًا بِالْوَشِيحِ الْمُقَوِّمِ) . وَقَوْلُ سَهْلِ بْنِ
هَارُونَ (٥) :

-
- (١) ديوانه ٣١٨/١ ، ٣٢٠ .
(٢) ديوانه ٩٢ . وفي الأصل : أَرْسَاعُهُ ، يَنْدَحْرِجُ ، بِالرَّفْعِ وَالصَّرَافِ مَا أَثْنَا .
(٣) الرائي ٢٨٨ وقانون البلاغة ١٢٤ . وهو التفسير في نقد الشعر ١٣٥ والعمدة ٣٥/٢ وكتابة الطالب ١٨٢ والجامع الكبير ٢٢٣ وجوه الكثر ١٤٨ .
(٤) ديوانه ٧٤٩ وفيه : لَقَدْ خَنَتْ .
(٥) نقد الشعر ١٣٧ وزهر الأدب ٥٧٨ .

فواحسرتي حتى متى القلب موجع بفقد حبيب أو تعذر إفضال
ثم بين ما أجمله في البيت الأول فقال :

فراق حبيب مثله يورث الأسى وتخله حُر لا يقوم لها مالى
وقول ابن الرومي^(١) :

كانهم إن عَضَّ إزم بمازب وإن أوقدت نيران حرب تَصْزُم
نجوم الدجى منها شهاب على العدى ومنها ممال للغماة ومزدم
وقوله أيضاً^(٢) : (٢١١)

صاحي الطباع إذا ساءلت هاجئة وإن سألت يدَيه فهو نشوان
ثم بين ذلك بقوله :

يُصْغِرُهُ ذَهْنٌ وَيَأْتِي صَخْوَهُ كَرَمٌ مستحکم فهو صاح وهو سكران
وقد أدخل قوم الثبيني في باب التقسيم ولم يفرقوا بينهما ، وهما متقاربان
ليس بينهما كبير فرقان .
ذكر الالتفات^(٣) :

قال عبد الله بن المعتز^(٤) : الالتفات انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى
الإخبار ، وعن الإخبار إلى المخاطبة ، وما أشبه ذلك من الالتفات عن معنى
يكون فيه إلى معنى آخر ، ومثله بقوله تعالى : ﴿ حَقَّ إِذَا كُنتَ فِي أَفْئِدَةٍ وَجَرَيْنِ ۝٣٣
يُرِيحُ لِيُخَوِّعَ ۝٣٤﴾^(٥) .

(١) أنزل بهما ديوانه

(٢) ديوانه ٢٤٣

(٣) ينظر : نقد الشعر ١٤٦ ، المناصب ٤٠٧ ، الصمد ٤٥/٢ ، قانون البلاغة ١١٠ ، حقائق البحر

١٣٤ ، كناية الطالب ١٩٠ ، النمل الساخر ١٧٠/٢ ، الطراز ١٣١/٢

(٤) المجمع ٥٨

(٥) يونس ٢٢ .

وبقول جرير^(١) :

أَتَنَسَّى يَوْمَ تَصْقَلُ عَارِضَتُهَا بفرع بشامة شُيِّ البشام
فانصرف عن المعنى الذي كان فيه إلى البشام فدعا له .

وبقول الطائي^(٢) :

وَأَجْبَذْتُ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكُمْ فَمَا تَمَعَّ أَنْجِدَنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ
فانصرف عن المخاطبة إلى مناداة دمعيه .

وقال الحائمي^(٣) : الالتفاتُ أَنْ يوجد في معنى لم يعدل عنه إلى غيره قبل تمام الأول ثم يُعاد إليه ، فيكون ما عدل إليه (٢١٢) مبالغة في الأول وزيادة .

وهذا سناه ابن المعتز^(٤) : الاعتراض . وسنذكره تَلَوَّ هذا الكلام إن شاء الله .

ذكر الاعتراض^(٥) :

قال ابن المعتز^(٦) : من محاسن الشعر اعتراضُ كلام في كلام لم يتم معناه ، ثم يعودُ الشاعرُ فيتمه في بيت واحد . ومنه قول بعضهم^(٧) :

فَظَلُّوا يَوْمَ دَغَّ أَخَاكَ لِمِثْلِهِ عَلَى مَنْزَعٍ يُرْوِي وَلَقَا يُصْرِدُ
فقلوه : (دع أخاك لمثله) اعتراض كلام في الكلام الأول قبل تمامه .

(١) ديوانه ٢٧٩ .

(٢) ديوانه ١١٠/٢ .

(٣) حلية المحاضرة : ١٥٧/١ .

(٤) البديع ٥٩ .

(٥) بنظر : الصناعتين ٤١٠ ، البديع في نقد الشعر ١٣٠ ، جوهرة الكثر ١٢٨ ، الطراز ١٦٧/٢ ، خزائن الأدب ٣٦٦ .

(٦) البديع ٥٩ .

(٧) بلا عزو في البديع ٥٩ والصناعتين ٤١٠ وفيهما : على مشرع .

ومنه قول كثير^(١) :

لَوْ أَنَّ الْبَاغِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْيَمْلَالَ

فقوله : (وأنت منهم) اعتراض .

ومنه قول النابغة^(٢) :

أَلَا زَعَمْتَ بِنَوَ عَبْسِي بِأَنْسِي أَلَا كَذِبُوا كَبِيرُ الثَّنِ فَانِي

فقوله : (ألا كذبوا) اعتراض .

ومنه قول الآخر^(٣) :

فَلَوْ كُنْتُ الْأَمِيرَ وَلَا تَكُنْتُ إِذَا عَلِمْتُ مَعَهُ مَا أَقُولُ

فقوله : (لا تكن) اعتراض .

وقول الآخر^(٤) :

فَلَوْ بِكَ مَا بِي لَا يَكُنْ بِكَ لَاغْنَدِي إِلَيْكَ وَرَاخِ الْبُرْ بِي وَالتَّقَرُّبُ

فقوله : (لا يكن بك) اعتراض .

وقول الآخر^(٥) : (٢١٣)

فَبِأَنْسِي إِنْ أَفْتَيْتُكَ يَفْتُتِكَ مِنْي فَلَا تَظْفَرْ بِهِ عَقْدُ نَفْسِي

فقوله : (فلا تظفر به) اعتراض .

وقول عوف بن محلم الحزاني^(٦) :

(١) ديوانه ٥٠٧

(٢) الجعدي ، شعره : ١١٢ .

(٣) علقم بن زيد ، ديوانه ٣٤ وفيه : وأم أكنه .

(٤) عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، شعره : ٥٤ .

(٥) الأخطل في حلية المعاصم : ١٥٧/١ وليس في ديوانه . وبلا عزو في قانون البلاغة : ١١١ .

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٠٦ ، معاهد التخصيص ١/٣٦٩ . وفي الأصل بهم فاء يلتصقها .

إِنَّ السَّانِينَ وَلُغَتَهُمَا قَدْ أَخَوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ
 ق قوله : (لُغَتَهُمَا) اعتراض .
 وهذه الأمثلة التي مثل بها أبو علي الحاتمي في باب الالغفات .

ذكر التفسير ^(١) :

قال قدامة ^(٢) : صحة التفسير من نعوت المعاني ، والتفسير قريب من
 التفسير ، وهو أَنْ تَوْضِيعَ معاني يُحتاجُ إلى شرح أحوالها ، فإذا شُرِّحَتْ أَيْهَا
 تقتضيه تلك المعاني من غير زيادة عليها ولا نقصان منها ولا عدول عنها ، ومثل
 ما قال بعضُ الكُتَّابِ في فصل : (وأنا أَتَقَرُّ من مُسَالَسَتِكَ في حالٍ يمثل ما أعلمه
 من مشاركتك في أخرى ، لأنك إن عَطَفْتَ وَجِدْتَ لَدُنَّا أو غُيِّرَتْ أَلْفَيْتَ شَيْئًا) .

ومثل قول بعض البلغاء : (وَأَيُّ يَذْهَبُ مع غزير إنعامك وسديد أحكامك
 وإلم أسفاك من أَنْ تَكُونَ مشاعاً للمضيف ، مدافعاً للحيف ، مناعاً من الخوف) .
 ولابن الرومي فُضِّلَ من كتاب : (فإني وليك الذي لم تزل تنقاد لك مودته
 من غير طمع ولا جزع ، وإن كنت لدى الرغبة مُطْلَباً ولدى الرهبة مُهْرَباً) .
 وهذا الباب ينتظم في باب التبيين لما بينهما من المناسبة .

(٢١٤) ذكر التميم والتكميل ^(٣) :

قال قدامة ^(٤) : التميم ^(٥) من نعوت المعاني ، وهو أَنْ يُؤْخَذَ في معنى

(١) ينظر : الصناعتين ٢٥٥ ، المعلة ٣٥/٢ ، سر النصيحة ٢٥٤ ، البديع في نقد الشعر ٧٢ ، بديع
 القرآن ٧٤ ، جوهر الكثر ١٢٨ .

(٢) نقد الشعر ١٣٥ و ٢٠٣ .

(٣) الصناعتين ٤٠٤ . وينظر في التميم : المعلة ٥٠/٢ ، قانون البلاغة ٣٧ ، جوهر الكثر ١٣٢ ،
 القواعد المشوق ٩٠ . وينظر في التكميل : قانون البلاغة ١٠٥ ، تحرير التعبير ٣٥٧ ، جوهر الكثر
 ٢٢٤ ، الطراز ١٠٨/٣ .

(٤) نقد الشعر ١٣٧ .

(٥) في الأصل : التميم .

فَيُؤْتِي بِجَمِيعِ الْمَعَانِي الْمَتَمَّةِ لِحَصْنَةِ الْمَكْمَلَةِ لِحُجُودِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْلُ بِبَعْضِهَا ، وَلَا يَغَادِرُ شَيْئاً مِنْهَا ، وَهُوَ كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَيَقُولُونَ كَلِمَاتٌ ﴾^(١) فَنَمَّ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ سَبْعَانَهُ : ﴿ عَلَى شَيْءٍ ﴾ .

وَكَقَوْلِ بَعْضِ الْكُتَّابِ (فَحَفَلْتُ)^(٢) بِهِ أَسْبَابَ الْجَلَالَةِ غَيْرِ مُسْتَشْعِرٍ فِيهَا لِنُخْوَةٍ ، وَتَرَامَتْ بِهِ أَحْوَالُ الصَّرَامَةِ غَيْرِ مُسْتَعْمِلٍ فِيهَا لِسَطْوَةٍ ، هَذَا مَعَ دِمَائِهِ فِي غَيْرِ حَصَرٍ ، وَلَيْتَ مِنْ غَيْرِ خَوْزٍ ، فَمَنْ كَمَالِ الْجَلَالَةِ زَوَالِ النُّخْوَةِ وَمَنْ تَامَ الصَّرَامَةِ صَفَاؤُهَا مِنَ السَّطْوَةِ ، وَمَنْ غُلُومِ الدَّمَائَةِ ارْتِفَاعُ الْحَصَرِ وَمَنْ كَمَالِ لَيْلِ الْجَانِبِ فَقَدْ خَوَزَ . فَقَدْ أَتَى بِمَا تَكَمَّلَ الْمَعْنَى الَّتِي جَاءَ بِهَا مِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ بِشَيْءٍ .

وَكَقَوْلِ طَرَفَةِ^(٣) :

لَمَقَسَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرِّبِيعِ وَدَيْمَةٌ تَهْمِي
فَقَدْ تَنَمَّ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ : (غَيْرِ مُفْسِدِهَا) .

وَقَوْلِ نَافِعِ بْنِ خَلِيفَةَ الْغَنَوِيِّ^(٤) :

رِجَالٌ إِذَا لَمْ يَقْبَلُوا الْحَقَّ مِنْهُمْ وَيُعْطَوهُ لَأَذُوا بِالسَّيْفِ الْقَوَاطِعِ
تَنَكَّتْ صَحَّةُ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ : (وَيُعْطَوهُ) .

وَقَوْلِ الثَّيْرِ بْنِ تَوَلَّبٍ^(٥) :

لَقَدْ أَصْبَحَ الْبَيْضُ الْغَوَانِي كَأَنَّمَا بَرَزِينَ إِذَا مَا كُنْتُ فِيهِمْ أَجْرَبَا
وَكُنْتُ إِذَا لَأَقْبَهُمْ بِلَدَةٍ بَقُلْنَ عَلَى النُّكْرَاءِ أَهْلًا وَمَرْحَبَا

(١) الإنسان ٨ .

(٢) في الأمل : فحلفت . ومروم .

(٣) ديوانه ٩٧ ، وقفه : بلادك .

(٤) نقد الشعر ١٣٧ ، وحلية السامع ١/ ١٥٢ .

(٥) شعره : ٣٦ .

(٢٢٥) فَقَوْلُهُ : (على النكراء) تميم حسن ، لأنه لو كانت بينه وبينهم
 معرفة لما كان جعلها الله بطلاناً له ، كما لو لم يخرج مني ، وحسن بين إبراهيم بن أبي
 وقال بأخروني ، ولا يصح أن ينعقد لك الشك في مسمى فيورده غير مخرج شقة
 يقع له أن السليم لا يتصور حقيقة فيجوز أن يجعل على ما قلعه في قلته أن يكون
 وإنما أن جعل الشك فيه غير الجواب ، ومنه قول المؤلف (٢٢٦) أحسن وأيسر
 تيمم صلاة الحرب منا ومنهم إذا ما التقينا والمسلم يادن
 قوله : (والمسلم يادن) دلالة على أن المحارب صلح
 وهو قول طرفة (٢٢٧) فترى المسلم في هذه الحرب ، وهي تدعى الحرب
 بفراغ عيبه فلو لم يستطع ذلك فلو لم يكن للأصيل كذا في عيب الكلام
 الله فقولنا (الكلمة الأصل) تميم فتكأنه قلنا أن فمترضاً يقول المكلف
 معنى السيف والعداوة واجتلاء ؟ فقال نعم والكلمة الأصل كذا في عيب الكلام
 وهو قول البصري (٢٢٨) فترى في وضع به النكراء ، وتسميم صل فعل الآخر
 أسماء الجهاد ، القاموس المسمى جازعاً ، أنه عيب كذا فكل شقة أم جيب
 علفني ومما يقتضي قولك سبب كذا في عيب فيقول لك من كذا
 ثم تقدم بقوله قوله في الآية وهو أن ما في الحفستان على صورة ما في الحفستان
 كتاب الشاهنشاه : إذا أتيت المكاتب السويعة فلو في قفص فها السد على
 الله وقوله أيضاً (٢٢٩) :

أفنت أكلت أكل السلاطين فلو لم تكن له وتروى كثر بذا

(٢٢٥) المفضل في بيان المؤلفين ٤٧/٣ .
 (٢٢٦) قوله ٩٦ ، وفيه : بضم حيف .
 (٢٢٧) قوله ٩٩ .
 (٢٢٨) قوله ٩٩ .

ومثله بقول النبي ﷺ : (عليك بالياس من الناس)^(١) .
 ويقول الحسن البصري : (ما أعطى الله أحداً الدنيا اختياراً إلا زواها عنه اختياراً)^(٢) .
 ويقول الآخر^(٣) في القزوح : (يخرج كائيباً كائيباً) .
 ويقول^(٤) في الحيوان : (سبحان من جعل بعضه لك غادياً وبعضه عليك عادياً) .
 ويقول بعضهم^(٥) : (ليس في العظم مئع ولا في البيض مئع) .
 وهذا الجنس يجمع ترصيعي الحدو واللغو .
 وثانيهما : المتشابه من التجنيس الصحيح ، وهو أن تتفق صورتا الكلمتين وحروفهما معاً فلا يفرق بينهما إلا السكُّل ، وهذا أحد أنواع ترصيع الحدو .
 ومثله بقول معاذ بن جبل^(٦) : (الدُّيْنُ هَذُمُ الدُّيْنِ) .
 ويقول بعض^(٧) البلغاء : (مَنْ كَانَ كُلُّهُ لَكَ كَانَ كُلُّهُ عَلَيْكَ) .
 ويقول آخر : (ذُكِرَ الْيَتْمُ مِنْ ضَحْفِ الْمَيِّتِ)^(٨) .
 ويقول آخر : (مولاي يوليني العفو من عَفْوِهِ ويوليني صفحة صفحِهِ)^(٩) .

-
- (١) المتشابه ١٢ ، وينظر : الجامع الصغير ٦٢/٢ وجنى المجلس ١٨١ .
 (٢) المتشابه ١٣ .
 (٣) هو الجاحظ في الحيوان ١٨٤/٣ و ٤١٠/٤ ، والقول له في المتشابه ١٤ وخصائص الخاص ٩ .
 (٤) الجاحظ أيضاً في المتشابه ١٤ وخصائص الخاص ٩ .
 (٥) المتشابه ١٥ .
 (٦) صحابي ، ت ١٨٠ هـ . (أسد الغابة ٥/ ١٩٤ ، الإصابة ١/ ١٣٦) وقوله في الإعجاز والإيجاز ٣٧ والمتشابه ٣٧ .
 (٧) العباس بن الحسن العلوي في خصائص الخاص ٩ .
 (٨) المتشابه ٣٧ .
 (٩) المتشابه ٣٨ .

وقوله^(١) :

أَتَسْتَلِمْ لَا أَجْعَلُ الْإِعْدَامَ حَادِثَةً تُخَفِّى وَعِيسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ لِي سَنَدٌ
وَكَثُرٌ مَا يَقَعُ هَذَا الْخُرُوجُ الْمُسْتَحْسَنُ فِي أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ ، فَأَمَّا الْجَاهِلِيَّةُ
فَلَمْ يَكُونُوا يَعْنُونَ بِإِصْصَالِ التَّشْبِيهِ بِمَا بَعْدَهُ ، لِأَنَّهُمْ يَحْدَوْنَ التَّشْبِيهَ كَلِمَةً مُفْرَدَةً
وَيَرْوُونَ الْمَدِيحَ قَصِيدَةً عَلَى حَدِّهِ ، وَمَذْهَبُ الْمُحَدِّثِينَ أَحْسَنُ وَأَبْرَعُ .

وَكُرِّهُ التَّرْصِيعُ^(٢) :

هَذَا النَّحْوُ مُسْتَقٌّ مِنْ تَرْصِيعِ الْحَلِيِّ بِالْجَوَاهِرِ ، لِأَنَّهُمْ وَضَعُوا اللَّفْظَ فِي
مَوْضِعِ الْحَلِيِّ ، وَرَضَعُوا الصَّنْعَةَ الْوَاقِعَةَ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَهِيَ تَمَاطُلُ الْأَلْفَاظِ
فِي الْخَطِّ وَالسَّمْعِ ، وَتَقَابُلُهَا مَقَامَ مَا يَرْصَعُ الْحَلِيُّ مِنَ التَّرُّ وَغَيْرِهِ . وَهُوَ
نَحْوُ^(٣) : وَاقِعٌ فِي مَوْضِعِهِ ، لَمَّا بَيْنَ تَقَابُلِ الْأَلْفَاظِ الْمُتَمَاثِلَةِ فِي السَّمْعِ وَالْخَطِّ
وَبَيْنَ تَقَابُلِ الْجَوَاهِرِ الْمُتَمَاثِلَةِ الْأَجْسَامِ فِي التَّرْصِيعِ مِنَ الْمُنَاسِبَةِ فِي الْمَعْنَى ،
وَهُوَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَفْعَلُ فِيمَا رَضَعَ بِهِ الرِّبَّةَ وَالتَّقْسِيمَ مِثْلَ فَعَلَ الْآخَرُ .

وَلَمْ أَجِدْ لِأَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِصَنَاعَةِ الْبَدِيعِ فِيهِ كَلَامًا إِلَّا لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ
فَإِنَّهُ ذَكَرَهُ وَقَسَمَهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ : تَرْصِيعُ حَدِّهِ وَتَرْصِيعُ لُغَوِهِ وَتَرْصِيعُ مُوَازَفَتِهِ .

(٢٠١) فَأَمَّا تَرْصِيعُ الْحَدِّ فَهُوَ أَنْ تَأْتِيَ الْكَلِمَتَانِ عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ وَزَوِيٍّ
وَاحِدٍ ، وَلَا يَفْتَرِقَانِ إِلَّا فِي الشَّكْلِ وَالْإِعْجَامِ ، أَوْ فِي الْإِعْجَامِ حَسَبِ ، أَوْ فِي
الشَّكْلِ حَسَبِ .

فَمِمَّا يَفْتَرِقُ فِي الشَّكْلِ وَالْإِعْجَامِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : (عَلَيْكُمْ بِالْأَبْكَارِ فَإِنَّهُمْ

(١) ديوانه ٤٩٦ .

(٢) ينظر : نقد الشعر ٤٠ ، الصناعتين ٣٩٠ ، البديع في نقد الشعر ١١٦ ، تحرير التصغير ٣٠٢ ، جواهر
الكلام ٢٥٤ .

(٣) في الأصل : تَعَب . وَهُوَ تَصْغِيرُ .

ويقول الآخر (١) راحة الجنان وراحة الحنن (٢)

الشبهه والقصبة ليست بكنة بل هي كناية عن (تكملي) من جملة الليل والقمر
والشمس عز والشمس طالعة تبكي عليك ، وليست بكاسفة مع طلوعها
والقمر والقمر كناية عن الظلمة والشمس كناية عن النور فيجوز أن الليل والشمس
وتجمل قول القائل (٣) (ذكر يوم حرب :

يعدو فخر الجبه والشخص خلف الصفة (٤) لا السور نور ولا الإطلام
والقول الشاعر (٥) يصف قتلة قلوب الأولاد :

كأن قلوب أولادها معلقة بقرون الطباء
ومثل هذا قول امرئ القيس (٦) :

ولا شيل يوم في قدار ظلتبه كاني وأصحابي علي قرن أغفر
ولا شيل يوم في قدار ظلتبه كاني وأصحابي علي قرن أغفر

سما وأقول قيس بن العنبر (٧) يصف القوم في الحرب :

لو أنك ظفني لظفرك فوق يميني
تواضع للقوم في القتال حتى لوطن مقلبا ألقى على بعضهم
حنظلا تجري عليهم كما يجري على الأرض ولم يسقط لشدة تراصهم . (عن)
في البيت يميني (علي)

- (١) جوهرة ٧٣٦ . ويظهر في توجيه إعرابه : الزاهر ٢٨٦/١ والإفصاح ١٩٢ .
- (٢) ديوان ٢١٢ من قصيدة مجرورة ، والرواية هنا على الإقواء
- (٣) ديوان القيس ، شعراء الجاهلية (٢) ٢٠٢ .
- (٤) ديوان ٧٠ ، وفيه : في قدار ظلتبه .
- (٥) ديوان ٨٦ ، وأما الإحصاء : ديوان ٨٦ ، وفيه : في قدار ظلتبه .

فَوَا عَجِبَا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحَ وَفِي وَمَطْوِيٍّ عَلَى الْغِلِّ غَادِرَ
فَوَفَى الْمَقَابِلَةَ إِذْ جَعَلَ بِإِزَاءِ نَاصِحٍ مَطْوِيًّا عَلَى الْغِلِّ ، وَإِيزَاءِ وَفَى غَادِرًا .
ويقول الآخر ^(١) :

تَقَاصَرَنَ وَاخْلَوْنِي لِي نَمُ إِنَّهُ أَتَتْ بِهَذَا أَيَّامَ طَوَالٍ أَمَرَّتِ
فَقَابَلَ الْقَصْرَ وَالْحَلَاوَةَ بِالطُّولِ وَالْمَرَارَةِ .

وَأَمَّا الْحَاطِمِي ^(٢) فَإِنَّهُ عَبَّرَ عَنْهَا بِعِبَارَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ عِبَارَةِ أَبِي الْفَرَجِ ، فَقَالَ :
(الْمَقَابِلَةُ وَضَعُ مَعَانٍ يَمْتَدُّ التَّوْفِيقُ بَيْنَ بَعْضِهَا وَبَعْضٍ ، أَوِ الْمَخَالَفَةُ فَيُؤْتَى فِي
الْمَوَافِقِ وَالْمُخَالَفِ بِأَمْثَالِهِمَا عَلَى الصَّحَةِ ، أَوْ تُشْرَطُ شُرُوطٌ وَتَعَدَّدُ أَحْوَالٌ فِي
أَحَدِ الْمَعْنِيَيْنِ فَيُؤْتَى فِي الْمَوَافِقِ بِالْمَوَافِقِ وَفِي الْمَخَالَفِ بِمَخَالَفٍ ، وَمِثْلُهُ يَقُولُ
النَّابِغَةُ ^(٣) : (٢٠٧)

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
وَأَمَّا أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِي فَقَالَ : إِنَّ الْمَقَابِلَةَ تَطْبِيقٌ لَفْظِيٌّ ، لِأَنَّ الْكَلِمَةَ تَقَابُلُ
فِيهِ أَخْتَهَا عَلَى تَرْتِيبٍ ، وَهُوَ قَوْلٌ حَسَنٌ ، لِأَنَّ الْمِطَابَقَةَ لَا يُرَاعَى فِيهَا تَرْتِيبُ
الْفَلْظِ ، وَإِنَّمَا يُرَاعَى الْإِتْيَانُ بِالْأَضْدَادِ ، وَمِثْلُهُ يَقُولُ الشَّاعِرُ ، وَالْمِثَالُ فِي
الْبَيْتِ الثَّانِي :

وَعَلِيَّةٌ مِنْ ظَبَاءِ الْأَنْسِ تُؤْنِسُنِي تُرِيكُو الشَّعْرِ كَافُورِيَّةِ النَّفْسِ
نَبْكِي وَنَضْحُكَ إِنْ صَدَّكَ وَإِنْ وَصَلَتْ فَتَحْنُ فِي مَا تَمُّ مِنْهَا وَفِي عَرَسِ
فَاتَبَدَأَ بِالْبُكَاءِ وَاتَّبَعَهُ الضَّحْكَ ، وَقَابَلَ الْبُكَاءَ بِالضَّدِّ وَالْمَائِمِ ، وَالضَّحْكَ
بِالْوَصْلِ وَالْعَرَسِ عَلَى تَرْتِيبٍ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيمٍ وَلَا تَأْخِيرٍ .

(١) بلا عَزُوفٍ فِي نَقْدِ الشَّعْرِ ١٣٣ .

(٢) حَلَبَةُ الْمَحَاضِرَةِ ١٥٣/١ .

(٣) الْجَمْعِيُّ ، شَعْرٌ : ١٧٤ .

ويقول آخر : (راحة الجنان وراحة الجنان)^(١) .
[ويقول آخر : (كلامه [غذاء الروح ومادة الروح)^(٢)] .

ويقول شاعر^(٣) :

وَلَيْسَ نَجْمُهَا كَلِفٌ صَبٌّ وَفِي وَجْهِ بِذَرِّهَا كَلِفٌ
ويقول ابن بابك^(٤) : (٢٠٤)

فَصَوْتُ لَانِهِ نَعْمٌ وَصَوْتُ يَمِيزُهُ نَعْمٌ
والمثل في البيت : (نعم ونعم) لا (صوت وصوب) ، لأنهما من ترصيع اللغو .

ويقول محمد بن العباس^(٥) :

طُوبَى بِلَا طَوْلٍ وَلَا طَائِلٍ سَيَفُ كَهَامٌ وَعَمَامٌ جَهَامٌ
وثالثهما : ما يشابه لفظاً وخطأً ويختلف معنى ، ولا يدلُّ عليه إلا قراته من الألفاظ دون الشكل والإعجام إذ لا يختلفان وهذا الجنس يشبه^(٦) أن يكون نفساً رابعاً من ترصيع الحدو .

ومثله بقول صاحب^(٧) : (ليدٌ عنده بليدٌ ، وعبيدٌ وأقرانه له عبيدٌ) .

ويقوله أيضاً : (يضايق في حرف ويعتد المودة على حرف)^(٨) .

(١) المنشابه ٣٨ .

(٢) المنشابه ٣٨ . وفي الأصل : وراحة الجنان وغذاء الروح ...

(٣) ابن بابك في المنشابه ٤٠ .

(٤) المنشابه ٤١ .

(٥) المنشابه ٤١ .

(٦) في الأصل : فيشبه .

(٧) إسماعيل بن حماد ، ت ٢٨٠ هـ . (شجرة الدر ٣/ ١٩٢ ، معجم الأدباء ٦/ ١٦٨) . وقوله في المنشابه ٤٤ .

(٨) في جنس الجنس ٧٦ : (قال الجاحظ : فلان يعاتب على حرف ، ويعيد المودة على حرف) . =

وإنما لو أريدت بقوله (لم يخمد له نار) كثرة إطباعه الطعام ، فلم تأت
باللفظ الدال على ذلك بعينه قال ذكرت إيقاده النيران ، لأن ذلك (٢٢٢) تابع

لا يتخذ الطعام ، بل هو على ما كان ، وهذا هو المعنى .
ومن ما كتب به بعض الكتاب في صفة حرب : (جني إذا غارت القمع والتمت
الجمع بالجمع ، وأجبرت الأجداف وقامت الحرب على ساق) .

وكل هذه إرداف يدل على المعاني المقصودة بغير ألفاظها الخاصة
ولهذا المذهب بوقوع من البلاغة حسن ، لأن الواصف لم يقصد ما وصفه
والفاظه الخاصة به فقال : (نحارب القوم أشد بحارب) لم يكن لذلك من
الموقع ما للإرداف من الحسن ومنه قول بعضهم ، وهو عمر بن أبي ربيعة (١) :

بعبلة مهوى القيرط أيها لنؤفلوس أيها ربي عذب شمس وهياشم
الأنف لما لم أكن صفتها بطول العلق ما : ...

وقول امرئ القيس (٢) :
لو شئني حبيبتك لعلك فوق فراخها : ... لم يسلط عن قفيل

وإنما أراد أن يذكر نمرقه هذه المرأة وتنعمتها وأن لها ما يكتفيها فأتى بوصف
ما يتبع هذه الحال ...

وأما غير أبي الفرج فالذي يظهر من عباراتهم أنهم لم يقرئوا بين الإشارة
والإرداف ، على أنهم قد نمتوا ما تنفع أبو الفرج بالإرداف بالتبعية ، وعبروا عنه

بشأن غير عنه أبو الفرج عن الإرداف ، ومثلوه ومثلوا الإشارة بما يدل على أنهما
شيء واحد ، وأنهم لم يذكروا الفرق بينهما على ظهوره ، إذ الإشارة اشتمال

(١) ديوانه ، ص ٢٠٨
(٢) ديوانه ، ص ١٧

فواحررتي حتى متى القلب موجع بفقد حبيب أو تفتن إفضالي
ثم بين ما أجمله في البيت الأول فقال :

فراق حبيب مثله يورث الأسى وخلة حُر لا يقوم لها مالى
وقول ابن الرومي ^(١) :

كأنهم إن عصف إدم بعازب وإن أوقدت نيران حريق تضرهم
نجوم الدجى منها شهاب على العدى ومنها سمال للعفاة ومزدم
وقوله أيضاً ^(٢) : (٢١١)

صاحبي الطباع إذا ساءلت حاجته وإن سألت يذبه فهو نسوان
ثم بين ذلك بقوله :

بضميه ذهن وبأسى صخوه كرم مستحکم فهو صاح وهو سكران
وقد أدخل قوم الثيبين في باب التقسيم ولم يفرقوا بينهما ، وهما متقاربان
ليس بينهما كبير فرقان .
ذكر الالتفات ^(٣) :

قال عبد الله بن المعتز ^(٤) : الالتفات انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى
الإخبار ، وعن الإخبار إلى المخاطبة ، وما أشبه ذلك من الالتفات عن معنى
يكون فيه إلى معنى آخر ، ومثله بقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي أَفْئَافِكُمْ وَحِينَ يَوْمِ
يُرِيجُ فَاتِبَةً ﴾ ^(٥) .

(١) أنشأ بهما ديوانه .

(٢) ديوانه ٢٤٢

(٣) ينظر : نقد الشعر ١٤٦ ، الصائغين ٤٠٧ ، المصداق ٢٥/٣ ، قانون البلاغة ١١٠ ، حدائق السحر
١٣٤ ، كفاية الطالب ١٩٠ ، المثل السائر ١٧٠/٢ ، الطراز ١٣١/٢

(٤) البديع ٥٨

(٥) يونس ٢٢ .

ذكر التقسيم^(١) :

من شأن القسمة المعتدلة أن تُحَسِّن الصورة ، ولذلك سموا الحسن قسماً ، والوجه قسيمة ، وقالوا : رَجَعَهُ مَقْسَم ، أي : حَسَنَ ، كَأَنَّ قسمة تخطيطه متعادلة ، وَرَجَلُ مَقْسَم ، إذا كان وضيعاً .

وكذلك تفعل القسمة المعتدلة أيضاً في المعاني الوهمية ، لأنها إذا صَحَّت فسمتها ظهر أمرها وتميز الحسن من القبيح فيها .

وصحَّة القسمة تكون بسلامتها من الزيادة والنقصان والتداخل ، وفسادها يكون بدخول واحدة من هذه العلل عليها ، والقسمة الزائدة هي الفاضلة عن المقسوم ، والناقصة هي المقصورة عن المقسوم ، (٢٠٨) والمتداخلة هي التي يدخل فيها حق بعض الأقسام في بعض .

والتقسيم الواقع في هذا الباب على مذهب الجماعة أن يستقصي مؤلف الكلام تفصيل ما ابتدأ به ويستوفيه فلا يغادر قسماً يقتضيه المعنى إلا أورده .

وقال أبو الفرج قدامة^(٢) : التقسيم من أنواع المعاني ، وهو أن يؤتى بالأقسام مستوفاة لم يخل بشيء منها ، ومتخلصة لم يدخل بعضها في بعض ، ومثله يقول بعضهم : (فإنك لم تخل فيما بدأتني به من مجيد ابنتيه أو شكر تعجلته أو أجري أو منجز أنجزته أو من أن تكون قد جمعت ذلك كله) .

قال : ولم يبق هذا القاسم في هذا الباب قسماً إلا أتى به مع خلوصها من التداخل ، لأنه ليس فيها قسمٌ مشتركٌ لغيره . ومثاله من المنظوم قول زهير^(٣) :

(١) ينظر : نقد الشعر ١٣١ ، الصناعتين ٣٥٠ ، البدع في نقد الشعر ٦١ ، كفاية الطالب ١٤٧ ، تحرير

التحير ١٧٣ ، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ٢٧٧ .

(٢) نقد الشعر ١٣١ .

(٣) ديوانه ٥٤ .

فواحد يريد قولاً بوجاهته: **إِذَا لَمْ تَكُنْ تَقْرَأُ إِذَا أَجْمَعُ** (١) **حَيْسَرٌ** أو بمعنى: **الغصن**
 فيقول لعل أخيراً هو الرضا قال وقال

فوالله في الشعار مكره كماله **عَلَيْهِ نَحْمُوتُ** لأن النحم يعلو وتعالى
 فويل النساء المكرهات عليه اللواتي عُدَّهن الله في سورة النساء .

كما عايننا بالكتابة في لغته المرند (٢٢٦) **لَأَنْتُمْ كَانُوا يَكُونُونَ** عن الشيء يعينه
 عليهم وجه الاتساع . ولها مواضع في كلامهم **لَأَنْتُمْ كَانُوا يَكُونُونَ** ومما
 عندهم **لَأَنْتُمْ يَكُونُونَ** من الرجل بالأبوة للزيادة في الدلالة عليه إذا كثروه أو
 راسلوه ، أو لقصده تعظيمه بالكنية لأنها تدل على الحنكة والاحتفال . وقد
 اعترض عليهم في ذلك بما انفصل من العلماء .

ومنها : الكتابة عن النفس بالثياب ، ومن ذلك قوله تعالى مخاطباً
 لرسوله ﷺ : **﴿ رَبِّانَا فَكْفَرْ ﴾** (٢) أي : **طَهَّرْ نَفْسَكَ مِنَ الذُّنُوبِ فَكُنْ عَنِ الْجَسَمِ**
 بالثياب لأنها تستعمل عليه .
 وقول امرئ القيس (٣) :

قِيَامٌ بَلِي عَزُوفٌ طَهَّارِي نَقِيَّةٌ وأوجههم عند المشاهد عُرَّان
 يريد أنهم عرجون من الأندلس والعرب في ذلك الوقت .
 وقول ليل (٤) **وَذَكَرْتُ إِذْ لَا**
 ومزوها بالثوب خفافاً فلا ترى لها شيئاً إلا الثمام المنقرا
 أي : ركبوها فرموها بأنفسهم .

- (١) الكهف ٢٠ .
 (٢) قدره ٤ .
 (٣) مبره ٨٢ .
 (٤) جونا ٧١ .

وقيلوا أخيراً (١١) (١٢)

أشعرى حرم صلا فيهما إن صابرين خفيف
أؤذم حجاباً في ثياب دُشِم

أي : وهو متدنس بالذنوب .

ومنه قولهم : (فلان دنس الثوب) (١٣) ، إذا كان غادراً فاجراً .

وقيل عترة (١٤) .

فشككت بالدمع الأصم ثابته ليس الكريم على القبا بمكرم
وقيل : (فدى لك ثوباي) (١٥) أي : رحلاني . والمعنى : أنا أقدبك .

ومنها (٢٢٧) قولهم : «عوم لطاف الأزر» أي : خصائص البطون : لأن الإزار ثلاث عليها .

ومنها قولهم : (فدى لك [إزاري] (١٦) أي : نفسي ، قال الشاعر (١٧) :

ألا أبلغ أباح خفي رسولا فدى لك من أحي ثقة إزاري
وقد يكون الإزار في هذا البيت الأهل .

ويقولون : (دم فلان في إزار فلان) (١٨) أي : هو صاحبه .

ومنها : كتبتهم عن العفاف بالإزار ، لأن العفيف كانه استتر لثا عفت .

قال عدي بن زيد (١٩) :

(١٢) بلاغزو في تهذيب اللغة ١٢/ ٣٧٧ .

(١٣) حلية المتعاصرة ١١/ ٢ .

(١٤) ديوانه ١٣١٠ ، وفي الأصل : بناته .

(١٥) حلية المتعاصرة ١١/ ٢ .

(١٦) حلية المتعاصرة ١١/ ٢٤ .

(١٧) أبو العتاهان بليغة الأكبر الأشجعي في المؤلفات والمختلف ٨٢ .

(١٨) حلية المتعاصرة ١٢/ ٢ .

(١٩) ديوانه ٩٤ ، والزجاجة منه ، وفيه : فوق من أختكاً حلية بإزار .

فَيُوتَى بِجَمِيعِ الْمَعَانِي الْمُنْتَمَةِ لِحَصَّتِهِ الْمَكْمَلَةِ لِحُجُودِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْلُ
بِيعُضِهَا ، وَلَا يَغَادِرُ شَيْئاً مِنْهَا ، وَهُوَ كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَيُكَلِّمُوكَ أَلْفَ لَفْظٍ ﴾^(١)
فَتَمَّ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ عَلَى خَيْرٍ ﴾ .

وَقَوْلِ بَعْضِ الْكُتَّابِ (فَحُفِّلَتْ)^(٢) بِهِ أَسْبَابُ الْجَلَالَةِ غَيْرِ مُسْتَمْتِرٍ فِيهَا
لِنُخُورِهِ ، وَتَرَامَتْ بِهِ أَسْوَالُ الصَّرَامَةِ غَيْرِ مُسْتَمْتِلٍ فِيهَا لِسَطْوَةِ ، هَذَا مَعَ دِمَائِهِ فِي
غَيْرِ حَصَرٍ ، وَلَيْتَ مَنْ غَيْرِ خَوْزٍ ، لَمَنْ كَمَالِ الْجَلَالَةِ زَوَالُ التَّخَوُّعِ وَمَنْ تَمَامِ
الصَّرَامَةِ صَفَاؤُهَا مِنَ السَّطْوَةِ ، وَمَنْ خُلُوصِ الدَّمَانَةِ ارْتِفَاعُ الْحَصَرِ وَمَنْ كَمَالِ
لَيْنِ الْجَانِبِ فَقَدْ الْخَوْزُ . فَقَدْ أَتَى بِمَا تَمَّ الْمَعْنَى الَّتِي جَاءَ بِهَا مِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ
بشئٍ .

وَقَوْلِ طَرْفَةِ^(٣) :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدٍهَا صَوَّبَ الرِّبِيعَ وَدَيْمَةً تَهْمِي
فَقَدْ تَمَّ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ : (غَيْرِ مُفْسِدٍهَا) .

وَقَوْلِ نَافِعِ بْنِ خَلِيفَةَ الْغَنَوِيِّ^(٤) :

رِجَالٌ إِذَا لَمْ يُقْبَلِ الْحَقُّ مِنْهُمْ وَيُعطَوْه لاذوا بالسيفِ القواطعِ
فَتَمَّتْ مَحَّةُ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ : (وَيُعطَوْه) .

وَقَوْلِ النُّبَيْرِ بْنِ تَوَلَبٍ^(٥) :

لَقَدْ أَسْجَحَ الْيَفْزُ الْغَوَانِي كَأَنَّمَا يَرَيْنَ إِذَا مَا كُنْتُ فِيهِنَّ أَجْرِبَا
وَكُنْتُ إِذَا لَاقِيَهُنَّ يَلْدِيَةً يَقْلُنَ عَلَى النُّكْرَاءِ أَهْلًا وَمَرْجَبَا

(١) الإنسان ٨ .

(٢) في الأصل : فحُفِّلَتْ . وهو وهم

(٣) ديوانه ٩٧ ، وفيه : يَلْدِيكَ .

(٤) نقد الشعر ١٣٧ ، وحلية المحاضرة ١/ ١٥٤ .

(٥) شعره ٣٦ .

ويقول جرير^(١) :

أَنْتَسَى يَوْمَ تَصْقَلُ عَارِضُهَا بَفَرْعِ بِشَامَةِ سُقَيِ الْبِشَامِ
فانصرف عن المعنى الذي كان فيه إلى البشام فدعاه له .

ويقول الطائي^(٢) :

وَأَنْجَذْتُكُمْ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكُمْ فَيَا دَفْعُ أَنْجَذْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ
فانصرف عن المخاطبة إلى مناداة دمعيه .

وقال الحاتم^(٣) : الالتفاتُ أَنْ يوجد في معنى لم يعدل عنه إلى غيره قبل تمام الأول ثم يُعاد إليه ، فيكون ما عدل إليه (٢١٢) مبالغة في الأول وزيادة .

وهذا سماه ابن المعتز^(٤) : الاعتراض . وسنذكره تلو هذا الكلام إن شاء الله .

ذكر الاعتراض^(٥) :

قال ابن المعتز^(٦) : من محاسن الشعر اعتراضُ كلام في كلام لم يتم معناه ، ثم يعود الشاعر فيتمه في بيت واحد . ومنه قول بعضهم^(٧) :

فَظَلُّوا يَوْمَ دَخَ أَخَاكَ لِمِثْلِهِ عَلَى مَنَزَعٍ يُرْوِي وَلَمَّا يُصْرَدِ
فقوله : (دع أخاك لمثله) اعتراض كلام في الكلام الأول قبل تمامه .

(١) ديوانه ٢٧٩ .

(٢) ديوانه ١١٠/٢ .

(٣) حلية السماع ١٥٧/١ .

(٤) البديع ٥٩ .

(٥) ينظر : الصناعتين ٤١٠ ، البديع في نقد الشعر ١٣٠ ، جوهر الكثر ١٢٨ ، الطراز ١٦٧/٢ ، خزائن

الأدب ٣٦٦ .

(٦) البديع ٥٩ .

(٧) بلاغته في البديع ٥٩ والصناعتين ٤١٠ وفيهما : على مشرع .

أَرَادُوا الرِّجَالَ وَفَعَلُوا بِمَا كَانُوا مِنَ الْحِكْمَةِ الْعَقِيلَةِ وَنَحْنُ نَسَاحِبُ نَصِيحًا إِنْ فَاسَدُوا
يَقُولُونَ هَذَا ، وَلَا مَعَارِفَ لَهَا ، وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ يُعَلِّمُ الْكَلَامَ ۚ ﴾

نَسَبُ النَّسَبِ بِهَذَا الْحِكْمَةِ تَنْقُصُ أَنْكَامُ الْقَوْمِ
وَيَقُولُ مَنْ لَدُنْكَ أَوْ جَانِبًا مَسَارِفًا قَبْلَ الْيَحْزَنَةِ غَيْرَ مُسْتَشِيرٍ فِيهَا
لَا تَقْضُونَ مَعَانِيَهُ بَوَاحِ الْطَفْلِ مِنَ التَّصْرِيعِ تَعَلُّوْا فِيهَا لَسَّوْا - عَلَّمَ صَاحِبُ تَعَالَى فِي
غَيْرِ تَعْنِيَةِ التَّعْرِيفِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ (جاء) : أَمَّا الْجَبَالُ وَهُوَ أَلِ الشَّجَرَةِ وَهُوَ تَوَامِلُ
الْبَصَائِرِ مَا يَلْبَسُهَا وَهُوَ أَلِ الشَّجَرَةِ أَوْ تَعَالَى أَلِ الشَّجَرَةِ وَهُوَ تَوَامِلُ
بِأَشَاءِ مَا تَقْبِضُ لَنْسَ حَلَّتْ لَهُ - حَرَمْتُ عَلَيَّ تَوَلِّيَهَا كَمْ تَحْرَمُ
لِ الْبَاسِ قَوْلُ الْإِسْلَامِ : وَهُوَ يَقُولُ مَا تَقْبِضُ الدَّعَايَ تَتَبَّعُهَا ، وَغَيْرُهَا
وَالْمَعْنَى أَنَّهُ عَرَضَ بِجَارِيَةٍ ، يَقُولُ : أَيَّ صَبِيٍّ لَمْ تَحُلْ لَهُ أَنْ يَصِيدَ ، فَأَمَّا
أَنَا فَإِنِّي حُرْمَةُ الْجَوَارِ قَدْ حَرَمْتُكَ عَلَيَّ .

وَمِنَ التَّعْرِيفِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى قَوْلُهُ فِيمَا خَبَّرَ بِهِ مِنْ نَبَا الْخَصْمِ : ﴿ إِنْ
كَذَّبْتُمْ عَنْكُمْ كَرِهَتْ لَكُمْ وَتَتْلُوهُ ﴾ وَفِي حَقِّهِ وَفِي حَقِّهِ فَقَالَ كَقَوْلِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢١) : إِنَّمَا
هُوَ مَثَلُ حُرْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ لَيْتَهُ عَلَى خَطِيئَتِهِ .

وَوَلَّى مِنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ بِذِكْرِ النِّكَاحِ كَمَا كَتَبَ الشَّاعِرُ الَّذِي مَثَّلْنَا بِقَوْلِهِ وَغَيْرِهِ
مِنْ الشُّعْرَاءِ مِنَ النِّسَاءِ بِالشَّوِّ وَالْمِطَابَاةِ وَالْقَلَابِجِ . وَهُوَ أَلِ الشَّجَرَةِ وَهُوَ تَوَامِلُ
وَكَلَّمَ عُرْوَةَ بِنَ الْوَيْثَرِ (٢٢) إِذَا أَسْرَعَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ بِقَوْلِهِ سَتِيءَ يَقُولُ : إِنِّي أَتْرُكُكَ
رَفْعًا لِنَفْسِي بِهَذَا . فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ (٢٣) كَلَامٌ ،
فَأَسْرَعَ لَهُ عُرْوَةُ بِسَوْءٍ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ : إِنِّي أَتْرُكُكَ لِمَا تَرُكُ الْبَاسَ لَهُ . فَاشْتَدَّ
ذَلِكَ عَلَى عُرْوَةَ . وَهُوَ أَلِ الشَّجَرَةِ وَهُوَ تَوَامِلُ
... وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْمَعَارِضِ مِنَ الْفَيْحَةِ فِي الْكَلَامِ إِلَّا مَا يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ

(٢١) عُرْوَةُ الْوَيْثَرُ ١٢٢ هـ .

(٢٢) مِنْ ٢٣ هـ .

(٢٣) تَائِي ١٢٤ هـ . حَقِيقَةُ الْأَوَّلِ ١٧٦/٢ ، وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ٢٥٥/٣

(٢٤) ٢٢٤ هـ . حَقِيقَةُ الْأَوَّلِ ٢٠٧/٣ ، وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ٢٧٤/٣ .

المندوحة عن الكذب لكان كافياً . وقيل : إن قول موسى ، عليه السلام : ﴿لَا تُؤْمِنُنِي بِمَا قِيلَ﴾^(١) من معارض الكلام .

وقال ابن عباس : لم يقل : إِنِّي نَسِيتُ ، فيكون كافياً ، ولكنه قال : ﴿لَا تُؤْمِنُنِي بِمَا قِيلَ﴾ فأومئ إليه النسيان تعريضاً ، ولم ينس ولم يكذب .

ومنه قول إبراهيم : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾^(٢) ، أي : ساسقم ، لأن مَنْ كُتِبَ عليه الموت فلا بُدَّ أَنْ يسقم . وأمثال هذا كثير في الكلام ، وفيما أوردناه إقناعاً .

ذكر التسهيم^(٣) :

التسهيم لقبٌ مُخَدَّتٌ لم تخلص له عبارة مُهَذَّبَةٌ من طريق الاشتقاق . قالوا : ومعناه أَنْ يُصَاعَ الكلامُ صياغةً معتدلة الأقسام كاعتدالِ خطوطِ البَرْدِ المُسَهَّمِ التي لا تتفاوت ولا تختلف ، إذا كَانَ كَذَلِكَ سَبَقَ السامِعُ إلى استخراجِ قوافي منظوميه وفواخيلِ مشوره قبلَ أَنْ ينتهي إليها مُورِدُهُ .

ومن قولِ أُمِّ عَمْرٍو ذِي الْكَلْبِ^(٤) :

فَأَقْسَمْتُ يَا عَمْرٍو لَوْ نَبَّهْتُكَ إِذَا نَبَّهْتُكَ دَاءَ عَضَالَا
إِذَا نَبَّهْتُكَ لَيْتَ عَرِيَّةَ مُفِيناً مَفِيداً نَفُوساً وَمَالَا
وَحَزَفٍ يُجَاوِبُ مَجْهُولَةً بِوَجْهَاءَ حَزَفٍ تَشْكِي الْكَلَالَا
فَكُنْتُ النَّهَارَ بِهَا شَمْسُهُ وَكُنْتُ دَجَى اللَّيْلِ فِيهَا الْهَلَالَا

وهذا كلامٌ لازيادة على حُسْنِهِ واتساقِهِ واعتدالِ أُنْسَائِهِ ، أَلَّا تَرَى إلى قولها : (مفينا مفيدا) ، وتفسيرها ذلك بقولها : (نفوساً ومالاً) كما تقتضيه الإِفَاتَةُ والإِفَادَةُ ، ووصفها إِيَّاهُ بالشمس في النهار والهِلال بالليل . وقول

(١) الكهف: ٧٣ .

(٢) الصافات: ٨٩ .

(٣) ينظر : حلية المعاصرة ١/ ١٥٢ ، المصداق ٢/ ٣١ ، قانون البلاغة ١٠١ ، تحرير التمهيد ٢٦٣ .

(٤) ديوان الهليلين ٣/ ١٢١ و ١٢٢ مع خلاف في الرواية .

البحرّي^(١) : (٢٣١)

سلبوا البيضَ بَزْها فاقاموا بظباها التناويلَ والتَّنْزِيلَا
فلذا حاربوا أَذْلُوا عَزِيزَا
يقضي أن يكون تمامه :

وإذا ساللوا أَعَزُوا ذليلَا
...
فهذا البيت يسبق السامع إلى مقطع مصراعه الأول وقافيته معاً .
وقوله أيضاً^(٢) :

أَحَلَّتْ دمي من غير جُزْمٍ وَخَرَمَتْ بلا سببِ يومَ اللقاءِ كلامي
فليسَ الذي حَلَّتْهُ بِمَحَلِّ
... ...
يقضي أن يكون تمامه :

وليسَ الذي خَرَمَتْهُ بِحَرَامِ
...
وهذا البيت أيضاً يسبق السامع إلى مقطع مصراعه الأول وقافيته معاً .
وقول ابن الرومي^(٣) :

أُرْسَى بصورتيه وَرَسْنٌ فَأَعْصَبَا فَقَدَا المَحِبَّ مُنْعَمَا وَمُتَدَبَا
ذو صورةٍ تحلو وتَحْسُنُ منظرَا وَمَرَاتِيْفٌ تَصْفُو وتَعْدُبُ مَشْرِبَا
ذكر التوشيح^(٤) :

التوشيح أن يحلف الشاعر أو يحلف غيره بأشياء تتعلق بفرضه المقصود .
ويدخل في هذا الباب الذي هو فيه إرادة للإبداع بتوشيح الكلام ، ثم يصرح

(١) ديوانه ١٧٦٩ .

(٢) ديوانه ٢٠٠٠ - ٢٠٠١ .

(٣) ديوانه ٣٤١ ، وفيه : وضد .

(٤) ينظر : الصناعتين ٣٩٧ ، البديع في نقد الشعر ٨٩ ، الجامع الكبير ٢٤٢ ، جوهري الكثر ٢١٣ .

ويكشف المعنى ويفصح عما في نفسه .
ومنه قول الأشتر النخعي^(١) :

بَيْتٌ وَفَرِيْ وَانْحَرَفْتُ عَنْ الْعَلَى
إِنْ لَمْ أَشْرُ عَلَى ابْنِ هِنْدٍ غَارَةً
ولقيتُ أضافي بوجه عبوس
لم تَحُلْ يوماً من نهاب نفوس
(٢٣٢) وقول أبي علي البصير^(٢) :

أَكْذَبْتُ أَحْسَنَ مَا يَظُنُّ مُؤَمِّلِي
وَصِدْتُ عَادَاتِي الَّتِي عُوذْتُهَا
وَصَبَّيْتُ أَصْحَابِي بِعُزْضِي مُغْرَضِي
وَعَفَضْتُ مِنْ نَارِي لِيَخْفَى ضَوْوُهَا
إِنْ لَمْ أَتَسَنَّ عَلَى عَلِيٍّ خَلَّةً
وقول المظفر^(٣) :

لا وكتماني أسرارَ عَدُوِّي وصديقي
واتباعي بطريقِ المالِ آثارَ الحقوقِ
ما أطيقتُ الصبرَ عن بَذْرِ عَلَى غَضِي أنيتي
وقال النظام^(٤) :

أما والخلق الأسود في مالفَةِ الخُشْفِ
وحُسْنِ المُصَنِّ المهْتَزِّ بين التُّخَرِ والرُّدْفِ
لقد اشْفَقْتُ أَنْ يَجْرَحَ فِي وَجْهِهِ طَرْفِي

(١) شعره : ٣ - ٤ (البلاغ ٨٤ ١٩٧٨) .

(٢) شعره (شعره عباسيون ج ٢) ٢٧٠ . وفي الأصل : وعدت عادي . والمراد بعلي في البيت الأخير علي بن الجهم الشاعر .

(٣) انقل به شعره .

(٤) بلا عذري الصناعتين ٧٠ .

ذكر الإغنيات^(١) :

الإغنيات أن يلتزم الشاعر في القوافي ، والنائر في الأسجاع ما لا يلزمهما
(٢٣٣) توسعاً واقتداراً ، ويتكلمان ما ليس عليهما تمكناً وانفساح مجالاً .

ومثاله في المتنور قول أبي علي البصير^(٢) : (حتى عادَ تعريضُك
تصريحاً ، وتريضُك نصيحاً) . ومثاله من المنظوم قول أبي العالية^(٣) :

إنسي امرؤ أصفى الخليل الخله
أمنحله وذِي وأرعى إليه
وأبفض الزيارة المُبلِّغ
واقطع المهابة المُغْلِب
على هبل أو على هبله
ذات هباب جَنَرَة شِعْلَه
ناجيه في الخَرْقِ مُنَمَّوْلَه
تَسْلُ بِمَدِّ الْعُقْبِ الْمُكْلَه
مثل أنسلال العُصْبِ من ذي الخله

والقصيدة طويلة التزم في أكثرها اللام المشددة اقتداراً . وقول
الخطيبة^(٤) :

أَلَا مَنْ لِقَلْبِ عَارِمِ النَظَرَاتِ يَقَطُّعُ طَوَلَ اللَّيْلِ بِالْحَسَرَاتِ
فَلَنْ يَضْطَنِّي اللَّهُ لَا أَصْطِنُكُمْ وَلَا أَغِيْلُكُمْ مَالِي عَلَى الْعَسَرَاتِ
والقصيدة أيضاً طويلة لزم الراء قبل الردف في جميعها ، وهو غير لازم .

(١) في الأصل : الأعتاب ، في المرصعين ، والصواب ما أيضا . ينظر : قانون البلاغة ١٣٣ ، حذائق
السر ١١٩ ، حسن التوصل ٢٢٠ ، نهاية الأرب ١١٣/٧ .

(٢) جمع الجواهر ٢٤٦ .

(٣) الخصائص ٢٤٤/٧ - ٢٤٥ .

(٤) ديوانه ٣٣٢ وفيه : بالزفرات

وقول رافع بن هريرم اليربوعي^(١) :

إلا نخافونسي تُصَبِّكُم بِسُرَّةٍ
(٢٣٤) إذا صَارَ لوني كُلُّ لَوْنٍ وَيَذَلَّتْ
فِي سُرِّي كِلَاعِلَانِي وَتِلْكَ سَجِيَّتِي
بَنِي عَاصِمٍ مَن تَرْسِلُون مِنَ الْمَدَى
لَهُ مِثْلُ طَرَفِي سَاقِياً عِنْدَ غَايَتِي
وَنَخْشَى عُرَامِي مِنْ وَرَاءِ حِمَامِكُمْ
ذَكَرَ الْإِيغَالُ^(٢) :

هذا النعت على مذهب أبي الفرج قدامة^(٣) ، فَأَمَّا الْحَاقِمِي^(٤) فَإِنَّهُ نَعَتَ
بِ (التبليغ) ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَهُمَا فِي مَعْنَاهُ ، وَهُوَ أَنَّ يَأْتِي الشَّاعِرُ بِالْمَعْنَى فِي
الْبَيْتِ تَاماً قَبْلَ انْتِهَائِهِ إِلَى الْقَافِيَةِ ، ثُمَّ يَأْتِي بِهَا لِحَاجَةِ الشَّعْرِ فِي كَوْنِهِ شِعْراً
إِلَيْهَا ، فَيَزِيدُ الْمَعْنَى نَصْوَاعاً وَبَلُوغاً إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى .
وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ^(٥) بِصَفِ الْفَرَسِ :

إِذَا مَا جَرَى شَاوَرِنِ وَابْتَلَّ عِظْفُهُ تَقُولُ هَزِيرُ الرِّيحِ مَرَّتَ بِأَثَابِ
فَتَمَّ الوَصْفُ قَبْلَ الْقَافِيَةِ ، فَلَمَّا اسْتَحَاجَ إِلَيْهَا أَوْزَكَهَا فَرَادَتِ الْمَعْنَى
نِصَاعاً ، لِأَنَّ الْأَثَابَ شَجَرٌ يَكُونُ لِلرِّيحِ فِي نِصَاعِيهِ حَفِيفٌ شَدِيدٌ .
وَقَوْلُهُ^(٦) أَيْضاً :

كَأَنَّ عَيُونََ الْوَحْشِ حَوْلَ خِيَابِنَا وَأَرْحُلُنَا الْوَدُغُ الَّذِي لَمْ يَنْقُصِ

(١) فِي الْأَصْلِ : تَالِفُ بْنُ هَدِيمٍ . وَالصَّرَافُ مَا أَكْبَنَا ، (تَنْظُرُ : غَزَاةُ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ ٤ / ٤٨١) . وَالْبَيْتُ الثَّلَاثُ
بِلَا مَزْوِي فِي الصَّنَاعَتَيْنِ ٣٢٤ وَالزِّيَادَةُ مِنْهَا وَالرَّمْعُ نَسَبٌ إِلَى عَاصِمِ بْنِ هَرِيرَمٍ فِي الْوَادِعِ فِي اللَّفْظِ ٢٢٤ .

(٢) نَظَرُ : الصَّنَاعَتَيْنِ ٣٩٥ ، الْمَعْدَةُ ٥٧ / ٢ ، قَالُونَ الْبِلَاغَةَ ٩٩ ، تَحْرِيرُ التَّحْيِيرِ ٢٣٢ .

(٣) تَقْدِيرُ الشَّعْرِ ١٦٩ .

(٤) حَلِيَّةُ الْمَسَافِرَةِ ١ / ١٥٥ .

(٥) دِيوَانُهُ ٤٩ .

(٦) دِيوَانُهُ ٥٣ . وَفِيهِ : التَّجْنُوعُ .

فقد أتى^(١) على التشبيه قبل القافية ، لأنَّ عيون الوحش إذا ماتت وتغيرت صفاتها (٢٣٥) شبيهة بالجنح إلا أنها بما لم يتقرب منه أشبه ، فبلغ بالمعنى إلى الأمد الأقصى في تأكيد التشبيه .

وقول ذي الرمة^(٢) :

فَإِذَا الْعَيْنُ فِي أَطْلَالٍ مَيَّةٍ فَاسْأَلْ رَسُومًا كَأَخْلَاقِ الرَّدَاءِ الْمُتَسَلِّلِ
أَظُنُّ الَّذِي يُجِدِّي عَلَيْكَ سُؤَالَهَا دَمُوعًا كَتَبْدِيرِ الْجُمَانِ الْمُفْضَلِ
فَنَمَّ الْكَلَامُ فِي التَّيْيِنِ قَبْلَ الْقَافِيَةِ ، فَلَمَّا احتاج إليها جاء بها فزادت في المعنى ما جَوَّدَهُ وَجَمَّلَهُ .

وقول زهير^(٣) :

كَانَ قُصَاتِ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبِّ الْقَنَا لَمْ يَحْطُمْ
فَالْعَيْنُ : الصوف الأحمر ، وحب القنا يشبهه ، فقد أتى على الوصف قبل القافية ، لكنَّ حب القنا إذا كُثِرَ كان تكسره غير أحمر فاستظهر في القافية لَمَّا جاء بها ، ووَكَّدَ التشبيه بإيغاله في المعنى .

وقد يقع مثل هذا للترسل إذا قصد السجع ، لأنه ربما انقضى معناه قبل الفاصلة ، فإذا احتاج إليها أتى بها زائدة في المعنى ما هو من تمامه . وهو كثير في الكلام لا يحتاج إلى تمثيل .

ذكر التركيب^(٤) :

هذا الباب تُسمِّيه العامة (التجنيس) وتُخطئ فيه ، وإنما سُمِّيَ تركيباً لأنه

(١) بعده في الأصل : قبل . وهي مقسمة .

(٢) ديوانه ١٤٥١

(٣) ديوانه ١٢ وفي الأصل : نزلوا .

(٤) وهو تجنيس التركيب أو المجلس المركب . ينظر : البديع في نقد الشعر ٣٣ ، نهاية الأرب ٩٢/٧ ، جوهر الكثر ٩٧ ، جنى الجناس ١٢١ .

يُؤْتِي فِيهِ بِالْكَلِمَةِ الْأُولَى مُتَّصِلَةً ثُمَّ يُؤْتِي بِمَا يَقَابِلُهَا مَرْكَبًا مِنْ كَلِمَتَيْنِ ، وَقَدْ
مَا يَسْلُمُ مِنْ ظُهُورِ التَّكَلُّفِ ، (٢٣٦) وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ شَعْرِ الْبُسْتِي ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ (١) :
وَأَنْ أَمْسَرَ عَلَى رِقِّ أَنْبَالِكُ أَقَرَّ بِالرِّقِّ كُنْتُابُ الْأَنَامِ لَهُ
وقوله (٢) :

لَا تَعَصْ يَا شَمْسُ عَلَى فَايُوسَا فَمَنْ عَصَى قَابُوسَ لَا قَى يُوسَا
وقوله (٣) :

يَا هَلَالًا فِي وَجْهِهِ جَنْدَرِي ظَلَّ بِحَكِي كَوَاكِبًا فِي هَلَالٍ
لَا تَلْمِزِي إِنْ نَمَّ بِالشَّرِّ دَمْعِي فَلَهُ الدَّمْعُ خَالِصًا فِيهِ لَا لِي
وقوله (٤) :

إِلَى حَتْفِي سَتَى قَدَمِي أَرَى قَلَمِي أَرَا قَ دَمِي
وقوله (٥) :

عَفْصَنِي الدَّهْرُ بِنَايَةِ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَايَةِ
ذَكَرَ الْإِلْمَامُ (٦) :

الْإِلْمَامُ مَا خُوذَ مِنْ قَوْلِهِمْ : أَلَمْ فَلَانْ بِفُلَانٍ ، إِذَا زَارَهُ ، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى
بِكَلِمَةٍ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِهَا فِي الْفَصْلِ الثَّانِي قَدْ قُلِبَتْ حُرُوفُهَا ،
مِثْلُ : فَرَقَ وَفَرَفَ ، وَنَحِمَ وَمَحَنَ ، وَفَرَشَ وَشَرَفَ ، وَفَرَسَ وَسَرَفَ .
وَمِنْهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

-
- (١) شمره : ٢٩٨ .
(٢) شمره : ٢٩٩ وفيه : لَا تَعَصِينَ شَمْسُ الْعَلَى قَابُوسَا .
(٣) شمره : ٢٩١ - ٢٩٢ وفيه : فَلَهُ الذَّنْبُ .
(٤) شمره : ٣٠١ .
(٥) لَحَلَّ بِهِ شَمْرُهُ ، وَهُوَ يَلَا هَزُو فِي جَنَى الْجَنَسِ ١٣٤ .
(٦) يُنْظَرُ : الْمَجْلَدُ ٢ / ٢٨٧ ، مَعَالِمُ الْكُتَابَةِ ٧٢ .

خَافَتْ فَأَشْفَقَ أَنْ يَقُولَ لَهَا خَافَتْ فَأَمَدَى لَهَا فِي الشَّرِّ تَفَافَا
فَرَأَسَتْهُ بِأَنْتَرَجٍ تَقُولُ لَهُ قَدْ حَرْتُ فَأَخْتَصِمَا سِرّاً وَمَا بَاسَا
وَمَا أَرَادَا بِمَعْكُوسِ اسْمِ مَا بَخْنَا إِلَّا لَمَّا أَقْفَدَ الْوَاشُونَ إِضْلَاحَا
وقول الآخر : (٢٣٧)

إِذَا رَأَيْتَ الْوَدَاعَ قَاضِيَةً وَلَا يَهْمُكَ الْبَعْدُ
وَانْتَظِرِ الْقَوْدَ مِنْ قَرِيبٍ فَإِنَّ عَكْسَ الْوَدَاعِ عَادُوا
ذكر الاستفهام (١) :

هذا النوع في الكتاب العزيز على وجوه :

منها : التقرير للعباد ، لأنه تعالى لا يسألهم عما هو أعلم به منهم ، كقوله تعالى ليسى المسيح ، عليه السلام : ﴿ مَا أَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (٢) .

ومنها : التعجب ، كقوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٣) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿ (٤) ، كأنه قال : عَمَّ يتساءلون يا محمد ، عن النبا العظيم يتساءلون .
ومنها : التوبيخ ، كقوله : ﴿ اتَّاتَوْا الذِّكْرَ مِنَ الْغُلَامِ ﴾ (٥) .

فأما إذا استعمله الناس فإن بعض البلديين سمّاه : استفهام التّباله ، وسمّاه بعضهم : تحاقل العارف ، وشوب الشك باليقين (٥) وهو كثير في الكلام ، ومنه قول زهير (٦) :

-
- (١) ينظر : مفتاح العلوم ١١٦ ، الإيضاح ١٣١ ، المطول ٢٢٦ .
وينظر في أنواع الاستفهام : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/ ١٨٣ - ١٩٤ .
(٢) المائدة ١١٦ .
(٣) النبا ١ - ٢ .
(٤) الشعراء ١٦٥ .
(٥) تنظر : الصناعتين ٤١٢ .
(٦) حيواته ٧٣ - ٧٤ .

وما أدري وسوف إخال أدري
فأقولُ لكُلُّ مُخَصَّنَةٍ هِدَاءٍ
أقولُ ابنِ أبي أمية^(١) :

فَلَيْتَكَ لَمْ تَشِيعْ وَلَمْ تَرَوْا مِنْ هَجْرِي
إِذَا نِي سَأَلُو عَنكَ إِنْ دَامَ مَا أَرَى
بِلا ثِقَةٍ لَكِنْ أَطْرُ وَمَا أَدْرِي
(٢٣٨) وقول الآخر^(٢) :

بِاللهِ يَا ظَلِيَاتِ الْفَاحِ قُلْنَ لَنَا
لِيَلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لِيَلَى مِنَ الْبَشَرِ
ذكر التفريع^(٣) :

التفريعُ أَنْ يَأْخُذَ الشَّاعِرُ فِي وَصْفٍ مِنَ الْأَوْصَافِ فَيَقُولُ : مَا كَذَا وَبَعَثَهُ
نَعْنًا حَسَنًا، ثُمَّ يَقُولُ : بِأَفْضَلٍ مِنْ كَذَا. ومنه قولُ الصُّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُشَيْرِيِّ^(٤) :

وَمَا وَجَدُ أَعْرَابِيَّةً قَدَفَتْ بِهَا
تَمَنَّتْ أَحَالِيْبَ اللَّفَاحِ وَيَرْيَهَا
إِذَا ذَكَرَتْ مَاءَ الْعِضَاءِ وَطَيْبَتُهُ
بِأَكْثَرِ مِنِّي لَوْعَةً غَيْرَ أَتْنِي
وقولُ الأعشى^(٥) :

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُغَشَّيَةٌ
بُضَاحِكَ الشَّمْسِ مِنْهَا كَوَكَبٌ شَرِقٌ
خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا وَابِلٌ حَظِلٌ
مُؤَوَّرٌ بِعَمِيمِ الثَّبَتِ مُكْتَهِلٌ

(١) الديلمج ٦٢. وفيه : استحسن . إن دام ما ترى .

(٢) العرجي ، ميواته ١٨٢ . ونُسب إلى غيره . تنظر : خزائن الأدب للخندانى ٩٧/١ - ٩٨ .

(٣) ينظر : الصممة ٤٢/٢ ، قانون البلاغة ١٢٧ ، تحرير التحرير ٣٧٢ ، أنوار الريح ١١١/٩ .

(٤) ميواته ٤٦ هذا الرابع . والأبيات في ديوان ابن الدعيمة ٢٠٣ . وفي الأصل : إذا ذكرت طيب العضاة

وطيبه . وأثبتنا رواية ديواني الصممة وابن الدعيمة . وفي الأصل : عبد الله بن الصممة القشيري .

(٥) ميواته ٥٧ ، وفيه : مُشْبِلٌ حَظِلٌ .

يسوماً بأطيب منها نَشَرَ رائحة ولا بأحسن منها إذ ذنا الأصل
وهذا النوع كثير في الكلام منظومٍ ومنثورٍ .

ذكر التبديل ^(١) :

(٢٣٩) التبديل أن يقدم في الكلام جزءاً ألفاظه منظومةً نظاماً فيعقب هذا
الجزء بجزء يجعل فيه ما كان في الجزء الأول مقدماً مؤخرأ ، وما كان مؤخرأ
مقدماً .

ومنه قول بعضهم ^(٢) : انعم على من شكر لك ، واشكر لمن أنعم عليك ،
وجعل من هجرتك ولا تهجر من وصلك .

وقول الحسن البصري للمغيرة بن سوارس التميمي ^(٣) :

(إن من خوفك إلى أن تلقى الأمن خير لك يعن أمتك إلى أن تلقى
الخوف) .

وقوله ^(٤) : (ما رأينا يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت) .

ولنا قدم الهيثم بن الأسود بن المريان ^(٥) على عبد الملك بن مروان قال :
كيف تجدك ؟ قال : (أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يَسْوَدَ ، واسودَّ
مني ما كنت أحب أن يَبْيَضَ) .

وقال عمرو بن عبيد في دعائه : (اللهم أغنيني بالفقر إليك ، ولا تُفقرني

(١) وبسبب المكس أيضاً . ينظر : الصناعتين ٣٨٥ ، قانون البلاغة ١٠٩ ، البديع في نقد الشعر ٤٩ ،
تحرير النكير ٣١٨ .

(٢) الصناعتين ٢٨٥ . ولي الأصل : .. شكرك واشكر من . والصواب من الصناعتين .

(٣) البيان والبيان ١١٣/٣ .

(٤) البيان والبيان ١١٣/٣ ، وفيه : لا يقين فيه من أمر نحن فيه .

(٥) البيان والبيان ٣٩٩/١ . ونعام القول فيه : ولشد مني ما كنت أحب أن يابن . وينظر عن الهيثم :
الإصابة ٥٧٩/١ .

بالاستثناء عنك^(١) .

ذكر التصريح^(٢) :

التصريحُ تَصْيِيرُ مَقْطَعِ المِصْرَاعِ الأولِ في البيتِ الأولِ من القصيدة مثل القافية ، فإنه إذا كان كذلك دلَّ على الزَّوِّي ؛ وإذا كانَ على خلافِهِ أَوْهَمَ أنَّ الزَّوِّيَ^(٣) بحسب التصريح . وفيه أيضاً دلالةٌ على تمكين الشاعر واقتداره ، ألا ترى إلى قول أبي تمام^(٤) :

وتقفو إلى الجَدْوَى بِجَدْوَى وَإِنَّمَا يَرُوقُكَ بَيْتُ الشَّعْرِ حِينَ يُصَرِّعُ

ومن الشعر المُصَرِّعُ قول حاتم الطائي^(٥) الدَّالُّ على الزَّوِّي : (٢٤٠)

أَتَعْرِفُ أَطْلَالَاً وَنُؤْيَا مُهْذَماً كَخَطِّكَ فِي رِقِي كِتَاباً مُنْتَمِماً

وقول امرئ القيس^(٦) ، وهو أكثر مَنْ صَرَّعَ الشعرَ :

فَمَا نَبَّكَ مِنْ ذَكَرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِي بِسِغْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَغَزَلِي

وفي هذه القصيدة أبياتٌ كثيرةٌ مُصَرَّعةٌ .

ومن الشعر غير المُصَرِّعِ الذي تشكلُ قافيته^(٧) :

لَيْسَنَ مَنْزِلُ عَافٍ وَرَمْسٌ مَنْزَلِي عَقَّتْ بَعْدَ عَهْدِ الْعَاهِدِينَ رِيَاضُهَا

لأن هذا البيت يوهمُ أنَّ القافيةَ لاميةٌ ، فجاءتْ بخلاف ذلك .

(١) البيان والتبيين ٢/ ٢٧١ وفيه : اللهم اغني بالانظار إليك ...

(٢) ينظر : نقد الشعر ٥٦ وسته (نعت القوافي) ، سر الفصاحة ٢٢١ ، قانون البلاغة ١٢٩ ، الصانع الكبير ٢٥٤ ، تحرير التعبير ٣٠٥ .

(٣) في الأصل : الذي - وهو تحريف

(٤) ديوانه ٢٣٣/٢ .

(٥) ديوانه ٢٣٣ .

(٦) ديوانه ٨ .

(٧) للشماخ ، ديوانه ٢١١ . وفي الأصل : لمن .

ذكر الاستدراك^(١) :

الاستدراك أن يكون الشاعر في معنى فنفي شيئاً ، ثم يستدركه بما يؤكد
النفي أو بما يثبت ما نفاه .

ومنه قولُ بشار^(٢) :

يُخْبِتُ نَاصِحَ أَكْثَرِ بَغْثَانِي عِنْدَ الْأَمِيرِ وَهَلْ عَلَيَّ أَمِيرُ
وقولُ الآخر^(٣) :

وما بي انتصارُ إنْ هذا الدهرُ ظالمي عليه يلي إنْ كَانَ مِنْ عِنْدِكَ النَّصْرُ
وقولُ الآخر^(٤) :

اليسَ قليلاً نَظَرَةً إنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ وَكَأَلَا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ
(٢٤١) وقولُ أبي التَّيَّهَاءِ^(٥) :

كَفَى حَزْناً أَنْ لَا يَزَالَ يَزُودُنِي عَلَى النَّأْيِ طَيِّفٌ مِنْ خِيَالِكَ يَا نَعْمُ
وَأَنْتَ مَكَانَ النُّجُومِ مَنْ هَلْ لَنَا مِنَ النُّجُومِ إِلَّا أَنْ يَقَابِلَنَا النُّجُومُ
ذكر الحشو المفيد^(٦) :

قال أبو علي الحاتمي^(٧) : هو اللفظةُ يُسَدُّ بها البيتُ لتمام الوزن فزيد
المعنى فصاعاً وبراعاً .

(١) ونسَى الرجوع أيضاً . ينظر : البديع ، ٦٠ ، المتناهين ٤١١ ، قانون البلاغة ١١ ، تحرير التعبير ٣٣١ .

(٢) ديوانه ٢٩٦/٣ .

(٣) أبو التَّيَّهَاءِ في قانون البلاغة ١١٢ وخزانة الأدب ٣٦٧ .

(٤) يزيد بن الطُّغَيْرِيَّة ، شعره : ٨٨ .

(٥) أبو التَّيَّهَاءِ الرِّبَاسِي : أسد بن عَصَّة ، كان معلماً للمصنفين بالبصرة . (المفهرست ٤٩) .

(٦) ينظر : نقد الشعر ٢١٨ ، المتناهين ٥٥ ، البديع في نقد الشعر ١٤٢ .

(٧) تنظر : حلية الصحابة ١٩٠/١ .

ومنه قول عبد الله بن المُختَر^(١) :

وَنَجِلُوا طَرَاهَا الْقَرْدُ حَتَّى كَانَهَا أَنَابِيْبُ شَنِيْرٍ مِنْ قَنَا الْخَطُّ دُبُلُ
صَيَّبَا عَلَيْهَا ظَالِمِيْنَ يَبْسَاطُنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدِي سِرَاعٍ وَأَزْجُلُ
فَقَوْلُهُ : (ظَالِمِيْنَ) ، نَافِي عَنْهَا مُجَنَّةَ الْبَطَاءِ وَدَالٌّ عَلَى أَنَّ صَرْتَهَا مِنْ غَيْرِ

إِحْوَاج .

ويقول ابن الرومي^(٢) :

نَجِلْ أَيْدِيَكُمْ بِحَقٍّ وَإِنَّمَا لِسَدِيْكُمْ بِلَا حَقٍّ لِمُخْتَفِرَاتِ
ذِكْرُ الرَّجْعِ^(٣) :

قال أبو علي الفارسي : إِنَّمَا سُمِّيَ هَذَا النَّوعُ رَجْعاً ، لِأَنَّ حُرُوفَ الْكَلِمَةِ
الْأُولَى تَرْجِعُ فِي الْآخَرَى .

وهو على ضربين : مجتمع ومفترق .

فالمجتمع : أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَتَانِ عَلَى وَزْنٍ وَاحِدٍ وَحُرُوفٍ وَاحِدَةٍ لَا يَخْتَلِفُ
مِنْهَا إِلَّا الْحَرْفَانِ الْأَوَّلَانِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَبَلَّ لَحْكُمِيْ هَمَزَةٌ لَّمْرَةٌ ﴾^(٤) ، وَقَوْلُ
بَعْضِهِمْ : (مَا مَدَحَكَ وَإِنَّمَا قَدَحَكَ) .

والمفترق : أَنْ (٢٤٢) يَبْدَأَ بِكَلِمَةٍ ثُمَّ يَعِيدُهَا لَا يَزِيدُ فِي حُرُوفِهَا وَلَا
يَنْقُصُ ، إِلَّا أَنَّكَ تَغْلُ الْحَرْفَ الثَّانِي مِنَ الْأَوَّلِ فَتَوَقِّعُهُ فِي أَوَّلِ الْآخَرَى ، مِثْلُ :
حَمَادٌ وَمَعَادٌ . وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

(١) ديوانه ١/ ١٥٨ .

(٢) ديوانه ٣٨٨ .

(٣) وهو الترجيع . ينظر : شرح عقود الجمان ٧٢ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها

(٤) ١٢٤/٢ - ١٢٧ .

(٥) الهمزة ١ .

مراح رماح قابلتها بـكـوـتـة فصاح صفاح في الجسوم وفي الهام
وقد أذى بي الاستبطاء إلى أن هذا الباب ينقسم إلى ستة أقسام :

قسم يزيد في إحدى الكلمتين على الأخرى بحرف في آخرها مع اتفاق
سائر حروفها نحو : همو وهمي ، وهو وهمو ، وسلو وسلوع ، وسمو
وسموق ، وعنو وعنود .

وقسم تزيد فيه إحدى الكلمتين على الأخرى بحرف في أولها ، نحو :
هيم ويهيم ، وريف وشريف ، ودين ومدين ، وهيف ولهيف .

وقسم يتساوى فيه عدد حروف الكلمتين ويتفق جميعها إلا الحرفان
الأولان ، نحو : هُمَزَةٌ وَلُمَزَةٌ ، وَزَيْفٌ وَسَيْفٌ ، وَوَسِيمٌ وَجَسِيمٌ
وَرَسِيمٌ وَنَسِيمٌ .

وقسم يتساوى فيه عدد حروف الكلمتين ويتفق جميعها إلا الحرفان
الأخيران منهما ، نحو : مُرَافِقٌ وَمُرَافِدٌ ، وَمَسَاعِفٌ وَمَسَاعِدٌ ، وَمَشَاكِلٌ
وَمَشَاكِهِ ، وَمَصَارِمٌ وَمَصَارِفٌ ، ومثل : اسْتِمَارٌ واسْتِعَادٌ ، واسْتَطْلَافٌ
واسْتَطَابٌ ، وانْحِسَامٌ وانْحِسَارٌ .

وقسم لا تختلف فيه حروف الكلمتين وإنما يكون أول حرف في الكلمة
الأولى ، ثاني حرف في الثانية ، وثاني حرف في الثانية أول حرف في الأولى ،
مثل : معاد ومعاد ، وعباد وعباد ، وشراد وشراد .

وقسم لا تختلف حروفه ، وإنما يكون الحرف الأخير في [الأولى قبل
الحرف الأخير في] الثانية ، مثل : شرع (٢٤٣) وشعر ، وسرع وسعر ، وشاعر
وشاعر ، وشاتم وشامت ، وريع وريعي .

وينبغي لمن وقع في كلامه قسم من هذه الأقسام أن يعرف موقعه من
الحسن ، وإن أحب أن ينسب إلى هذا الباب ويعده قسماً من أقسامه فَعَلَّ ، وإن
أحب أن ينسب إلى ذلك كَانَ ذَلِكَ إِلَيْهِ .

ذكر النوشج^(١) :

النوشج مأخوذ من الوشيجة ، وهي الزهرُ المختلف الألوان ، ومن البُرْد
الرشج ، وهو الكثير القشوش ، ومعناه أَن يأتي بكلمة يجعلها أصلاً ثم يفرعها
على معنيين ، كقولك : (فلانٌ يرغبُ في ودائك ويُرغبُ عن يعاكك) .
وكقول الشاعر :

أَوْ مَا تَنْظُرِينَ بِإِلَهِ قَلْبِي يَشْكِي شَوْقَهُ إِلَيْكَ إِلَيْكَ
لَوْ عَرَفْتَ الْهَوَى عَذْرَتْ وَلَكِنْ هَانَ لِمَا خَفِيَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ
فَارْحَمِي قَلْبَ عَاشِقٍ مُسْتَهَامٍ هُوَ رَهْنٌ بِمَا لَدَيْكَ لَدَيْكَ
فَأَصْلُ فِي كُلِّ بَيْتٍ كَلِمَةٌ ثُمَّ فَرَعَهَا إِلَى مَقْصَدٍ آخَرَ .

وقال عبد الله بن المعتز^(٢) : إِنَّ الْجَاظَ سَتَى هَذَا النُّوعِ الْمَذْهَبِ
الْكَلَامِي ، وَأَنَّهُ فَحَصَ عَنْهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ يَقَعْ فِيهِ نَقْلُ شَيْءٍ مِنْهُ ،
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِيهِ تَكْلُفٌ لَا يَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا مِنَ الْبَشَرِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ .
ومثله بقول عبد الله بن العباس لعمر بن الخطاب وقد قال له : مَنْ تَرَى أَنْ تُؤَلِّمَهُ
جَمْعٌ قَالَ : وَلَهَا رَجُلًا صَحِيحًا لَكَ صَحِيحًا مِنْكَ . (٢٤٤) قَالَ : فَكُنْ أَنْتَ
ذَلِكَ الرَّجُلُ . قَالَ : لَا يُنْتَفَعُ بِي مَعَ سُوءِ ظَنِّي بِكَ وَسُوءِ ظَنِّكَ بِي .
وقول الفرزدق^(٣) :

لِكُلِّ امْرِئٍ نَفْسَانِ نَفْسٌ كَرِيمَةٌ وَأُخْرَى يُعَاصِيهَا الْفَتَى وَيُعْلِمُهَا

(١) ينظر : الصناعتين ٤٢٩ وسماه (الملعب الكلامي) ، معالم الكتابة ٧٢ ، تحرير التحبير ٣١٦ ،
الطراز ٨٩/٣ .
(٢) الديع ٥٣ .
(٣) ديوانه ٥١٤ .

ونفسك من نفسك تشفع للندي إذا قل من أحرارهن شيعتهما
ومن هذا الباب قول البيهقي^(١) للسامون يعتذر :

البر بي منك وطأ المُلر عندك لي فيما فعلت فلم تمِزل ولم تكم
وقام عِلْمك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم
وقول أبي نواس^(٢) :

إن هذا يرى ولا رأي لك أحسن أني أعتد إنسانا
ذاك في الظن عنده وهو عندي كالذي لم يكن وإن [كان] كانا
وقول الطائي^(٣) :

المُجند لا يرضى بأن ترضى [بأن يرضى] امرؤ يرجوك إلا بالرضا
وقول إبراهيم بن العباس^(٤) :

وعلمتني كيف الهوى وجهته وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي
واعلم ما لي عندكم فيمبل بي هواي إلى جهلي فأعرض عن علمي
وقول ابن المعتز^(٥) : (٢٤٥)

أسترفقت في كتمانني وذاك مني دمانني
كتمت حُبك حتى كتمت كتمانني
ولم يكن لي بُد من دُغمري بلسانني

(١) أخرجه شعر البزديين - والصواب : إبراهيم بن المهدي كما في البيهقي ٥٤ والمصنفين ٤٢٦

(٢) أخرجه حيوانه ، وماله في البيهقي ٥٥ والمصنفين ٤٢٧ .

(٣) ديوانه ٣٠٧/٢ والزيادة منه .

(٤) شعره (الطرائف الأدبية) ١٥٠ .

(٥) شعره : ٣٦٥/١ وفيه : في الكتمان .

ذكر الترديد^(١) :

اختلف البديعيون في الترديد فقال عبد الله بن المعتز^(٢) : ردّ أصجاز الكلام على صدره ينقسم إلى ثلاثة أقسام : أحدها : أن يوافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في نصفه ، مثل قول الشاعر^(٣) :

يلقى إذا ما الأمرُ كانَ عَرَمَراً
ففي جيشٍ رأي لا يُقَلُّ عَرَمَراً

وثانيهما : أن يوافق آخر كلمة في البيت أول كلمة منه ، كقول الشاعر^(٤) :

سريعٌ إلى ابنِ العمِّ يشتمُّ عِرَضَهُ
وليسَ إلى داعيِ التَّدَى بِسريعٍ

وثالثهما : أن يوافق آخر كلمة منه بعض ما فيه ، كقول الآخر^(٥) :

عبدُ بني سُلَيْمٍ أَقْصَدَنُ
سِهَامُ الموتِ وَهَيَّ لَه سِهَامُ

وقال أبو علي الحاتمي^(٦) : الترديدُ أن تخلق اللفظة في البيت بمعنى ثم يردّها متعلّقةً بمعنى آخر . قال : وهو مذهبُ المُحدثين ، ومثله بقول أبي حنّة الثميري^(٧) :

ألا حَيٍّ من أجلِ الحبيبِ المَمَانِيَا
لِبِسَرِ البَلَسِ مما لبسَ اللَّيَالِيَا

(٢٤٦) إذا ما تقاضى المرءُ يومَ وَلِيلَةٍ
تقاضاءُ شَيْءٍ لا يَمَلُّ التقاضِيَا

ويقول زهير^(٨) :

(١) ينظر : حلية المحاضرة ١/ ١٥٤ ، الصناعتين ٤٠٠ ، الممدّد ٢/ ٣٣٣ ، الوافي ٢٨٥ ، خزائن الأدب ١٦٤ .

(٢) البديع ٤٧ .

(٣) بلا عزو في البديع ٤٨ والصناعتين ٤٠٠ .

(٤) الأقبشر الأسدي ، شعره : ٤٥ .

(٥) بلا عزو في البديع ٤٨ .

(٦) حلية المحاضرة ١/ ١٥٤ .

(٧) شعره : ١٠٠ - ١٠١ .

(٨) ديوانه ٥٣ .

سَنَ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِيهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُفًا
ويقول الباهلي :

لقد ملأت عيني بغير محاسن مَلَأَن فَوَادِي لَوْعَةً وَهَمُومًا
والترديد عند أبي عليّ الفارسي ليس من هذا النوع في شيء ، وإنما هو أن
يأتي بكلمتين حروف أحدهما بعض حروف الأخرى ، مثل : كتاب وتاب ،
وشباب وباب ، وعذاب وذاب . وهذا دخل في أقسام الترجيع الستة التي تقدّم
ونُكرها .

ورد أعجاز الكلام على صدره يقع في فصول المنثور كما يقع في آيات
المنظوم .

ذكر التصدير^(١) :

قال بعض البديعيين : التصديرُ أن يأتي الشاعرُ بلفظةٍ في صدر البيت ثم
يعيدها في عجزه أو نصفه الأول ، ثم يردّها في نصفه الآخر ، وأن ذلك ليسهل
الطريق إلى المعرفة بقوافي الشعر قبل مرورها على الأسماع .

وهذا شبيه بالترديد إلا أن الفرق بينهما أن التردد تعود فيه اللفظة متعلّقة
بغير المعنى الذي دلّت عليه أوّلًا ، والتصدير تعود فيه اللفظة وهي متعلّقة
بالمعنى بعينه (٢٤٧) ، كقول الشاعر^(٢) :

وكنت سناماً في فزارة تايكاً وفي كلِّ حيٍّ ذُرَّةٌ وسنامٌ
وكقول جرير^(٣) :

(١) ينظر : حلية المعاصرة ١/١٦٢ ، المجلد ٢/٢ ، البديع في نقد الشعر ٥١ وفيه : (باب التردد
ويسمى التصدير) ، جرمز الكتّار ٢٥٢ .
(٢) عمرو بن معد يكرب ، ديوانه ١٦٩ .
(٣) ديوانه ٩٤٨ .

مَنْعَى الرَّمْلَ جَزْؤً مُسْتَهْلًا رَبَابَةً وَمَا ذَاكَ إِلَّا حُبٌّ مَن حَلَّ بِالزَّمَلِ
 عَلَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمَعْتَرِ^(١) قَدْ انْتَضَمَ النُّوعَيْنِ فِيمَا مَثَلُ بِهِ فِي بَابِ التَّرِيدِ
 وَلَمْ يَفْرُقْ بَيْنَهُمَا .
 ذِكْرُ التَّسْبِيحِ^(٢) :

التَّسْبِيحُ أَنَّ يَتَوَخَّى تَصْيِيرَ مَقَاطِعِ الْأَجْزَاءِ فِي الْبَيْتِ عَلَى حُكْمِ السَّجْعِ أَوْ
 مَا يَشَابُهُ ، أَوْ مِنْ جَنْسٍ وَاحِدٍ فِي التَّصْرِيفِ وَالتَّمَثِيلِ وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الشَّعْرِ
 الْقَدِيمِ وَالتَّمُخَّدَثِ .

وَأِنَّمَا ذَهَبُوا هَذَا الْمَذْهَبَ لِأَنَّ بَنِيَّ الشَّعْرِ إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّقْفِيَةُ ، فَلَمَّا
 كَانَ الشَّعْرُ أَكْثَرَ اشْتِمَالًا عَلَيْهِمَا كَانَ أَدْخَلَ فِي بَابِ الشَّعْرِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ
 يَسْتَكْثِرَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَحْسُنُ إِذَا وَقَعَ نَادِرًا فِي الْبَيْتِ .
 وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ^(٣) :

رَقَاقُهَا ضَرِيْمٌ وَلَحْمُهَا زَيْمٌ وَجَرِيْمُهَا خَزِيْمٌ وَالْبَطْنُ مَقْبُوبٌ
 وَقَوْلُ الطَّائِي^(٤) :

وَمِنْ فَارِجٍ جَعْلِيٍّ وَمِنْ كَفَلٍ نَهْدِيٍّ وَمِنْ قَمَرٍ سَعْدِيٍّ وَمِنْ نَائِلٍ ثَمْدِيٍّ
 وَهَذَا الْبَابُ هُوَ تَرْصِيعُ الْمَوَازِنَةِ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ ، وَقَدْ
 ذَكَرْنَاهُ فِي (٢٤٨) بَابِ التَّرْصِيعِ ، وَإِنَّمَا أَعْدَدْنَاهُ هَا هُنَا لِأَنَّا وَجَدْنَا جَمَاعَةً مِنَ
 الْبَدِيعِيِّينَ قَدْ جَعَلُوهُ بَابًا مُفْرَدًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ وَأَوْقَعُوا عَلَيْهِ هَذَا التَّعْتِ .

(١) ينظر : البقيع ٤٨ .

(٢) ينظر : قانون البلاغة ١٢٨ ، تحرير التعبير ٢٩٥ ، حسن التروسل ٢٧٢ ، نهاية الأرب ١١٧/٧ .

(٣) ديوانه ٢٢٥ ، وفيه : ... وجريها غطم ولحمها زيم ...

(٤) ديوانه ١١١/٢ .

ذكر التضمين^(١) :

قد جرت عادة الشعراء تشلن أشعارهم الأبيات النادرة ، والحكم في ذلك كالحكم في تضمينها الأبيات السائرة ، وذلك لأن البيت الشroud إذا وضع في موضعه (أصبح له) من الطلاوة ما ليس لبيت يصوغه الشاعر في معناه ، ومن الدلالة على الغرض ما لا يقاربه غيره في وضوحه . وتنتحل ما يوضع من ذلك في مواضع إنما يفتر إلى جودة الاختيار والمعرفة بما يستحقه كل معنى . وقد ضنّ بعضهم البيت ونصفه وربّعة والكلمة منه ، وذلك على حسب ما يقتضيه الموضع .

ومن مستحسن التضمين قول بعضهم^(٢) :

خُلِقْتُ عَلَى باب الأمير كَأَنِّي قفا نَبِك من ذكري حبيبٍ ومنزلٍ
وقولُ ابن الرومي^(٣) :

قالَ لي عُمْرُها وقد دارَ سَتْنِي لا تُعْرِجْ بِدَارِجِ الأطلالِ
وقولُ الآخر^(٤) :

عَوْدُ لَنَا بِكَ غَيْباً لَهُ أَقْرَابُهُ يُخَلِّدُ بِيَّاسِينَ
فَبِكَ وَالْأَرْضُ فِرَاشِي وقد غَنَّتْ قِفا نَبِك مَصْصَارِينِي
(٢٤٩) وقولُ أبي نواس^(٥) :

وَمُسْتَعِدُّ مَنى ما شئتُ غَنَّتْ متى كانَ الخِيَامُ بِذي طُلُوحٍ

(١) ينظر : المجلد ٢/ ٨٤ ، قانون البلاغة ١٣٠ ، حداث السحر ١٧٤ ، كفاية الطالب ٢١٢ ، الجامع الكبير ٢٢٢ .

(٢) المجلد ٢/ ٨٦ وفيها : وأظنه للصرلي .

(٣) ديوانه ١٩٣٢ وفيه : صلب بي صبرها وقد غازلني .

(٤) بلا مزوغي المجلد ٢/ ٨٨ .

(٥) ديوانه ٧١ (لغزالي) .

وقول الحاتمي^(١) :

وقائله والدمع تكب مُبادر
وقد أبصرت جتان من بعد أنيسها
(كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا
فقلت لها والقلب مني كأنما
تلكي نحن كُنّا أهلها فأبادنا

ذكر توكيد المدح بما يشبه الذم^(٢) :

قال الحاتمي^(٣) : وأول من افترعه النابغة^(٤) فقال :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
يهمن فلول من قراع الكتائب
وقال أيضاً^(٥) :

فنى كملت أخلاقه غير أنه
فنى ثم فيه ما يسر صديقه
(٢٥٠) وقال حاتم الطائي^(٦) :

وما تشكيني جارني غير أنني
إذا غاب عنها بقلها لا أزورها
وقال الآخر :

ولا عيب فيهم غير شع نسايقهم
ومن الساحة أن يكن شحاحا

(١) قانون البلاغة ١٣٠ وفيه : الحماسي ، وهو وهم . واليتان الثالث والرابع لعمرو بن العلوذ بن

مضاض الجرحي في معجم اليتان ١٨٦/٥ .

(٢) بنظر : البديع ٦٢ ، تحرير التحرير ١٣٣ ، حسن التوسل ٢٢٩ ، الإيضاح ٣٧٢ .

(٣) بنظر : حلية المحاضرة ١/١٦٢ .

(٤) ديوانه ٦٠ .

(٥) النابغة الجعدي ، شعره : ١٧٣ - ١٧٤ ، وليس الذبياني .

(٦) ديوانه ٢٤٧ .

ذكر الاستطراد^(١) :

الاستطراد : مأخوذ من طراد الخيل ، وهو خروجها من مقبب إلى مقبب من غير اتصال ، لأنها إذا انفصلت زال عنها اسم الطراد ، لأن الشاعر يرمي في مدح أو ذم ، قتيلاً هو كذلك إذ استطرده بغيره مثاله تعلق بالمعنى .

فمنه الخروج إلى المدح ، كقول زهير^(٢) :

إِنَّ الْبَغِيلَ مُلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَدُ كَسَنَ الْجَوَادِ عَلَى عِلَاقِهِ هَرِمٌ

ومنه الخروج إلى الهجو ، كقول الآخر^(٣) :

إِذَا مَا أَتَى اللَّهَ الْغَتَى وَأَطَاعَهُ فَلَيْسَ بِهِ بَأْسٌ وَإِنْ كَانَ مِنْ جَزَمٍ

وقول بشار^(٤) :

خَلِيلِي مَنْ سَعِدَ أَعْيُنَا أَخَاكُمَا عَلَى دَهْرِهِ إِنَّ الْكَرِيمَ مُعِينٌ
وَلَا تَبْخَلَا بُخْلَ ابْنِ قَرْعَةَ إِنَّهُ مَخَافَةٌ أَنْ يُزْجَى نَدَاهُ حَزِينٌ
(٢٥١) إِذَا جِئْتُ فِي حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينٌ

وقول أبي العتاهية^(٥) :

وَأَحْيَيْتُ مَنْ أَجْلَيْهَا الْبَاخِلِجَ رَنَ حَتَّى وَتَقْتُ ابْنَ مَلَمٍ سَعِيدًا
إِذَا سَبَلَ عُرْفًا كَسَا وَجْهَهُ ثِيَابًا مِنَ اللَّؤْمِ صُفْرًا وَسُودًا

وقول إسحاق الموصلي^(٦) :

فَمَا ذُو قَرْنِ الشَّمْسِ حَتَّى رَأَيْنَا مِنَ الْغَيِّ نَحْكِي أَحْمَدَ بْنَ هِشَامٍ

(١) ينظر : حلبة المحاضرة ١٦٣/١ ، الصناعتين ٤١٤ ، المدة ٣٩/٢ ، قانون البلاغة ١١٣ .

(٢) ديوانه ١٥٢ .

(٣) بلاغ مزد في الصناعتين ١١٥ وفيه : وإن كان من عكل .

(٤) ديوانه ٢١١/٤ - ٢١٢ .

(٥) انقل بهما شعره ، وهذا للمسلم بن الوليد ، ديوانه ٢٧٠ .

(٦) شعره ١٨٨ .

وقول سعيد بن جُنَيْد^(١) :

يا ذا الذي يُنكرُ وُدِّي له وِلْدَعي غلدي وهجراني
أَجْعِدُ العهدَ الذي بيننا وأصحبُ الثُّغْمَى بكُفْرانِ
صَبَحَني الله إذا غادِياً بوَجْهِهِ وَهَبِ بنِ سُلَيْمانِ
وقول بعض الكتاب ، وأوهم أنه يُعَاتَبُ جارية :

اسْكُني لا تَكَلِّمي . يا فتوحية القَمِ
ليسَ خلقٌ بمشترك على ذا يلدزهم
ظَهَرَتْ دولةُ اللُّواطِ بيحيى بنِ أَكْثَمِ

وقول أبي تمام^(٢) يهجو عثمان بن إدريس البسامي : (٢٥٢)

وسابحَ هَطِلِ الثَّغْداءِ هَتَّانِ على الجراءِ أمِينِ غيرَ عَرَّانِ
أَطْلَسَى ولم تظلمْ قِوائِمُهُ فَخَسِلُ عَيْنَيْكَ في ظِلْمَانِ رِيانِ
فلو تراءَ مُشِيحاً والحصى رَنَمٌ بينَ المنايِلِ من مَتْنَى ووُحْدانِ
أَبْقَنْتَ إنْ لم تَتَيْتَ أنْ حافِرُهُ من صَخْرِ تَذْمُرٍ أو من وَجْهِ عِثمانِ
وقول البُخْتَرِيِّ^(٣) :

وأَعْرَ في الزمَنِ البهيمِ مُحَجَّلِ قد رُخِثَ منه على أَعْرَ مُحَجَّلِ
كَالْهَيْكَلِ المَبْنِيِّ إلَّا أَنَّهُ في الحُصْنِ جاء كَصُورَةٍ في مُبَكَّلِ
فَلَسْكَ العِيونَ فإِنْ بدا أَعْيُنُهُ نَظَرَ المُحِبِّ إلى الحَبِيبِ المُفْجَلِ
ما إنْ يَصَافَ قَدَيٌّ ولو أَوْرَدَتْهُ يوماً غِلَاشِقَ حَمْدِ قَدَيْهِ الأَخْوَلا

(١) أغل به شعره .

(٢) ديوانه ٤/ ٤٣٤ .

(٣) ديوانه ١٧٤٤ ، ١٧٤٥ ، ١٧٤٨ .

ذكر المعاملة^(١) :

قال عبد الله بن المعتز^(٢) : السَّمَالَةُ أَنْ يُوْنَى بِحَرْفَيْنِ لَفْظُهُمَا مُخْتَلَفٌ وَمَعْنَاهُمَا مُتَّفِقٌ إِِرَادَةً لِلتَّوَكِيدِ ، كَمَا قَالَ الْخَطِيبَةُ^(٣) :

أَلَا حَبْدًا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ
فَالنَّأْيُ وَالْبُعْدُ لَفْظُهُمَا مُخْتَلَفٌ وَمَعْنَاهُمَا مُتَّفِقٌ . وَهَذَا يَدْخُلُ فِي بَابِ تَرْدِيدِ
الْأَلْفَاظِ الْمُتَرَادِفَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ لِلتَّوَكِيدِ . وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْكَلَامِ .

(٢٥٣) ذكر الهَزْلُ المُرَادُ بِهِ الْجِدُّ^(٤) :

قال عبد الله بن المعتز^(٥) : وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ^(٦) :

أَزْقِيكَ أَرْقِيكَ بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ يُخْلُو نَفْسِي لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيكَ
مَا يَنْفُ نَفْسِكَ إِلَّا مَنْ يَتَارَكُهَا وَلَا عَذُوكَ إِلَّا مَنْ يُرْجِيكَ
وقول أبي نواس^(٧) :

إِذَا مَا تَبَسَّيْتُ إِثَّاكَ مُضَاخِرًا فَقُلْ عَدُوٌّ عَن ذَا كَيْفٍ أَكُتْلِكَ لِلْقَبْرِ
وقوله^(٨) للفضل بن الربيع :

وَلِي حُرْمٌ وَلَا تَنْفُطْ عَنْهَا لَسَدَفَعِ حَقَّهَا دَفَعَ الْغَرِيمُ
نَعَامِلُ لِي كَأَنَّكَ وَابِطِي وَيَتُّكَ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحَطِيمِ

(١) ينظر : الصناعتين ٣٦٤ ، الوافي ٢٧٤ .

(٢) لم أقف على قوله في الديق .

(٣) ديوانه ١٤٠ .

(٤) ينظر : قانون البلاغة ١٣٥ ، كناية الطالب ١٨٥ ، البيان للزمكاني ١٨٩ ، تحرير التعبير ١٣٨ .

(٥) الديق ٩٣ .

(٦) شعره ٤١٣ ، وفيه : يشفيها ويرجيها

(٧) ديوانه ٥١٠ (الغزالي) .

(٨) في الأصل : وقول الفضل بن الربيع . وما أبتاه من الديق .

ذكر الاستثناء^(١) :

قال عبد الله بن المعتز^(٢) : هو أن يقول المُتَكَلِّمُ قولاً مُطلقاً ثم يستثنى منه بعضه ، كقول أبي نواس^(٣) في الأمين :

بِأَخِيَرٍ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ إِلَّا النَّبِيُّ الطَّاهِرُ الْمَيْمُونُ
إِسَامٌ عَذْلُو مَالَهُ قَرِيبُ اسْتَغْفِرُ اللهَ بِلِسَى هَارُونُ
وقول الآخر^(٤) :

لِلْيَمَنِ قَلِيلاً نَظَرَةٌ إِنْ نَظَرَتْهَا إِلَيْكَ وَكَمَلًا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ
(٢٥٤) ذكر التَّوْفِيفِ^(٥) :

قال البديعون : التَّوْفِيفُ أن يكونَ الكلامُ حَسَنَ الرُّوْيِ ، طَيِّبَ الْقَرَى ، مُتَحَلِّياً بِرُفُوْعِ الْفَصَاحَةِ ، عَاطِلاً مِنَ الْبِشَاعَةِ ، طَاهِرَ الْمَعْنَى ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكْلُفٍ فِي اسْتِخْرَاجِهِ ، مُشْتَمِلٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الصَّنَعَتَيْنِ الْبَلَاغِيَةِ وَالْبَدِيعِيَةِ اسْتِمَالاً سَهُولَةً مِنْ غَيْرِ تَوَعُّرٍ وَطَبِيعٍ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ .

وهذه العبارة تدلُّ على انتظام هذا الباب لجميع الكلام البين البليغ الملائم ، والاختصار منه على أمثلة مع استفاضة .

هذا آخر ما وقع إلي من أنواع البديع الذي إذا استعملها مؤلفو الكلام فيما يؤلفونه بغير تكلف ولا تعسف رتبت معانيهم وزينت مبانيهم وقصت بتقيل الأسماع والقلوب لها .

وقد استوفينا القول عليها وعلى الخلاف الواقع فيها ، ونحن لذلك نتعدى هذا الباب إلى ما يتلو به مشيئة الله وعونه .

(١) ينظر : حلية المحاضرة ١/ ١٦٢ ، الصنائع ١٢٤ ، المبدعة ٤٨/ ٢ ، جوهر الكتور ٢٤٦ .
(٢) لم أقف على قوله في البديع .
(٣) ديوانه ٤١٣ (الغزالي) .
(٤) يزيد بن الطخيرة ، شعره : ٨٨ . وقد سلف ذكره .
(٥) ينظر : قانون البلاغة ١٢٥ ، كفاية الطالب ١٥٦ ، تحرير النحرير ٢٦٠ ، حسن التوسل ٢٦٥ .

الباب الخامس

فيما يُخرج الكلام عن أحكام البلاغة

وكما أرشدنا فيما شرحناه إلى ترتيب الكلام وحسن التأليف والنظام ، فكذا يُستحبُّ أنْ نحذَرَ من أضدادها ونضع أمثلةً في الأقسام التي تحيل المعاني عن حقائقها وتزيل الألفاظ عن مراتبها لتُجتنب ونحمد الله على السلامة منها فنقول :

إنَّ الأبياء (٢٥٥) التي تُخرج الكلام عن أحكام البلاغة تنظم في ثلاثة أقسام :

قسم يخصُّ الألفاظ ، وقسم يخصُّ المعاني ، وقسم يخصُّ المركب منهما .

فأما القسمُ الذي يخصُّ الألفاظ فيقسم إلى ثمانية أنواع ، وهي : استعمال الحوشي والناظر^(١) والملحون ، والاستمارتان^(٢) القبيحة والمعيبة ، والتعقيد ، والتطويل ، والتجميع ، والتكرير ، والمعاذلة ، والتجنيس المعيب .

وأما القسم الذي يخصُّ المعاني فيقسم إلى عشرة أنواع ، وهي : المستحيل ، والممتنع ، والمتناقض ، وفساد التقسيم ، وفساد المقابلة ، وفساد التفسير ، ونسب الشيء إلى ما ليس له ، والتطبيق المعيب ، والتخليط ، وتحريف الاسم عن موضعه .

وأما القسم الذي يخصُّ التركيب من الألفاظ والمعاني فيقسم إلى أحد

(١) من الأصل : المناظر

(٢) في الأصل : الاستمارتين .

عشر نوعاً ، وهي : الإخلال ، عكس الإخلال ، الانتقال ، الهذر والتبديد ، تكلف القافية والسجع ، القلب ، المبتور ، اللفظ المشترك ، الحشو غير المفيد ، التردد المعيب ، التوسيع المعيب .

ونحن قائلون على كل قسم وما يتضمنه من الأنواع بما فيه كفاية وإقناع إن شاء الله تعالى .

القسم الأول في عيوب الألفاظ

وهو ثمانية أنواع :

ذكر الحوشي والتنافر والملحون :

من عيوب الألفاظ (٢٥٦) أن تكون بشعة مستوحشة ، قبيحة المخرج ، ثقيلة في السمع ، حوشية وحشية ، منافرة لما جرت به العادة في الاستعمال ، قد قصد فيها إلى التقر والتعق والتفاحص والتشذق ، مباينة لما شرطنا استعماله منها فيما تقدم ، لأن هذا الصنف من الكلام يكشف نوز المعاني ويفض من روائها .

وقد كان يستقل والزمن زمن الفصاحة فكيف به اليوم وقد عُدِمَ مَنْ يأنس بالسهل فضلاً عن المهجور المهمل ، أو أن تكون ملحونة معدولاً بها في سبيل الإعراب والمذهب الذي بني عليه الكلام .

وليس ما يقع في هذا الباب مما يحتاج إلى تمثيل ، لأن ما هذه صفة من الكلام معروف لا يخفى عمن نظر في كلام الناس .

ذكر الاستعارتين القبيحة والمعيبة :

أما الاستعارة القبيحة فهي التي ^(١) تخلو من جميع وجوه البلاغة أو

(١) في الأصل : الذي .

أكثرها ، وتكون دلالتها على المعنى دون دلالة ... وقد مثلناها في باب الاستعارة بقول الشاعر^(١) :

اسفري للعيون يا ضرة الشمس

ودللتنا على بُعد هذه الاستعارة من جميع طرق البلاغة ، فإن الغلط إنما تم عليه لا اعتقاده أن الضرة لا تكون إلا وضيفة جميلة .

وأما (٢٥٧) الاستعارة المعية فقد مثلها عبد الله بن المعتز^(٢) ، فمنها قول بعضهم^(٣) :

رَمَ العزاءُ غداةَ رَمَ جلالهم فحدا الحداةُ به مع الأجمال
والحادثات منى فَمَزَنَ بَعْضُنِي لَقَنْهُنَّ شجاً بَوْشَدٍ جمالي

قال^(٤) : وقال المهلب لرجل من الأزد : مُدْ منى أنت ؟

فقال : أَكَلْتُ من حياة رسول الله مستتين . فقال : أَطَعَمَكَ الله لحماً .

وقول آخر لصاحبه^(٥) : يا إمام الحكماء وعنصر البلغاء وهوى الأدياء .

وقول شاعر^(٦) يُعَزِّي :

خطوبُ العنايا صرحت عن مواهب مواهبٍ أجبر من نتاج المصائب

ومن الاستعارة القبيحة قول بعض السعديين^(٧) :

سَأَمْنُهَا [أَوْ سَوْفَ] أَجْعَلُ أَمْرَهَا إِلَى تِلْكَ أَظْلَافُ لَمْ تُشَقِّقْ

(١) بعض المؤلفين في العمدة ٢٧٢/١ وقد سلف ذكره .

(٢) البديع ٢٤ .

(٣) علي بن عاصم الضبري في طبقات الشعراء ٣٥٥ - ٣٥٦ وفي البديع ٢٤ : المبدى .

(٤) البديع ٢٣ .

(٥) البديع ٢٤ وفيه : ... ويا عنصر الخلفاء ومولى الأدياء .

(٦) بلا عزو في البديع ٢٤ .

(٧) عُفْفاء بن فيس بن عاصم في اللسان والنتاج (نظف) ، والزيادة منها . وفي الأصل : واجعل ...

فاستعارَ الأظلاف للرجل ولا أظلافَ له .

وقول المَظْطِيفِ^(١) :

سَقَرُوا جَارَكَ الْعَيَّانَ لَمَّا أَنَاهِمَ وَقَصَّرَ عَنْ بَزْوِ الشَّرَابِ مَشَافِرُهُ
فاستعار المَشَافِرَ للرجل ولا مشافر له ، وإنَّما المشافر للإبل . وقد تحسَّنَ
هذه الاستعارة إذا استعملت في الرجل على وجه الذمِّ ، ويجوز استعمالها عند
الحاجة لإقامة وزن الشعر ، لأنَّ مَنْ يسمعها يعرفها ، كما يقولون في الرجل :
(إنه لعريضُ البطان)^(٢) ، ولا يطانَ له يشدُّ عليه ، وإنما يريدون عرض وسطه .
ويقولون : (حزك) حساسه فغضب . وإنَّما يُحزَّك حساس البعير (٢٥٨)
يريدون أَنه حَزَّكَ منه ما غضب لأجله ، فقد استنبأوا كثيراً من أسماء أعضاء
بعض الحيوان عن بعض اتساعاً .

ذكر التعقيد^(٣) :

التعقيد أن تكون الألفاظ متعقِّفة متكلِّفة ، متوَعِّرة متعسِّرة ، لا تدلُّ على
المعاني التي تحتها إلَّا بفحص طويل وبحث كثير .

وقد ذكره بشر بن الْمُعْتَمِر^(٤) وفي وصيته في البلاغة فقال : (إياك والتوَعُّر
فإنَّه يسلكُ بك إلى التعقيد ، والتعقيدُ هو الذي يستهلك معانيك ، ويمنعك
مراميكَ) .

والتعقيد ضدُّ البيان وتقيضه ، كما أنَّ التخليط ضدُّ الترتيب وتقيضه .

(١) ديوانه ١٨٤ مع خلاف في الرواية . وفي الأصل : برد الشباب .

(٢) أي غيَّرَ (أسس البلاغة ٢٥) .

(٣) ينظر : مفتاح العلوم ١٩٦ ، التلخيص ٢٧ ، الإيضاح ٥ .

(٤) البيان والتبيين ١/١٣٦ ، الصنائع ١٤٠ . ويشتر معتزلي ، ت ٢١٠ هـ . (الفرق بين الفرق ١٧٦ ، السبل والنحل ١/٦٤) .

ذكر التطويل^(١) :

التطويل على ضربين :

أحدهما : الإسهاب والإكثار من ترديد الألفاظ على المعنى الحقير الذي يكفي في الإبانة عنه اللفظ اليسير .

والثاني : أن يؤتى بالجزء الأول طويلاً فيحتاج إلى إطالة الجزء الثاني ضرورة فيضطرب ويظهر عليه أثر التكلف ، كما كتب إبراهيم بن مُدَّيَّر^(٢) في التعزية : (إذا كان للمحزون في لقاء مثله أكبر الراحة في العاجل) فلما أطال في الجزء الأول احتاج إلى الإطالة في الثاني فقال : (وكان الحزن راتناً إذا رجع إلى الحقائق وغير زائل) فصار في الكلام (٢٥٩) شاهد التكلف بقوله : (غير زائل) ولحقته عنابة بتضريس ألفاظ الجزئين وطولهما .

ذكر التجميع^(٣) :

التجميع في المتنور أن يختلف مقطعا الجزئين ويتنافرا في النظم ، كما كتب بعضهم^(٤) : (وصل كتابك فوصل به ما يستعبد الخُر وإن كان قديم العبودية ، ويستغرق الشكر وإن كان سالف [فضلك لم يَبْقَ شيئاً منه) . فالمقطع على العبودية متافر على المقطع منه .

والتجميع في المنظوم أن تكون قافية المصراع على رويٍّ فيعرض بأن قافية البيت تحسنه فيأتي بخلافه ، كما قال الشاعر^(٥) :

تَذَكَّرْتُ لَيْسَ لَاتِ حِينَ اذْكَارِهَا وَقَدْ حُني الْأَصْلَابُ ضَلَاً بِتَضْلَالِ

(١) ينظر : الكت في إحصاء القرآن ٧٩ ، سر القصيدة ٢٥٧ ، الإيضاح ١٧٧ ، المطول ٢٨٥ .

(٢) من الشراء الكتب ، ص ٢٧٩ هـ (الأغاني ١٥٧/٢٢ ، أعتاب الكتاب ١٥٩) .

(٣) ينظر : نقد الشعر ١٨٥ ، الصنائع ٢٧٠ ، الممددة ١٧٧/١ .

(٤) سعيد بن جريد في سر القصيدة ٢٠٩ - ٢١٠ والزيادة منه .

(٥) عمرو بن لُطاس ، شعراء : ٧٧ .

فهذا ما يشكُّ السامع أنَّ قافيته رائية فجاءت بخلاف ذلك . وقد مُثِّل فيما سلف أيضاً .

ذكر التكرير ^(١) :

التكرير يكون بإعادة الكلمات أنفسها وحروف الصلات والرباطات .

فأما إعادة الكلمات أنفسها فمثلاً قولِي بعضهم : (ومثل بين ما يملك فلم يجد شيئاً يعني بحقك ورأى أنَّ تقرِّظك بما يبلغه اللسان وإنَّ كَانَ مُقْصِراً عن حقِّك أبلغ في أداء ما يجبُ لك) . فأعادَ (حقِّك) في مثل هذا المقدار اليسير مرتين .

فأما إعادة حروف الصلات والرباطات فإنَّ أهونها عينا إذا كان منها حرفان قط ، مثل : (٢٦٠) (له ، عليه) للاضطراب وكرَّر الاستعمال ، فأما (له ، منه) أو (منه ، عليه) أو (به ، له) وما جرى هذا المجرى ففيه قبح ، وسبيله إذا وقع أنَّ يحتال في فصل ما بين الحرفين بكلمة ، مثل أنَّ تحتاج إلى قولك : (أقمت شهيداً به عليه) فتقول : (أقمتُ عليه شهيداً به) .

ومن هذا النوع ما يستعمله كثير من الناس وسبيله أن يُجتنِب وهو قولهم : (لفلان وله بي حزمة حاجة) . والطريق إلى إصلاح هذا وما يناسبه أن تقول : (لفلان وأنا أحافظ على حزمة حاجة) أو غير هذا ممَّا لا توالي فيه بين (له وله) و(به وبه) و(عليه وعليه) في نحو قولك : (بفلان فاقه وبه حاجة إلى لقائك) و(على فلان دينٌ وعليه عيال كثير) .

ذكر المعاطلة ^(٢) :

هي التي وصف عمرُ زهيراً بمجانبة إيتاها فقال : (كَانَ لَا يَمَاطِلُ بَيْنَ

(١) ينظر : المصنعة ٧٣ / ٢ ، كفاية الطالب ٢٠٨ ، جوهرة الكثر ٢٥٧ .

(٢) ينظر : المصنعتين ١٦٨ ، المصنعة ٢٦٤ / ٢ ، الطراز ٥٠ / ٣ .

الكلام ولا يتبع حوشيته^(١) .

والشعاعلة في اللغة : تدخّل الشيء في الشيء . وما انتظام القول واتساقه
إلا من المحمود المستحسن ، ويوشك أن يكون المراد بهذا القول أنه لا يدخل
شيء في غير جنسه ولا كلام في غير سلكه معاً ينافره ولا يليق به .

ذكر الصنيتين المعيب^(٢) :

الصنيتين المعيب هو ما تكلف فجاء نافيحاً . وقد مثله ابن المعتز^(٣) بأمثلة
كثيرة ، فمنها قول بعضهم^(٤) : (٢٦١)

أَكْبَدُ مِنْ أَلِيمِ الْأَلَمِ فَقَدْ أَنْحَلِ الْجِسْمَ بَعْدَ الْجِسْمِ
وقول آخر^(٥) :

كَمْ رَأْسٍ رَأْسٍ بَكَى مِنْ غَيْرِ مُثْلَتِهِ دَمْعاً وَتَحِيْبَةً بِالْفَجَاعِ مَبْتَسِمًا
وقول الآخر^(٦) :

| | |
|---|--|
| هِيَ الْجَاذِبُ إِلَّا أَنَّهَا حُسُورُ | كَأَنَّهَا صُورٌ لَكُنْهَا صُورُ |
| نُورُ الْحِجَالِ وَلَكِنْ مِنْ مَعَانِيهَا | إِذَا ظَلِمَتْ هُمَاهَا إِنَّهُ نُسُورُ |
| غَيْدَاءُ لَوْ بَلَّ طَرَفُ الْبَابِلِيِّ بِهَا | لَارْتَدَّ وَهُوَ بَعَيْنُ السَّحَرِ مَسْحُورُ |
| إِنَّ الرِّوَاخَ حَكَى رَوْحَ الْمَرَاقِ لَنَا | أَصْلًا وَقَدْ فَضَّلْتَ مِنْ مَنَكَةِ الْغَيْبِ |
| تَشْكُو الْمَقُوقَ وَقَدْ عَقَى الْعَقِيْقَ لَهَا | فَارْضُ عُرُوءَةً مِنْ بَطْحَانَ فَالْتَبِئِ |
| بِحَثْنِهَا كُلُّ دَرْزِكٍ دَائِلُهُ دَأْبُ | مِنْ طُولِ شَرْقٍ وَهَجِيرَاهُ تَهْجِيرُ |

(١) نقد الشعر ١٧٢ و١٧٦ .

(٢) بنظر : البديع ٣٤ ، الصناعتين ٣١٢ . واعتل به معجم المصطلحات البلاغية .

(٣) البديع ٣٤ - ٣٥ .

(٤) منصور بن الرزق في البديع ٣٤ .

(٥) بلا عزو في البديع ٣٤ والصناعتين ٣٤٥ .

(٦) أبو الفرج البغدادي في الصناعتين ٣٤٥ .

مُتَوَرِّدَةً الْآلِ مِنْ خَوْضِ الْفَلَاحِ إِذَا مَا اعْتَمَّ بِالْآلِ فِي أَرْجَائِهَا الْقَوْرُ
وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ وَمَا بَعْدَهَا الْفَافَا تَنْتَظِمُ فِي التَّرْصِيعِ عَلَى مَذْهَبِ
أَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ ، وَفِي التَّجْنِيسِ عَلَى مَذْهَبِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ وَالْحَافِظِيِّ .

القسم الثاني وهو عيوب المعاني

عشرة أنواع : (٢٦٢)

ذكر المستحيل والممتنع^(١) والمتناقض^(٢) :

المستحيل : هو ما لا يوجد ولا يمكن مع ارتفاع وجوده أَنْ يتصوَّرَ فِي
الذهن ، كَالْقَائِمِ الْقَاعِدِ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَالْأَسْوَدُ الْأَبْيَضُ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ .
والممتنع : هو ما لا يوجد أيضاً إِلَّا أَنَّهُ مع ارتفاع وجوده يمكن أَنْ يتخيل
بمنزلة حيوان مركب الجملة من أعضاء عدَّة من أنواع الحيوان .

والمتناقض : ما جمع بين المعاني المتقابلة من جهة واحدة . والمعاني
تقابل من أربعة أوجه :

إِثْمًا عَلَى طَرِيقِ الْإِضَافَةِ كَالْأَبِ لِلْإِبْنِ ، وَالْمَوْلَى لِلْعَبْدِ .
وَإِثْمًا عَلَى طَرِيقِ التَّضَادِّ كَالْأَسْوَدِ لِلْأَبْيَضِ ، وَالْحَارِّ لِلْقَاتِرِ .
وَإِثْمًا عَلَى طَرِيقِ الْمَلَكَةِ وَالْعَدَمِ كَالْبَصِيرِ لِلْأَعْمَى ، وَالْمَوْسِرِ لِلْفَقِيرِ .
وَإِثْمًا عَلَى طَرِيقِ النُّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ ، مِثْلُ : زَيْدٌ حَاضِرٌ ، وَزَيْدٌ لَيْسَ بِحَاضِرٍ .
وَالثَّلَاثُ الْمُقَابِلَاتُ الْأَوَّلُ تَقَعُ مَعَ الْمَعْنَى ، وَالرَّابِعُ يَقَعُ فِي الْأَلْفَاظِ .
وَإِنَّمَا أَدْخَلْتُ فِي الْمَعْنَى لِأَنَّ مِنْ يَعْذَمُ اللَّفْظُ كَالْأَخْرَسِ يُمْكِنُهُ بِالْإِيمَاءِ أَنْ
يُنْذِرَ عَلَى الْإِثْبَاتِ وَالنُّفْيِ وَالْإِيجَابِ وَالسَّلْبِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : الْمَنْعُ . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) يُنْظَرُ : تَقْدِيرُ الشَّعْرِ ٢٠٤ ، سِرُّ النَّصَاحَةِ ٢٨٦ ، كَانُونُ الْبَلَاغَةِ ٣٨ - ٣٩ .

ومعنى قولنا : (من جهة واحدة) هو أن تجعل مثلاً في باب المضاف رجلاً أباً لزيد وابناً له ، وعبدًا لعمرو ومولى له ، ويجعل في باب التضاد شيء ما فاتراً بارداً عند الحار ، وشيء ما أride أبيض عند الأبيض ، ويجعل (في) باب الملكة والمدم رجلاً أعمى الطرف بصيره ، ويجعل في باب النفي والإثبات رجلاً حاضراً غائباً في وقت واحد .

فأما إن تقابلت من جهتين مختلفتين فليس ذلك بتناقض ، مثل أن تجعل رجلاً أباً لزيد وابناً لعمرو ، وعبدًا لرجل ومولى لآخر ، وشيئاً فاتراً (٢٦٣) عند البارد وبارداً عند المحرق ، وإنساناً أعمى الطرف بصير القلب ، أو فقيراً من شيء موسراً من شيء ، وزيداً غائباً الساعة حاضراً في وقت آخر ، لأن التقابل فيها ليس من جهة واحدة .

وهذه الثلاثة الأقسام ، أعني الاستحالة والامتناع والتناقض ، من أقيع عيوب المعاني الممتر عنها بمتشور الكلام ومنظومه ، وينبغي لمن تحلى بالصناعة أن يتجنبها ويتحرر منها .

ومن الاستحالة والتناقض قول أبي نواس^(١) يصف الخمر :

كأن يضيها ما عفا من حبابها تفاريق شيب في سواد عذار
فشبه حباب الكأس بالشيب ، وهو جائز لأن الحباب يشبه الشيب في البياض وحده . ثم قال :

تدرت به ثم اقرى عن أدبها تفري ليل عن بياض نهار
فالحباب الذي جعله في البيت الثاني كالليل هو الذي جعله في البيت الأول أبيض كالشيب ، والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد^(٢) العذار هي التي جعلها في البيت الثاني كبياض النهار . وليس في هذا التناقض وجه من العذر .

(١) ديوانه ٤٣٥ . (طبعة الغزالي)

(٢) في الأصل : بسود .

ذكر فساد التقسيم^(١) :

تقسيم الكلام يفسد بأحد ثلاثة أشياء : إما بالزيادة أو النقص أو التداخل .
فإنما الزيادة فهي تكرير ما لا يحتاج إليه ، مثل ما كتب به بعضهم إلى
عامل : (٢٦٤) (فكرت مؤنة في صرفك ومؤنة في عزلك) ، لأنّ الصرف والعزل
بمعنى .

وإنما النقص فهو الإخلال ببعض الأقسام ، مثل قول بعضهم في كتابه :
(إذا كان الكافي لا يخلو من عماره يستحدثها ، أو جبانة يعمرها أو يستأنفها ،
أو مؤونة يزيلها ويحذفها ، أو نفقة يحط ما يستغني عنه منها) ، لأنّه قد ترك
بعض الأقسام ، وهو المقابل في الارتفاع لما ذكره في النفقة من توفير بعضها ،
لأنّه قد أتى بإزاء استئناف جبانة بحذف مؤونة ، ووجب أن يكون بإزاء حطّ
النفقات الموجودة زيادة في الأصول المجموعة حتى يستوفي الأقسام ويأتي
عليها ، وإلا وقع الإخلال ببعض ما لا يغني عن ذكره .

وإنما التداخل فهو أن يتداخل بعض الأقسام في بعض ، مثل ما كتب به
بعضهم في فتح : (فمن بين جريح يضرب بدمائه وهارب لا يلتفت إلى ورائه) .
والهارب قد يكون جريحاً ، والجريح قد يكون هارباً ، وهذا تداخل .

ذكر فساد المقابلة^(٢) :

المقابلة تفسد بأن يذكر معنى يقتضي الحال ذكر ما يوافقه أو يعانده فيأتي
بما لا يوافق ولا يعاند . وهو قبيح في البلاغة ، ومثاله أن يقول : (أنا
الأسود والأسمر) لأنّ الأسود لا يعاند الأسمر غاية العناد . وكذلك لو قلت :
(ما صاحب شؤراً ولا سارقاً) . وإنما صحة المقابلة أن تقول : (أنا
الأسود

(١) نقد الشعر ١٩٩ ، الصناعتين ٣٥١ .

(٢) بنظر : نقد الشعر ٢٠١ ، الموشح ١٢٦ ، الصناعتين ٣٤٨ .

والأبيض) (٢٦٥) و(ما صاحبت خيراً ولا شئيراً) فتعادل الطرفان .
ومثل ذلك أن نقول في وصف إنسان : (إنه عالمٌ أذعجَ الطرفَ) أو (شجاعٌ
باردُ الظلم) ، لأن هذه الصفات لا يوافق بعضها بعضاً .
ومن هذا الباب قول القرشي^(١) :

يا ابنَ خَبرِ الأَخْيَارِ من عَبدِ شَمْسٍ أَنْتَ رَئِيسُ الدُنْيَا وَخَيْثُ الجُنُودِ
فليس قوله : (زين الدنيا) مخالفاً له (غيث الجنود) ولا موافقاً له .
وقول الآخر^(٢) :

فيا إِيها الجِرَانُ في ظِلِّمِ الدُّخَى وَمَنْ خَافَ أَنْ يَلْقَاهُ بَغْيٌ مِنَ الْيَدَى
تَعَالَى إِلَيْهِ تَلَقَّى مِنْ بَشِيرٍ وَخَبِيرٍ ضِيَاءٌ وَمِنْ كَفْبٍ بَحْرًا مِنَ النَّدَى
فعادل الضياء بالإظلام ، وكان يجب أن يأتي في مقابلة (بغى اليدى)
بالتصرة أو ما جانسها فلم يأت بذلك ، وجعل مكانه ذكر الندى ففسدت
المقابلة .

ذكر فساد التفسير^(٣) :

التفسير يشدُّ بأن توضع معاني تقتضي شرحاً ، فإذا شُرِّحتْ عدل عما
يقتضيه بزيادة أو نقصان ، ومنه ما كتب به بعضهم : (وَمَنْ كَانَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
كَمَا أَنْتَ لَهُ مِنَ الذُّبِّ عَنْ ثَغُورِهِ ، وَالْمَسَارَعَةِ إِلَى مَا يَهَيِّبُ بِهِ مِنْ صَغِيرِ خُطْبٍ
وَكَبِيرٍ ، وَكَانَ جَلِيلاً بِصُحِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِعْمَالِهِ ، وَالْإِحْتِهَادِ فِي تَشْمِيرِ
أُمُورِهِ)^(٤) . فليس الذي (٢٦٦) قدّمه من وصف العامل بالذُّبِّ عن الثغور
والمسارعة إلى الخطوب ممّا سبيلُهُ أَنْ يفتَر بالتَّصَحُّحِ فِي الْأَعْمَالِ وَتَشْمِيرِ

(١) أبو عدي القرشي في الصناعتين ٣٤٩ .

(٢) بلا عزو في نقد الشعر ٢٠٣ والصناعتين ٣٥٧ . ومما في باب فساد التفسير منهما .

(٣) بنظر : نقد الشعر ٢٠٣ ، الموشح ٣١٧ ، الصناعتين ٣٥٧ .

(٤) القول في الصناعتين ٣٥٧ .

الأموال ، إذ كان ما قدّمه لا يلزم عليه ما فسّره به . ولو كان هذا الكاتب أضاف إلى ذكر الذّب عن الثّور ذكر الحياطة^(١) في الأمور لكان في هذا الباب ما يجوز أن يُفسّر بالنّصح .

ذكر نسب الشيء إلى ما ليس منه :

وهو أن تصف شيئاً بما لا يستحقّه من الصّفة . ومنه قول خالد بن صفوان^(٢) :

وإن صورة راققتك فاخبر فرّكما أكثر مذاق العود والعود أخضر
أومى إلى أنّ سبيل العود الأخضر أن يكون عذباً غير مرّ ، وهذا ليس بموجب ، لأنّه ليس العود الأخضر يطعم من الطعوم أولى منه بالآخر .
ذكر التطبيق المعيب^(٣) :

قال عبد الله بن المعتز^(٤) : من التطبيق المعيب قول الطائي^(٥) :

كم يجفّل طارث قداسي خنلٍ خلّفه يوم السّردى متوفاً
أعلمت ناسك وهو رأس أنّه سيكون بعدك حافراً ووظيفاً
وقوله^(٦) في الخمر :

ورمى التّليم بماء مزين رأسها فرمت من أضغاثها في الراس
(٢٦٧) وحسّت مصونتها فأزّحت نفسها حتى احتسّت بالسكر نفس الحاسي

(١) في الأصل : الحياطة . وهو تصحيح .

(٢) نقد الشعر ٢١٥ . وفي الأصل : بن أبي . وخالد من الخطباء المشهورين (للمعارف ٤٠٣) .

(٣) بنظر : البديع ٤٦ ، الصّاححين ٣٢٨ .

(٤) البديع ٤٦ .

(٥) أصل بماء ديوانه ، وحسّ للأعطل في البديع ٤٦ .

(٦) الأعطل أيضاً في البديع ٤٧ . وفيه : من أضغاثها . وحسّ مصونتها .

ويقول بعض الشعراء^(١) :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ كَيْفَ رِقَّةُ طَبْعِهِ هُوَ مُقْسِمٌ أَنَّ الْهَوَاءَ تُخَيِّنُ

وقول الطائي^(٢) :

وَإِذَا الضَّنُّ كَانَ وَحْشاً فَمُنْذُ يَتَّ بَرَّغَمِ الزَّمَانِ صُنْعاً رَيباً

وقول الآخر^(٣) :

وَجَعَلْتَ مَا لَكَ دُونَ عِزِّكَ جَنَّةً إِذْ عِزُّكَ غَيْرُكَ لَا يَفِيهِ بَعْدُ

ذكر التخليط^(٤) :

التخليط نقض الترتيب ، ومصرفه في الكلام مقابلته لمنفعة الترتيب ، ولما كثر في الكلام سقط عن درجة البيان وخرج عن حكم البلاغة . وهو يكون بالتقديم والتأخير ، ووضع الشيء في الموضع الذي لا يليق به ولا يناسبه . وقد شرحنا فيما تقدم من قوانين الترتيب وأوضاعه ما إذا حُرف على حقيقته أغنى في المعرفة بنقيضه عن تفسير وتمثيل .

تحريف الاسم عن موضعه :

إذا حُرفَ الاسم عن موضعه دلَّ على خلاف ما يدلُّ عليه إذا وضع في موضعه وأحال (٢٦٨) المعنى . وقد استعمل هذا بعض الشعراء اضطراراً لإقامة الوزن فقال^(٥) :

وَسَائِلُ بَغْلَبَةٍ بِسِي سَيْرٍ وَقَدْ عَلِقَتْ بِغَلَبَةِ الْعَلَوِيِّ

(١) بلا عزر في الدير ٤٧ والسناعتين ٢٢٨ .

(٢) ديوانه ١/ ١٧٢ .

(٣) بعض المحققين في الدير ٤٧ . وفيه : لا يفقه بكرة .

(٤) أنشأ بذكره مصمم المصطلحات البلاغية .

(٥) المنقول التكري في الأسماء ٢٠٢ والاختيارين ٢٥١ .

ولأنما هو ابنٌ سيّار .

وقال أَوْس (١) :

فهلْ لكم فيها السّي فُلانْتسي طيبٌ بما أغيا النّطاسي جَذِيما
ولأنما أراد ابن جَذِيم ، وهو طيب كان في الجاهلية .

القسم الثالث

وهو عيوب المركب من الألفاظ والمعاني

أحد عشر نوعاً :

ذكر الإخلال (٢) :

الإخلال أنْ تخلَّ من اللفظ بما فيه استيفاء المعنى وتتمام القصد ، مثل ما كتب بعضهم (٣) به : (فإنَّ المعروف إذا زجا خيرٌ منه إذا توفّر وأبطأ) ، فأخلَّ بذكر ما يتم به المعنى ، وهو ذكر القِلَّة . وما كتب به الآخر (٤) وهو : (ما زال فلان حتى أنقلبَ ما لهُ وأهلك رجالهُ) ، وقد كان هذا في الجهاد والإبلاء أحقُّ بأهل الحزم وأوّلَى) ، فأخلَّ هذا الكاتب أيضاً بما فيه تمام المعنى . والذي يلوح في كلامه أنّه أراد أنْ إنفاقَ المال وإهلاكَ الرجال في الجهاد والحرب أفضل من ذلك في المودعة والسلام ، فلما أخلَّ بذكر السلام والمودعة ابتسر المعنى وصارَ منقوصاً .

(٢٦٩) ومن ذلك قول بعضهم (٥) :

(١) ديوانه ١١١ .

(٢) ينظر في الإخلال : نقد الشعر ٢١٦ ، الصناعتين ١٩٤ ، قانون البلاغة ٤٢ .

(٣) الصناعتين ١٩٤ .

(٤) الصناعتين ١٩٤ .

(٥) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود في نقد الشعر ٢١٦ .

اعاذلُ عاجِلُ مالي السيِّ أحتب من الأكثرِ التراثِ
ولمّا كان يجب أن يقول : عاجل مالي مع القِلّة أحب إليّ من الأكثرِ المبطلِ .

ذكر عكس الإخلال :

وهو أن يؤتى بالكلام بزيادة تُفسدُ المعنى ، كما قال بعضهم : (فإن الأمر والنهي لو ذقتهما طيّبان) ، فقوله : لو ذقتهما ، زيادة تُفسدُ المعنى ، وتوهّم أنّه لو لم يذقهما لم يكونا طيّبين ، وليس الطيّب والكره إنما يكونان كذلك بلذوق الذائق ، بل هما على هذه الحال بأنفسهما . ومثل هذا يقع كثيراً في كلام الدخلاء وحشوّة الصناعة .

ذكر الانتقال ^(١) :

الانتقال : أن تُتقدّم ألفاظٌ تقتضي جواباً بعدها بإعادة ما تقدّم منها ، فلا يؤتى بالألفاظ بأعيانها بل يُنقلُ المعنى الذي يدلُّ على تلك الألفاظ إلى ألفاظٍ أُخرى ، كقول بعضهم : (فإن من اقترَفَ ذنباً عامداً واكتسبَ جرماً قاصداً لزمه ما جناهُ وحقاً به ما توشَّاهُ) ، فنقل لفظي (الاقتراف) و(الاكتساب) إلى لفظي (الجناية) و(التوشّي) ، وكان أحسن من ذلك وأصنع أن يأتي بهما بأعيانهما فيقول : (لزمه ما اقترَفه ، وحقاً به ما اكتسبه) .

ذكر الهلّ والتبديد ^(٢) :

من حيوب الكلام الهلّ ^(٣) والتبديد لا سيما عند الحاجة إلى الإيجاز والتقريب . (٢٧٠) وهذا هو زيادة الألفاظ على المعاني بالتكرير والتراؤف من غير سبب يوجبّه . وأمثلة هذا الفن كثيرة في كلام الدخلاء في الصناعة ومن يجاريهم .

(١) ينظر : ترميز التحرير ٥٦٥ ، بديع القرآن ٢٨٠ ، جواهر الكتّ ٢٠٥ .

(٢) ينظر : قانون البلاغة ٥٢ .

(٣) في الأصل : الهلّ ، بالفتح ، في الموضعين .

ذكر تكلف القافية والسجع :

من عيوب الكلام المنظوم تكلف القافية والسجع واجتلابهما لإقامة الشعر من غير أن تكون مرتبطة بالمعنى ، كما قال أبو تمام^(١) :

على الظية الأدماء صافت فارتفعت زهر المرار الفضض والجبجاسا
فجميع هذا البيت مبني على طلب القافية إذ ليس في وصف الظية إذا قصد
لوصفها أكثر من أن يقال : إنها تعطو الشجر رافعة رأسها وإنه قد أصابها يسير
ذعر . فأننا ارتعاضا للجبجاس فلا زيادة له في وصف حسننها لا سيما
والجبجاس ليس من المعرى .

ومن عيوب الكلام المتشور تكلف السجع واقتياد المعاني إليه واجتلاب
الموازنة من الألفاظ من غير أن تكون متعلقة بمعنى الكلام .

ويستدل على تكلف السجع بأحد أربعة أشياء :

منها : أن يكون الحرف لم يحتج إليه المعنى ، وإنما احتج إليه لأجل
السجع .

ومنها : أن يترك الحرف الأول بالموضع ليوضع فيه ما يطابق السجع .

ومنها : أن لا يكون في الحرف فائدة سوى الموازنة .

ومنها : أن يكون أحسن ما في الكلام توازنه وأسجاعه .

وهذا كاف في معرفة أحكام هذا الباب .

(٢٧١) ذكر القلب^(٢) :

العرب تستعمل القلب في كلامها على وجوه :

(١) ديوانه ٢١٢/١ .

(٢) ينظر : البديع في نقد الشعر ١٧٨ ، نهاية الإيجاز ١٤٠ .

فمنها : أن تصف الشيء بضد صفة للتعطير أو للتناول ، كقولهم للديع : سليم ، تعطيراً من التقيم وتناولاً بالسلامة .

وللمبالغة في الوصف ، كقولهم للشمس : جَوْنَة ، لشدة بياضها .

وللاستهزاء ، كقولهم للحبيبي : أبو البيضاء . ومن هذا قول قوم شعيب له : ﴿لَأَتَّ الْمَوْبِلُ الرَّبِيبُ﴾^(١) ، كما تقول للرجل تستجهله : يا عاقل ، وتستخفه : يا حليم .

ومن ذلك تسميتهم للمتضادين باسم واحد والأصل واحد كقولهم للصبح : صريم ، وللليل : صريم ، لأن كل واحد منهما ينصرم عن الآخر^(٢) .

ومنها : أنهم^(٣) يؤخرون ويقدمون علماً بوضوح المعنى ، كقوله تعالى : ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ تَخَلَّفَ وَعَثْوٍ رُسُلَهُ﴾^(٤) ، لأن الإخلاف قد يقع بالرسول وبالوعد .

ومثله قول الشاعر^(٥) :

ترى النور فيها مُدْخِلُ الظِّلِّ رَأْسُهُ وَسَائِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعِ
أراد مدخل رأسه الظل فقلَّب ، لأن الظلَّ التَّسَبُّ بِرَأْسِهِ فَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ
منهما داخلًا في صاحبه . وهذا النوع يجوز استعماله في الشعر للضرورة ، فأما
الأنواع الأول فيجوز استعمالها في جميع الكلام .
فأما ما لا يجوز البتة في نظم ولا نثر فهو ما قُلِّبَ عَلَى الْغَلَطِ ، كقول
خداش بن زهير^(٦) :

(١) حروء ٨٧ .

(٢) الأضداد لابن الأثيري ٨٤ .

(٣) في الأصل : أن .

(٤) إبراهيم ٤٧ .

(٥) بلا عزو في درة القواصص وتصحيح النصيف ٣٠٢ .

(٦) شعراء : ٧٩ .

وَتُرَكَّبُ خَيْلٌ لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَعَصِي الرِّمَاحَ بِالصَّبَاطَةِ الْحُمْرِ
(٢٧٢) أي : يعصى الصَّبَاطَةُ بِالرِّمَاحِ . وهذا ما تدخل للتأويل الأول
فيه ، لأن الرِّمَاحَ لَا تَعَصِي بِالصَّبَاطَةِ ، وَإِنَّمَا يَعَصِي الرِّجَالُ بِهَا أَيِ يَطْعَنُونَ .
وقول الآخر^(١) :

اسْلُثْثَةُ فِي وَثْقَى كَمَا أَنْلَمْتُ وَخِثْيَةً وَهَقَا
أراد : كما اسْلَمَ وَخِثْيَةً وَهَقَ ، فقلب على الغلط .
وقول عروة بن الورد^(٢) :

وَلَوْ أَنِّي شَهِدْتُ أَبَا مُعَاذٍ غَدَاةً غَدَا بِمَهْجِهِ بِسُوقٍ
فَدَيْتُ بِنَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلَوْكَ إِلَّا مَا أَطْبِقُ
أراد : فَدَيْتُ نَفْسَهُ بِنَفْسِي وَمَالِي .
ذكر المبتور^(٣) :

من معيب الكلام المنظوم : المبتور ، وهو ما لا يقوم البيت بنفسه ،
ويكون تمامه فيما يليه . ومنه قول الشاعر^(٤) :

يَا ذَا الَّذِي فِي الْحَبِّ يَلْحَى أَمَّا لَوْ حُمِّلَتْ مِنْهُ كَمَا
حُمِّلْتُ مِنْ حَبِّ رَخِيمٍ لَمَا لَمْتُ عَلَى الْحَبِّ فَذَنْزِي وَمَا
أَطْلَبُ إِنِّي لَسْتُ أَدْرِي بِمَا قُتِلْتُ إِلَّا أَنَّنِي بَيْنَمَا
أَنَا بِيَابِ الْقَصْرِ فِي بَعْضِ مَا أَطْلَبُ مِنْ قَصْرِهِمْ إِذْ زَمَسِي
شُبْنُه غَزَالٍ بِسَهَامٍ فَمَا أَخْطَأُ بِالسَّهْمِ وَلَكِنَّمَا

(١) عبد الله بن قيس الرقيات ، ديوانه ٥٣ .

(٢) أحمل بهما ديوانه . وهما له في تحرير التعبير ٢٢٣ وجوه أكثر ٢٠١ .

(٣) أغل بذكره معجم المصطلحات البلاغية .

(٤) عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه ٥٠٠ .

(٢٧٣) عَيْنَاهُ سَهْمَانٍ لَهُ كَلَمَا أَرَادَ قَتْلِي بِهِمَا سَلَمَا
 ذكر المشترك^(١) :

اللفظ المشترك : هو الذي يقع على معنيين فصاعداً فيوهم الشيء وغيره ما لم يكن في المعنى دلالة عليه . وقد يستعمل منه ما يطرُق على مستعمله هزة المتباحقين ويعود بالكشاف كلامه وإن كانت ألفاظه رائقة ومعانيه بارعة ، نحو قول أبي تمام^(٢) :

خُشِّنَتْ عَلَيْهِ أَنْفَتَ بَنِي خُشَيْنِ

فهذا وإن كان معناه حساً ولفظه متجانساً فإن وصف امرأة بالخشونة قبيح وإن كان إلى غير هذا المذهب ذهب وقد سبق إلى استعمال المشترك شعراء الجاهلية ، فقال عروة بن الورد^(٣) :

أَقُولُ لِقَوْمٍ فِي الْكِنِيفِ تَزَوَّجُوا عَشِيَّةً قُلْنَا عِنْدَ مَاوَانَ زُرْجُ
 تَنَالُوا الْمُنَى أَوْ نَبْلِقُوا بِنُفُوسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَاكِ مِنْ جِصَامٍ مُبْسَرَحِ
 فأتى بلفظتين مشتركتين من الكنيف والمستراح اللذين هما ما كنف واستريح إليه . ومن الكنيف والمستراح اللذين هما اسمان من أسماء المذهب ، وهو قبيح جداً إلا أن عروة بن الورد أَعَدَّ من أبي تمام لأنه لا يعرف الاشتراك في الاسمين ، ولا عذر لأبي تمام لأنه صانع ، وله منزلة عالية في النقد ولا تتسَّخَّع له في وصف امرأة بالخشونة .

ذكر الحشو غير المفيد^(٤) :

الحشو غير المفيد أن يأتي الشاعر بكلمة أو كلمتين لإقامة الوزن وهما غير

(١) ينظر : الصفحة ٩٦/٢ ، تحرير التحرير ٣٣٩ ، الروض المربع ١٦٢ .

(٢) ديوانه ٢٩٧/٣ وعجزه : وأنجع نيك قول العاذلين . وفي الأصل : خشت على .

(٣) ديوانه ٣٩ .

(٤) ينظر : نقد الشعر ٢١٨ ، حلبة المحاضرة ١٩٠/١ ، الصناعتين ٥٤ .

مفيدتين في المعنى ، وهو مثل قول أبي العيال^(١) :
 ذَكَرْتُ أَحْسَى فَعَاوَدَنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصَبُ
 فَذَكَرْتُ الرَّأْسَ مَعَ الصُّدَاعِ حَشْوًا لَا فَائِدَةَ فِيهِ .

ومثل قول ديك الجن^(٢) :
 فَتَفَتَّسْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُزِجْتُ بِأَلْمَاءٍ وَاسْتَلَّثْتُ مَنَا اللَّهَبِ
 فَذَكَرْتُ الْمَاءَ مَعَ الْمَزَاجِ حَشْوًا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ ، لَأَنَّهَا لَا تَنْظُنُّ أَنَّهَا تُمَزَجُ
 بغيره .

الترديد المعيب^(٣) :
 قال عبد الله بن المعتز : المعيب من التَّرْدِيدِ مثل قول ذي نواس البجلي :
 يُبَيِّنُنِي بَرْقُ الْمَبَاسِمِ بِالْحَمَى وَلَا بَارِقٌ إِلَّا الْكَرِيمُ يُبَيِّنُهُ
 وقول منصور بن الفرج :
 زُرْنَاكِ شَوْقًا وَلَوْ أَنَّ النَّوَى بَسَطَتْ بَسَطَ الْمَلَا بَيْنَنَا بَعْدَ لَزْرُنَاكِ
 ذكر التوسيع المعيب^(٤) :

قال عبد الله بن المعتز : المعيب من هذا الباب قول بعضهم :
 نَكَمَ مِنْكَ مِثْلُ لَا إِذْ بَلَوْتُهَا فَمَا لَنَعَمَ عِنْدِي عَلَى لَاءٍ مِنْ فَضْلِ
 (٢٧٥) هذا آخرُ المعاييب الواقعة في الأقسام الثلاثة ، أعني الألفاظ
 والمعاني والمركب ، قد شرحناها لُحْنًا وَتَجَنَّبَ ، كما أوضحنا المعاسن
 الواقعة فيها لِنُحْنٍ وَتَعَمَّدَ . ومن الله التوفيق والهداية إلى سواء الطريق .

(١) ديوان الوليد / ٢٤٢ .

(٢) ديوانه ٢٠٩ .

(٣) الديبج ٥٢ وفيه البيتان .

(٤) الديبج ٥٦ - ٥٧ . وفيه البيت .

الباب السادس

في أن الطبع قوام الصناعة ونظامها
واحتذاء مذاهب السالفين فيها كمالها وتماها

قول في الغرائز :

أول معاون هذه الصناعة الجليلة حصول القرينة الفاضلة والغريزة الكاملة التي هي هبولى الكمال ومنشأ التمام والأساس الذي يُبنى عليه والركن الذي يستند إليه ، فإن المرء قد يجتهد في تحصيل الآداب ، ويتوفر على اقتناء العلوم والاكتمال ، ويكون غير مطبوع على تأليف الكلام ، فلا يفيد ما اكتسبه ، وقد يقصر في الاقتباس فيلحق بأوساط أهل الصناعة إذا كان طبعه سليماً وفكره مستقيماً ، لأن الطبع حظٌ يخص الله تعالى به المطبوع دون المنطبع ، والمناسب بغريزته للصناعة دون الغريب المتستف ، ولا سبيل إلى تقليل سماحة الطبع في قوم وكرارته في آخرين ، لما ذكرناه من كونه موهبة تخص ولا تعم ، وتوجد في الواحد وتُفقد في الآخر ، وتحسب في الدلالة [و] صناعة التأليف للمطبوع المناسب لها وإن ملَّ حفظه من علمها ، واعتابها على المنطبع المبين (٢٧٦) لها وإن كان متوفر الحفظ منها ، ما تراه من عجز كثير من العلماء باللغة والمهارة في معرفة حقائق الألفاظ عن تركيب بسائط الكلام التي قد قامت صور معانيه في نفوسهم وصحوة الأمر عليهم في تأليفها ونظمها .

ومن كان بهذه الصفة الخليل بن أحمد مصنف كتاب الحروف المعروف به (العين) ، وواضع العروض التي هي ميزان شعر العرب ، فإن الماثور عنه أنه لم يكن يتنبأ له تأليف الألفاظ السهلة^(١) عنده الحاصلة المعاني في نفسه على

(١) من صبح الأضر ٣٦٨/٢ . وهي غير مفرمة في الأصل .

صورة النظم إلا بمشقة وصعوبة . وقد يقول إذا سئل عن إخلاله بنظم الشعر :
(بابائي جيد وألّيت رديته) . مشيراً إلى أنّ طبعه غير مساعد له على التأليف
المرضّي الذي يحسن أن يُنسب إلى مثله .

وقيل للمفضل الضبي : لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به ؟ قال :
علمي به ينمّني من قوله . وأنشد^(١) :

أَبَى الشَّعْرُ إِلَّا أَنْ يَفِيءَ رَدِيئُهُ عَلَيَّ وَيَأْسِي مِنْهُ مَا كَانَ مُنْعَكِمًا
فِيَا لِبَيْتِي إِذْ لَمْ أَجِدْ حَوْكَ وَشَيْعٍ وَلَمْ أَكُ مِنْ وَشَائِهِ كُنْتَ مَفْعَمًا
وَأَنشَد أَبُو عبيدة الأحمَرُ شعراً له ، فقال : اخْبَأْ هَذَا كَمَا تُخْبِئُ السُّورَةُ
حَاجَتَهَا .

ولو كان حصول مادة الكلام التي هي الألفاظ ، وصورته التي هي المعاني
كافياً في التوصل إلى حسن التأليف الذي هو نظمُ الألفاظ على التناسب وطبيعتها
على المعاني المساوية لها والفاضلة عنها ، من غير حصول الآلة التي بها يتم
(٢٧٧) النظم وهي الغريزة المناسبة للصناعة ، لكان مرام صنائع الكلام
المؤلف التي هي صناعة الرسائل وصناعة الخطب وصناعة الأشعار سهلاً على
كلِّ مَنْ تعرّض لها ، ولكننا نرى الأمر بخلاف ذلك ، وهو أنّ كلّاً من المُخَصِّلِينَ
لموادّ الصنائع والصور المحمولة عليها يميز عن إيقاع الصورة في المادة متى
عدم الآلة ، وهذا مطرد في كلّ صناعة ، لأنّ الفعل إنّما يتمّ وإن وجدت المادة
وقامت الصورة في نفس الصانع بوجود الآلة .

وإذا كانت هذه الصناعة لا تنقاد ولا تتأثّر إلا لذوي الفرائز المناسبة لها
فينبغي لمن قَصَرَ به طبعه ألا يطالبه من التأليف بما يضيّق عنه وسعّه ، فإنّه إذا
كلّفه ما يلائمه وقَصَرَ كان عيبه أَفْضَحَ من عيب المُقَصِّرِ الممسك عمّا لا يستقل
به ، لأنّ كثيراً من الناس لم يتخلّقوا بالبلاغة فلم يعابوا بذلك ، وكثير منهم تخلّقوا

(١) بلاغره في صبح الأعشى ٢/ ٣١٨ .

بها فوقعوا دون الطبقة المرضية منها فتوجه العيب عليهم . ولهذا قال بشر بن
المعتمر^(١) في وصية له : (إذا لم تجد اللفظة واقعة في موقعها ولا صائفة إلى
مستقرها ولا حالة في مركزها ، بل وجدت قلقة في مكانها ، نافية في
موضعها ، فلا تتركها على القرار في غير موطنها ، فإنك إذا لم تتعاضد قريض
الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المستور ، ولم يعبك بذلك أحد ،
وإذا أنت تكلفتها ولم تكن حاذقاً فيهما عابك من أنت أقل عيباً منه ، وأزرى
عليك من أنت فوقه) .

ويكون الطبع المناسب بغريزته للصناعة المشاكل لها بهذه الرتبة منها ،
[و] أفردنا للقول^(٢) (٢٧) موضعاً خاصاً به ليعلم الراغب في صناعة التأليف أن
محل الطبع منها كما قلنا فيما سلف محل الأس من البيان والقلب من
الجمان ، فيقدم رياضة طبعه بقراءة فنون الكلام المؤلف وتدبر السبل
المسلوك إلى كل منها والرسوم المرسومة لها ، ثم يحتذي عليها احتذاء
المقتضي لأثار الطرق لا الإغارة على الإغارة والسرقة .

فإن رأى خاطره شيئاً ومثال ما يرومه من تأليف الكلام قريباً أقبل إليه ،
وواظب عليه ، وأوقع المقايضة بين ما يؤلفه وما يقارب معناه من كلام أوصاف
أهل الصناعة خالياً من الهوى الذي يحسن في نفس الإنسان قبيحاً ويكثر لديها
قليل ، فإن نابه ولو أدنى مناسبة فليثق بأن طبعه سينشأ وينمى وينبعث ويرتقي
وأنه سيسمو في تلك المتزلة إن لازم التدرج وأدمن التحرج إلى ما فوقها بمشيئة
الله تعالى .

ولا يقصد في أول أمره إلى مساواة الطبقة العالية من أهل البلاغة فيما
صاغوه من الكلام فيكد فكرته ويكتل غريزته ما يحتملها في مبدأ تدرجها

(١) البيان والبيان ١/١٣٨ .

(٢) في الأصل : القول .

ما لا تقوى على تحمله إلا في آخره ، فلا يفوز بمرام ولا يظفر بمراد ، ولكن يأخذ من قريحته عفو ما تعطيه ، ويطلب مساواة الطبقة التي تجاربه ، ثم يرتفع شيئاً فشيئاً حتى يلحق بالمكان الذي تقف عنده قريحته مدى محدّدة لا يمكن تخطّيها وتعذيبها إلى ما وراءها ما هو خارج عن وُسْعها وطوّقها ، ولولا ذلك لتكافأ الناس في رتبة التبريز وتساووا في بلوغ المدى الذي يجرون إليه ، ولم يأت أحدهم سابقاً (٢٧٩) والآخر لاحقاً .

وإن رأى الأمر معانصاً عليه والتأليف غير مفاد إليه والتكلف يضطره إلى وضع الالتقاط في غير مواضعها^(١) وإحالة المعاني عن مواقعها ، وما يصنعونه منافراً لما حذا عليه وغير مشاكل له ، فليصن نفسه عن تهجين عقله وكشف خبيته ، فإنّ الذي يظهر عنه من التأليف الذي هذه صفته رذيلة لا فضيلة ، لما يظهر من عيادته ويدلّ عليه من ركافة بحيرته ويسوقه إليه من نبز الأذكياء وتنادر الفهماء .

والمطبوع على الصناعة وإن كان بحيث ذكرنا من الاقتداء عليها والتهيؤ للتصرف فيها فليس تكيّفه بجودة الغريزة وصفاء القريحة حتى يشدو من العلوم الحالة منها محلّ المواد من الصنائع ما يُظهر فيه الطبعُ فِعْلَهُ الذي هو التأليف والنظم .

وقد أودعنا كتابنا هذا ما ينتظم في سلك الصناعة من الآداب الخاصة بها ، وبدأنا من ذلك بالقول على حدّها وفضيلتها وغرضها وقسمتها ، وفي أي المذاهب هي ، وعِلّة رسم الكتاب ووضعها ، لِمَا في علم ذلك من الفوائد النافعة والموائد الجامعة .

ثم بتعريف ماهية البلاغة وأقسامها الأصلية الواقعة منها موقع الأخلط المجزّدة من الأجسام المركبة ، لأنّ الحاجة إلى العلم بها مبسوطة في وزن

(١) في الأصل : مواضعها .

الحاجة إلى العلم بها مؤلفة ، وذلك أنَّ الطيب متى لم يعرف طبائع العقائير مفردة لم يتوَّها له أن يركبها التركيب الذي يقاوم الميلل والأعراض ، وكذلك المُعبر متى لم يعرف بسائط الكلام لم يتهيأ له أن يؤلف العبارة التأليف الذي يطابق المعاني والأغراض .

(٢٨٠) ثمَّ أقسام البلاغة الفرعية الحائلة منها محلُّ الأعضاء من الأجسام التي لا تتمُّ أفعالها إلا بصحتها وسلامتها من الآفات .

ثمَّ أقسام البديع الموضوعة منها موضع المعارض والحلي من الصور التامة تُوضع في مواضعها وتوقع في مواقعها وترتَّب في المراتب اللاتقة بها .

ثمَّ العيوب العارضة المشابهة للميلل المتطرفة على الأجسام لتقصّد إلى إحاطتها والتوفي من الوقوع في منزلتها .

ثمَّ القول على التراتز والطباع وما تقيده طلائتها وسماحتها ، ويقضي به اقتباسها وكرائزها .

ثمَّ القول على الطريق إلى احتلاء اللاحق على مثل السابق ، والمذاهب المستحسنة في استعارة المعنى المسبوق إليها .

ثمَّ القول على ترتيب الخطّ وأوضاعه والصدور والأدعية والعنوانات والتواريخ والختم .

ثمَّ رسم الرسوم في أنواع الرسائل التي يجب أن يكون مثلها قائمة الصور في نفس الكاتب ، يتوقف فيها متى دعت الحاجة إليها ، أو يستعملها على غير وجهها ويخالف القوانين الموضوعة لها .

ثمَّ التوفيف على العلوم والآداب القائمة بأنفسها التي لا غناء بالكاتب عن الاستقلال بها لدخولها في صناعته ليجتنيها من معادنها ويجتلبها من مظانها ويأخذ بالنصيب الكافي منها .

ثمَّ القول على السياسة التي يجب التحلّق بها في بابي السيرة والعشرة ، فإنَّ

لرباب هذه الصناعة أولى الطبقات بحيازة الفضائل الإنسانية والاشتغال على
مكارم الأخلاق .

ومن أنعم النظر والتدبر لتفصيل ما أجملناه اكتفى به . ونحن نصل
ما انتهينا إليه بما يليه ويتعقبه إن شاء الله تعالى ، وبه التوفيق .

(٢٨١) قول في احتذاء اللاحقين مذاهب السابقين :

صناعة الكتابة من الصنائع التي صدرت أولاً بالطبع عن القرائح الفاضلة
والغرائر الكاملة ، ثم حصل منها القانون الكلبي الحاصل لكل صناعة . وكل
صناعة من الصنائع فلها منازل تنتقل فيها كما تنتقل الأشياء الناشئة من مبادئها
إلى غاياتها ، ومن أوائلها إلى نهاياتها .

لما كانت صناعة الكتابة إحدى الصنائع شملها ما شمل نظائرها ، والسبب
في ذلك أن المخترع للصناعة لا يكاد أن يعطيها في مبدأ وضعها جميع الأشياء
المنتمية لها العائدة بكمالها الداخلة في أقسامها ، وإنما ينتهي بها إلى الممرطة
التي يقتضيها ما في غريزة طبعه من مناسبة تلك الصناعة والتهيؤ للتشكيل بها ،
إلا أنه وإن قصر عن إيصالها إلى قاصبة التمام فقد أخرجها من العدم إلى الوجود
وصور منها صورة حملت عن التابع كلفة التصوير والتركيب وأبقت له
فضيلة التحرير والترتيب ، فهو لا يعمل فكره ، مع راحته من كد الاستنباط
والاختراع وخلوه من مشقة الاختصاف والابتداع ، إلا في التتميم والتكميل أو
التحلية والتحفيل .

ولما كان جل الصنائع واقعاً في أول اختراعه دون الحد الذي في قوة
الصناعة أن يقف عنده غني اللاحقون بتكميل المنقوص ورش المحصوص ،
وتخليص المشوب وتزيينه وتحلية العاطل وتزيينه ، إلا أن انصراف العبارة إلى
تهذيب الصناعة إنما هو على حسب ما يُستثمر من فائدها ، ويُجتني من

عائدتها ، ويظهر من جلالته خطرها وحسن أثرها . وإذا كان هذا هكذا فقد علم (٢٨٢) مما قدمنا القول عليه من فضائل صناعة الكتابة أنها من الصنائع التي يتوفر حقلها من عبادة المكملين ، ويتعزز^(١) نصيبها من اهتمام المحللين ، وأن كل مستعمل لها بعد قيام صورتها قد توفر على إعطائهما تنتجته غريزته من الأشياء الحالة منها محل ما يتم تارة والحالة منها محل ما يزين أخرى ، فهي منذ ابتدئت ، وإلى الآن ، ترفل في خلع الأذهان وتتردد بين الصوع والسيل والنقص والحيل ، حتى استقر قراؤها وصدعت أنوارها ، وبلغت الغاية وأوفت على النهاية ، ووضعت فيها الرسوم المنقحة المهدبة والقوانين المرفقة المرتبة ، وضاق المجال على المخترع وصعب الأمر على المبتدع ، وصار أفضل أحوال اللاحق أن يحتذي على مثل السابق ولا سيما في المعاني التي باكرتها خواطر الأولين من الشعراء والمتوسلين فافتقرت أبكارها واستعبدت أحرارها . هذا إلى أن المعاني غير متناهية ولا مفضية إلى قاصية ، إلا أنها بما اعتورها من التداول والاستعمال لا تكاد أن تظهر منها بما لم يطرق ، فأما النوادر في المعنى الواحد فكثير جداً .

ويوضح ما ذكرناه من ضيق المذهب على التالين في استنباط المعاني الأحرار أن التالي إذا جد في الابتداع واجتهد وأصلر في الاختراع وأزدد ، ووقع على معنى لم يطرق سمعه وطق أنه ابتكره وافترع ، لم يغفل أن يجده إذا نضع كلام من تقدم قد سبق إليه ومثل عليه ، فتحصل بعد العناء والكدر نيران تستقص طبعه عن استخراج مثل ذلك المعنى ، فتكذب دعواه وتسلم الفضيلة إلى سواه ، أو يشهد له (٢٨٣) بنفاذ الغريزة في اقتضاب ما يجاريه فيجعل مؤراداً لاحقاً أو مصلحاً لا سابقاً .

وحسبنا شاهداً على حيابة القوم أوضاع المعاني وغرورها وتداولهم

(١) في الأصل : تعزز .

نوادحها قولُ عترة بن شداد^(١) :

هل غادرَ الشعراءُ من مُتردِّمٍ أم هل عرفتَ الدارَ بعدَ نوحم
يقال : تردمت الناقة على ولدها : إذا عطف عليه . وزدمت الثوب : إذا
أصلحته .

والمعنى : هل ترك الشعراء معنى من معاني الكلام إلا وقد عطفوا عليه
وسبقوا إليه ، فإن كنت تريد الإمساك فأمسك ، وإن كنت تريد أن تقول فهو
الذي قالوه . هذا وعترة من الطراز الأول . وقد قالوا أيضاً : ما ترك الأول
للآخر شيئاً . وهذا القول لعمري على سبيل المبالغة لا على سبيل
التحقيق ، لأن المعاني لا تنهاى . وقال الشاعر :

لا تقلَّ ييئتُ هجاءٌ لا ولا ييئتُ مديحٌ
سبقتُ الناسُ إلى كُـ _____ لُ قبيحٌ ومليحٌ
وأقصى ما ينتهي إليه مبرز التالين أن يُزيّن كلامه بإيقاع أنواع البلاغة فيه .

وإذا تأمل ما يجري عليه الأمر في استعمال أنواع البلاغة كالاستعارة
والتشبيه والمشاكلة وما يجري مجراها علم اجتناء سألني البلغاء من الكتاب
والبلغاء والخطباء والشعراء ثمار المعاني التي تقع في كل نوع منها ، وذلك أن
استعمال الاستعارة التي هي أحد أقسام البلاغة (٢٨٤) بل هي البلاغة ، بدلالة
قول أرسطاطاليس^(٢) : (البلاغة حُسنُ الاستعارة) ، إنما هو بأن يشق للمعنى
معنى من غيره يزيده إسفاراً وظهوراً ، وجعل المعاني التي إذا استعيرت لمعنى
ما نقلته عن ربته التي كان عليها في البيان وهو أصل إلى رتبة أعلى منها وهو
مستعار ، قد استخلصت الخواطر بإخلاص دوزها وغاصت الأفكار على حصل
كُزها ، ولا سيما فيما تردده بين الناس من المعاني التي تطرقها الخطباء
والشعراء والكتاب ويدور عليها أمر المكاتبة والخطاب .

(١) ديوانه ١٦٨ .

(٢) المنة ٢١/٢١٥ .

وكذلك التشبيه فإن استعماله إنما هو بأن يوضع المشبه به في موضع المشبه إذا اتفقا في معنى يجمع بينهما . وجمهور ما يتناسب من المعاني في الأشياء التي يصح التشبيه معها قد رقت القرائح ركبته واشتغلت الغرائز جتمته ، وإذا كان كل نوع من الأنواع المشبه بها مطروفاً مستعملاً في مواضع لا يحصى عددها فما عسى المتأخرون صانعين ؟ أتراهم إذا راموا أن يشبهوا الوجه المتهلل الرضيء وجدوا مُشَبَّهاً يجمعه وإياه معنى يشتركان فيه سوى : سنى البوارق ودور المشارق ، وإشعاع الذبالة والشماع القمر في الهالة ، وصدوع الدراري في أديم الدآدي ، ونحو هذا من التشبيهات التي قد قرعت أروابها وفُرعت هضابها . وكلُّ فنٍّ من فنون التشبيه هذه مسيلٌ ، وهكذا يطرد الحكم وفي غيره من الأقسام الأخر ، وهذا مهتدٌ لمُذَرِّ المتأخرين في الإقلال من المعاني المبتدعة والاستعارات المخترعة ، دالٌّ على اضطرابهم إلى (٢٨٥) اقتفاء الآثار وسلوك الشبل التي حَبَدَتْها الأفكار .

ومن المجمع عليه عند أكثر نقّدة المعاني وجهابذة الكلام وضبابرة^(١) المتطق أن أبا تمام حبيب بن أوس الطائي من متعاطي صناعة النظم لم يكن يقول فيما يصوغه إلا على ما يندُّ عن خاطره ويمتاحة رشاء فكره من قلبه ، ويجود به عفواً حاجسه ، ولا يرنضي امتثال كلام الأولين والاحتذاء على مثال السالفين ، ثقة بغذاء غريزته وصحة قريحته ، وأنه لا تخلو قصيدة من قصائده من مثل سائر ومعنى نادر وخير غريب ، وأنت إذا اعتبرت جل معانيه وألفاظه لم تَلَفْ منها إلا ما سبق إليه وتقدّم فيه . وقد أوردنا أبياتاً من نظمه مرقونة بأبيات من نظم مَنْ تقدّمه ، لمعلم أنه مُتَّبِعٌ لاجئٌ ، لا مُتَّبِعٌ سابقٌ . قال أبو تمام^(٢) :

(١) الضبابم والضبابرة : الجريء على الاعتداء ، والشجاع .

(٢) القصيدة في ٤٥ بيتاً في ديوانه ٢٧٦/١ - ٨٨ (شرح الصولي) و ١٩٨ - ٢١٥ (شرح التبريزي) مع خلاف قليل في الرواية لم ينشر إليه فصد الإيجاز وثمة أخطاء وقع فيها النسخ صححناها من الدواوين .

١- على مِثْلِهَا مِنْ أَزْيَمٍ وَمَلَايِبٍ أَذْيَلَتْ مَصْنُوعَاتُ الدَّمْعِ الشَّوَابِ
ومعنى هذا البيت مبتذل مطروق في الشعر قديمه ومحدثه .

والذي يضاعفه قول بعضهم :

على أمثالهم من الرسوع أدال الصب مكنون الدموع
٢- أقولُ لفرحانٍ من البيّن لم يُضِفْ رسيّ الهوى بينَ الحشا والتراتيب
هذا البيت هو قول جرير^(١) :

وكاد يومٍ يروى حواءٌ يهلكني لو كنتُ من زَفَرَاتِ التَّيْنِ قُرْحَانَا
(٢٨٦) الفرحان : الذي لم يحلر . وهو في البيتين مستعار .

٣- أعني أَفَرَّقَ شَمْلَ دَمْعِي فَأَنَنِي أرى الشَّمْلَ مِنْهُمْ لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ
هذا البيت ناقص الصنعة ، لأنه كان ينبغي أن يقول :

أعني أَفَرَّقَ شَمْلَ دَمْعِي فَأَنَنِي أرى الشَّمْلَ مِنْهُمْ لَيْسَ بِالْمُتَجَمِّعِ
أو يقول : أعني أَبَاعِذُ شَمْلَ دَمْعِي ، حتى يطابقه المتقارب . وليس هذا
من الكلام اللازم لكنه هو الأحسن في ترتيب الكلام . ومثل معناه بقوله :

أعزَّ صَبَاً يَفَرِّقُ شَمْلَ دَمْعِي عَلَى شَمْلٍ يَفَرِّقُ لِلْجَمِيعِ
٤- فما صارَ يومَ الدارِ عَذْلُكَ كُلُّهُ عَذْوِيَّ حَتَّى صَارَ جَهْلُكَ صَاحِبِي

معنى هذا البيت : أن صاحبه لما عذله على البكاء ومنعه من الوقوف قال
له : لم أنصوّر عذلك بصورة العدو حتى تملكني واستولى عليّ استيلاء
الصاحب ، وعلمت أنك لا تعذل عن بصيرة كما يعذل الناصح ، ولكناك
بلوتني عرضاً في إراحة الإبل وإعفائها من الحبس في الدار ويدل على صحة هذا
التفسير قوله في البيت بعده :

(١) ديوانه ١٦٢ - وروايته : يقتلني مكان يهلكني .

٥ - وما بك إركابي من الوشيد مَرَكِباً
وَهَذَانِ الْيَتَانِ مَتَسَخَانِ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

وما عَادَى هَوَايَ هَوَاكَ حَتَّى
وَمَا حَاوَلْتُ إِرْشَادِي وَلَكِنْ (٢٨٧)
٦ - فَكَلَّنِي إِلَى شَوْقِي وَيَزِيدِي الْهَوَى
إِلَى حُرْقَاتِي بِالْدمُوعِ السَّوَارِبِ
وَهَذَا قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

فَكَلَّنِي لِلْجَوَى وَاتْرَكَ جَفْوَني
أَمَيَدَانِ لَهْوِي مَنْ أَتَاكَ لَكَ الْبَلَى
٧ - وَأَصْبَحَتْ مِيدَانُ الْعَبَا وَالْجَنَابِ
يَتَسَبَّ مَاءَ الصَّبَابَةِ بِالنَّجِيمِ
وَمِثْلُهُ :

أَمَيَدَانِ الْعَبَا أَصْبَحَتْ بَعْدِي
نَوَاكٍ بِأَبْكَارِ الظَّبَاءِ الْكَوَاعِبِ
٨ - أَصَابَتْكَ أَبْكَارُ الْخَطُوبِ فَتَشَتَّتْ
لَقَاءَ بَيْنِ الْعَبَا وَنَدَى الرَّبِيعِ
وَمِثْلُهُ :

أَصَابَتْكَ الْخَطُوبُ الشُّوْدُ لَمَّا
وَرَكِبَ يُسَاقُونَ الزَّكَاتِ رُجَاجَةً
٩ - أَمَيَدَانِ بِنَهْدِ سُودِ الْقُسُودِ
مِنْ السَّيْرِ لَمْ يَقْصِدْ لَهَا كَثْرَ رَاكِبِ
يُرِيدُ : أَنَّهُمْ لَمْ يَمَزْجُوا^(١) السَّيْرَ بِرَاحَةِ .
وَمِثْلُهُ :

وَرَكِبَ قَمَلًا يُسَاقِرُونَ الْمُطَايَا
فَصَارَتْ لَهُمْ أَشْبَاحُهَا كَالْفَوَارِبِ
١٠ - فَقَدْ أَكَلُوا مِنْهَا الْفَوَارِبَ بِالشَّرَى
كُؤُوسِ سُرَى تَدُورُ بِلَا هَجُومِ
وَمِثْلُهُ :

(١) فِي الْأَصْلِ : يَمَزْجِر .

فقد اكلوا ذراها فاطمأنت
١١ - يَصْرِفُ مَسْرَاهَا جَذَلُ مَشَارِقِ

(٢٨٨) ومثله

فَصَرَفَهَا جَذَلُ اللَّيْثَانِي
١٢ - نَرَى بِالْكَعَابِ الرَّؤُودَ طَلْعَةَ نَائِرِ

ومثله

نَرَى بِالرَّؤُودِ طَلْعَةَ رَبِّ نَائِرِ
وهو معنى متداول

١٣ - كَانَ بِهِ ضَيْغًا عَلَى كُلِّ جَانِبِ
وهو معنى قول مُنْقِذِ الْهَلَالِيِّ^(١)

كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي
ومثله قول أبي نُوَاسٍ^(٢)

يُؤْمِنُ أَهْلُ الْغُوطَطَيْنِ كَأَنَّمَا
ومثله

كَأَن لَه هَوًى فِي كُلِّ أَفْرِ
١٤ - إِذَا الْوَيْسُ لَاقَتْ يَ أَبَا دُلَيْفٍ فَقَدْ

هَذَا الْبَيْتَ لَا يَطَائِقُ طَبَقَةَ أَبِي تَتَامِ
ومثل معناه

إِذَا لَاقَى الْإِمَامُ بَنَا الْمَهَارِ
أَمَّا سَوْرَةُ الْحَطَبِ الْفَظِيعِ

(١) شرح ديوان الحماسة (٩) ١١٩٨

(٢) ديوانه ٤٨٢ (للزُّهَلِيِّ)

١٥ - هُنَاكَ نَلْقَى الْجُودَ حَيْثُ تَقَطَّعَتْ تَسَائُفُهُ وَالْمُخْجَدُ مُزَخَّصِي الذُّوَابِ

يريد : أَنَّ الْجُودَ فِي قَطْعِهِ وَمُنْتَهَى لَا يَتَحَوَّلُ عَنْهُ .

ومثله قول بعض بني يربوع : (٢٨٩)

مَا قَصَّرَ الْجُودُ عَنْكُمْ يَا بَنِي مَطَرٍ وَلَا تَجَاوَزَكُمْ يَا آلَ مَعْمُودٍ
يَحُلُّ حَيْثُ خَلَلْتُمْ لَا يُضَارِكُكُمْ مَا عَاقَبَ الدَّهْرُ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالسُّودِ

وماثان الاستعارتان كثيراً ما وردت في الأشعار ، أهني تقطيع التمام وإرخاء الذوائب ، مستعارة لغير هذا المعنى ، ولا يتعذر على أهل الصنعة نقلهما إليه .

١٦ - تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَبِّرُ جَنُودَهَا^(١) إِذَا لَمْ يَعُوْذْهَا بِنُصْرَةِ طَالِبٍ

ومثله قول الآخر :

تَكَادُ تَجْعَلُ جُدُودِي رَاحَتِيهِ إِذَا لَمْ يَكُنْهَا عَوْدُ الْقَنُوعِ
١٧ - إِذَا حَزَنَتِهِ هِزَّةُ الْمَجِيدِ غَيَّرَتْ عَطَايَاهُ أَسْمَاءَ الْمَعَانِي الْكَوَاذِبِ

ومثله :

إِذَا أَجْدَنَتْهُ هِزَّةُ يَوْمٍ مَخْلِبٍ مَحَى يَدَ الْبُذَى وَعَدَّ الْكَذُوبِ
١٨ - تَكَادُ مَغَانِيهِ تَهْشُ عِرَاضُهَا فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقِي إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ

هذا معنى حسن .

ومثله :

تَكَادُ رِبَاعُهُ تَهْرِي سِرَاعاً إِلَى الْعَافِينَ مِنْ فَرْطِ اشْتِيَاقٍ
١٩ - يَرَى أَفْبَحَ الْأَشْيَاءِ أَوْيَّةَ^(٢) آيِلٍ كَسَنُهُ يَدَ الْبَاسِمُولِ حُلَّةَ خَائِبٍ

(١) في الأصل : عيونها .

(٢) في الأصل : روية .

ومثله :

نرى عاراً لِيَسَابَ ذوي الأسماني عن المأمولِ بالرغبِ الصنيعِ
إلا أن في بيت أبي تمام استعارة حسنة .

٢٠- (٢٩٠) وَأَحْسَنُ مِنْ تَوَدُّ تَفْتَحُهُ الصَّبَا بياضُ العطايا في سوادِ المطالبِ
هذا بيت حسن الصنعة والمعنى ، رائع الديباجة . ويقاربه :

وأحسنُ منظرًا من دَوْضِي حَزَنِي سريح النبل في الطلبِ الشنيعِ
وقد قال بعضهم^(١) في الشيب :

رأيتُ بياضاً في سوادِ كائنه رأيتُ العطايا في سوادِ المطالبِ
٢١- إذا أَلَجَّتْ يوماً لُجُجَـمَ وَحَوَّلَهَا بنو الحُصْنِ نجلِ المُخَصَّناتِ التجائبِ

٢٢- فإِنَّ المنايا والصوارِمَ والقنا أقاربهم في الرُّوعِ دُونَ الأقاربِ
٢٣- جفافُ لا يترَكُ ذَا جَبْرِيقَ سليماً ولا يَخْرُجَنَّ مَنْ لَمْ يَحَارِبِ^(٢)

هذا كما قال الآخر :

إذا سارَ الوليدُ إلى الأعداي بجيشٍ في المغايرِ والدُّروعِ
فإنَّ جموعه في كُلِّ ضَنكٍ عزائمِ رأيهِ دُونَ الجموعِ

عزائمِ تتسركُ الجَبَّارَ عَيْداً ويحرضُ بأمنها دُونَ الخُسرِ
٢٤- يَمْدُونُ من أيدٍ عواصٍ عواصٍ تصولُ بأسيافرِ قواصٍ قراضِ

ومثله :

يصولونَ بالأيدي إذا الحربُ أعلمتِ سيفِ سريحِ بعدَ أرماحِ زاعِجِ
٢٥- إذا افتخرت يوماً تميمٌ بقُوَّيها وزادتْ على ما وَطَّدَتْ من مناقِبِ

(١) الأشطل ، ديوانه ٣٧٩ (صالحاني) .
(٢) في الأصل : لا يحارب .

٢٦- (٢٩١) فأنتم بني قاري أمالتي سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب^(١)

هذا معنى متداول ، وقد قال أبو نواس^(٢) يهجو تميمًا :

أَوَّلُ مَجْدٍ لَهَا وَأَخِيرُهُ إِنَّ ذِكْرَ الْمَجْدِ غَرَسُ حَاجِبِهَا

٢٧- محاسن من مجد متى تفرنوا بها محاسن أقوام تكن كالمعائب^(٣)

ولو قال : مناقب ، وقابلها بـ (مئالب) لكان أذهب بالصنعة .

هذا من قول بشار^(٤) :

- مكارم لُبِّتْ فِي الْعُلُوِّ كَأَنَّمَا لَهَا يَزْرَعُ عِنْدَ الشَّهَى وَالْفَرَاغِ

وفيها :

٢٨- إِلَيْكَ أَرْخَا غَارِبَ الشَّعْرِ بَعْدَمَا تَهَلَّلَ فِي رَوْضِ الْمَعَانِي الْمَجَائِبِ^(٥)

٢٩- غَرَابُ لَاقَتْ فِي فَنَائِكَ أَنْتَهَا مِنْ الْمَجْدِ فَهِيَ الْآنَ غَيْرُ غَرَابٍ

ومثله قول الآخر :

إِلَيْكَ أَرْحَتْ غَارِبَ كُلِّ شُعْرِ ثَوَى مَعْنَاهُ فِي الرُّوضِ الْمَرِيحِ

غَرَابُ مِنْ بَدِيعِ الْمَدْحِ أَضْحَتْ أَوَانَسَ مِنْكَ بِالْمَجْدِ الْبَدِيعِ

٣٠- وَلَوْ كَانَ بَعْدَ الشَّعْرِ أَفْنَاءُ مَا قَرَّرْتُ حَيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْمَصُورِ الْفَوَائِدِ

٣١- (٢٩٢) وَلَكِنَّ صَوْبَ الْعُفُولِ إِذَا مَقَّتْ سَحَابُ مِنْهُ أَغْقَبَتْ بِسَحَابِيبِ

هذا قريب من قول أوس بن حجر^(٦) :

أَقُولُ بِمَا صَبَّتْ عَلَيَّ غَمَامَتِي وَعَقَلِي فِي حَبْلِ الْمَشِيرَةِ أَحْطَبُ

(١) في الأصل : استرهنوا .

(٢) ديوانه ٥٠٩ (الغزالي)

(٣) في الأصل : محاسن أعلام .

(٤) انظر به ديوانه .

(٥) في شرحي الديوان ، غارب الشعر .

(٦) ديوانه ٧ وفيه : وجهدي في . وفي الأصل : وفي حبل

وفيهِ بقول الآخر :

ولو كانَ القريضُ له فناءٌ لأفتتته مواهبُ كالبِرِّ (١)
ولكن صوبه من عقلٍ هادٍ تفضلَ لديه هادِيَةُ العقولِ

وفيها :

٣٢- وإنِّي لأرجو عاجلاً أنْ تردني مواهبُهُ بخراً تُرجِي مواهبي
هذا من قول أبي العتاهية (٢) :

فكم من جوادٍ في العبادِ بجموده كجَدُولِ بحرٍ قدْهُ فضيلاً
ومن قول مروان بن أبي حفصة (٣) :

فشا نالني من فَضْلٍ ما نالني به من العرفِ حتى قيلَ مالِكٌ نافِدُ
ويضاهيه قول الآخر :

وإنسي أَمَلٌ مِنْهُ صَنِيعاً به أُرْجَى لإحسانِ الصنيعِ
فتأمل افتقارَ هذا الناظم المُفْلِقِ والقارصِ المُبْلِعِ في الامتثال والإبداع ،
وتقصيره في أكثر الأحوال عن الاقتضاب والاتباع ، لتعلمَ أن الآخرَ عيالٌ على
الأول واللاحق (٢٩٣) كُلٌّ على السابق ، ويتضح لك عذر الأتفين في الوقوع
دون السالطين ، وإنْ كانَ جارياً على ما ذكرناه فليس يجوز لللاحق أنْ يفسد
طبعهُ بتعويده عادة الاتِّكالي على السابق (٤) ، بل يجب أنْ يروضَ خاطره
بالتطَلُّبِ والفكر في استخراج المعنى البكر ، فقد قلنا فيما تقدَّم إنَّ المعاني غير
مُتناهية ، وإذا كانت كذلك فقد تظفر القريحة منها بالمُغْفَلِ فتبسِّم ، وتنع على
الشروء فتخطمه . وإذا أراد أنْ يستعمل معنى من المعاني المسبوق إلى افتراعها

(١) في الأصل : لا فته .

(٢) أعادت به أشعاره .

(٣) أحل به شعره بطليته .

(٤) في الأصل : على من السابق .

فلا يأخذ كاسياً بلفظه وعبارته ، حالياً بتأليفه وصنعه ، فإن ذلك داخِل في باب النهب والإخارة لا في باب الاجتناب والاستعارة ، ولا يرضاه من يرجع إلى غريزة^(١) ينبوعها غزير وبصيرة طرُقها بصير وإنما يجب أن يفرد أرواح المعاني من أجسادها ، ويجزّد صورها من موادها ، ويحصله في أرواحه عارية من كساها عاطلة من حلّاه ، ثم يأخذ نفسه بإنشائها في صورة من اللفظ مبيّنة للصورة التي كانت فيها وتحليتها من التاليف بحلية مُنافية للحلية التي كانت عليها . وإنّ تمكّن أن يجعل ما ألبسها أرفع منها سلبها إرداً وما حلّاه به أنصع مما ابتزّها عقداً فقد استحقّ تسليمها إليه وعزّو فضيلتها إليه ، لملكه نفسه لها واقتدارها على التصرف فيها واعتوارها بضروب العبارات ومدلولها بأنواع الدلالات . ولا يقصد إلى حكاية الكلام على جهته وأخذه برأيه ، فإنه يجمع بذلك بين هجته الثلاثي (٢٩٤) بفضيلة وهو عارٍ من عطاها عاطِلٌ من قلاتها ورطافها ، وبين إفساد طبعه بتمويده واستلحاق كلام الناس واصطرافه . ومن تعرّد هذه العادة لم يتعد في فن من فنون النظم ولم تنتظم صناعة من صنائعه ، وإنما يدخل الكاتب في صناعة الكتابة إذا اقتضب الإنشاء في جميع أبوابها اقتضاباً من غير توقّف ولا تلبّث ولا بطء ولا تمكّث . وحاله في ذلك شبيهة بحال الشاعر الذي إنّما يدخل في صناعة الشعر بأن يرتجل أنواعه ارتجالاً ، كالمدّيح والهجاء والمرائي والهناء ، في مئة وحيه ، ويتصرّف في العبارة عنها بفنون من النظم متغايرة ، فمتى عجز عن ذلك لم يعد في أعمل الصناعة التي يشغّل بها .

وكذلك الخطيبُ فإنّه متى لم يتدعّ خطب المنابر والمحافل في كلّ وقت من أوقاتها ابتداءً ، ولم يأت بعدّة منها متقاربة المعاني متناسبة الألفاظ لم يعد من الخطباء .

(١) في الأصل : غريزة . والبيان يقتضي ما أثبتنا .

وهكذا حال الكاتب في الاستقلال بإنشاء كلِّ ما يدخل في صناعته من المعاني من غير أن يستعين بكلام مَنْ تقدّمه ، فأما مَنْ يستعير كلام الناس على نسقهِ ونظمه فهو كالخطيب الذي يخطب على المنابر بِحُطْب محفوظة ، وإنما تلك رواية لا خطابة ، وكذلك ما يفعله الكاتب من مثله فإنما هو حكاية لا بلاغة .

ونحن نذكر الطرق المسلوكة في استعمال اللاحقين معاني السابقين وما يحسن منها وما يقيح ، ثم نضع أنموذجاً للسرقات يتعرّف به الوجه في تهادي المعاني وتصريفها (٢٩٥) ثم نأتي بأمثلة في نقل معاني المنظوم إلى المتنور ونقل معاني المتنور إلى المنظوم ، ثم نورد قولاً في التوارد وتطابق الخواطر على المعنى الواحد ليتضح ما يجري عليه الأمر في كلِّ من هذه الفنون ، ويحصل العلم بما يُستحسن فيُستعمل وما يُستقبح فيجتنب ، إن شاء الله تعالى .

قول في الطريق المسلوكة إلى استعمال اللاحقين معاني السابقين

استعمال المعاني المقترعة على ضربين :

أحدهما : مُستحسنٌ يشارك مُستعملهُ مفرعةً في الفضيلة .

والآخر : مُستقبحٌ يحصل مُستعملُهُ على الرذيلة .

فالمستحسنُ ستة أقسام :

أولها : مناظرة المعنى وملاحظته .

والثاني : كشف المعنى وإبرازه بزيادة تزيد نصاعة ورؤفاً .

والثالث : نقل المعنى من وجه إلى وجه .

والرابع : كشف المعنى وإظهاره .

والخامس : مكافأة المعنى ومساواته .

والسادس : اختصار اللفظ مع حراسة المعنى .

والمُسْتَبْعُ ستة أقسام :

أولها : تفسير المتبع عن معنى المبتدع ، وهو ينقسم إلى أنواع سنذكرها ونمثلها فيما بعد .

والثاني : النقاط الألفاظ وتلفيقها .

والثالث : اعتماد العبارة ونسخها .

والرابع : الإغارة .

والخامس : الاصطراف والاستلحاق .

والسادس : الالتعال .

وقد وضعنا لكل قسم من هذه الأقسام مثلاً كافياً في إيضاحه والدلالة عليه .

وهذه الأنواع وإن كانت أدخل [في] مذهب الشعر منها في مذهب النثر ، فللنثر فيها حصة أيضاً ، لتناسب المعاني الواقعة في الكلام المؤلف بأسره . ومن الله التوفيق والتسديد .

(٢٩٦) الضرب المستحسن من استعمال المعاني المفترعة

وهو ستة أقسام :

القسم الأول : للنظر والملاحظة :

هذا القسم الطفت أقسام السرقات مذهباً وأدقها مسرباً ، ولا يتأثر له إلا المبرور في العلم يتصرف المعاني وتداولها . ومن بديع ما جاء

منه قول الحطيئة^(١) :

مَنْ يَعْمَلِ الْخَيْرَ لَا يَنْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعَرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ أَوْسَ بْنِ حَجْرٍ^(٢) :

سَاجِدُكَ أَوْ يُجْزِيكَ عَنِي مُتَوِّبٌ وَحَسْبُكَ أَنْ يُنَىٰ عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي

وَذَلِكَ أَنَّ الْمُتَوِّبَ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

ومنه قول السمّوئل بن عادياہ^(٣) :

نَبِيلٌ عَلَى حَدِّ السَّيْفِ نَفْسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الْحَدِيدِ نَسِيلٌ

فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ زَهْرٍ^(٤) :

فَإِنْ يُمْتَنُّوا فَيُسْتَقْسَىٰ بِدَمَائِهِمْ وَكَانُوا قَدِيمًا مِنْ مَنَائِهِمِ الْقَتْلُ

القسم الثاني : في كشف المعنى وإبرازه بزيادة تزيده نصاعة :

ومنه قول امرئ القيس^(٥) :

نَكُتُ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفُنَا إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِرَاوِ مُقَهَّبٍ

المشوش : المتبدل^(٦) . كشف هذا المعنى عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ^(٧) فقال : (٢٩٧)

نُكَّتْ قُمْنَا إِلَى جُرُودِ مَسْؤَمَةٍ أَصْرَافُهُنَّ لَا يَدِينَا مَنَادِيلُ

(١) ديوانه ٢٨٤ .

(٢) ديوانه ٢٧ وفيه : وَحَسْرُكَ أَنْ . . .

(٣) ديوانه ١٢ وفيه : عَلَى حَدِّ الظُّيَا وَلَيْسَتْ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ . . .

(٤) ديوانه ١٠٢ .

(٥) ديوانه ٥٤ ، والمضروب : الذي لم يترك تضجعه .

(٦) في الأصل : المتبدل .

(٧) شعره : ٧٤ .

ومنه قول النابغة^(١) :

سَقَطَ النَّهْيُفُ وَلَمْ تُرَدِّ إِسْقَاطُهُ فَتَنَاوَلْتَهُ وَأَتَقْنَا بِالسَّالِيدِ

كشف هذا المعنى أبو حنيفة^(٢) فقال :

فَأَلْقَتْ فَنَاعاً دُونَهُ الشَّمْسُ وَأَتَقْتُ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفْتُ وَمِنْصَمِ

وزاد على النابغة بقوله : (دونه الشمس) ، وإخياره عن المتقى به أحسن

الخبر .

ومنه قول أبي ذؤاد^(٣) يصف الفرس :

يَزِينُ الْيَتَّ مَرْبُوطاً وَيُسْفِي قَرَمَ الرُّكْبِ

كشفه غني بن زيد^(٤) فقال :

مُسْتَفْهِمٌ بِلَا أَرْوَاحِهِمْ يُقَمُّ بِالمِهْرِ مِنْ غَيْرِ عَدَمِ

القسم الثالث : نقل المعنى إلى معنى آخر :

هذا القسم لا يستقل به إلا الحُذَّاقُ الْمُتَرَبِّونَ ينتقل الكلام وتداوله . ومن جليله قول امرئ القيس^(٥) يصف الفرس :

إِذَا سَارَكُنَا قَالُوا لَوْلَدَانُ أَهْلِنَا تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الصَّيْدُ نَحْطِبِ

نقل هذا المعنى ابن مقبل^(٦) إلى صفة القُدَح فقال يذكر فوزه : (٢٩٨)

إِذَا امْتَحَنَتْهُ مِنْ مَقْعَدٍ عَصَابَةً غَدَا رَقِيهُ قَبْلَ الْمُفِضِينَ يَنْدَحُ

(١) ديوانه ٣٤ .

(٢) شعره : ٧٦ .

(٣) شعره : ٢٩٠ . وفي الأصل : الراكب . والبيت لعنبة بن سائق في الأسممات ٤٦ .

(٤) ديوانه ٧٤ .

(٥) ديوانه ٣٨٩ .

(٦) ديوانه ٣٥ .

ومنه قول امرئ القيس^(١) :

نَقَلَ الْعَذَابُ يَرْتَمِينَ بِلَحْيَيْهَا وَخَسِمَ كُذَّابِ الدُّمْنَسِ الْمُفْتَلِ
نقله الأعشى^(٢) إلى تشبيه البنان فقال :

وَالْوَتَّ بِكَفِّ فِي سِوَالِ يَزِينُهَا بِنَانٍ كُذَّابِ الدُّمْنَسِ الْمُفْتَلِ
وتبعه المজনون^(٣) فقال :

أَشَارَتْ بِمِرْشُومٍ كَأَنَّ بِنَانَهُ عَذَابُ رَيْطٍ مِنْ دُمْنَسٍ مُفْتَلِ
ومنه قول أبي نواس^(٤) يصف الخمر :

لَا يَنْزِلُ اللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ فَتَذْهَرُ شُرَابُهَا نَهَارُ
نقله البحرني^(٥) إلى وصف محبوب فقال :

غَابَ دُجَاهَا وَأُنْجِي لَيْلِي يَدْجُو عَلَيْنَا وَأَنْتَ بَذْرُ
القسم الرابع : كشف المعنى وإيضاحه من غير زيادة :

ومنه قول الأعشى^(٦) يصف القَرْس :

تُرَاقِبُ مَنْ أَيْمَنِ الْجَانِيَةِ مِنْ بِالْكَفِّ مُسْتَحْصِداً قَدْ مَرَنُ
أخذه الشنخ^(٧) فقال يصف الناقة : (٢٩٩)

وَتَقْسِمُ عَزَفَ الْعَيْنِ شَطْرًا أَمَاتَهَا وَشَطْرًا تَرَاهُ خَيْفَةَ السُّوْطِ أَرْوَرَا

(١) ديوانه ١١ . وفيه : يظَلَّ . . .

(٢) ديوانه ٣٥٥ .

(٣) أُخْلِي بِهِ دِيْرَانَهُ .

(٤) ديوانه ٧٤ (الغزالي) وفيه : نَقِيلُ شُرَابِهَا .

(٥) ديوانه ١٠٥٠ .

(٦) ديوانه ١٩ وفيه : مِنْ مُخْصَوٍ .

(٧) ديوانه ١٣٧ . وفيه : أَخْزَرَا . وفي الأصل : أَخَذَهُ الْأَعْشَى . وَهُوَ وَغَمٌ .

ومنه قول المباس بن الأحف^(١) :

زعموا لي أنها بائنت تُكَم
ابتككت أَكْمَل ما كانت كما

أخذه عبد الله بن المعتز^(٢) فقال :

طوى عارضُ الحُنى سناءً فحالا
كذا البدرُ محتومٌ عليه إذا انتهى
إلى غايقٍ في الحُنى صارَ حلالا

القلم الخامس : تكافؤ المئج والمبتدع :

ومنه قول امرئ القيس^(٣) :

فلر أنها نفسٌ تموتُ احتبتها
ولكنها نفسٌ تاقطُ أنفسا
أخذه عبدة بن الطيب^(٤) فقال :

فما كان قيسٌ مُلكُكُ مُلكٌ واحد
ولكنهُ بُيانٌ قومٌ تَهَدَّما
ومنه قول حسان^(٥) :

يُخَشَّوْنَ حتى ما تَهَرُّ كِلابُهُم
لا يَسْأَلُونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ
أخذه أبو نواس^(٦) فقال :

إلى يستَ جارٍ لا تَهَرُّ كِلابُهُ
عليَّ ولا يُكْزَنَ طولَ ثوائِي

(١) ديوانه ٢٥٢ - ٢٥٣ وفيه : يكف البدر .

(٢) شعره : ٣٤٩/٣ .

(٣) ديوانه ١٠٧ ، وفيه : تموت جميعاً .

(٤) شعره : ٨٨ .

(٥) ديوانه ٧٤ ، وفي الأصل : الحطبة . وهو وهم .

(٦) ديوانه ١٠٢ (الغزالي) .

(٣٠٠) القسم السادس : اختصار اللفظ الطويل مع حراسة المعنى :

ومنه قول طرفة^(١) :

أرى قبرَ نَحَامٍ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَسِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُقْبِلِ
اختصره ابن الزَّيْعَرِيُّ^(٢) فقال :

وَالْمَطِيَّاتُ خَسَاسٌ يَنْتَسَا وَسَوَاءٌ قَبْرُ مُنِيرٍ وَمُقْبِلِ
وشغل صدر البيت بمعنى ، وجاء بيت طرفة في عجزه ومنه قول بشار^(٣) :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ لَمْ يَخْلَفْ بِحَاجَتِهِ وَفَارَزَ بِالْمَطِيَّاتِ الْفَائِكُ اللَّهْجُ
اختصره سَلَمُ الْخَامِسِ^(٤) فقال :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ عَمًا وَفَارَزَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ
وتتولد من هذه الأقسام فروع يُرجع إليها ، لا حاجة إلى الإطالة باستقصائها .

الضرب المستقيح من استعمال المعاني المفترعة

وهو ستة^(٥) أقسام :

القسم الأول : تقصير المتبع عن إحسان المبتدع وقوعه دونه : وهو خمسة أنواع :

النوع الأول : الإخلال ببعض المعنى . وهو قول امرئ القيس^(٦) :

(١) ديوانه ٣٦ .

(٢) شعره : ٤١ وفيه : بينهم .

(٣) ديوانه ٧٥ / ٢ .

(٤) شعره : ١٩٧ . ونظر : فرائد القمص ١٣ .

(٥) في الأصل : سبعة .

(٦) ديوانه ٣٨ .

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَجَباً وَرِجْساً لَدَى وَكْرِهِا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
أَخْذَهُ أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِي^(١) فَقَالَ :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ عِنْدَ مَيِّتِهَا نَوَى الْقَسْبِ يُلْقَى عِنْدَ بَعْضِ الْمَادِبِ
فَأَسَاءَ فِي الْعِبَارَةِ وَأَخْلَى بِأَحَدِ الْمَعْنَيْنِ .
وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ^(٢) :

اللَّهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتُ بِهِ وَالْيَزُّ خَيْرُ حَقِيقَةِ الرُّخْلِ
أَخْذَهُ أَبُو هُرْمَةَ^(٣) وَنَقَصَ أَحَدَ الْمُثَلِّينَ فَقَالَ :

اللَّهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتُ بِهِ وَالْقَوْلُ يَعْرِفُهُ الرِّجَالُ ذُووُ الثُّمَى
وَمِنْهُ قَوْلُ الْحَظِيئَةِ^(٤) :

مَنْ تَأْتِيهِ تَعَشُّوْ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ
أَخْذَهُ أَبُو رُمَيْحٍ الْخَزَاعِي فَقَالَ :

مَنْ تَأْتِيهِ تَعَشُّوْ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ مَا جَدَّ مِنْهَا الْقَوْرَى غَيْرَ يَامِيرٍ
وَمِنْهُ قَوْلُ عَتْرَةَ^(٥) :

وَإِذَا سَكِرْتُ فَلَا تَنْسِي مَسْتَهْلِكُ مَالِي وَعِرْضِي سَالِمٌ لَمْ يَكْلَمْ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصُرُ عَنْ نَذْيِ وَكَمَا عَلِمْتُ شِمَانِلِي وَتَكْرُمِي
أَخْذَ الْمَعْنَى حِثَّانُ بْنُ ثَابِتٍ^(٦) :

(١) أَخْلَى بِهِ شَرَحَ أَشْعَارُ الْهَذَلِيِّينَ . وَفِي الْأَصْلِ : ابْنُ صَخْرٍ الْهَذَلِي .
(٢) دِيوَانُهُ ٢٢٨ .

(٣) أَخْلَى بِهِ شَعْرُهُ بِطَبِئَتِهِ .

(٤) دِيوَانُهُ ١٦٦ .

(٥) دِيوَانُهُ ٢٠٦ - ٢٠٧ وَفِيهِ : فَلَاذَا شَرِبْتُ غَازِي . . .

(٦) دِيوَانُهُ ١٧ .

ونشرئها فتترئنا ملوكاً وأمدأ ما يئئها اللقأ
(٣٠٢) فوفى غيره صفة حاله في الصخر والشجر ، وإني حبان بصفة
حالهم في السكر حسب فنقص المعنى ، لأنه قد يُظن بهم البخل إذا صحوا ،
لأن من شأن الخمر أن تُسهي البخل وتشجع الجبان .

النوع الثاني : نقل الوجدان إلى المسهب . ومنه قول مسلم الخاسر^(١) :

أقبلن في رأد الضحأ بنا يسترن وجه الشمس بالشمس
أخذ الآخر^(٢) فقال :

وإذا الغزاة في السماء تعرّضت وبدا النهار لوقته يترحل
أبدت لعين الشمس عيناً مثلها تلقى السماء بمثل ما تقبل
ولا زيادة في معنى هذا الشعر على ما تقدّمه مع زيادة الفاظه وإن كان
جديداً .

النوع الثالث : نقل الجزل إلى الركيك . ومنه قول بعضهم :

كان ليلى صير عادية أو دمنة زينت بها البيع
أخذ أبو العتاهية^(٣) فقال وقصر في المعنى واللفظ :

كان عتابة من حُنيها دمنة قس قنت قنّها
النوع الرابع : نقل ما حسن معناه إلى ما قبح مبناه .

(٣٠٣) منه قول امرئ القيس^(٤) :

(١) أغل به شعره . وهو لشار في طبقات الشعراء المحدثين ٣١ وليس في شعره . وجاء اسم الشاعر في

المخطوطة : سالم الحاشر .

(٢) بلا عزو في نضرة التاجر ٢٨١ .

(٣) شعره : ٥٦٦ .

(٤) ديوانه ٤١ .

ألم ترماني كُلُّما جِئتُ طارِقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تُطَيِّبِ
فذكر وجود الطيب في بشرة مَنْ لم يمس طيباً ، وأنى بالمعنى في بيت
منسق النظم .

أخذه كثير ^(١) فقال :

وما روضةً بالحزن طيبة الشرى يُمِغ الندى جنباً لها وعراؤها
بأطيب من أردان عزة مؤجناً إذا أوقدت بالمنقل الرطب نارها
فأعبر أنها إذا تبخرت بالعود الرطب أدبى عُرْف أردانها على عرف
الروضة ، وهذا ما لا يهدم في غيرها ، فقصر غاية التصدير .

النوع الخامس : نقل ما حسنت قافيته إلى ضده .

ومنه قول أبي نواس ^(٢) :

دَع عَنْكَ لومي فإنَّ اللومَ إغراءٌ ودأوني بالشيء كأنَّه من الداءِ
أخذه أبو تمام ^(٣) فقال :

فَذلك أثبتُّ أزييتَ في المُكَلِّه كم تمذلونَ وأنتمُ سَجَرَاتِي
فصعدَ في الزجرِ وصوبَ ، وقبحَ صدرَ البيتِ وقافيته .

القسم الثاني : الانقراط والتلفيق :

(٣٠٤) وهو ترقية الألفاظ واجتذاب الكلام حتى يُنظم منه البيت أو يؤلف
الفصل . ومنه قول الشاعر ^(٤) :

إذا ما رأيته مُقبلاً غَضَّ عُرْفَهُ كأنَّ شُعاعَ الشمسِ دوني يقابله

(١) ديوانه ٤٢٩ - ٤٣٠ .

(٢) ديوانه ٦ (الفرابي) .

(٣) ديوانه ٢٠ / ١ .

(٤) يزيد بن العثيرة ، شعره : ٥٣ .

ف قوله : (إذا ما رأيته مُقبلاً) من قول جميل^(١) :

إذا ما رأيته مُقبلاً من تُقبُّو يقولون من هذا وقد عرفوني

وقوله : (غض طرفه) من قول جرير^(٢) :

فمُغْضُ الطَّرْفِ إِنْكَ مِنْ تُنْبِرِ فلا كُفْياً بَلَنْتَ ولا كِلَاباً

وقوله : (كَأَنَّ شعاع الشمس دوني يقابله) من قول عترة الطائي^(٣) :

إذا أَبْصَرْتَنِي أَفْصَرْتَنِي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدَوُّ

القسم الثالث : الالهتام ، ويُسمى نسخاً :

وهو افتعال من الهمد ، شبيهٌ بهدم البيت من البناء .

وكذلك سُيَّي البيت من الشعر لأنه يشتمل على الحروف اشتمال البيت على ما فيه .

ومنه قول جميل^(٤) :

قَامَتْ نُودُغُنَا وَالْعَيْنُ سَاجِمَةً إِنْسَانُهَا بِفَضِيضِ الدُّنْعِ مَكْتَحِلُ

نَمْ اسْتَدَارَ عَلَى حَوْرَاءَ سَاجِيؤ لَمَّا تَبَادَرَ مِنْهَا دَمْعُهَا الْهَمَلُ

كَأَنَّهُ حِينَ مَارَ الْمَاقِيَانِ بِهِ دَرَّ تَقْصَعٌ مِنْهُ الرِّبْلُكُ مُنْحَلُ

(٣٠٥) اهتدمه جرير^(٥) فقال :

قَامَتْ نُودُغُنَا وَالْعَيْنُ سَاجِمَةً كَأَنَّ إِنْسَانَهَا فِي لَجْوٍ غَرِقُ

نَمْ اسْتَدَارَ عَلَى أَرْجَاءِ مُقْلَتِهَا مُبَادِرًا خُلَّكَاتِ الطَّرْفِ نَسِيقُ

(١) ديوانه ٢٠٧ .

(٢) ديوانه ٨٢١ .

(٣) الحماسة ٢/ ٢٩٠ ، ديلا عزو في البديع في نقد الشعر ٢٠١ .

(٤) أصل بها ديوانه .

(٥) أصل بها ديوانه .

كَأَنَّهُ حِينَ مَازَ الْمَاقِيَانِ بِهِ قَدْ تَسَلَّلَ مِنْ أَسْلَاحِهِ نَسَقُ
ومنه قول أبي صخر الهذلي^(١) :

وَأَنِّي لَأَتِيهَا وَفِي النَّفْسِ مَجْرُهَا بَتَانًا لِأُخْرَى الدَّهْرِ مَا عَلَنَ الْفَجْرُ
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأَتَيْتُ لَا عُزْفَ تَدِيٍّ وَلَا نُكْرَ
اهتمه كثير^(٢) فقال :

وَأَنِّي لَأَتِيهَا وَفِي النَّفْسِ مَجْرُهَا بَتَانًا لِأُخْرَى الدَّهْرِ أَوْ لَتَيْبُ
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأَتَيْتُ حَتَّى لَا أَكْأَدُ أُجِيبُ
القسم الرابع : الإهارة :

وهو أَنْ يسمع الشاعر الفحل الأبيات البارعة يَدَثُّ للشاعر وبأبنت مذهبه
في أمثاله وشابهت شعره هو وطريقته فيغير عليها نَهَبًا وبأخذها غَضَبًا فَيُسَلِّمُهَا
ناظرها خوفاً من تكذيبه لُبَّابِنتها مذهبه وتصديق المُغَيِّرِ عليها لمشاكلتها طريقة
إِبْتَانًا لمساكته وعجزاً عن مساجلته . وهذا باب لا يحتاج إلى التمثيل .

(٣٠٦) القسم الخامس : الاصطراف والاستلحاق :

ومعناها : أَنْ يصرف الشاعر البيت والبيتين والثلاثة من كلام غيره إلى
أبياته ويلحقها في نظمه .

والفرق بين المنير والمصطوف أَنْ المنير يستندُ إلى الاحتياج فيما أغار
عليه بالمسألة ، والمصطوف إنَّما يجد كلاماً يتم به معناه فيدعيه .

وقد يستلحق الشاعر على سبيل التمثيل ، وهذا هو التضمين ، وقد مضى
ذكره في أبواب البديع .

والذي اصطوفه الشعراء من الشعر كثير لا حاجة إلى تمثيله .

(١) شرح أشعار الهذليين ٩٥٨ مع خلاف في رواية الأول .
(٢) ديوانه ٢٢٢

القسم السادس : الانتحال :

وهو تناول الكلام برمته وأخذه على هيئته ، كالذي يُحكى عن امرئ القيس في ادعائه شعر عمرو بن أمية وابن حمام الكلبي ، فإنه ذُكرَ أنهما كانا يصحباها فلما ماتا غلب على شعرهما فاتحله .

وحكى أن عامة شعر عنترة بن شداد لهراسة بن أسد العبيسي ، وأن عنترة كان عبداً له فلما مات أدهى شعره .

وقد ذُكرَ مثل هذا عن جماعة من الفحول نطيل بتعدادهم ، وفيما أوردناه كفاية فيما أوردناه .

أنموذج للسرقات ^(١) :

هذا أنموذج يُعرّف به الوجه في تداول المعاني ونهاذبها ، وتصريفها في الأساليب التي تقع فيها . ويوضح ما قدّمنا القول عليه من اشتراك الفصحاء (٢٠٧) البلقاء في المعنى الواحد وتصرفهم فيه بالعبارات المختلفة .

وقد بنياء على الاختصار بُعداً من الإطالة والإكثار والله الموفق بفضلته .

قال امرؤ القيس ^(٢) :

دِيمَةً مَطْلَاءٌ فِيهَا وَطْفٌ مَبْنَى الْأَرْضِ تَحْوِي وَتَلُرُ

أخذه أوس بن حجر ^(٣) فقال :

دَائِرُ مِسْرٍ قُوسِي الْأَرْضِ هَيْدَبُ يَكَادُ بِدَفْعِهِ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

وأخذه أبو نواس ^(٤) فقال وأحسن :

(١) ينظر : المنصف لابن وكيع ، الصناعين ٢٠٢ ، المعتمد ٢٨٠ / ٢ ، المعتمد ٢٨٠ / ٣ ، نصره :
الناشر ٣٧٥

(٢) ديوانه ١١١ .

(٣) ديوانه ١٥ .

(٤) ديوانه ١٤٩ (الغزالي) .

حتى غدا أو طفت ما إن له
وقال الأفوه الأودي^(١) :

وترى الطير على آثارنا
أخذه الآخر فقال :

وعتاق الطير تفسر يطاناً
بضحك الضبع لقتلى هذيل
وأخذه النابغة^(٢) فقال في الطير :

إذا ما غَدَا بالجيش حلق فوقهم
يُصَانِفُهُمْ حتى يُوزَنَ مِغَارُهُمْ
(٣٠٨) جَوَانِحُ قد أُنْقِرَ أن قَبِيلَهُ
لَهُمْ عليهم عَادَةٌ قد عَرَفْنَاهَا
وقال النابغة^(٣) أيضاً :

تَرَى عَافِيَاتِ الطَّيْرِ قد وَثِقَتْ لها
أُغْلَرُ على هذا البيت الغرزدق^(٤) فقال :

تَرَى عَافِيَاتِ الطَّيْرِ قد وَثِقَتْ لها
وقال^(٥) أيضاً :

ويوم تُرى جِوَزَاؤُهُ من ظِلَابِهِ
تَرَى طَيْرَهُ قَبْلَ الوَفِيعَةِ وَقَعَا

(١) ديوانه ١٣

(٢) ديوانه ٥٧ - ٥٨ . ورواية الثاني في الأصل : بالدماء الدوارف .

(٣) ديوانه ٧٠ .

(٤) ديوانه ٧٣٣ .

(٥) ديوانه ١٩٧ . وفي الأصل : قد تشمتما ونصح : اعلق ورت .

يَنْظُرُونَ مَا تَفْعَلُ الْأَمْنَةُ بَيْنَهُمْ
 جَعَلْتُ لَهَا فِيهَا بِكُلِّ كَرِيهَةٍ
 وَحَائِثَةٍ فَوْقَ الرِّمَاحِ نَسُوذَهَا
 وَأَخَذَهُ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ^(١) فَقَالَ :

إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَسَابَةً
 وَأَخَذَهُ أَبُو نَوَاسٍ^(٢) فَقَالَ :

تَبَأْتُ لِي الطَّيْرُ غَدَوْتُكَ
 (٣٠٩) أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ^(٣) فَقَالَ :

وَقَدْ ظَلَلْتُ عَيْبَانَ رَأْيَانِهِ ضَمِنَ
 أَفَامَتْ مَعَ الرِّيَاضِ حَتَّى كَانَتْهَا
 وَقَالَ^(٤) أَيْضًا :

وَلَمْ يَتَّقَ فِي أَرْضِ الْبَقْلَارِ طَائِرٌ
 وَأَخَذَهُ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ^(٥) فَقَالَ :

وَتَرَى السِّبَاعَ مِنَ الْجَوِ
 يُقْفَعُ بَأَنَّا لَا نَرَا
 وَأَخَذَهُ ابْنُ جَمْهُورٍ فَقَالَ :

تَرَى جَوَارِحَ طَيْرِ الْجَوِّ فَوْقَهُمْ
 بَيْنَ الْأَيْتَةِ وَالرِّيَاضِ تَخْتَفِقُ

(١) ديوانه ١٠٦ وفيه : غزا . والغيازة : كل شيء أظلم الإنسان فوق رأسه .

(٢) ديوانه ٤٣١ (الغزالي) و ١٤١/١ (الفاخر) . وتناهى : تنوحى وتنعبد .

(٣) ديوانه ٨٢/٣ .

(٤) ديوانه ٢٤٣/٣ . ومولدا : من الموليمة .

(٥) شعره (شعراء مقلون) ٢٣٥ .

وأخذه مروان بن أبي حفصة^(١) فقال :

لا يشبع الطير إلا في وقائمه فحيث ما سار سارت فوقه زُمرا
عوارف أنه في كل معترك لا يغمد السيف حتى يكثر الجزرا
وأخذه مسلم^(٢) فقال :

قد عود الطير عادات وثقن بها فهن يبتئنه في كل مُزَحَل
(٣١٠) وأخذه ابن قيس الرقيات^(٣) فقال :

والطير إن سار سارت فوق موكبه عوارفا أنه يطو قُبَيرها
ويقرب من هذا المعنى قول الراعي^(٤) :

بمَلَحَمَةٍ لا يستقل غرابها ذفيفا ويمشي الذئب فيها مع النر
المعنى : أن الغراب لا يطير محلقا ، ولكنه يطير عن قبيل ويقع على
آخر ، وأن النسر قد تملأ فليس يقدر على الطيران . ومثله قول الآخر في
المُعاقب :

قرا الطير بعد الناس منها فأضَبَتْ بساحة زيد ما يرف عُقابها
وقال الآخر^(٥) وأبدع ما شاء :

وذو كعب لا ذو الجناح أمامه بناج ولا الوحشُ المُشارِ بالسلم
تسر عليه الشمس وهي مريضة تطالعُه من بين ريش القشاعِم
إذا ضوؤها لاقى من الطير فُرْجَةً تدور فوق البيض مثل الدواهم

(١) أصل بهما شمره بطيحيه .

(٢) ديوانه ١٢ .

(٣) ديوانه ١٩٩ .

(٤) ديوانه ١١٧ وفيه : ونسي .

(٥) المصنعي ، البيان في شرح الديوان ١١٤ / ٤ .

وقال الآخر^(١) :

يَطْمُحُ الطَيْرَ فِيهِمْ طَوْوُ أَكْلِهِمْ حتى تكادُ على أَحْيَائِهِمْ تَقْعُ

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي^(٢) : (٣١١)

فَأَبَوْا بِالنَّيَابِ وَبِالنَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَ

أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ^(٣) فَقَالَ وَأَحْسَنُ :

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الذَّيْلِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرْبِهِؤِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

وَأَخَذَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمُنْتَبِي^(٤) فَقَالَ وَفَضَحَهُ لَتَكْرِيرِهِ اللَّفْظَ وَاسْتِعْمَالَهُ

سُوقِيهِ وَتَقِيحِهِ الْمَعْنَى :

وَنَهَبُ نَفْسِي أَهْلَ النَّهَبِ أَوْلَى بِأَهْلِ الْمَجْدِ مِنْ نَهَبِ الْقُمَاشِ

وقال جابر الغاضري :

رَمَتْشِي كَمَا بَأْ نَاشِئاً ثُمَّ عَقَبَتْ بِرَمِي عَلَى حِمِينِ انْتَهَتْ فَأُثْبِتِ

فَلَمْ أَرْ فِي الرَّامِينَ يَرْمِي كَرْتِهَا وَلَمْ يَرْمِ مِثْلِي مِثْلَهَا إِذْ تَوَلَّتْ

تَرِيشُ بَرِيشِ الزَّعْفَرَانِ يَهَامُهَا وَبِالْإِنْعَادِ الْغُزْيِيهِ وَالْكَحْلِ مَسَّتْ

أَخَذَهُ جَرِيرٌ^(٥) فَقَالَ :

إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحِينَ قَتْلَانَا

وَأَخَذَهُ مُسْلِمٌ^(٦) فَقَالَ :

(١) المتن ، البيان ٢ / ٢٢٥ .

(٢) شرح القصائد السبع الطوال ٤١٢ وفيه : بالنَّهَابِ . وفي الأصل : التغلبي .

(٣) ديوانه ٦٦ / ١ .

(٤) البيان في شرح الديوان ٢ / ٦١٠ .

(٥) ديوانه ١٦٣ .

(٦) أخذ به ديوانه .

ما كَانَ أَصْلَحَ لِلأَبْطَالِ لَوْ جَعَلُوا مَكَانَ أَسْيَافِهِمْ فِي الْحَرْبِ أَخْدَانًا
 وَأَخَذَهُ عَبْدُ السَّلَامِ بَيْنَ رُغْبَانِ الْمَلَقِبِ بِدِيكِ الْجَنِّ^(١) (٣١٢) فَقَالَ :
 لَمْ يَكْفِكُمْ قَتْلُ الْفَرَارِسِ بِالْقَتَا حَتَّى تَصْدُبْتُمْ لَهُمْ بِالْأَعْيُنِ
 وَأَخَذَهُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمُعَذَّلِ^(٢) فَقَالَ :
 إِنَّ الْعَيُونَ إِذَا مُتَّكِنٌ مِنْ رَجُلٍ فَمَلَنَ بِالْقَلْبِ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَصْلُ
 وَلَيْسَ بِالْبَطْلِ الْمَاشِي إِلَى بَطْلٍ فِي الْحَرْبِ تَخْمُدُ أَحْيَانًا وَتُشْتَبِلُ
 لَكِنَّهُ بَيْنَ جَوَى [بِالْقَلْبِ] قَدْ رَقَعَتْ فِيهِ الْعَيُونَ فَذَاكَ الْفَارَسُ الْبَطْلُ
 وَأَخَذَهُ الشَّرِيفُ الْمَوْسَوِيُّ^(٣) فَقَالَ :
 لَوْ أَنَّ قَوْمَكَ [نَعَلُوا أ] زُمَاثَهُمْ بَعِيونَ سِرْزِيكَ مَا أَبْلَى طَبِيعُ
 وَأَخَذَهُ مَهْيَارُ الدَّيْلَمِيِّ^(٤) فَقَالَ :
 قَوْمٌ إِذَا قَامَ الرُّغْسُ عَلَى سَاقٍ رَكِبُوا الْقَتَا وَطَاعَتُوا بِالْأَحْدَانِ
 وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ^(٥) :
 بِكَأَدِّ يُعَمِّكُهُ عَرَفَانُ رَاحِيَةٍ رَكُنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
 أَخَذَهُ الْآخَرُ فَقَالَ :
 تَكَادُ رِمَاعُهُ تَهْوِي سَمَاعَا إِلَى الْعَافِيْنَ مِنْ قَرْطِ اشْتِياقِ
 وَأَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ^(٦) فَقَالَ :
 تَكَادُ [مَنَافِيهِ] تَهْتَشُّ عِرَاضَهَا فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ

(١) أصل به ديوانه بطبعاته الثلاث .

(٢) شعره : ١٤٣ : دورانية للثلاث فيه : لكنه من له قلب إذا . وما بين القوسين يقضيها السياق .

(٣) ديوانه ٢ / ٤٧١ والزبادة منه

(٤) أصل به ديوانه . وفي الأصل : معيار .

(٥) أصل به ديوانه (الصارفي) . وهو في ديوانه ١ / ١٨٠ (صادر) .

(٦) ديوانه ١ / ٢٠٤ والزبادة منه .

(٣١٣) وأخذه أبو عبادة^(١) فقال :

ولو أن مشافاً تكلف فوق ما

وأخذه أبو الطيب المتتي^(٢) فقال :

لو تعلم الشجر التي قاتلتها
وقال النابغة^(٣) :

فإنك كالليل الذي هو شذركي
خطاطيف حمرن في جبال متينة
أخذه سلم الخاير^(٤) فقال :

وأنت كالدهر مبشوثاً حباثله
ولو ملكك عنان الريح أضرفه
وأخذه الفرزدق^(٥) فقال :

ولو حملتني الريح ثم طلبتني
وأخذه علي بن جبلة^(٦) فقال :

وما لأمريء حاولته منك مهزب
بل هارب لا يهندي لسيله
(٣١٤) وأخذه البحتري^(٧) فقال :

(١) ديوانه ١٠٧٣ . وفيه : غير ما . . . لمشي .

(٢) التبان في شرح الديوان ٢٠٣/٤ وفيه : لو تعلم .

(٣) ديوانه ٥٢ .

(٤) شعره : ١٨٥ . وفي الأصل : متجاً . واسمه في المخطوطة : سالم العاشر .

(٥) ديوانه ٣١٣ وفيه : وأن لو ركب الريح .

(٦) شعره : ١٤٩ (الجناني) ، ٨٠ (مطوان) . وفيهما : لا يهندي لمكانه .

(٧) ديوانه ٧٦ .

لو أنهم ركبوا الكواكب لم يكن
وأخذه عبيد الله بن عبد الله^(١) فقال :

وإنني وإن حدثت نفسي بأنني
لأنك لي مثل المكان المحيط بي
وقال ذو الزمة^(٢) :

لها بشر مثل الحرير ومنطق
أخذه الهذلي^(٣) فقال :

وإن حديثاً منك لو تعلمينه
وأخذه الآخر فقال :

وحديثها كالغيث يسمو
أخذه مالك بن أسماء فقال :

أذكر من جارتني ومجلسها
ومن حديثي يزيدني مقة
وأخذه بشر^(٤) فقال : (٣١٥)

وحزراء السداسع من معد
وأخذه ابن الرومي^(٥) فقال وأبدع ما شاء :

وحديثها السحر الحلال لو أنه
لم يجن قتل المسلم المتحرز

(١) شمر (أدب الطالعين) ٢٢٧ . وفيه : لمعري لأن حدثت . لأنك مني بالمكان المحيط .

(٢) ديوانه ٥٧٧

(٣) أبو ذؤيب ، ديوان الهذليين ١٢٠ / ١ وفيه : لو نبذته .

(٤) ديوانه ١٩٨ / ٤

(٥) ديوانه ١١٦٤ .

نَرَكَ النُّفُوسِ وَنُزْهَةً مَا مَثَلُهَا لِلْمُطْمَئِنِّ وَعَقْلُهُ الْمُسْتَوْفِرِ
 إِنَّ طَالَ لَمْ يُنَلَّلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمُحَدِّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجَزِ
 وهذا بابٌ واسع المجال ، لا يُوقف له على غاية ، وفي الذي أوردناه منه
 كفاية في تعرّف الطريق المسلوكَة إلى التصرّف في المعاني والاحتذاء عليها ،
 إن شاء الله تعالى .

قول في نقل معاني النظم إلى النثر والنثر إلى النظم :

نقل المعاني الواقعة في أحد قسمي الكلام إلى الآخر مستعمل ، لأنه
 لا معنى من المعاني إلّا وإبرازه في ضروب الكلام ممكن . وقد أتينا من معاني
 المنظوم المنقولة إلى المنثور ، ومعاني المنثور المنقولة إلى المنظوم بما يكون
 مثلاً لنقل المعاني وتصريفها في العبارات المختلفة .

ذُرُّوْ مَا [نُقِلَ] مِنَ النِّظْمِ إِلَى النَّثْرِ :

فمن ذلك فصل لأبي إسحاق الصّائبي^(١) :

(وعاد مولانا إلى مستقرّه عودَ الحلي إلى العاطل ، والغيث إلى الروضي
 الماجل) .

وهو قول أبي الطيب^(٢) : (٣١٦)

وَلَهْ سِرٌّ فِي غُلَاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعِدَى خَسِرْتُ مِنَ الْهَذْيَانِ
 ومنه فصل لأبي القاسم^(٣) أيضاً :

(١) إبراهيم بن جلال ، من الكتاب الشعراء ، ص ٣٨٤م . (بيضة النحر ٢/ ٢٤٢) ، معجم الأدياء
 ٢٠١٢ .

(٢) التبيان في شرح الديوان ٤/ ٢٤٢ .

(٣) المصاحب بن عباد ، وقد سلفت ترجمته .

(وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر على راحة المطر).

وهو من قول ابن الرومي (١):

شَكَرْتَ نَمَّةَ الْوَلِيِّ عَلَى الْوَثِّ حَسِيَ نَسَمَ الْيَهَادِ بَعْدَ الْيَهَادِ
فَهِيَ تُنْسِي عَلَى السَّمَاءِ ثَنَاءً طَجِبَ الثُّرَّ شَائِعاً فِي الْبِلَادِ
مَنْ نَسِمْ أَضْحَى شَرَاهُ إِلَى الْأَرِّ وَاحِ سُرى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجَادِ
ومنه لأحمد بن إبراهيم الضبي (٢) في فتح تولاه صاحب بن عباد :

(وهيّا الله مولانا كافي الكفاة هذه المناجع التي هي نتائج عزمته وثمرات صرائمه ، فما نرى عنده وصنيعته وسائر مَنْ تَكُنْفُه ظله وعنايته نفوسهم إذا وَفَّقُوا لمذهب من مذاهب الخدم ، وَهَدُّوا لأداء حقٍّ من حقوق النعمة ، إِلَّا كالسهم إذا أصابَتْ مرابيحها فرامبها المصيب ، وما لها في المجدِّ من نصيب) .
وهو من قول أبي فراس (٣) :

وَكُنَّا كَالسَّهَامِ إِذَا أَصَابَتْ مَرَابِيعَهَا فَرَامِبُهَا أَصَابَا

فَزُوْماً مِمَّا نَقُلُ مِنَ الْمَثُورِ إِلَى الْمَنْظُومِ :

من ذلك قول الشاعر (٤) :

قَضَى اللَّهُ أَنَّ الْبَنِيَّ بِصَرْغِ أَهْلِهِ وَأَنَّ عَلَى الْبَاغِي نَدَوْرُ الدَّوَائِرِ
(٢١٧) وَمَنْ يَحْتَفِزُ بِشَرِّ الْبَصْرِ صَاحِباً سَبْهَوِيَّ مَرِيحاً فِي الَّذِي هُوَ حَافِزُ

(١) ديوانه ٦٨٣ - ٦٨٤ وفي الأصل : على الولي . ورواية الديوان الثالث : كان سره في ... مسرى .

(٢) في الأصل : إبراهيم بن أحمد الضبي - وهو وهم ، والصواب ما أثبتنا . وهو من الوزراء الكتاب . ت ٢٩٩م - (نبذة المعر ٣ / ٢٩١) ، معجم الأدباء ١٠٥ / ٢ .

(٣) ديوانه ١٢ / ٢ .

(٤) بلا عزو في كشف الخفاء ٢ / ٢٢٢ .

وهو من قول الله تعالى : ﴿وَلَا يَجِيئُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَعْلَانٍ﴾^(١) ، وقول رسول الله ﷺ : (مَنْ حَفَرَ بَشْرًا أَوْقَعَهُ اللَّهُ فِيهَا)^(٢) .
ومنه قول الأعطل^(٣) :

وَكَمْ قَلْتُ أَرَوِي بِلَا دِيَّةٍ لَهَا وَأَرَوِي لِفَرَاغِ الرَّجَالِ قَتُونَ
[هو] من قول بعض الحكماء : (الْعِشْقُ شَغَلَ قَلْبَ فَارِغٍ) .
ومنه قول الشاعر :

إِنْ مِنْ بَرٍّ وَالِدِيكَ جَمِيعاً أَنْ تَوَخَّي مَسْرُةَ الشَّعْرَاءِ
وهو من قول معاوية بن أبي سفيان : (إكرام الشعراء من يرّ الوالدين) .
ومنه قول العباس بن الأحنف^(٤) :

أَحْرَمَ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبْتُ نَضِيءٌ لِلنَّاسِ وَمِثْلِي تَحْتَرِقُ
وهو من قول عمر بن الخطاب : (أَنَا لَكُمْ ذُبَالَةٌ تَفِيئُكُمْ وَتَحْتَرِقُ) .
ومنه قول أبي تمام^(٥) :

فَلِنْ أَنَا لَمْ يَحْمِذْكَ عَنِّي صَاحِبُ عَدُوِّكَ فَاعْلَمْ أَنَّنِي غَيْرُ صَاحِبٍ
وهو من قولهم : (إِنْ مِنْ فَضْلٍ فَلَانِ أَنَّ أَعْدَاءَهُ مَجْمَعُونَ عَلَى فَضْلِهِ) .
ومنه قول أبي العتاهية^(٦) :

افْرَحْ بِمَا تَأْتِيهِ مِنْ طَيْبٍ إِنْ بَدَّ الْمَعْطَى هِيَ الْعَالِيَا

(١) غافر ٤٣ .

(٢) المقامد الحسنة ٤١٠ - ٤١١ وكشف الخفاء ٢/ ٣٢٦ .

(٣) ديوانه ٢٥٦ وفيه : بلا دية .

(٤) ديوانه ١٩٨ .

(٥) أغلّ به ديوانه برواياته .

(٦) أغلّ به شعره .

(٣١٨) وهو من قول النبي ﷺ : (اليدُ العليا خيرُ من اليد السفلى) (١) :

ومنه قول ... (٢)

عَنْبِي بَعَلَمِي إِنْ تَقَعَّ مَا الَذَلُّ إِلَّا فِي الْعَلَمِغِ
مَا طَارَ شَيْءٌ فَلَزَقَ الْغِ إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعَّغِ
وهو من قول النبي ﷺ : (حَقِيقٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَرْفَعَ شَيْئًا إِلَّا وَضَعَهُ) .

ومنه قول محمود الوراق (٣) :

إِنِّي شَكَرْتُ لِفَالَمِي ظَلَمِي وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِ
مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ حَتَّى رَثَيْتُ لَهُ مِنَ الْعُلَمِغِ
وهو من قول عبد الله بن معبود (٤) : (إِنَّ الرَّجُلَ لِيَظْلِمُنِي فَأَرْحَمَهُ) .

ومنه قول أبي عثمان الناجم (٥) :

وَلِي فِي حَامِدٍ أَسْلٌ قَدِيمٌ وَمَدَحٌ قَدْ مَدَحْتُ بِهِ طَرِيفُ
مَدِيحٌ لَوْ مَدَحْتُ بِهِ اللَّيَالِي لَمَّا جَارَتْ عَلَيَّ لَهَا صُرُوفُ
وهو من قول لورسطا طاليس : (قَدْ تَكَلَّمْتُ بِكَلَامٍ لَوْ مَدَحْتُ بِهِ الدَّهْرَ لَمَّا
جَارَتْ عَلَيَّ صُرُوفُهُ) (٦) .

ومنه قول الآخر :

سَتَعْلَمُ مَا عَقَلَ أَمْرِي عِنْدَ نُطْقِهِ وَتَعْرِفُ مَا إِنْتَصَاتِهِ حِينَ يَنْتَصِتُ

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٩٣/٥

(٢) لم يذكر اسم الشاعر ، والثاني في شعر أبي السباعية ٥٧٩ ، وبلا عزو في التمثيل والمحاضرة ٣٦٢
ونبه : ما طار طير ، وشرح نهج البلاغة ١٩/٢٨٧ .

(٣) شعره : ١١٧ وفيه : بكيت له .

(٤) مصححي ، ص ٢٢٢ . (طبقات ابن سعد ٢/ ١٥٠ ، أسد الغابة ٣/ ٢٨١)

(٥) الرسالة الحاشية ٢٦٠

(٦) الرسالة الحاشية ٢٦٠ .

وهو من قول علي عليه السلام ، وقد سُئِلَ : في كم يعرف المرء أخاه ؟ فقال : (إِنْ نَطَقَ فَلَوْقَتِهِ وَإِنْ سَكَتَ فَلْيَوْمِهِ) . وهذا كافٍ في التمثيل .

(٣١٩) قول في الموارد^(١) :

لما كانت ألفاظ المعاني محصورة متناهية ، وغرائز المطبوعين في مراقبة المعاني متكافية ، وقع الاشتباه في كلامهم والاتفاق في معانيهم . وقُلَّ من يلم من ذلك ولو تحفظ بغاية اجتهاده ووقف على التلخيص نهاية انتقاده ، ومن ها هنا حسنت الموارد وهي : تطابق الخواطر على المعنى الواحد واللفظ المتوافق من غير سرق . إلا أنَّ السابق إلى المعنى أولى به من اللاحق ، والشبهة مرفوعة عن المبتدع ومتوجهة على المتبع .

وحكى الأصمعي قال : قلت لأبي عمرو بن العلاء : الشاعران يتفقان على المعنى الواحد واللفظ الواحد ، وما التقى أحدهما مع الآخر ولا تجاوزا بلو ، فكيف ذاك ؟ فقال : عقولُ رجالٍ توافت على التشتات^(٢) .

وقرأت لأبي منصور الثعالبي^(٣) فصلاً في الموارد يلين ذكره بهذا الموضع ، وهو قوله : (وقد كان اتفق لي في أيام الصبا معنى بديع لم أقدر أني مُبِقْتُ إليه ، ولا شورك فيه^(٤)) ، وهو قلبي في آيات^(٥) :

| | |
|------------------------|--------------------------------|
| قلبي وَجَدَ مُشْتَعِلٌ | على الهموم مُشْتَعِلٌ |
| فد البستي في الهوى | ملاي الصَّبَّ العَزَلُ |
| إِسْنَانَةً فَتَانَةً | بَذَرُ الدَّجَى مِنْهَا خَجَلٌ |
| إِذَا رَنَتْ عيني بها | فبالدموع تغتسل |

(١) ينظر : البديع في نقد الشعر ٢١٧ ، تحرير التحرير ٤٠٠ ، نضرة الإغريض ٢١٨ .

(٢) المصداق ٢٨٩/٢ .

(٣) بنية الشعر ٣/٣٩٨ . وينظر : شعر الثعالبي ١٨٢ (الموردع ١٦٦) .

(٤) في البنية : ولا ظننت أني شورك فيه .

(٥) في البنية : وهو قلبي في أغر هذه الآيات الأربعة .

(٣٢٠) فَأُنشِدْتُ لَابِنِ هَنْدُو^(١) :

يَقُولُونَ لِي مَا بَالُ عَيْنِكَ مُدَّ رَأَتْ
فَقُلْتُ زَنْتُ عَيْنِي بِطَلْعَةِ وَجْهِهِ
مَحَاسِنَ هَذَا الظَّنِّي أَذْمَعُهَا مُطْلُ
وَكَانَ لَهَا مِنْ صَوْبِ أَذْمُعِهَا غَسْلُ
نَصَعَ عِنْدِي تَشَارُكُ الْخَوَاطِرِ وَتَوَارُكُهَا فِي الْمَعْنَى ، إِذْ لَا مَجَالَ لِلظَّنِّ فِي
سِرْقَةِ أَحَدِنَا مِنَ الْآخَرِ^(٢) .

وَأَنَا أَقُولُ : إِنَّ الْخَاطِرِينَ وَإِنْ كَانَا قَدْ تَوَافَا إِلَى هَذَا الْمَعْنَى ، فَإِنَّ لَهَا
الطَّبِيبَ^(٣) قَدْ طَرَقَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ فِي الْحَقِّ :

وَزَانِمْتِي كَأَنْ بِهَا حَيَاءٌ فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَبَلْتَنِي كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامٍ
وهذا يدخل في أبواب السرقات ، وفي باب نُقْلِ الْمَعْنَى مِنْ وَجْهِ إِلَى وَجْهِ .
ومن المواردة قول امرئ القيس^(٤) :

عَيْنَاكَ ذَمُّهُمَا سِجَالٌ كَانَ شَأْنُهُمَا أَوْشَالٌ
أَوْ جَذُولٌ فِي ظِلَالٍ نَخْلٍ لِلْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ مَجَالٌ
وقول عبيد^(٥) :

عَيْنَاكَ ذَمُّهُمَا سَرُوبٌ كَانَ شَأْنُهُمَا شَرِيبٌ
أَوْ جَذُولٌ فِي ظِلَالٍ نَخْلٍ لِلْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ قَرِيبٌ
ومنها قول امرئ القيس^(٦) يصف الفرس : (٣٢١)

(١) أبو الفرج بن هندو ، من أصحاب المصاحب بن عباد .

(٢) بنية الدهر ٢/ ٣٩٧

(٣) التبيان في شرح الديوان ٤/ ١٤٦ .

(٤) ديوانه ١٨٩ .

(٥) ديوانه ١٢ ، ورداية الثاني : سكوب بدل قسيب .

(٦) ديوانه ١٨ ، وفيه : وسط ريررب .

لَهُ أَذْنَانِ يَسْمَعُ الْغَيْثَ فِيهِمَا كَمَا يَمَسُّ مَذْعُورُهُ أَمْ زَنْزَبِ
وقول طرفة^(١) يصف الناقة :

لَهَا أَذْنَانِ يَسْمَعُ الْغَيْثَ فِيهِمَا كَمَا يَمَسُّ مَذْعُورُهُ أَمْ فَرْقِدِ
ومن الموارد : الاشتراك في اللفظ وليس بسرق ، وإنما هو توارد في
الفاظ محصورة يسوق المعنى إليها .

ومنه قول الغنوي :

أَلَا قَدْ أَرَى ، وَالله ، أَنَّ لَسْتُ مِنْكُمْ وَأَنْ لَسْتُمْ مِنِّي وَإِنْ كَتَمْتُ أَغْلِي
وقول الآخر :

أَلَا قَدْ أَرَى ، وَالله ، أَنِّي مَيِّتٌ وَنَحْلٌ مُقِيمٌ سِدْرَهَا وَيِبَالُهَا
ومنه قول عترة^(٢) :

أَلَا قَاتِلَ اللهِ الظُّلُمُونَ الْبُؤَالِيَا وَقَاتِلَ ذِكْرَكَ السَّيِّئَ الْخَوَالِيَا
وقول جميل^(٣) :

أَلَا قَاتِلَ اللهِ النَّوَى كَيْفَ أَصْبَحْتَ أَلَحَّ عَلَيْهَا مَا يَبِينُ ضَرِيرُهَا
وأمثال هذا كثيرة .

ومن الموارد : ما يشبه المأخوذ وليس بمأخوذ ، وإنما هو شركة مع
إشباع المعنى .

ومن ذلك (٣٢٢) قول امرئ القيس^(٤) :

إِنَّمَا وَلَاتُهُمْ وَمَا بَيْنَنَا كَمَوْضِعِ الزُّورِ مِنَ الْكَاهِلِ

(١) ديوانه ٢٣ وروايته : طحوران عوار القلبي فتراهما ككحولتي . . .

(٢) ديوانه ٢٢١

(٣) أنحل به ديوانه .

(٤) أنحل به ديوانه .

وقول الحارث بن جلزة^(١) :

وبيتُ سُراحيْلَ فسي وائِبلو مكانَ النُريِّما من الأتْجُمِ

وقول سُحَيْمِ بن وَثيل^(٢) :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي من جِنْيَرِي مكانَ اللَّبثِ من وسطِ العَريِنِ

وقول معقل بن مَجْمَعِ الأَسَدِي :

ولو أَنِّي أَشَاءُ لَكُنْتُ مِنْهُ مكانَ الفَرْقَدَيْنِ من النُجُومِ

وقول أبي الكِنودِ الخَزَاعِي :

أرادوا أَنِّي نَزُولٌ لَهُم فَكُنَّا مكانَ يَدِ التَّديَمِ مِن التَّوَيْمِ

وقول عُتْبَةَ بنِ الوَغَلِ^(٣) في كُتُبِ بنِ جُعَيْلِ :

وَسُئِلْتُ كَتِباً بِشَرِّ العِظَامِ وَكَانَ أَبُوكَ يُسَمَّى الجُعَلِ

وإنْ مَكَانُكَ من وائِبلو مكانَ الفُرَادِ من امْنَتِ الجَمَلِ

واستقصاء ما يجري هذا المجرى يُخرج الكتاب عن حده ، وفيما أوردناه

كفاية وإفناءً لَمَنِ استدلَّ بالسَّير على الكثير .

ونحنُ وإنْ كُنَّا قد سلَّمنا فضيلة السَّبقِ للسَّابقين ، فلَسنا نغضُّ من

اللاحقين . وكيفَ ذلكَ وهم نجومُ الأرضِ وحليُّ الدهرِ والدينِ ، خَصَلَتْ لَهُم

رَبَّةُ التَّوَسُّطِ والاعتدالِ في العبارة ، واختصَّوا بطبقِ الألفاظِ الشريفةِ على

المعاني اللطيفة ، وسَلَّمَتْ لَهُم صور الصَّيغِ الوهميةِ بعد إقرارها من موادِّها

(٣٢٣) التي أَقِيمَتْ فيها حتَّى اقتتلروا على نَحْلَتِها بالحليِّ النَّاصِمةِ وجلائِها في

الحُلُلِ البارةِ .

(١) ديوانه ٢٢ .

(٢) الأَصمعيّات ١٨ ومصدره فيها : وإنْ مكاناً من حميري .

(٣) غرقة الأدب ٨٩ . ونسباً إلى الأخطل في ديوانه ٣٣٥ وطبقات شعراء ٤٦٢ - ٤٦٣ .

ولأننا عظمت أمرَ الأولين لأنهم المنيعُ الذي تُمتاخ حميته ، والمفرسُ
الذي تُجتنى ثمرته ، ولتقدّمهم في الزمان وسبقهم إلى قرح أبواب البيان ،
وافتناس عُدّ المعاني ، وحاجة المتأخرين إلى الاستملاء عنهم والاعتباس
منهم .

فليعرف مَنْ يقفُ على كتابنا هذا من أهل الصناعة اليراعية لكلِّ قوم مرئيتهم
التي رتبهم الحقُّ بها ، وليتذكّر ما أودعناه هذا الباب ويعمل عليه ، إذا أحبَّ أن
يستنّ مستنهم ، ويقتفي أثرهم ، إن شاء الله تعالى .



الباب السابع

في أوضاع الخطّ وقوانينه وترتيب الصدور والعنوانات والأدعية
والتواريخ والختم
قول في الخطّ وأحكامه

قد مضى فيما تقدّم من القول أنّ الخطّ واللفظ يتقاسمان فضيلة البيان ويشتركان فيها ، إذ الخطّ دالٌّ على الألفاظ ، والألفاظ دالّة على الأوهام . ولاشراكهما في هذه الفضيلة وقع التناسب بينهما في كثير من أحوالهما ، وذلك أنّ الخطّ واللفظ يعبران عن المعاني ، إلّا أنّ اللفظ معنى متحرك والخط معنى ساكن وهو وإن كان ساكناً يفعل فعل المتحرّك بإيصاله ما يتضمّن إلى الألفهام ، وهو مستمرّ في حيزه ومكانه . واللفظ فيه العذب والرشيح السائغ في الأسماع . (٣٢٤) والخطّ فيه الرائق المستحسن الأشكال والصور .

واللفظ فيه الجزل الفصيح ، وهو الذي يستعمله مصارع الخطباء ومفالق الشعراء ، ومنه المبتذل السخيف الذي يستعمله العوامّ في المكاتبة والمخاطبة . والخطّ فيه المحرّر المحقّق الذي تُكتب به الكتب السلطانية والأمور المهمة ، وفيه المطلق المرسل الذي يتكاتب فيه الناس ويستعملونه فيما بينهم .

واللفظ يقع فيه لحن الإعراب الذي يتخوّن رونقه . والخطّ يقع فيه خطأ الهجاء الذي يهجنه ويقبحه ، لأنّ حكم اللحن في اللفظ حكم خطأ الهجاء في الخطّ .

واللفظ إذا كان مقبولاً حلواً رفع المعنى الخسيس وقوّبه من النفوس ، وإذا كان عيّاً مستكرهاً وضع المعنى الرفيع وتكلّفه من القلوب . والخطّ إذا كان جيداً حسناً بعث الإنسان على قراءة ما أودع فيه وإن كان قليل الفائدة ، وإذا كان

ربكاً قبيحاً صرفه عن تأمل ما تضمنته وإن كان جليل الفائدة .

ولما اشترك اللفظ والخط في القوائد العامة التي جعلت فيهما وقع الاشتراك أيضاً بين آتئيهما ، وذلك أنَّ آلة اللفظ اللسان ، وآلة الخط القلم ، وكلٌّ منهما يفعل فعل الأخرى في الإبانة عن المعاني ، إلا أنَّ اللفظ لما كان دليلاً طبيعياً جعلت آله آلة طبيعية ، والخط لما كان دليلاً صناعياً جعلت آله صناعية .

ولما تقاسمت الألتان الدلالة أيضاً ونابت إحداها مناب الأخرى أوقموا اسم اللسان على القلم وشركوا بينهما فيه ، فقال (٣٢٥) بعضهم : (القلم أحد اللسانين) ، وقال الآخر : (القلم أنطقُ اللسانين) ، وقالوا : (الأقلام ألسنة الأنعام) ، وقالوا : (بلاغةُ اللسانِ وبلاغةُ القلم) ، و(فلان بليغ اللسان) و(فلان بليغ القلم) .

ولما كان في هذه الرتبة من مقاسمة اللفظ البيان الذي امتن الله تعالى بتعليمه على الإنسان وجب على الكاتب أن يعتني بأمر الخط ويراعي من تجويده وتصحيحه ما يراعيه من تهذيب اللفظ وتنقيحه ليدلَّ في سرعة وسهولة كما يدلُّ اللفظ البليغ البين ، لأنَّ الخط وإن كان على الإطلاق في المنزلة التي ذكرناها من الشرف ، فإنَّما تحصلُ فضائله التي عدناها للجيد منه ، كما أنَّ المنطق وإن كان من الشرف بحيث وصفنا فإنَّما تحصل فضائله التامة لمنطق البليغ الألسن دون منطق العمي الألكن ، وكذلك سائر الصنائع الفاضلة على الإطلاق إنما يحصل فضلها للمستقل بها الماهر فيها دون الرئض المبتدىء .

فينبغي للكاتب أن لا يقَدِّم على تهذيب خطه وتحريره شيئاً من آدابه ، فإن جودة الخط أول الأدوات التي ينتظمه بحصولها له اسم الكتابة ويحكم عليه إذا حازها بأنه من أهلها . وقد دخل بحسن الخط في الصناعة مَنْ إذا فحص عن مقدار معرفته وجب أن يترَّه عن نُسبه إليها .

والطريق إلى تحمين الخط يكون بثلاثة أشياء :

أولها : تصحيح أشكال الحروف .

والثاني : ترتيبها .

والثالث : تصحيح الهجاء .

فأما تشكيل الحروف فهو الأصل^(١) في أدب الخط ، لأن الخط إنما يُسمى جيداً إذا حُسنت أشكال حروفه وَزِدِيّاً إذا قُبِحت .

وَحُسْنُ صور حروف الخط (٣٢٦) في العين شبيهٌ بحسن مخارج اللفظ العذب في السمع .

وأشكال الحروف تنقسم في الأصل إلى الجليل والدقيق ، والجليل ما يقع في الكتب السلطانية ونحوها ، والدقيق ما يقع في الكتب المشتركة .

ويتفرع من هذين الأصلين أقلام عدة ذكرنا كثيراً منها في كتابنا الذي نعتناه به (آلة الكتاب) .

والوجه في تصحيح حروف الهجاء أن يُبدأ أولاً بتقويمها مفردةً مبسطةً لتصح صورة كل حرف منها على حياها ثم يؤخذ في تقويمها مجموعة مركبة ، وأن يُبدأ من المركب بالثنائي ثم بالثلاثي ثم بالرباعي ثم بالخماسي ، فإن هذه هي أمثلة الأسماء والحروف الأصلية ، وأن يُعتمد في التمثيل على توقيف القهّرة في الخطوط العارفين بأوضاعها ورسومها واستعمال آلاتها ، فإن لكل خط من الخطوط قلماً من الأقلام المختلفة نظير آلات الصنائع المختلفة التي يصنع الصانع بكل آلة منها جزءاً ما من صناعته لا يصنع به غيره ، ولا يعول على حكاية خط من الخطوط والضرب عليه ، فإن ذلك غير مجزٍ ، لأن هذا لو كان كافياً لاستغنى في تعلّم جميع الصنائع عن يوقفه عليها ويدلّه على الطريق

(١) في الأصل : وهو الأصلي

المقاصد إليها .

على أن كثيراً من أصحاب الخطوط المطلقة قد كتبوا طبعاً ولم يرجعوا إلى التوقيف على طريقة من طرائق المجددين ، إلا أن الأفضل أن يُبنى الخطّ على أصل يكون أساساً له ، فإن مَنْ وصفنا حاله من أرباب الخطوط المرسلّة إنما تحسن خطوطهم إذا نُظرت (٣٢٧) مجملّة ، فإذا وُصلت انكشفت فساد كثير من حروفها .

وأما ترتيب الحروف فإنّه ينقسم إلى ستة أقسام :

أولها : تأسيس الخطّ على الوضع المصطلح عليه ، وذلك أنهم قسموا الخطّ إلى نوعين ، وهما : المحقّق والمطلق .

فأما المحقّق فهو ما صحت أشكال حروفه على اعتبارها مفردة ، وهو أفضل من المطلق ، وهذا لا يستعمل إلا في الأمور الجسيمة ككتب المعهود ، والإسجلات ، والتعليكات التي تبقى على الأعقاب ، والمكاتبات الصادرة عن الملوك إلى الملوك الدالة على قدر الكاتب والمكاتب .

وأما المطلق فهو الذي تداخلت حروفه ، واتصل بعضها ببعض وهو خطّ وُلد من المحقّق ، واستعمل في تنفيذ ما لا يمكن تأخيرها من المكاتبات المهمة والأمور العامة . وهو أرشئ وأحسن منظراً ما دام مُجملاً ، فإنّ فُصِّل حروفه ووقعت المقايسة بينها وبين حروف المحقّق وُجد بينهما تفاضل كثير حسبما ذكرناه فيما تقدّم .

وثانيها : وضع كلّ قسم من قسمي الخطّ في موضعه الذي أشرنا إليه ، لأن استعمال أحدهما في موضع الآخر خارج عن الأمر الممتد .

وثالثها : لزوم الطريقة في كلّ واحد من الخطين وأن لا يخلط حروف واحد منهما بحروف الآخر .

ورابعها : تمييز الفصول المشتمل كلّ فصل منها على نوع من الكلام عتاً

تقدّمه وما يتلوه ليعرف مبادئ الكلام ومقاطعه فإن الكلام ينقسم فصولاً طويلاً وقصاراً ، فالطويل كقسم القرآن إلى سور ، ومثنور الترسل (٣٢٨) إلى رسائله ، ومنظوم الشاعر إلى قصائده ، وهذه الأقسام لا تشكل محتاج إلى تميّز . والقصائر كاتقسام السورة إلى الآيات ، والرسالة إلى الفصول ، والقصيدة إلى الآيات ، وهذه قد تشكل فينبغي أن تميّز الفصول القصار تمييزاً يؤمن معه من التخليط ، فإن ترتيب الخطّ يفيد ما يفيد ترتيب اللفظ ، وذلك أنّ اللفظ إذا كان مرتباً يخلّص بعض المعاني من بعض ، وإذا كان مختلطاً أشكلت معانيه وتعذر على مسامعه إدراك محصولة . وكذلك الخطّ فإنه إذا كان مميّز الفصول وصل معنى كلّ فصل منه إلى النفس على صورته وإذا كان متصلاً دعا إلى مراجعة تأمله راجعاً إلى الفكر في تخليص أغراضه .

وشروط الفصول أن تكون تامة قائمة بأنفسها لا يعطف عليها شيء من غيرها . ولهذا لا تقع حروف العطف في أوائلها . وقد يغلط الكاتب فيقول بعد تمام الفصل : وأعلمته ذلك ، وهو خطأ ، لأنه إن كان فصلاً وجب أن تحذف الواو فيقول أعلمته ذلك ، وإن كان عطفاً وجب التمييز في الفصل بفرجة يسيرة لأنه إذا كان الكلام في شيء يتبدى بالإختبار عنه أتى بما يختمه وشغفه بفصل الختم فقال : أعلمته ذلك ، ليكون ابتداء بخير لا عطفاً ، فقد تعرض في نفس الفصل القصير ما يحتاج إلى التمييز أيضاً ، كالجملات والتفصيل والشرط والجزاء والمقدمة والجواب ، وليست هذه بفصول لأنها لا تشتمل على نوع تام من الكلام قائم بنفسه (٣٢٩) منفصل مما يتلوه ويجب أن يفصل به بين هذه الأشياء وما يناسبها إذا وقعت في اللفظ بدون ما يفصل به بين الفصول التامة ليكون ذلك دالاً عليها . وينبغي ألا يذكر الجملة في آخر السطر والتفصيل في أول السطر الذي يتلوه ، فإنه تليس لاتصال الكلام ، ولا أن يجعل في أول السطر بياضاً فيقبح بخروجه عن تسبب السطور ، ولا أن يفسح بين السطر وما بعده فسحاً زائداً عفاً بين كلّ سطرين لقبحه أيضاً ، ولكن يراعى ذلك من أول السطر

مقدراً^(١) الخط بالجمع والشق حتى يتخلص من هذا العيب .

وخامسها : حسن التدبير في قطع الكلام ووضله في أواخر السطور وأوائلها ، لأن السطور في المنظر كالفصول ، فإذا قطع السطر على شيء يتعلق بما بعده كان قبيحاً ، كتكتب بعض حروف الكلمة في آخر السطر وبعضها في أول السطر الثاني ، مثل : كتاب وركاب وكلام وسلام وعصفور ومسرور ، فإنهم ربما فرقوا بين الحروف المنفصلة والحروف المتصلة منها غذا ضاقت عنها أواخر السطور فأثبتوا الحروف المتصلة من الكلمة في آخر السطر والمنفصل في أول السطر الذي يليه ، مثل أن يكتب (مسرور) في آخر السطر ولا يسمعه الموضع فيكتب الميم والسين والراء في آخر السطر ويكتب الواو والراء في أول السطر الذي يتلوه ، وهو قبيح جداً ، لأنه لا يجوز فصل الاسم عن بعضه ، وأكثر ما يوجد ذلك في مصاحف العامة وخطوط الوراقين .

وقد يفصل الكتاب بين الكلمة التامة وصلتها ، كقولهم : (وصل كتابك) و(أيدك الله) و(ورد رسولك) ، والأحسن تجنبه إذا أمكن ، (٢٣٠) فإن لم يكن فيجتنب القبيح منه وهو : الفصل بين المضاف والمضاف إليه كعبد الله وعبد السلام وغلّام زيد وغير ذلك ، لأن المضاف والمضاف إليه بمنزلة ذلك الواحد . والفصل بين الاسم وبين ما يتلوه في النسب ، كقولك : زيد بن محمد ، لأنه لا يجوز أن يفصل بين الاسم والمنسوب إليه كما لا يجوز أن يفصل بين المضاف والمضاف إليه ، فإن اضطر لضيق الموضع فيقطع على الابن ويجعله في حيز الاسم الأول ويبتدىء في السطر الذي يتلوه بالاسم المنسوب إليه ، فإن كان المراد بلفظ الابن تثبيت البتة ، كقولك : كان لزيد ابنٌ ، جاز قطع الابن مما تقدم . والفصل بين كل اسمين جُمِعَا اسماً واحداً ، مثل : حضرموت وثابت شراً وذو رعين وذو يزن وأحد عشر .

(١) في الأصل : مقدار .

وسادسها : ترتيب المذات التي تقع بين حروف الكلمة الواحدة ، على أن كثيراً من المحررين يكرهون المثنى لإفساده خط المبتدي ودلالته على تهاون المتبهي ، وكذلك كرهوا كتابة البسطة بغير سين مبيّنة إذ صارت مئة وعراً .

وهذه المذات تستعمل لأمرين :

أحدهما : أنها تحسن الخط وتضخمه في مكان كما يحسن مد الصوت اللفظ ويفخمه في مكان .

والآخر : أنها ربما وقعت في الحرف لتتسم السطر إذا فضل منه ما لا يتسع لحرف آخر ، لأن السطر ربما ضاق عن كلمتين وفضل عن كلمة فتعد التي وقعت في آخر السطر لتقع الأخرى في أول السطر الذي يليه .

ويجب للكاتب أن يعرف أحكامها لئلا يوقعها في غير المواضع اللاتقة بها فيشبه الحرف بغيره ويضد المعنى ، مثل أن يوقع المد (٣٣١) في (متعلم) بين الميم والتاء فتشبه بـ (مستعلم) أو في (متسلم) فتشبه بـ (مستسلم) . وبالعجالة فلا تخلو الكلمة الأصلية ، سواء كانت اسماً أو فعلاً أو حرفاً ، من أن تكون ثنائية (أو ثلاثية) أو رباعية أو خماسية .

فالثنائية ثلاثة أضرب : أسماء مضاعفة وأفعال وحروف . فالأسماء نحو : برّ وضرّ وسرّ وشرّ وطلّ وظلّ وحلّ وقلّ . والأفعال نحو : قلّ وكلّ وعذّ وقمّ ونمّ ويزّ ، وجميع هذه لا يحسن المدّ في شيء منها إلا في سرّ وشرّ ، لأنّ السين والشين وإن كان كل منهما حرفاً فإنه في صورة ثلاثة أحرف ، وقد يحسن مدّ ظلّ وظلّ في بعض المواضع . والحروف نحو : هلّ وبلّ وقطّ ومدّ وعنّ ولووم ومنّ وما ، وهذه لا يحسن المدّ في شيء منها .

وأما الثلاثية فالمدّ فيها على الأكثر قبيح ، لأنها لا تنقسم قسمين متساويين ، ومنها ما يتسمح في مدّه للضرورة ، وذلك إذا وقع في آخر سطر يحتاج إلى التنسيم ، نحو : بيع وقطع ، وينبغي أن يقدّم الحرفان الأولان

وتوقع المدة بينهما وبين الثالث . وأما الذي لا يحتمل المدّ البتة فنحو : عسى
ومنى وفنى وما أشبههما .

وأما الرباعية فإنها لانقسامها قسمين متساويين يحسن فيها المدّ ، نحو :
محمد وجعفر . ولا يجوز أن يُقدّم فيها ثلاثة أحرف وتوقع المدة بينها وبين
الحرف الرابع ، ولا بالعكس ، بل يُوقع المدّ بين الحرفين الأولين والحرفين
الأخيرين ، على أن منهما ما لا يحسن المدّ فيه نحو : تغلب ومطلب وجيب
وقمبر .

وأما الخماسية فإن المدّ فيها لا يحسن أبصاً كما لا يحسن في الثلاثية ،
لأنها لا تنقسم قسمين (٣٣٢) متساويين ، فإن وقعت ضرورة إلى إيقاع المدّ
فيها فإنّ الأحسن أن يُقدّم حرفان ويُوقع المدّ بينهما وبين الثلاثة الأحرف
الأخرى ، نحو : مشتمل ومستقل ومسيطر^(١) ومهيمن .

ويقبح المدّ فيما جاء من الأسماء والأفعال والحروف موصولاً بمضمر ،
نحو : كتابه وثوبه وكتبته وعلمته وفيه ومنه وإليه ، وذلك إذا وقعت المدة بين
تمام العلة^(٢) والصلة .

ومشق السين يحسن المخطّ في بعض المواضع ، ويقبح إذا وقعت طرفاً
نحو مشق السين في الناس والحواس ، وأقبح من هذا مشقها إذا كانت موصولة
بحرف واحد يتقدمها ، نحو : بانس وعابس وحابس وناعس .

وغذا توالست سينان أو سين وشين فالأحسن أن يفصل بينهما بمدّة لطيفة ،
نحو : زَشَشْتُ وَعَشَشْتُ وَمَسَسْتُ ، وأنّ تمشق إحداهما وتحقق الأخرى في
المخطّ المطلق .

ويقبح أن تُكتب ياءان معطوفتان متقاربتان في سطر واحد ، وأنّ تمشق

(١) في الأصل : مسطر .

(٢) كذا في الأصل .

الكاف إذا وقعت في آخر الكلمة ، نحو : منك وعنك وعليك .
 وإذا توالفت في (الكلمة) ثلاثة أحرف من الياء والتاء والياء والنون فيجب أن
 يرفع الأوسط منها ثلثا يتصحف بالسين أو بالشين .
 وإذا اقترن منهما حرفان في الكلمة وبعدهما زاي أو راء أو سين أو شين
 رفع الثاني منهما ، نحو : يثر ويش .

فإن وليهما غير هذه الحروف سوى بين الأول والثاني ، نحو : ينح ويتلو
 ويبدأ ويضاء ، وكذلك يرفع الثاني منهما إذا وليتهما هذه الحروف وهما في
 خلال الكلمة وقد تقدمهما أي حرف كان مما يوصل بهما نحو : عترة
 وعتبة ، ويسوى بينهما إذا وليهما غير هذه الحروف وهما في خلال الكلمة
 وقد تقدمتهما (٢٣٢) أي حرف كان ، نحو : عتية وطيبة وصنيع ومنيع .

ومن الرسم المستحسن أنواع المد في أسماء العظماء إذا احتملت ذلك
 لتقع العين عليها من غير طلب ولا تتبع تخفيفاً لأقدارهم ولا سيما في
 العنوانات ، وهذا مما يتناسب فيه الخط واللفظ .

وأما تصحيح الهجاء فأمر لازم علمه ، وينبغي للكاتب أن يعرف أصوله
 والاصطلاح الجائز فيه ليعمل عليه فإن العدول عنه مستثقل ، والاصطلاح
 المحدث الغير جائز^(١) ليجتنبه فإن العمل به مستقبح .

وليس حكم خطأ الهجاء كالحكم في إفساد ترتيب الخط ، لأن الخط إذا
 استحال ترتيبه فلأنما تسقط رتبته حسب ، وهو نظير ما يقع في اللفظ من سوء
 منطق المتكلم وخشونة مخارج ألفاظه ، والخلل الواقع في الهجاء فلأنما هو
 لحن الخط المشابه للحن اللفظ .

ولو رُتب الهجاء في الخط على الأمر الطبيعي دون الاصطلاحي لوجب أن

(١) كذا ، والصواب : غير الجائز .

يكتب بحروف على حكم الصوت الواقع في السمع ، وذلك أن لكل حرف مخرجاً من المخارج مخصوص به ، ولذلك الحرف رسم من رسوم الهجاء ، فلو رء الأمر في حروف الهجاء إلى اتباع ما يقع في السمع لسهل ، لكنهم اصطالحوا على كتب الصلاة والحياة والزكاة بالواو وزادوا في (عَمُرُو) واواً^(١) ، ونحو ذلك مما يخرج عما يوجب السمع في الحروف ولنا نحتاج أن نذكر أحكام الهجاء والمصطلح عليه لأنها موجودة في مقانها ، وقد استوفينا القول عليها أيضاً في كتابنا الموسوم له بـ (آلة الكتاب) .

وفي العربية حروف متشابهة داعية إلى (٣٣٤) تصحيف الخط وإشكاله ، ولأجلها احتيج إلى إعجامه ، وفيه حركات أخل واضعها بوضع صور لها فاغتنى منها بالشكل الذي هو علامات الرفع والنصب والخفض .

والبصريون يرون أن واضح الخط العربي أغفل صورة الهمزة ، وقد كان يجب أن يؤتى بها وهي تقع في موضع الضمير ، فجعلها الكوفيون واواً ، وفي موضع يجعلونها ألفاً ، وفي موضع الرفع واواً ، وفي موضع الخفض ياء ، مثل : هذا جزؤ ، ورأيث جزءاً ، ومررت بجزى .

والبصريون ينكرون إثباتها في مثل هذه المواضع ، ويستقبحون أن يكون لحرف واحد ثلاث صور فيسقطونها ويثبتون شكله الهمزة وحدها في الأماكن الثلاثة ويعبرونها بما يقتضيه موضعها .

فهذا ما يجب أن يعرفه الكاتب في تحسين الخط وتصحيحه وتحقيق حروف هجائه . وتتبعه آداب أخر ، منها ما يدل على مهارة الكاتب وتبريزه في صناعة الخطيط ، ومنها ما يزيد في حسن الخط ورويقه .

فأما التي تدل على مهارة الكاتب فسرعة اليد في التشكيل والتصوير مع مراعاة التحقيق والتحري ، حتى يكون إذا كتب كأنه يمسح عرض القراطيس

(١) في الأصل : بالواو .

مَسْحاً وبمِذ السطر مدّاً ، ومجانبة عادة الوراقين والمصورّين في الإبطاء والاستزادة فإن سرعة اليد في الخط من أفضل صفات الخطاطين ، كما أنّ دلاقة المنطق بالمعبرة من أفضل صفات البلغاء . ولذلك قال بعضهم وقد سئل : ما البلاغة ؟ فقال : أن تقول فلا تُخطئ . ونسرع فلا نبطئ .

ومن المطّرد في سائر الصناعات أنّ الصنّيع (٣٣٥) الماهر هو السريع في عمله وأنّ العاجز المُقَصّر هو الأخرق البطيء .

وأما ما يزيد في حسن الخطّ فالمقارنة بين حروفه والمباعدة بين سطورمه مع صحتها واستقامتها ، فإن يسير الميل الداخل عليها يُتَجح الخطّ ويكشف نوره ولا سيما خطوط النسخ ، إلا أنّ الكتاب قد وقع بينهم اصطلاح حادث على رفع أواخر السطور عن أوائلها . والرسم الآخر الأفضل أن تعتدل سطور الخط وتتناسق تناسق أهراس النخل والشجر والبناء . فعلى هذا كانت العادة جارية في ترتيب الخطوط القديمة .

والفضل الخط المسطر ذكره الله تعالى في كتابه فقال : ﴿ وَالطُّورِ ۚ وَكَتَبَ سَطُورِ ۚ فِي رَفْءٍ مُّشْهُورٍ ۚ ۞ ﴾^(١) . وقال : ﴿ رَبِّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُ ۚ ۞ ﴾^(٢) .

وفيما أوردناه من معرفة أحكام الخطّ ورسومه كفاية وبلاغ ونحن لذلك نعتّده إلى ما سواه بمعونة الله .

قول في ترتيب الصدور :

المكانية العامة على ثلاثة أضرب :

من رئيس إلى رؤوس ، ومن نظير إلى نظير ، ومن رؤوس إلى رئيس .
فالرؤساء : الخلفاء وولاة المهود والوزراء . فإن كانت المُكَاتبة من

(١) الطور ١ - ٣

(٢) القلم ١ .

الخليفة فينبغي للكاتب أن يفصل من الدرج قدر ذراع ، ثم يستفتح به (بسم الله الرحمن الرحيم) في سطر أول ، لأنها أول ما يجب أن يفتح به . وأول من افتتح بها رسول الله ﷺ ، وكان يستفتح به : باسمك اللهم ، إلى أن نزل ﴿يُسَبِّحُ اللَّهَ بِحَمْدِهِ وَتُسَبِّحُهُ﴾^(١) فاستفتح بسم الله ، إلى أن نزل : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ لِمَ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾^(٢) ، فاستفتح باسم الله الرحمن إلى أن نزلت : ﴿إِنَّكُمْ مِنْ شَلَيْكَيْنِ وَأَنْتُمْ ۚ﴾ (٣٣٦) ﴿يُسَبِّحُ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾^(٣) . ثم يكتب في سطر ثانٍ يلاصقها ويخرج عنها يسيراً : (من عبد الله ووليه فلان أبي فلان) . وقد رأى قوم تقديم الكنية على الاسم ، والمعمول عليه اليوم ما ذكرناه . ويذكر نعمته : (أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان) . ويبدأ بذكر نعمته إن كان الإمام شرفه بنعت : (سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله الأئمة المهديين وسلم تسليماً) .

وكان التصدير انتهى إلى قوله : (إني أحمدك إليك الله الذي لا إله إلا هو) . فزاد فيه المأمون الصلاة على رسول الله ﷺ . فعمل يسته من بعده .

ولم يكن أحد من الخلفاء يكتب بنعته حتى افتتح ذلك الأمين محمد بن هارون ، فاقضى مَنْ تبعه أثره واستمروا على ما قرره ، فيكون هذا التصدير في سطرين يجعل بينهما فضاء قيس شبر ولا يزيده عن ذلك ولا ينقصه فيخرجه عن حده ، ثم يترك بعد هذين السطرين فضاء يضعف الذي بينهما ، ثم يقول : (أنا بُغْدُ) . وقيل^(٤) : إن أول مَنْ كتب بها سليمان بن داود ، عليهما السلام ، واستمر سنته فيها قس بن ساعدة الإيادي^(٥) . ويقصص المعاني معنٍ معنٍ ،

(١) مردود ٤١ .

(٢) الإسراء ١١٠ .

(٣) النمل ٣٠ . وينظر : الأوائل ١/١٤٠ .

(٤) ينظر : الزاهر ٢/٣٦٣ ، والأوائل ٨٥ .

(٥) من خطباء العرب وحكمتها قبل الإسلام . (المعمرون والوصايا ٨٧ ، الأغاني ٢٤٦/١٥) .

فإن كان أمراً لمز به الإمام قال بعد انقضاء الكلام : (أمر أمير المؤمنين بكذا وكذا) . ثم يقول بعد فصل أوسع من الفصل الأول : (فاعلم ذلك من أمر أمير المؤمنين ورسمه ، واعمل عليه بحسبه) . ويقول للمخاطبين من الطبقة العالية : (والسلام عليك ورحمة (٣٣٧) الله وبركاته) ، ويفرد بالسلام من دونها وقيل في أول الكتاب : سلام ، وفي آخره : السلام ، لأن الأول مبتدأ به وجاز مجرى النكرة ، والثاني مشاؤه به إلى الأول فصار شبيهاً بالمعرفة ، وقدّم السلام على الرحمة ، لأن السلام يتصرف على وجوه (١) :

منها : أنه اسم من أسماء الله تعالى .

ومنها : أنه الجنة في قوله سبحانه : ﴿لَكُمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (٢) ، وهو في هذا الموضع من السلام والسلامة .

وتقديم السلام الذي يكون في الدنيا أولى من تقديم الرحمة التي تكون في الآخرة .

وقد كانت العادة جارية أن يقال في آخر الكتب النافذة عن الإمام : (وكتب فلان بن فلان) باسم الوزير واسم أبيه . وقد بطل هذا الرسم في الدولة العلوية . ولا يكتب عن أحد بالتصدير إلا عن الإمام وولي عهده . وهذه المكاتبة عامة للناس جميعاً في الأمور السلطانية التي تُنشأ فيها الكتب من الدواوين .

ولا يخاطب أحد عن الخليفة إلا بالكاف ، وقد يُخاطب الإمام وزيره في المكاتبة الخاصة بما يرفعه فيه عن خطاب المكاتبة العامة الدنيوية ، ويُصرف في ذلك ويراد ويُفحص على حسب لطفة محل الوزير ومتركه من الفضل والجلالة .

وليست لهذه المكاتبة الخاصة حدود يُتنبهى إليها ولا قوانين يُعتمد عليها ، وطريقها من الرئيس إلى العرووس ، ومن العرووس إلى الرئيس مستقيمة معلومة .

(١) فنظر هذه الوجوه في : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ٣٤٢ .

(٢) الأنعام ١٢٧ .

وإن كانت المكاتب من الوزير إلى مَنْ دونه فإنها بغير تصدير ، إلا أن الخطاب يجب أن يبنى فيها على أقدار المخاطبين ومراتبهم في الدولة .

وأما مكاتبه النظراء فليست لهم رسوم محصلة ، ولا مثل محدّدة ، وإنما تكون على حسب الاختيار والخصوص والعموم (٣٣٨) في الحال ، وما يتقارضونه من المكارمة ويتقارضونه^(١) من المجاملة .

وأما مكاتبه المرؤوسين إلى الرؤساء فهي إما إلى الإمام أو وليّ عهده أو وزيره أو قائده أو قاضي أو صاحب ديوان أو عامل ، ومن يلحق بهذه الطبقة .

فإن كانت إلى الإمام فالرسم المعتاد في الدولة العلوية أن يُقال بعد البسلة : (أفضل صلوات الله وبركاته ، وأشرف رضوانه وتحياته على مولانا وسيدنا الإمام أمير المؤمنين ، وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين) ، إن كان للإمام أبناء ، فإن لم يكن له أبناء قيل مكان الأكرمين المنتظرين . ثم يُقال بعد قضاء واسع : (كتب عند الموقف النبوي خلّد الله ملكه من مقرّ خدمته بناحية كذا يوم كذا ، وأمور ما عذق به ورد إلى نظره منتظمة لسعادة مولانا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى جدّه ، والحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على سيدنا وعلى آله الطاهرين وسلّم تسليماً) ، ثم يُقال : (العبد ينهى كذا وكذا) ، ويُقبض الأغراض التي يُبني الكتاب على إنهاؤها وشرح حالها .

فإن كان الكتاب مبنياً على المطالعة ببعض الأخبار قيل في آخره بعد قضاء يسير : (أنهى العبد ذلك ليستقرّ علمه بالموقف الأشرف إن شاء الله) .

وإن كان مبنياً على الاستثمار في بعض الأحوال قيل في هذا الموضع : (ولمولانا أمير المؤمنين ، صلى الله عليه ، والرأي العالي في ذلك إن شاء الله) . وهذا ترتيب يعمل عليه الكبير والصغير في المكاتبات العامة والخاصة .

(١) أي يتناوبونه .

فأما المستعمل في الدولة العباسية فأُنْ يُقال : (لعبد الله فلان أبي فلان الكذا) بنعته (٢٣٩) أمير المؤمنين (بن فلان بن فلان) .

وإن كانت المكاتب إلى الوزير قيل في أول الكتاب : (كتب عند حضرة الوزارة السامية الأجلية ، أو خادمها أو صنيعها أو مملوكها) على حسب منازل المكاتبين ، ويذكر نعوته . ثم يُقال : (من مقر خدمته بموضع كذا يوم كذا ، والأحوال مقبلة بسعادة الدولة الزاهرة وتمّ نظر حضرة الوزارة السامية ، وحسن تدبيرها ، جارية على السداد ، منتظمة في سلك الاستقامة والاطراد ، والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم) .

ثم يأتي على الأغراض التي^(١) يتضمنها الكتاب ، ثم يختم بما يليق بالمعنى في فصول الختم .

فأما من ثلاث^(٢) الوزير من الرؤساء فإنهم ينزلون في المكاتبات على حسب أقدارهم .

قول في العنوان

العنوان كالعلامة ، وهو دالٌّ على مرتبة الكاتب من المكاتب فالأصل فيه الإخبار عن اسمي الكاتب والمكتوب إليه حتى لا يكون الكتاب مجهولاً .

وفيه لغات^(٣) : يُقال : عُنوان وعُلوان ، وَعُنُونٌ وَعُلُونٌ وَعُنَّتْ ، والجمع : عناوين وعلاوين . فالعنوان من عَرَّ إذا بدا ، والعُلوان من العلانية ، لأنه خطٌّ ظاهر على الكتاب . والنون واللام متعاقبان إحداهما مكان الأخرى ، ومثله كثير في كلام العرب .

(١) في الأصل : الذي .

(٢) في الأصل : ثلثي .

(٣) ينظر : أمب الكتاب ٥٧١ رسالة الخط والقلم ٢٩ وأدب الكتاب ١٢٣ وكتاب الكتاب ٩٨ والاضطراب ١٨٩/١ .

وكان الأصل أن يتدعى باسم الكاتب ، ثم يثنى باسم المكتوب إليه ، وهو الترتيب الذي تشهد به العقول ، لأن نفوذ الكتاب إلى المكتوب كشء الشيء وخروجه من ابتداء إلى نهاية ، فابتدأوه من الكاتب وانتهأوه إلى المكتوب إليه ، (٣٤٠) ولقطة (من) تتقدم لقطة (إلى) بالطبع ، لأن (من) حرف يُبنى على متناً الشيء و(إلى) حرف يخبر عن النهاية التي عندها قرار الشيء ، والابتداءات في الأشياء مثل النهايات . وعلى هذا كانت كتب رسول الله ﷺ ، ومن سلف من الأسم الماضية ، ثم عرض للناس رأي في تغيير هذا الرسم إلى غيره ، وهو أنهم فرقوا بين مرتبتي المتكاتبين من الرؤساء والعظماء والخدم والأتباع بتقديم اسم المكتوب إليه إذا قصدوا إعظامه وإجلاله ، وتأخير اسمه إذا أرادوا الإبانة عن إبطاع مرتبته عن مرتبة الكاتب إليه . ولحسن ما رأوه من هذا التدبير اتبعوا عليه وترك الأصل الأقدم وإن كان هو الصواب الصحيح . ولم يزل الناس يتكاتبون بأسمائهم إلى أن ولي عمر بن الخطاب تسمى بأمر المؤمنين^(١) وكتب : (من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) . ثم وقع الاصطلاح على مكاتبة الرؤساء والنظرء بالكنى ، والمرؤوسين والأتباع بالأسماء . ثم تغير هذا الرسم أيضاً .

وكان المأمون يكتب في أول عنوانات كتبه : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وهو أول من فعل ذلك^(٢) . واستمر العمل به بعده مديدة ثم بطل .

وأول من اكتنى من الخلفاء وجلل الخط وعظم الكتب وجود القراطيس الوليد بن عبد الملك ، وقال : لا أكتاب الناس بمثل ما يكتاب به بعضهم بعضاً . فجرت السنة بذلك إلا في أيام عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل^(٣) فإنهما عملاً بما كان الأمر جارياً عليه أولاً ، فلما ولي مروان بن محمد رد الأمر

(١) الأوائل ١/ ٢٢٢ .

(٢) الرسول الكريم ﷺ أول من فعل ذلك كما سلف .

(٣) يزيد بن عبد الملك بن مروان ، مت ١٠٥ هـ . (تاريخ الخلفاء ٢٤٦) .

إلى ما أحدثه الوليد .

والذي تُعَوِّدُ به الكتب عن الأئمة (٣٤١) العلويين ، عليهم السلام : (من عبد الله وولَّيه فلان أبي فلان الإمام الكذا أمير المؤمنين) ، وذلك في الجانب الأيمن من جهة الطنية . وفي الجانب الأيسر : (إلى فلان بن فلان) فإن كان المكاتب ممن ينعت ويكنى بدأ بنعته ثم بكنيته ثم باسمه واسم أبيه .

هذا هو الرسم الذي تُعَوِّدُ به الكتب النافذة إلى الطبقة العليا . فأما الطبقة السفلى فإنما تعنون الكتب النافذة إليها بأن يُقال في الجانب الأيسر : (إلى فلان بن فلان) .

فأما ما تُعَوِّدُ به كتب الوزير فبأن يُقال في الجانب الأيمن من جانبي الطنية : (الأمير فلان) . يبدأ بالإمارة ثم بالنعت إن كان مؤثراً متعوتاً . وكذلك المحكم فيمن يخاطب بالشيخ وبالقاضي في الجانب الأيسر من الوزير ، ويذكر نومه وكنيته واسمه . هذا إن كان المكتوب إليه من الأعاالي ، فإن كان المكتوب إليه من الأسفل قيل في الجانب الأيسر : (لفلان بن فلان) .

فأما ما يُعَوِّدُ به من دون إلى من فوق ، فإن كان الكتاب إلى الإمام قيل في الجانب الأيسر : (عبد مولانا وسيدنا الإمام الكذا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين) . فيكون هذا في سطرين ، ثم يُقال بعده بقضاء يسير : (ومملوكه فلان بن فلان) .

وإن كان متعوتاً وقد شَرَفَ بأن يُكاتب بنعته ذكر نعته . ولا يُكنى أحد على الخليفة ، وإن جُلَّ قدره ، إلا إن شَرَفَه بذلك .

والسبب في إثبات النعت في مكاتبة الخلفاء وحلف الكُتَيْبَةِ أَنَّ النعت تَكْرِمَةٌ لا تحصل لمن أكرم بها إلا عن الخليفة ، فإذا خاطبه بها كان المحكم (٣٤٢) في مرورها على سمعه حكم غير هامن نعمه عند صنائه إذا مرَّت على طرفه ، والكُتَيْبَةُ تَكْرِمَةٌ يتفاوضها الناس فيما بينهم ، فلا يجوز خطاب الخلفاء بها ما لم يمضوها ويضيفوا نفاذ المخاطبة بها إلى ضروب عوارفهم وأبدايهم .

والرسم الذي كان يستعمل قديماً أن يُقال في الجانب الأيمن (لعبد الله فلان أبي فلان الكذا أمير المؤمنين) ، وفي الجانب الأيسر (من فلان بن فلان).

وإن كان الكتاب إلى الوزير عن الطبقة العالية قيل في الجانب الأيمن :
(حضرة سيدنا الوزير الأجل) ويذكر نعوته ، وفي الجانب الأيسر : (خادمه أو
صنيعه أو وليه فلان بن فلان) ويذكر النعت والكنية إن كان مكتى .

وإن كان عن الطبقة السافلة قيل في الجانب الأيسر : (عبد حضرة الوزارة
السامية الأجلية) ويستوفي الترتيب المقدم ، ثم يقال بعده بفضاء يسير :
(فلان بن فلان) .

والرسم المستعمل قديماً في عناوانات الكتب الصادرة إلى الخلفاء .

فأما عناوانات الكتب الواقعة من النظراء فإنها مبنية على حسب ما يرويه من
النوادر والتكرار .

فأما عناوانات الخرائط السلطانية فيوقع عليها : (يعتجل بها إلى فلان بن
فلان إن شاء الله) ، وفي الجانب الأيسر : (من مستقره بموضع كذا) . وقد
كانوا يحتقون على الخرائط ويبلغون بها العدة ما تقتضيه طبقة الأمر الذي
صدرت فيه .

وأول الطبقات خمس حلقات ثم سبع ثم تسع ثم إحدى عشرة ، ثم تزداد
اثنين اثنين حتى تبلغ إحدى (٣٤٣) وعشرين حلقة . وهذا الرسم قد بطل
اليوم .

وقد اصطلمحوا على تعريف الكاتب نفسه والنسبة إليها قبل تسميتها ،
وذلك قولهم : (لسيدي فلان) ، وهو خطأ ، إلا أن الخروج من الاصطلاح
مستقل ، وهو داخل فيما اصطلمح عليه من الغلط الواقع في الهجاء وكتابة
المصاحف ولا بد من المتابعة فيه .

قول في الدعاء

عرض في الدعاء مَنْ يَختِره عن رسمه الأوّل مثل ما عرض في العنوان من وجهين :

أحدهما : تكثير ألفاظ الدعاء .

والآخر : تبديل معانيه .

فأما ما عرض من تكثير ألفاظه فإنّ الرسم كان في دعاء العنوان أنّ يكون بلفظ واحد لا يثنى ولا يثَلَّث ، كقولك : (أطال الله بقاءه) فرقاً بينه وبين دعاء الضمير ، فزادوا^(١) في دعاء العنوان حتى لحق بدعاء الضمير .

وأما ما عرض من تبديل معانيه فإنّ الأدعية التي كانت تستعمل كانت شبيهة بأمر الدين ، مثل قولك : أكرمه الله وحفظه ووفقه وحاطه وما أشبه ذلك ، فمُنِدل عنها لقصد الإجلال والإعظام إلى الدعاء بإطالة البقاء وإدامة العزّ وإسباغ النعمة ، ونحو هذا مما يتنافس فيه أبناء الدنيا .

وحملوا الأمر في الأدعية على عادات ملوك الفرس ، فجعلوا أوّل مراتب الدعاء إطالة البقاء ثمّ إطالة العمر ، والفرق بينهما أنّ البقاء لا يدلّ على مدّة تنقضي لأنّه ضدّ الفناء ، والعمر يدلّ على مدّة تنقضي ، ولذلك يوصف الله تعالى (٣٤٤) بالبقاء ولا يوصف بالعمر . ومن هنا اقتصر^(٢) على الدعاء للخلفاء بإطالة البقاء وجُعِل ما يليه لَمَنْ دونهم . ويتلوه الدعاء بالمدّ في العمر ، لأنّ الوصف بتطويل الزمان أبلغ من الوصف بالمدّ فيه ، فإنّك تقول : مدّة طويلة ومدّة قصيرة فيتجاوزها الطول والقصّر ، ولهذا صارت مرتبة الطول أقرب إلى مرتبة البقاء . ثمّ لا يزال الدعاء ينحطّ في المراتب حتى ينتهي إلى دعاء واحد في الضمير دون العنوان ، نحو : أعزّه الله ، وسلّمه الله .

(١) في الأصل : فرادوا

(٢) في الأصل : اختصر .

وكانت عادتهم جارية بأن يجتنبوا من الأدعية ما لا محصل له ،
 يقولهم : (جعلني الله فداءك ، وقدمني إلى سوء دونك) لما في ذلك من
 التصنع والتملق الذي لا يرضاه السلطان لأن نفس الداعي لا تسخو باستجابته .
 وإنما يحسن ذلك من الخواص الذي يتحققون أن بقائهم معدوق ببقاء
 رؤسائهم ، ونيات نعمهم مقرون بنيات أيام سلاطينهم ، لأنه يصدر عن عقائد
 مستحكمة في بطل الأنفس دونهم ، كالذي كان يعتمد أصحاب رسول الله ﷺ
 ورضي عنهم ، من قول أحدهم له : (أفديك بنفسي يا رسول الله ، وبأي أنت
 وأمي ولم يكن يرتاب بفسائدهم ، لأنه لو احتاج إلى أن يفدوه لم يرغبوا
 بنفوسهم عن نفسه . فإن سلك سالك هذه السبيل فليقدم في صدر الكتاب من
 الأدعية ما لا شك في سروره باستجابته ، ثم يشفعه بهذا وأشكاه .

وينبغي أن تكون الأدعية دالة على مقاصد الكتاب ، فإن كان في الهاء
 تأرجحت بغيره ، وإن كان في العزاء كانت مشتقة من وصفه . (٣٤٥) وكذلك
 مائر فنون المكاتبات ، لأنه لا يحسن أن يُبنى الخطاب على الذم والتوبيخ
 والموجدة والسخط ، ثم يفتتح الكتاب بالدعاء الذي يليق بمن يُحمد ويُشكر
 ويُرضى فعله ، لأن ذلك تخليط ، ويخالف بينها في فصول الكتاب ، ولا
 يوالي بين اثنين منها ، ولا يركب بعضها على بعض ، مثل أن يقال : فلا أخلى
 الله الأمير ، أيده الله ، من عطاياه الجسيمة وحرس الله الأمير أعزّه الله ، ونحو
 هذا ، فإنه مما يستقبحه الكتاب جدّاً ، وإذا ذكر الرئيس مجرداً دعا له فقال :
 وقد أنهيتُ إلى سيدي أيده الله كذا ، فإذا ذكره مع غيره فقال : وقد كان من
 عدوّ سيدي كذا ، لم يدع له ، لأنه يحتمل المعنيين .

فأما أدعية الصدور فإنهم يستقبلون أن تخرج عن سطرين .
 وأما أدعية العنوان فإنها من واحد إلى ستة ولا تزداد على . . . (١) .

(١) كذا في الأصل .

وأما ترتيب الأدعية فليست له قوانين تحصره ، إلا أن المستعمل في المكاتبات الصادرة عن الخلفاء ألا يُدعى لأحد من كبير ولا صغير في التصدير ، وأن يقرن الدعاء المرسوم لكل من المخاطبين باسمه في العنوان حسب .
وأما كتب الوزراء فتتضمن صيورها وعنواناتها من الأدعية ما يليق بالمكاتبين وتوجيه مراتب المخاطبين .
وأما النظراء فيدعو بعضهم لبعض بالأدعية التي يقتضيها ما ترويه من التناصف في المعاشرة .

فأما المروءسون فإن كانت كتبهم إلى الأئمة فإن الذي يتضمنه من الدعاء هو ما اشتمل عليه التصدير الذي ذكرناه من الصلوات والرحمة والتحيات والسلام والبركات وما يجري (٣٤٦) هذا المعجى .

وحكم العنوان حكم الصدر أيضاً . هذا هو الرسم المستعمل في مخاطبة الأئمة العلويين . فأما المستعمل في مخاطبة غيرهم فالدعاء بإطالة البقاء وسبوغ النعماء ودوام السلطان ، وقد يدعى لهم أيضاً بمثل ما ذكرناه من الصلاة والرحمة .

وإن كانت الكتب إلى الوزراء فإن العادة جارية أن يضمن التصدير ما يليق بجلالة أخطارهم من الأدعية ويقتصر بهم في العنوان على دعاء واحد ، نحو الدعاء بدوام الأيام وعلو السلطان وما شابههما .

وإن كانت الكتب إلى غيرهم من الرؤساء دعا لكل منهم بما توجه رتبته .
وقد كانوا يختارون في الدعاء للأبناء : (أبناك الله وأكرمك) وللأبن : (أبناك الله وأمتع بك) .

ولا يستحسنون الدعاء للإخوان بالإمتاع ، ولذلك كتب عبد الله بن طاهر^(١) إلى محمد بن عبد الملك الزيات^(٢) يعاتبه على مخاطبته به (أمتع الله بك) :

(١) أدب الطغرى ٦٥ وفي : ذي طقة . وأصل به شعره في مجلة الخليج العربي .
(٢) شاعر وكاتب وزير ، ت ٢٣٣ هـ . (تاريخ بغداد ٢ / ٣٤٢ ، وفيات الأعيان ٥ / ٩٤) .

اعلنتُ عنها عهدتُ من أدبك أم نلتُ مُلكاً فتهتُ في كُتُبك
 انعمتُ كُفَيْسَكَ من مكاتبتني حبُّكَ مما يزيدُ في تعبِكَ
 إن جَاءَ كتابَ ذي تقو يكونُ في صدْرِهِ : وامتَحَ بكُ
 فاجابه ^(١) معتذراً :

كيفَ اُصَوِّتُ الإخاءَ يا أُملي وكلَّ شيءٍ أنالُ من سَبَبِكَ
 إن بكُ جهلُ أناكَ من قبلي فَمُسَدُّ بفضلِ عليّ في أدَبِكَ
 (٣٤٧) وقد استحدثتُ بلغاءَ الكُتابِ طريقةً في الدعاءِ مستحسنةً ذهبوا فيها
 إلى غير المذهبِ الأولِ ، وسيُمرُّ ^(٢) في بابِ رسومِ المكاتباتِ ما يستدلُّ به على
 استئذانِ سِتْها ، إن شاء الله تعالى .

قول في التاريخ

تاريخ كلِّ شيءٍ : آخره ، وهو في الوقتِ غايته والموضع الذي انتهى
 إليه ، وهو محققُ الخبر الدالِّ عليه قرب عهد الكتابِ وبعده . ولكلِّ ملوٍّ وأهلٍ
 مملوكٍ تاريخٌ ^(٣) .

وكانوا يؤرِّخون بأوقات تحدث فيها حوادث مشهورة . ثم استقرَّ تاريخُ
 الروم منذ وفاة الإسكندر اليوناني . واستقرَّ تاريخُ الفرس منذ هلاك يزدجرد
 أحد ملوكهم . واستقرَّ تاريخُ القبط منذ وفاة دقلطيانوس أحد ملوكهم .
 وكانت العرب تؤرِّخ بعام الفُرْق ، وهو فُرْقٌ ولد اسماعيل عن مكَّة . ثم
 أرَّخوا بعام الفِعل ، وله حديث . ثم أرَّخوا بعام الفيل ، وحديث الفيل
 مشهور ، وقد أنبأ الله تعالى به في كتابه . ثم بالفخار ، وهو وقتُ تفاخروا فيه

(١) ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ٥٠ .

(٢) في الأصل : ستمر .

(٣) ينظر في التاريخ : رسالة الخط والنظم ٣٥ وأدب الكتاب ٧٨ وكتاب الكتاب ٧٩ والاقطاب ١/١٩٦ .

وأحلوا أشياء كانوا يحرمونها ، وبينه وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة ثم استقر تاريخ العرب في الملة الإسلامية من أول سني هجرة سيدنا محمد ﷺ . وكان المبتدئ لهذا التاريخ عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، لأن عامه باليمن قدم عليه فقال : أما تؤرخون كتبكم ؟ فأراد عمر أن يؤرخ بسبعث النبي ﷺ ، قال (١) : بل تؤرخ بوقت وفاته ، ثم قال : بل بالهجرة لأنها (٢٤٨) مبدأ الإسلام وأراد الابتداء بشهر رمضان ، ثم تقرر رأيه على المحرم .

والتواريخ العربية على الليالي ، لأن سني العرب قمرية ، وتواريخ سائر الأمم على الأيام ، لأن سنيهم شمسية .

والهلال يبدو في أول الليل ، وإنما يكتب : يوم كذا ، يعرف اليوم بما يمضي من الليالي ويبقى . وأول ليلة يطلع الهلال يؤرخ بالمستهل ، لأن النهار لا يخال فيه : مستهل ، إذ الاستهلال إنما هو الليل . فأتا من عد تلك الليلة فيقول : لليلة خلت ، على أن قوله : مستهل وغيره أسهل من قولهم يوم كذا . والعرب تسمي أول ليلة من الشهر : النجيرة (٢) ، ولا يستعمله الكتاب في التواريخ .

وإذا كان آخر الشهر يتدنى بالليل وينقضي بانقضاء النهار وفي اليوم الخامس عشر يقال : النصف من شهر كذا ، فإذا كان قبله عُرف اليوم بالليالي المواضي ، وإذا كان بعده عُرف بالليالي البواقي ، لأن الكتاب قصدوا في الغريب بالعدد الأقل اختصاراً . والفقهاء يتكرون هذا ويؤرخون بما مضى من الشهر كائناً ما كان من العدد ، ويرون أن ما يبقى من الشهر غير محصل ، لأن الشهر ما يمدى أتمام هو أم ناقص وحجة الكتاب في هذا أنهم يعملون على أن الشهر ثلاثون يوماً . فإذا ذكروا المدة الماضية أو الباقية لم يكن عليهم تزيد . والذي يعمل عليه اليوم بمصر أن يجعل شهر ثلاثين يوماً وشهر تسعة

(١) في الأصل : بل قال .

(٢) الأرمدة ٢٢ .

وعشرين يوماً ، فيجعل المحزّم ثاماً وصفر ناقصاً ثم على ذلك إلى آخر
الشهور .

(٣٤٩) والرسم في الكتب الصادرة عن السلطان أن تؤرّخ في أعجازها
وأواخرها ، إلا أن يكون الكتاب في أمر يحسن الابتداء بذكره فيؤرّخ في صدره
باليوم ، كالحوادث العظام والفتوحات والمواسم الدينية .
فأما كتب الأتباع إلى الرؤساء فإن الرسم أن يؤرّخ في صدرها ، ومثال
ذلك أن يقال : (كتب العبد من مقرّ خدمته يوم كذا) .

قول في الختم

لم تزل ملوك المعجم تختتم كتبها احتياطاً على سائرهما ، وصيانة لما ينفذ فيه
من عزام أمورها . وكان للفرس ديوان للخاتم تكتب فيه الكتب التي تختتم
بخاتم الملك لأن له من الموقع ما ليس لغيره مما ختم به .
وأول من استأنف ديوان الخاتم في الإسلام زياد بن أبيه^(١) .

وروي أن كتب العرب لم تزل منشورة غير معنونة ولا مختومة حتى كتب
عمرو بن هند للمتلمس^(٢) إلى عامله على البحرين يأمره فيه بقتله ، فقرأه^(٣)
المتلمس فلم يوصله فختمت العرب بعد ذلك كتبها .

وحكي أن النبي ﷺ ، كتب إلى ملك الروم كتاباً ولم يختمه ، فقيل له :
إنه لا يقرؤه ما لم يكن مختوماً ، فاتخذ ، عليه السلام ، خاتماً ونقش على
فصّه : (محمد رسول الله) وختم الكتاب . فصار الختم سنة . وانتقل هذا
الخاتم إلى أبي بكر رضي الله عنه ، فختم به كتبه مدة خلافته . ثم انتقل إلى

(١) في الأصل : زياد بن أمية . والصواب ما أثبتنا . ينظر : الأوائل ١٤٢/١ وصحيح الأعمش ٣٥٥/١ .

(٢) الشاعر المشهور (ينظر : الشعر والشعراء ١٧٩ والأغاني ٢٤/٢٥٩) .

(٣) في الأصل : قتله . وهو وهم .

عمر بن الخطاب فحتم به كُتبه أيام خلافته . ثم انتقل إلى عثمان بن عفان فحتم به النصف من مدة خلافته ، وبينما هو في يده (٣٥٠) وهو على المنبر إذ سقط من يده فطلب فلم يُعثر عليه ، فأتخذ خاتماً ونقش عليه : (محمد رسول الله) في ثلاثة أسطر وختم به .

وروي أن أول من ختم الكتب سليمان بن داود ، عليهما السلام .

وقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنِّي أَنزِلُكَ كِتَابًا كَرِيمًا﴾^(١) أي مختم .

والذي يجري عليه الأمر في الختم اليوم نذكره عند ذكرنا لديوان الخاتم ، إن شاء الله تعالى .



(١) النمل ٢٩ . ونظر : تفسير القرطبي ١٣/ ١٩٣ .

الباب الثامن في رسوم المكاتبات

هذا الباب هو موضع الثمرة والمجنى ، وكان الغرض والمغزى من الصناعة ، وعليه مدارها وعنده تنقطع أفعال أهلها . وهو أهم ما اضطلعوا به وألزم ما مهروا فيه من أعمالها ، لأنه لا شيء أعود على الكاتب من تحصيله أمثلة ما يكتب فيه وقيام رسومه في نفسه وتمكنه من التصرف فيها ، ولا أقعد به من تعذرها عليه وحاجته إلى انتساخها ونقلها مما رسمه في أضييق الأوقات مجالاً وأقلها إمهالاً .

وتد أودعنا هذا الباب المثل والرسوم المستعملة في جميع المكاتبات بالقول الوجيز الجامع لحدودها وعقودها ، إذ كان حصر جميع أنواع الترسل في مثل تشتمل عليها ورسوم تقيدتها حتى لا يبدو شيء منها متعلواً . وأتينا لذي الفكرة السليمة والفريضة المستقيمة ما يقتضي آثاره ويقتبس أنواره ، وأغنيناه بتقدمة (٣٥١) الاستعداد عن الفحص والارتياح فأتينا في الكتب المكتبة عن السلطان في الحوادث بجوامع تشتمل على أغراضها ومقاصدها والمعاني الواقعة فيها لتبسط وتوفى حقها من الشرح والإبانة عند الحاجة إلى استعمالها ، وأتينا في كتب التقاليد والعهود بأمثلة تتضمن التصدير والأوامر التي جرت العادة أن يعهد بها السلطان لكل من يعمل عملاً من أعماله ، لأنها محصورة محدّدة لا عذر للكاتب في الإخلال بشيء منها ليستوفيها على حقها ويضمها في مواضعها ، فإنه إن أغفل بعضها سقطت الحجة على العامل متى لم يعمل بها ، وأتينا في المكاتبات المشتركة برقاع وفصول تطرق الطريق إلى إنشاء مثلها . وهذا الفن من المكاتبات لا يقف عند مدئ ، وقد كان ينبغي أن نجعل في تعرف رسومه على مطالعة ما أنشأه البلغاء فيه لكننا تكفّلنا ما تكفّلناه منه لثلا نكون قد

أضربنا عن الأمر الأعم من الكتابة وإن كانت السلطانيات هي الأمر الأهم ،
لأنها الكتب النافذة في جلائل الخطوب ومعظم الأمور وسياسة الجمهور وقوام
الدنيا ونظام الدين .

ولسنا ندعي النفاذ في جميع ما أنشأناه من هذه الأنواع وأودعناه كتابنا ،
ولا أنه بأسره مرضي لأنه لا يكاد يوجد كاتب مطبوع في تأليف الرسائل كلها ،
كما لا يوجد خطيب مطبوع في تأليف الخطب كلها ، لأن من الكتاب من يكون
حاذقاً في الكتب السلطانية الصادرة في معازم الأمور وجلال الشئون ، كتّيب
المُهدّي (٣٥٢) والفروحات والعهود والتقاليد والاستبطاء والاعتذار والشكر
والشكوى والتهادي دون غيرها من السلطانيات . ويُبما تَمَهَّر الواحد منهم في
معنى دون معنى ، كما يَتَمَهَّر في التقريظ والإحماذ دون التوبيخ والاستقصاء
ونحو ذلك .

ومن الخطباء من يكون حاذقاً في التحضيض ، قوي الحميّة والحفيظة في
الوقائع ومفارقة الفرسان ، مقصراً في الإصلاح بين العشائر وإطفاء الثوائر .
وربما تَمَهَّر في خطب الحملات وتكلف الديبات دون غيرها من أنواع الخطب .
ومن الشعراء من يجلّ في المديح دون الهجاء ، وفي المراثي دون الفخر
وكذلك في سائر الأنواع . وهذا أمرٌ معلوم ، والعلّة فيه اختلاف الخرائز
ومناسبتها للبعض دون البعض من الأمور .

وأيضاً فإن الذي يؤلف الكلام في حال حاضرة قد أحاط بصفتها وتمكّنت
صورتها في نفسه أفصح مجالاً وأوضح سبيلاً ممن يؤلف في الأمر الشاهد
يستلمي من نفس ذلك الأمر ما يبيّن عليه تأليفه ، وليس من أخذ صورة فجلاها
كمّن تخلف الصورة وتكلف تحليلتها .

فإن وقع فيما اشتمل عليه هذا الباب تقصير في بعض الأنواع عما يستحقّه
من القول إذا قيس بحال حاضرة فهو لهذا السبب ، لأن جميع ما تضمنه

مقتضب له لم يستعمل شيئاً في مخاطبة ولا مكانية .

وكل ما أتينا به من الأمثلة فلا ينبغي لئس يروم احتذاءه وامتنال سببه أن يؤول على نقل (٣٥٣) فضه وأخذه على نفسه ، لأن ذلك يفسد طبعه ويعوده عادات الاتكال على غيره ، وإنما يجب أن يمزج على سماعه ليتدرب بالطريق المملوكة إليه فيقتضيه ، وإن علق بنفسه معنى من معاني عزاء من معرض لفظه وكساه لفظاً يحفظ صورته .

وهذا الباب لم نصنعه لعالم ماهر ولا كاتب مبرز كامل ، وإنما صنفناه للمبتدئ تبصرة وللمنتهي تذكرة ، والله الموفق للصواب بفضلته .
الذي يتصرف فيه الكاتب من إنشاء المعاني ضربان^(١) :

الأول : اقتضاب الرأي والتدبير في الأمور السلطانية التي ليست لها أمثلة محررة ترجع إليها ولا رسوم مقررة تعتمد عليها ، وإنما هي مصالح تعم أمور الدين والدنيا ، والسلطان محتاج إلى تفقدها وإقرار منتظمها على نظامه ، وإعادة المختل منها إلى قوامه ، والمكاتبة منها بما يقتضيه من أمر ونهي ، ووعود ووعيد ، وترغيب وترهيب ، وحفظ على صلاح وكف عن فساد ، وإيالة عن حميد عاقبة ودلالة على ذميم مغبة .

وإنشاء هذا النوع من المعاني يتعلق بوزير السلطان الذي يصدر ويورد ، وينقص ويرم ، ويحلل ويعقد ، ويقدم ويؤخر .

والمتمولي لهذا العمل يفتقر في الاستقلال به إلى حصول ثلاثة أشياء :

أولها : الفكرة المناسبة لهذا الأمر والهمة المشابهة لهذا الرتبة ، فإن اختيار الرأي وجودة التدبير قوة يحظى بها الواحد دون الواحد فيعرف بها وينسب إليها .

(١) في الأصل : فيه الكاتب أولاً من إنشاء المعاني ضربين الأول ..

والثاني : المعرفة بأحوال المملكة وبلادها ورجالها ورعيها ومذاهبهم وميوسهم وعاداتهم وما يقومهم من رغبة ورهبة ويضاهيهم من (٣٥٤) المحاملات المتضادة وما يرجونه ويخافونه .

والثالث : حيازة فضل التجربة والاستدلال بتالد الأحوال على طارفيها ، وبسالف الخطوب على آنفها ، لنشابه قضايا الأزمنة وتنامب عللها .

فتمى حصلت له هذه الأقسام اقتدر على نيل العرام ، ووقف على منهج السداد في الإصدار والإيراد ، وتوضحت له مخايل الصواب وعُد من سادة الكتّاب .

والضرب الثاني : إنشاء الترتيب والمبارة . وهذا فإنما يسلم الأغراض إلى متولي الترميل محزنة فيحسن التعبير عنها ويجلوها في أشفت معارض الإبانة . وهو يتقسم إلى قسمين :

القسم الأول : السلطانيات .

والقسم الثاني : الكتب المشتركة .

فالقسم الأول على ضربين : [الأول] : غير محتسب وغير مطروق ، تنشأ الكتب فيه بحسب الحوادث فلا مثال له ولا رسم ، والكتّاب يقتدر على توفيقه حقه بأمرين :

أحدهما : الطبع الفاضل الذي في قدرته وضع الأشياء في حقائقها .

والثاني : المهارة في المعتاد والتدريب به لوقوع التناسب في الأمور .

والضرب الثاني : راتب متناول قد استقرت له رسوم معروفة ومثل مألوفة ، وهو أربعة أنواع :

النوع الأول : المكاتبات في الحوادث المألوفة .

والنوع الثاني : التقاليد والعهود والنشائر والأمانات .

والنوع الثالث : التوقيعات .
والنوع الرابع : المكاتبات في أمور الخراج .
وقد مثلنا من هذه الأنواع ما فيه كفاية ، وغنى لأهل الدراية .



(٣٥٥) القسم الأول من الترسل : وهو السلطانيات .
الضرب الثاني منه أربعة أنواع ، رسوم النوع الأول منه ، وهو الكتب في
الحوادث المألوفة .

أغراض هذه الكتب :

- الكتب في الدعاء إلى الدين .
- الكتب في الحفز على الجهاد .
- الكتب في الحفز على الطاعة .
- الكتب بالتنبيه على مواسم العبادة .
- الكتب عند حدوث الآيات السماوية .
- الكتب في النهي عن التنازع في الدين .
- الكتب عن الخليفة عند انتقال الأمر إليه .
- الكتب في الهدن والحقود .
- الكتب إلى مَنْ نكث عهده من المعاهدين .
- الكتب إلى مَنْ خلع الطاعة .
- (٣٥٦) الكتب بالتضييق على المجرمين .
- الكتب في الاعتذار عن السلطان .
- الكتب في الفتوح .

الكتب في التوفقة بين السنين^(١) الخراجية والهلالية .

الكتب بالتبويه والتقليب .

الكتب بالإحصاد والإدغام .

الكتب بالأوامر والنهي .

الكتب في إلزام الذمة بالتغيير .

الكتب في الدعاء إلى الدين

أشرف^(٢) ما بُنِيت الدعاء إلى دين الإسلام الذي أظهر الله تعالى على كل دين ، وأعرّضه على كُره المشركين واستحجار مخالفيه إليه واجتذاب الخارجين عن دائرته إلى الدخول فيه ، عملاً بما كان عليه رسول الله ﷺ ، والخلفاء من بعده ، لأنه قوام الملك ونظام السلطان اللذان^(٣) لا يصحان إلّا به .

والكتاب يحتاج في إنشاء هذه الكتب إلى علم التوحيد وبراهينه ، وشرع الرسول ﷺ ، خاتم وعائه ومعجزاته وآيات نبوته ، ليتوسع في الإبانة عن ظهور حجته ووضوح محبته .

والرسم فيها أن تفتتح بحمد الله الذي اختار دين الإسلام فأعلاه وأظهره وقّده وطهره ، وجعله (٣٥٧) سبيلاً إلى رضاه وكرامته وطريقاً إلى الرّضى في جنته ، وشفيحاً لا يقبل عمل عامل إلّا به ، وباباً لا يصل واصل إلّا منه ، فلا تغفر السيئات إلّا لمن اعتصم بحبله ولا تنقيل الحسنات إلّا من أهله ، وشكره تعالى على الهداية إليه والتوقيف عليه ، وزيادته عن مجاهل الضلالة بما

(١) في الأصل : السنين .

(٢) في الأصل : أشرف . والصواب ما في مسيح الأعشى ٢٤٤ / ٨ نقلاً عن الكتاب .

(٣) في الأصل : الذي . والصحيح من مسيح الأعشى .

أوضحه من برهانه ونوره من بيانه ، وتمجيده بعظيم آياته وباهر معجزاته ، وحكيم صنعه وبديع فطرته ، وتنزيهه عمالا يليق بسلطانه ولا إضافته إلى عظيم شأنه ، وتسيحه عما يصفه المُلحدون ويختلفه الجاحدون ، والصلاة على رسوله محمد ﷺ ، والإفصاح عن دليل نبوته وبراهين رسالته ، وما خصه الله تعالى به من إعلاء ذكره وإمداده بالمعجزات الرافعة للأعداء في أمره . ثم يشفع ذلك بالدعاء إلى الدين والحض عليه ، وإيضاح ما في التمسك به من الرشاد في دَوي المبدأ والمعاد ، والتبشير بما وعد الله [به] المستجيبين له والذائعين فيه^(١) ، من تمحيص السيئات ومضاعفة الحسنات ، وعز الدنيا وفوز الآخرة ، والإنذار بما أوعده الناكبين عن سبيله العادلين عن دليله ، من الإذلال في هذه الدار والتخليد يوم العرض عليه في النار ، وتصريف المخالفين بين الرغبة والرغبة في العاجل والمغفلة .

وينبغي أن يتأنى الكاتب فيما يورده من هذه الأغراض ليقع في المواقع اللاتقة به ، ويجلو الحجج في أحسن المعارض ، ويفصح عنها بأقرب الألفاظ من النفوس ، فإنه إذا وُفق لذلك ناب كتابه مناب الجيوش والأجناد وأقر السيوف في الأعماد ، ومن صدقت في هذا الفن (٣٥٨) نيته أيد الله غريزته وعضد بديهته ورويته .

الكتب في البحث على الجهاد

الذين يتنظم بأمرين :

أحدهما : الدعاء إليه والترغيب فيه .

والثاني صيانة حوزته وما دخل في مملكته ، وكف أعدائه عن نقض أطرافه والتغلب على بلاده .

(١) من سبغ الأمل ، في الأصل : له . وما بين القوسين المربعين من صبح الأمل .

ولهذا فرض الله الجهاد وأوجبه ، وأكد الأمر فيه وشدّده والسلطان محتاج عند الحوادث التي تحدث من تطوّق المخالفين إلى بعض الثغور أو شرّ الغارة على أهل الإسلام ، أن يدعو إلى الجهاد ومقارعة الأعداء ، وصون حريم المِلَّة وحفظ نظام الدولة والرسم فيها أن يُفتح بحمد الله تعالى على جميل صنعه في إعزاز الكلمة وإسباغ النعمة بإظهار هذه الأُمَّة ، وما وعد به من نصر أوليائه وغدلان أعدائه ، وإدالة الموحدين وإزالة المُلحدّين ، والصلاة على رسوله ، صلى الله عليه وعلى آله ، وذكر طرف من مواقف الجهاد ومقارعة شيع الإلحاد ، وتأييد الله تعالى أنصاره على أهل العناد . ثم يذكر الحادثة بنصّها ويشرح القضية على فصّها ، ويستنصر من جاوره وداناه من أهل المِلَّة أجمعين ويخاطبهم بما يرفع عزائمهم في نُصرة الدين وكافة المسلمين واتباع سبيل السلف الصالحين الذين خصّهم الله بصدق الضمان ونفاذ البصائر وصحة الدين ووثاقة اليقين ، فلم يكونوا يرومون مراماً إلاّ سهّل لهم ما توعّر ويسر عليهم ما تعسّر ، وسما بأمالهم إلى ما هو أقصى منه رمى وأبعد مدى ، رغبة فيما (٣٥٩) رغبهم فيه من نُصرته وتعزّضاً لما عرّضهم له من جزيل شوبته ، وأنّ يحضّمهم على التمسك بعزائم الدين والعمل على بصائر المخلصين ، واقتراض ما فرض الله عليهم من جهاد أعدائه وتجنّز ما وعدهم به من الإظفار بهم والإظهار عليهم ، وأنّ يجاهدوا مستبصرين ويلقّوا الحقّ محتسبين ، ويقدموا لرسالاً لا ناكثين ولا ناكصين ولا شاكّين ولا مرتابين ، متبعين الحقّ حيث يتمّ وقصد مضاربين دونه من نذّ عنه وعند ، ويبالغ في تنحية أهل البسالة والنجدة والبأس والشدة ويعنّهم على نصر حقهم وطاعة خالقهم ، والفوز بدرك الثواب والرضوان ونفوذ البصائر في الإيمان ، وفضيلة الأنف من الضميمة والبعيد^(١) من الدميم ، إلى غير ذلك مما يستهلّ بذلّ الأرواح والمهج والإقدام على مصارع

(١) في الأصل : العبد .

التف ، فإن الملوك الماضين ، لعلمهم بأنّ الناس إنما يحدون بذلك للفوائد التي تروحيه ، كانوا يبذلون لمن يدعونه إلى المكافحة ويعرضونه للمنافحة الرغائب التي تهوّن عليهم إلقاء أنفسهم في المهالك نارة ، ويذكرونهم الأحقاد والضغائن [ويخوفونهم من الوقوع في المذلّة أخرى]^(١) .

وينبغي أنّ يقدّم الكاتب في هذه الكتب مقدّمات يرتبها على ترتيب يهزّ الأريحيات ويشجّع العزائم ليجمع بين خدمة سلطانه والفوز بنصيب من الأجر .

الكتب في الحضّ على لزوم الطاعة

طاعة السلطان والانتقياد إليه والرجوع إلى رايه والاعتماد عليه أقوى الأسباب في استمرار الاتساق والاستتباب ، وهي فرض أوجبّه الله تعالى ، فقال : ﴿ لِيُطِيعُوا اللَّهَ (٣٦٠) وَلِيُطِيعُوا الرَّسُولَ وَلِذَلِكَ الْأَمْرُ يَكُونُ ﴾^(٢) .

ولا تصح مملكة ولا تدوم دولة إلّا بأمرين : أحدهما : عدل السلطان . والآخر : طاعة الرعية له . فمتى ارتفع أحدهما ضدّ السائس والمموس . ولم تزل الأزمنة تتقدّم إلى الرعايا بلزوم الطاعة والاعتصام بحبل المشايمة والنهي عن مفارقة الجماعة .

والرسم فيها أنّ يفتتح بالحمد لله على النعمة في تأليف قلوب أهل الدين وجمع كلمة الموحدين ، وإهواء أهوائهم إلى الاتفاق وصيانة عصاهم من الانشقاق ، والصلاة على رسوله ، ﷺ ، والتنبيه على فضائل الطاعة وأنها العمود الوثقى والمعل الذي لا يُرفى ، والحصن الحصين والكنف الأمين ، والحمى الأمان والموقب الأرفع ، وأنّ من حافظ عليها فاز وسلّم وريح وغنم ، ومن غارقها خسر وخاب ونكب على سبيل الصواب ، وإيضاح ما في لزوم

(١) من صبح الأعشى ٢٤٧/٨ .

(٢) النساء ٥٩ .

الطاعة من اتفاق الكلمة وانتظام شمل الأمة ، وشمول الخيرات وعموم البركات ، وعمارة البلاد وصلاح المباد ، وما في المشاققة من الفساد العام المائد بانتشار النظام ، وانبات الحبل وتفريق الشمل واجتثاث الأصل ، وطموس الديار وصيال الأشرار على الأخيار ، وتوالي الفتن التي لا تُصَب الظالم خاصة دون العادل ، ولا المشاqq دون الموافق ، وحلول التوائب المُريلة للنعم المُنزلة للنعم ، واتباع ذلك بما يجب من إعدار وإنذار ، وترهيب وقرع ، وتذكير وتبصير ، ووعظ وتخويف ، ويعت العلماء الحصفاء على وزع الجهلاء (٣٦١) السخفاء ، وتنبه أهل السلامة والصلاح على كفّ ذوي البعث والظلام ، إلى نحو هذا مما يجاريه . وأنّ يبالغ فيما يورده من هذه المعاني ، فإن هذه الكتب إذا كانت بليغة مستوفاة جيدة العبارة أخذت بمجامع القلوب وأغنت عن الكتاب في إدراك المطلوب .

الكتب بالنبه على مواسم العبادة

إنّ الله وقت لعباده أوقاتاً عظمت شأنها ورفع مكانها ، وأمرهم أن يتقربوا فيها إليه بتأدية ما فرضه عليهم ، لطفاً بهم ورأفة وحناناً ورحمة . ولم يزل السلطان يكتب إلى عمّاله بتنبية الرعايا عليها وتعريفهم فضل العبادة فيها ، ليستقبلوها بالإخبات والخشوع ويتلقوها بالتضرّع والخضوع ، ويتوسّلوا في قبول التوابت وغفران الخطيئات ، حفظاً لنظام الدين وتقديراً لمصالح المسلمين .

والرسم فيها أن يفتح بحمد الله تعالى على أن وقت لعباده أوقاتاً يتقبل فيها قريبهم وأصهارهم ويخفف بالإجابة إليهم عند حلولها أوزارهم وأثقالهم ، فيخفف لمستغفرهم ويعفو عن مُسيئتهم ويتقبل التوبة عن تائبهم والصلاة على رسول الله ﷺ .

ثم يقيم مدة مبيّنة على تعظيم هذه الأوقات والإبانة عمّا في قسرها على العبادات والمسابقة إلى الخيرات من عظيم المنويات . ويشفع ببعث الولاة أخذ

الرعايا بالمحافظة على السنن وتمهّد حقّ الله تعالى فيها ، والتوسّع في توكيد الحجة ونفي الشبهة ، وإيراد المواظ على الرادة التي تعود بشعذ البصائر وصفاء الضمائر ، والإيذان بحقوق هذه الأوقات (٣٦٢) وحرمانها والغوز بما توفده من جزيل بركاتها والثوقّر على حسن مجاورتها ، والتقرّب إلى الله تعالى ببذل الصدقات والإقبال على الصلوات وزيارة بيوت العبادات ، ومذاكرة أهل الدين والسعي في مصالح المسلمين ، ونحو ذلك مما يناسبه .

فإن كان الكتاب مقصوداً على الدعاء إلى الحجّ افتتح بحمد الله على أن جعل لعباده حرماً آمناً يمتّص ذنوبهم بزيارته ويمحو آثامهم بحجّه ووفادته . ويلى ذلك ما يليق به من الحثّ على تأدية المناسك وتكميل الفرائض والسنن وزيارة قبر النبي ﷺ . وكذلك الحكم في سائر الأبواب الدينية .

وينبغي للكاتب أن يُحسن الثاني في هذه الكتب ليلتّن القاسي ويذكّر الناسي ، وينتبه الغافل اللاهي والمهمّل الساهي ، ويحرّك النفوس نحو مصالحها ويعبئها على الأخذ بفاضل الأعمال وصالحها .

الكتب عند حدوث الآيات السماويات

جرت العادة أن يكتب السلطان إلى الرعايا ، عند حدوث الآيات المهورلات التي يريد الله تعالى بها إرشاد عباده إلى الإقلاع عن معصيته والإقبال إلى طاعته ، كالرياح العواصف والصواعق واحتباس القطر وخروجه في التسكاب عمّا جرت به العادة ، كُتِبَ يضمنّها من الوعظ الشافي والرقيق ما يأخذ بجميع القلوب ويشعرها للتقوى والرهبة ، ويبعث على المراقبة والنظر في العاقبة .

والرسم فيها أن يفتتح بحمد الله على آلائه التي يفيضها ابتلاء واختباراً ، وآياته التي يرسلها تخويفاً وإنذاراً ، وموهبة في التوقيف بسايع نعمته على طاعته (٣٦٣) والتحذير بدماغ نقمته من معصيته ، والصلاة على رسوله الذي

أنفذ بشفاعته وعصم من نزول القوارع بنيوته . ثم يقدم مقدمة تتضمن أن الله تعالى يقدم الأعداء أمام مسخطه وعذابه ويبدأ بالإنذار قبل غضبه وعقابه ، فمن استبطن من سته وتطوّل لعاقبته فتزع إلى طاعته وأقلع عن معصيته كشف ضرره وضاعف أجره ، ومن أضرب عن مواعظته وتعامى عن تبصيره وتذكرته أخذه على غرته وصلبه سريال نعمته . ثم يؤخذ في حث الأمة على الفرع إلى الصلوات والمسايرة إلى بيوت العبادات ، والإكثار من التضرع والخشوع والاستكانة والخنوع وإخراء الدموع ، وإخلاص التوبة عن محتجب الآثام ومجنح الأوزار ، والتوسل إلى الله تعالى في قبول الإنابة بقلوب نقية وطويات على الطهارة مطوية ، وسرائر صحيحة وثبات صريحة ، يصدقها الندم على الحاضر وعقد العزم على الإقلاع في الآتي ، والرغبة إليه في رفع مسخطه وإنزال رحسته ، وما يجاري هذا .

وينبغي للكاتب أن يتلطف في الموعظة ويبالغ في الذكرى التي تحصر الخواطر وتقذح الأنفس ، وتحرك المزائم نحو الإخلاص فإنه إذا ما أبرز هذه المعاني في صور تُشعر الحقيقة من غضب الله تعالى وعقابه وترغب في عفوهِ وثوابه ، نفع الله من رغب عن الهوى ورغب في التقوى بكتابه .

الكتب في النهي عن التنازع في الدين

(٣٦٤) من أهم ما صرف إليه السلطان تفقده ووقف عليه تعهده أمرُ الرعايا في أعماله وتنفيذ الكتب إليهم بالنهي عن التنازع في الدين ، وحسم أسباب المجاذبة والمراء والتحذير من اتباع البدع والأهواء والإخلاد إلى مصلح الشل والأراء ، لأنه متى فسح لهم في هذا الباب صاروا شيعاً متباينين وفريقاً متحاربين ، وانشقت عصاهم وانقضت حيلهم وخرجوا عن أحكام أهل السلامة إلى أحكام أهل الفتنة ، وعاد ضرر ذلك على الدين والسلطان ، ولهذا صرف إليه الساسة الحرمة من الملوك والاهتمام ولم يخلوا بحسم مادته على تغاير الأيام .

والرسم فيها أَنَّ يُصَدَّرَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نِعْمَتِهِ فِي تَأْلِيفِ كَلِمَةِ أَهْلِ
 الْإِسْلَامِ وَمَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِتِّفَاقِ وَالْإِتِّتَامِ ، وَشُكْرِهِ عَلَى مُوَهِّبَتِهِ فِي نَزْعِ
 الْغُلْزِ مِنْ صُدُورِهِمْ وَالتَّأْلِيفِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَتَصْيِيرِهِمْ إِخْوَانًا مُتَصَافِينَ وَخَلَاءًا
 مُتَوَافِينَ^(١) ، وَعَوْنِهِمْ بِمَا وَقَّعَهُمْ مِنَ التَّوَازُرِ عَلَى مَنْ شَقَّ عَصَاهُمْ وَإِقْدَارَهُمْ بِمَا
 مَنَحَهُمْ مِنَ الْأَلْفَةِ عَلَى مَرَامَةِ مَنْ رَامَاهُمْ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ . ثُمَّ يَشْفَعُ هَذَا وَمَا يَجَارِيهِ بِأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا مَكَّنَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 فِي أَرْضِهِ وَوَقَّعَهُ لَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِغَرَضِهِ ، وَالنَّهْوِضِ بِحَقِّ طَاعَتِهِ وَالْعَمَلِ بِكُتَابِهِ
 وَسُنَّتِهِ ، وَرَغْبَتِهِ فِي الْخَيْرِ الْعَامِ وَشُمُولِ الصَّلَاحِ لِكُلِّفَةِ الْأَنَامِ ، لَا يَزَالُ بِحَضْرٍ
 رَعِيَّتِهِ عَلَى مَا يَقْضِي بِسَدَادِ دُنْيَاهُمْ وَحَسَنِ الْمُنْقَلَبِ فِي أَخْرَاجِهِمْ ، وَيُرَى أَنَّ أَنْفَعَ
 ذَلِكَ عَائِدَةً وَأَجْزَلُهُ فَائِدَةً مَا رَفَعَ عَنْهُمْ أَسْبَابَ التَّنَافُرِ وَدَعَاهُمْ إِلَى التَّعَاوُدِ
 وَالتَّضَافُرِ ، (٣٦٥) وَحَالَ^(٢) بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَوْضِ فِي مُحَدَّثِ النُّجُلِ وَالْأَرَاءِ
 وَالْإِصْغَاءِ إِلَى مُضِلِّ الْبَدْعِ وَالْأَهْوَاءِ الَّتِي تَصَلُّ عَنْ سَنَنِ الْهَدْيِ ، وَتَلْقِي فِي
 مَزَالِ الْبُرْدِ وَتَدْعُو إِلَى شَقِّ الْعَصَا وَتَقْضِي بِاتِّشَارِ النِّظَامِ وَاسْتِخْلَافِ الْأَنَامِ
 وَانْقِصَامِ عَرَى الْإِسْلَامِ ، وَكَقْفِهِمْ عَنِ الْمِمَارَةِ فِي الدِّينِ وَالْإِصْغَاءِ إِلَى سُنَّةِ
 الْمُضَلِّينَ الْمُعْطَلَةِ لِلشُّنَنِ الْقَادِحَةِ لِلْفِتَنِ الدَّاعِيَةِ إِلَى احْتِقَابِ الْأَثَامِ وَإِرَاقَةِ الدَّمَاءِ
 الْحَرَامِ وَنَحْوِ هَذَا مِمَّا يَضَاهِيهِ .

ثُمَّ يَقُولُ : وَانْتَهَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ التَّفَاتِكُمْ عَنْ مَعَاشِكُمْ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ
 لِدُنْيَاكُمْ قِيَامًا وَعِبَادَتَكُمْ الَّتِي صَبَّرَهَا لِأَخْرَجَتِكُمْ نِظَامًا ، وَإِقْبَالَكُمْ عَلَى الْمِمَارَةِ
 وَالْمِنَازَعَةِ وَالْمِنَازِلَةِ وَالْمَجَادِلَةِ فِي شُكُوكٍ يَقِيمُهَا مَنْ يَرِغِبُ فِي الرِّيَاسَةِ وَالتَّقَدُّمِ
 لِيَفُوزَ بِخَبِيثِ الطَّغْمِ [الَّذِي^(٣)] يَعْمِي الْبَصَائِرَ وَيَفْسِدُ السَّرَائِرَ ، وَيَقْدَحُ زِنْدَ

(١) فِي الْأَصْلِ : مُتَصَافِينَ مُتَوَافِينَ .

(٢) مِنْ صَبِغِ الْأَعْيُنِ ٣٠٦/٨ وَفِي الْأَصْلِ : دَخَاصَ .

(٣) مِنْ صَبِغِ الْأَعْيُنِ وَفِيهِ : الْمُطْعَمُ .

الضلال ويشب نار المحال والانتحال ، فامتعض^(١) أمير المؤمنين من ذلك وخاف عليكم أليم عاجلته وذميم آجلته ، وبأدركم بكتابه هذا منيهاً لغافلکم ومرشداً لجاهلکم ، وباعتاً لکم على التشاغل بما أطلب أخبارکم وحسن آثارکم ، من تلاوة كتاب الله الذي أمرکم بتلاوته وزيارة بيوت عبادته والتأدب بأدب نبیه وعترته ، وأوعز إلى النائب في الحرب بتقويم من خرج عن أمره وتقيف من أصرّ على غيّه ، وأن يحسم الداء من قبل استئثاره ويستدرکه دُورین استفحاله ، فاصغوا إلى زواجر أمير المؤمنين ومواعظه واقتدوا بهديه ومرأشده لتفوزوا بطاعته وتسمدوا برضاه وصلاته (٣٦٦) وتسلموا في الحاضر من نكايه لستم بغيرها أولى ما سلكتم الطريقة المثلى وفي الغابر مما أعدّه الله لمن خالف أمره من العقاب في الدار الأخرى ، فاعلموا هذا واعملوا به إن شاء الله .

وقد يكتب السلطان إلى الرعية بالنهي عن التفاخر بالبلدية والتنازع في العصبية ، والطريقة في هذا المعنى مشتقة من طريقة هذا الرسم .

الكتب من الخليفة عند انتقال الخلافة إليه

جرت العادة أن تنقذ الكتب إلى ولاية الأعمال في مثل هذه الحال مضتة ما جرى عليه الأمر بالحضرة من انقياد الأولياء والرعايا إلى الطاعة ودخولهم بصور منشوحة في البيعة وحض من بها من رجال السلطان ورعيته على الدخول فيما دخل فيه أمثالهم وإعطاه الدعاة على ذلك صفة أيماهم .

والرسم فيها أن تصدّر بحمد الله على عوارفه التي لم تزل تكشف الخطب وترأب الشعب ، وتدفع الشبه وترفع الملم ، وتجبر الوهن وتسيغ الأمن والسن ، والصلاة على رسوله سيدنا محمد ﷺ ، وذكر خصائصه ومناقبه وتشريف الله له بإقرار الأمانة في ذريته ورذ الخلافة إلى عترته والتنويه بذكرهم

(١) في الأصل : امتط . وهو خطأ .

في كتابه والإبانة عن أنهم حيوة وأهل صفوته الذين طهرهم من الأرجاس
ولفرض مودتهم على الناس بقوله : ﴿ إِنْ كُنَّا بِرَيْدِ اللَّهِ يُدْهِبَ عَنْكُمْ الْفَيْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١) ، وما أمر به رسوله من سؤال أمته في مودتهم فقال :
(٣٦٧) ﴿ قُلْ لَا أَشْكُرُ عَلَيْكُمْ أَجْرًا إِلَّا الشُّكْرَ فِي الْقُرْآنِ ﴾^(٢) وتفويض خلافة إلى وصية
علي أمير المؤمنين ونصه عليه وتسليمه بمحضر من العام والخاص إليه . ويتلو
هذا بالإفصاح عن شرف الخلافة وفضلها والإبانة عن رفيع مكانتها ومحلها ،
وأنها ظل الله الممدود وحبله الممسود ، ومساك الدين ونظامه وملاك الحق
وقوامه ، وامتنان الله تعالى على العباد بأن جعل لهم أئمة يسطون العدل عليهم
ويقومون الحدود فيهم ويقومون أديانهم ويهذبون إيمانهم ويرهفون بصائرهم
ويهدون حائرهم ويكفون ظلمهم وينصفون مظلومهم ويجمعون كلمتهم
ويحمون دمارهم ويحوظون دارهم وما يجاري هذا .

ثم يذكر ما أوجبه الله على أهل الإسلام للإمام من الطاعة وحسن التباعة
أيام حياته والانتصار مره في الانقياد إلى من ينص عليه بمرتبة بعد وفاته ،
ليتصل حبل الإمامة بينهم ويمتد ظل الخلافة عليهم^(٣) ، ثم يأتي بمقدمة في ذكر
الموت وأن الله تعالى سوى بريته وجعل في تطوقه إلى رسوله أسوة لخليقته ،
وتفرد بالبقاء وامتنع على الفتاة ، ثم يقال : وإن الله لما اختار لبعده ووليه فلان
النفقة إلى دار كرامته والحلول بفناء طاعته وأعانه على سياسة بريته ، وأنهضه
بما حمله وأيده بما كفله من الذب على المسلمين والمراعاة عن الدين ، والعمل
بكتابه وسنه في القول والفعل واستشعار خيفته ومراقبته في السر والجهر وما
يليق بهذا ، استخلص عبده ووليه فلان^(٤) الإمام الكذا بخلافته ، وأهمل سماء

(١) الأحزاب ٣٣ .

(٢) النوري ٢٣ .

(٣) في الأصل : الخلافة للخلافة عليهم . وإثبات رواية صحيح الأعمش ٢٢٤ / ٨ .

(٤) في الأصل : فلان .

الرحمة بإمامته ، وأحكى شُرى العصمة بولايته ، وألقى في نفس رَأْيِهِ^(١) النصن عليه والتفويض إليه لما علم سبحانه في ذلك من شمول المصلحة للعباد وعموم الأمانة للبلاد ، فارتسم ، فذس الله روحه ، ما ألهمه وكُتِله قبل (٣٦٨) خروجه من دار الدنيا وتثمه ، عالماً بفضل اختياره وأنه لم يملُ مع الهوى في إثارة ، فقام أمير المؤمنين الإمام الكذا مقامه وحفظ نظامه وسد ثلثته وعفى رزيقه ، وأقر الإمامة به في نصابها ومقرها وزاد باستخلافه في صيت الخلافة وقدرها .

وأمير المؤمنين يسأل الله أن يخص قلبه السعيد بقربه بأفضل صلواته وأشرف تحياته ، ويحسن جزاءه عن سعيه في صلاح العباد وسداد البلاد ، وأن يلهم أمير المؤمنين من الصبر على تجزيع الرزية فيه أفضل ما جرى صابراً محتسباً ، وأن يجبر كسره في فقده ويوفقه لجميل العزاء من بعده ، ويسدده في مصادره وموارده ويهديه لما يرضيه في جميع مقاصده ، ويعينه على ما أَلَفَ الأهواء وجمع الأرزاء ، ونظم الشمل وكثر القُلْ وأدجى الظلّ وأزال الشك والارتباب .

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك وقد اجتمع مَنْ بحضرته من ذوي الحمية وأمرأ دولته وكافة جنده وحماة حوزته على بيعته وإعطائه صفقة أيمانهم على طاعته ومشايخته ، عن صدور مخلصه نقيّة وسرائر صافية سليمة وعقائد شتملة على الوفاء بما عاهدوا عليه وانقادوا مختارين إليه ، وشملتهم بذلك الرحمة وصفت عليهم النعمة ، فما ترحوا للرزية حتى فرحوا بالمعطة ، ولا وجعوا^(٢) للمصيبة حتى بسموا للرغبة ، ولا أظلموا لفقد الماضي حتى أضأوا لوجود الآتي .

فلله الحمد على هذه المنة التي جَبَرَتْ الرهنَ وحققت في فضله المنّ ،

(١) في الأصل : إنه . وما أثبتاه من صبح الأعشى ٢٣٥ / ٨ .

(٢) في الأصل : وعسوا . وما أثبتاه من صبح الأعشى

حمداً يستدّر (٣٦٩) أخلاف فضله ويستدعي سوابغ طوله ، وصلى الله على محمد وآله .

وأمر المؤمنين يراك من أهل مخالسته والمنحققين بطاعته والجديرين بإجابة داعي نيته والمسارعين إلى الاعتصام بحبل دعوته ، وهو يأمر أن تأخذ البيعة على نفسك وعلى جميع أوليائه المقيمين قبلك وكافة رعاياه الذين في علك ، وتشعره بما عنده للمسارعين إلى الطاعة المبادتين في التباعة من نشر الإنصاف والعدل وإفاضة الإحسان والفضل ، وما لئن نكب عن الطريقة المولى وعدل عن الأولى ، من الكف الرادع والأدب الوازع ، ويتوسع في هذا المعنى توسعاً يشرح صدور أهل السلامة المستمرين على نهج الاستقامة ، ويقض أهدى أهل الفساد ويغض من نواظر ذوي العناد ، ويحلّي هذا الكتاب بآيات من القرآن تحسن استعارتها في باب العزاء ويلين ذكرها في باب الإشادة بالخلافة والخلفاء .

وهذا الرسم فيما يصدر إلى الأعمال ، فأما ما يقرأ بالحضرة فإنه يقال في موضع : وكتاب أمير المؤمنين إليك ، وأنتم معاشر الأشراف بني عم أمير المؤمنين والعلميين وخواص الدولة وأمرائها وأمثالها وأجنادها وكتّابها وقضائها وكافة رعيها ومن اشتمل عليه ظل مملكتها ، أحق من حافظ على عورفنا واعتد بلطائفنا وقام بشكر نعمتنا وسارع إلى بيعتنا واعتصم بحبل دعوتنا فأجمعوا على متابعتنا وإعطائنا صفقة إيمانكم على مشايعتنا ، ليجمع الله على التأليف كلمتكم ويحمي بالتوازر^(١) بيفتكم ويتبع هذا من وعد أهل الطاعة بما يُرهب حدودهم ومن وعيد أهل المعصية بما (٣٧٠) يُصغرُ حدودهم على نسق ما ذكر في الترتيب الأول .

(١) قوله ووازره : أماته على الأمر . وفي صحيح الأئمة : بالتوازر . وهو أنصح .

الكتب في المهنة

هذا الفن من المكتبات له من الدولة موضع خطير ومن المملكة موقع أثير ، ويتعين على الكاتب أن يخلي له فكره ويعمل فيه نظره ، ويتوفر عليه توفر يحكم مبادئه ويهذب معانيه ، وأن يتحيط من سقط يدخل على الشريعة تقصيراً أو يجزّر إلى السلطان وهيسة ، وأن يأتي بما يدل على علو الكلمة وعزّ الأمة وانسباط القدرة وحضور النصرة ، واستجماع العدة واستكمال العدة ، وظهور الأيد ووفور الجند ، وقصور الملوك عن المطولة وعجزهم عن المصاولة ، ليعود ذلك بالرفع من أهل الدين والوضع من المخالفين .

والرسم فيها أن يفتح بحمد الله تعالى على الهداية إلى دين الإسلام الذي اذل به كلّ دين وأعرّه وخذل كلّ شرع ونصره وأغمض كلّ مذهب وأظهره ، والتوغل في توحيده وتقديسه وتمجيده والشاء عليه بآلائه والصلاة على خيرة أنبيائه محمد ، صلى الله عليه وعلى آله .

ثم يذكر رغبة المخلفاء الراشدين ، عليهم السلام أجمعين ، في السلم الذي حضّ الله تعالى عليه وأمر بالجنوح متى جنح المخالفون إليه ، فقال جلّ قائلًا : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاسَبِّحْ لَهُ ﴾^(١) . وأنهم لولا ذلك لشرعوا الأسنة إلى مخالفهم في الدين ونصوا الجياد إلى جهاد من يليهم من الملحدين ، ائتماراً لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾^(٢) . ويأتي في هذا المعنى بما يستوفيه ويكفي فيه ، مما يرهّب أهل الخلاف ويقودهم إلى المواقفة بجرائم الاعتساف . ثم يقدم مقدمة تكون بساطاً لذكر السبب الذي أوجب عقد المهنة

(١) الأفعال ٦١ . في الأصل : السلام .

(٢) التوبة ٩ .

ودعا إلى قبول التوادعة . ثم يشفع الشروط التي^(١) انعقدت المسالمة عليها مستظهراً فيها للدين على المعاهدين وليتحرّز من غَلَل يتطرق به إلى نقص شيء مما شرط أو استعمال لفظ مُشترِك أو معنى مُلتبس يوقع شبهة يوحد السبيل إلى التأوّل وليأخذ المأخذ الواضح الذي لا تتوجّه عليه مُعارضة ولا تتطرق إليه^(٢) مُناقضة ، وليؤكد القول فيما تقرّر علي من مفاداة أو تسليم حصون أو حمل مال أو حفظ سفر أو إقامة أو إمداد بجيش أو دخول في طاعة أو مجانبة عدو أو محاربة وترك مواطناته أو كَفَّ رجاله وغيرهم ممن يدخل في طاعته وبمحالف عليه من أهل مملكته عن ثغور الإسلام ، إلى غير هذا .

ولين الكلام على ما لا مدخل للإعلال فيه ، ويؤكد الشرط في حفظ تجار المسلمين ورعاية المسافرين والمحتارين وتوجههم بالإعزاز والكرامة والتميز وصونهم بَرّاً وبحراً وسهلاً ووعراً ولا يبق فرجة حتى يسدّها ولا صدعاً حتى يراه . ثم يقتصر شروط التهادن فصلاً فصلاً . والبلغ المطبوع يكتفي بقربته في ترتيب هذه المعاني إذا دفع إلى الإنشاء فيها إن شاء الله تعالى .

وقد يتعاقد عظماء أهل الإسلام على التوادع والتسالم واعتقاد المودة والتصافي (٣٧٢) والتوازر والتعاون والتعاقد ، ويشترط الأضعف منهم للأقوى تسليم بعض ما في يده أو القيام عنه بمقاطعه أو الانقياد إلى التباعة والطاعة أو الإكرام في المخاطبة والمجاملة في المعاملة أو الإمداد بجيش إن هجم عدو أو امتثال الأوامر والنواهي ، وغير هذا مما [لا]^(٣) يُحصى .

والكاتب إذا استقرى المعاني التي يقع الاصطلاح عليها وكان ذا طبع قويم وخاطر سليم نهياً له الاحتياط فيها بما يحتاط به في مثلها .

(١) في الأصل : الذي .

(٢) في الأصل : فيه .

(٣) من صحيح الأعرس ٤ / ١٤ .

وقد جرت العادة بأن يتقاسم المتهادنان بأيمان على ما نهادنا عليه نودع
كتاب المواصفة .

وقد رسمنا للبين رسماً يحتثي الكاتب عليه متى احتاج إلى استعمال
مثله ، وهو يقول : فلان بن فلان والله الطالب الغالب الشُّدرك الشُّهْلُك ، الضار
النافع ، المظَّلَع على السرائر والخفايا ، العالم بما تجتَنه الضمائر والطوايا ،
الذي لا تخفي عليه خافية الأعين وما تخفي الصدور ، القائم على كل نفس بما
كسبت والمجازي لها بما احتفت ، وحق محمد ، ﷺ ، وحق القرآن العظيم
المنزَّل على قلبه الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ ^(١) ، أنه يفي بما
تضمنه هذا العقد ولا يخالف شيئاً من أحكامه وحدوده ولا ينقض عهداً ولا
عقداً ولا شرطاً من عهوده وشروطه وعقوده ، ولا يعمل بما يخالفه وينافيه ،
ولا يتأول وجهاً من وجوه التأويل فيه وعليه بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذه
على ملائكته ورسله وأنبيائه ، فإن خالفه أو خالف شيئاً منه أو تحيل في نكته أو
توصل إلى نقضه أو أدهن (٣٧٣) أو أدغل أو تمحل أو تعمل فحنث أيمان البيعة
لازم له بحلالها وحرامها وعتاقها وطلاقها وحجبها وصدقها وجميع حدودها
وموجباتها ، ويرى من الله ، عز وجل ، وملائكته المقربين وأنبيائه
المرسلين ، ومن محمد ، ﷺ ، ومن الأئمة من آل الطاهرين ، ولقي الله تعالى
جاءداً له ، مشركاً به ، مدعيّاً له البنات والبنين ، قاتلاً فيه ما يقوله عبادة
الأوثان وحملة الصليبان ، شريكاً لقتلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وولده
الحسين عليهما السلام ، موالياً لأعدائهم ، معادياً لأوليائهم ، راضياً بكل دم
سفك أئمة الضلال في الإسلام ، وعليه الحج إلى بيت الله الحرام ثلاثين سنة
حافياً حاسراً راجلاً لا يأجره الله على ذلك ، وكل ما تملكه من نال وطريف
صدقة محرمة خارجة عن يده ، وكل زوج له طالق ثلاثاً بتاتاً طلاق الحرج

(١) فعلت ٤٢ . في الأصل : ولا من قبله .

والسنة وعلى سائر المذاهب التي يصح بها الطلاق ، وكلّ عيّد له وأمة أحرار
لوجه الله تعالى لا سبيل له عليهم ، وكلّ فرس في رباطه حبيس في سبيل الله ،
وهو بريء من دين الإسلام كلّهُ على اختلاف مذاهبه ، مفارق لعصته ، خارج
عن دائرته ، ومن كلّ دين يدين به المتدينون واعتقاد معتقده المعتقدون . وهذه
اليمين يمينه كلّما حاول الخروج منها عاد فيها ورجعت بيميناً غموساً مؤكدة
مطوّقة في عنقه حتى يلقي الله تعالى يوم القيامة ، وهو مأخوذ بها مُطالب ،
والنية في جميع ذلك نية المستحلف ، فإن نقض شيئاً من هذه اليمين فقد أباح
ماله ودمه ونقض عصمته وذمته ، وليس له بعد ذلك لا عهد ولا عقد (٢٧٤) ،
ومائر رجال الدولة في حل وسعة من ماله ودمه وولايته وإمارته ومن كلّ
ما يعاملونه به من معاقبة ومحاربة . وحلف بهذه اليمين طالباً راعياً في صحة
عقله وجواز أمره ، طامعاً غير مُكره ولا مجبر ولا مُضطهد ، وذلك في يوم
كذا .

فإن كان الحالف خليفة قال : يقول فلان بن فلان أمير المؤمنين في أصالة
من رأيه ونفاذ من حزمه ، سالكاً سبيل الرضى والاختيار غير تابع لحكم من
أحكام الكراهية والاضطرار . ويستوفي معاني اليمين على الإجمال توقيعاً له ،
وإذا وصل إلى . . . قال : وعليّ أيمان أهل البيعة ، ولم يفضلها إلا أنه يقول :
فإن نقضت ذلك فقد خلعت نفسي من الخلافة ، ونقضت بيعتي التي في أعناق
الكافة ، وأبرأتهم منها في الدنيا والآخرة ، وبرئت من ولادة فلان بن فلان .

الكتب إلى من نقض العهد

فإن نقض معاهد عهده ونقض من شروط الهدنة يده ، فالرسم أن يصدر
ما يكتبُ به بحمد الله تعالى على موهبه في إظهار الدين وإعزاز المسلمين ،
وما تكفله من النصر على الباغين ووعد به أهل العدل من الإدالة والتحكين ،
والصلاة على سيدنا محمد النبي ، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ، وإيراد

طرف من معجزاته وقضائله وآياته ومناقبه التي تنخرط في هذا النظام وتليق بهذا النمط من الكلام ، (٣٧٥) ثم يتبع ذلك بمقدمة تدلّ على مقامه البصائر في الدين ووثاقة العقائد في إذالة المُحَادِّين ومضاء العزائم في مجاهدة^(١) المعتدين والاستطالة على المعاندين مع ما تضمّنه الله تعالى من نصره وإظفاره ووعده به من تأييده وإقداره ، وسهله من أهواء الأهوية إليه وجمع الكلمة عليه ، بما خوله من بأس وعديد وعدة ، وما يليق بهذا مما يُعرب به عن علو السلطان ووفور الأعوان ، واتساع القوة والأيد وصدق التشعير والجد . ثم يذكر الحال التي انعقدت الهدنة عليها وأنّ الإجابة لم تكن وقعت إليها قصوراً عن غزوهم في عقر دارهم وتشريدهم بالغارات المشبوبة برأ وبجرأ عن قرارهم ، وأنما كانت قبولاً لمساءلتهم وامتنالاً لأمر الله تعالى في مسألتهم ، ويؤخذ في تعديد الوقائع التي أوقعها أهل الإسلام بهم ، والمشاهد التي نصر الله تعالى فيها عليهم والمعاقل المنتزعة من أيديهم ، وأنّ تلك العزائم مضطربة متوقّدة وتلك السيوف محدّدة مهتّدة ، وأنّ الله تعالى قد أباح حُرْمَ مَنْ نقض عهده ونقض من الدّمَامِ يده ، وأنّ كتاب الله مرجفة وراء هذا الكتاب ، في جيش يلحق الحَزَنَ بالهضاب ما لم يكن منهم مبادرة إلى الإقلاع والإنابة ومكاتبة في الصّبح والاستنابة ، وأنّه قد قدّم الأعدار وبدأ قبل الإقدام بالإنذار ، وما تقتضيه الحال من هذا ونحوه .

فإن كان الكتاب جواباً عن كتاب ورد أجيب بما يقتضيه ، وبُني الأمر فيه على ما ييسر الهيبة ، ويدعو إلى النزول على أحكام الطاعة .

وقد فلنا : إنّ الأمور الحادثة والأسباب العارضة لا تنتهي فيحيط بها مثلاً . وينبغي أن يحتاط (٣٧٦) الكاتب فيما يطلق به قلمه من هذه المعاني الخطيرة ، لأنّها مزاحمة بالدول والملك ، وحجج [تحصيل]^(٢) من كلّ دولة عند الأخرى ، وفكّك ما يقع فيها عائداً عليه ومنسوباً إليه .

(١) من صبح الأعشى ٢٥٩/٨ ، في الأمل : مجاهدة .

(٢) من صبح الأعشى ٢٦٠/٨

الكتب إلى مَنْ خلع الطاعة

هذه الكتب تختلف رسومها بحسب اختلاف أقدار المُكاتبين وأحوالهم في الخروج عن الطاعة ، وجمع أوضاعها كلها في قانون كُلِّي قَسِر المرام ، إلا أننا نرمس فيها رسوماً يمكن الزيادة فيها والنقص منها . والعادة أن تُفقد هذه الكتب إلى مَنْ تُرجى إثابته وتؤمل مراجعته . فأما مَنْ وقع الإيأس من استصلاحه ودعت الضرورة إلى كفاحه ، فلا حاجة إلى معاتبته ولا وجه لمكاتبته مع تصائبه عن الوعظ ومصارمته .

والرسم فيها أن يفتح بعد التحييد المناسب لغرض الكتاب والصلاة على النبي ، صلى الله عليه وعلى آله بما يدعو إلى إيناسه ويزيل أسباب استيحاشه ويعود بثبات جأشه ، ويبحث على مراجعة فكره ومعاودة النظر في أمره ، وتذكيره بما أسدي من العوارف إليه وأفيض من النعم عليه ، وآلاً ينفر سيزبه بجحدها وكفرها ويوحش ربيها بإعمال حمدتها وشكرها ، ويرتبطها بحسن الطاعة ويستوهبها بالتأدب في التباعة ، ولا يجز [الربال] ^(١) على نفسه بالخروج عن العصمة ، في عاجل الحال ذميم الوصمة ، وفي آجلها أليم النقمة . وينظر لمآقبته ومَنْ يليه من ذوي الحمية بما يقتضي ربّ الإنعام لديهم وإقرار الفضل عليهم ، (٣٧٧) ولا يسلبهم مَلَبَس الظل الظليل ويعطّلهم من حُلِي الرأْي الجميل ، ويتذرع في أثناء ذلك بشعار التفاف ويسم بميسم الشقاق ، ويتعجل إزعاجه من داره ويُغذّه من قراره ، وهدم ما شَبَّهه الإخلاص من ذكره وتقويض ما رفعه الاختصاص من قدره ، ويعود بعد أن كان مجاهداً عن الحوزة مجاهراً لجُنْدِها وبعد أن كان مرامياً عن الشَّدة مرمياً بيدها ، ويضيع ما أدل إليه وأفيض من الإحسان إليه ، وما ذهب من الزمن في تريجه إلى مرافي السيادة ومن الرغائب في إلحاقه بأهل السعادة ، ولا يفتن بمن يُرَيْن له عاجلاً

(١) من صبح الأعيان / ٨ / ٢٦٣ .

بمنح الآجل ويتقرب إليه بخَلْع الباطل ، وينبذ أقوالهم دبر سمعه ويبعد أشخاصهم^(١) عن نظره ، ناظراً في عاقبته وحارساً لمهجته ، وراغباً في حَقْن دَمِهِ وصيانة حُرْمِهِ ، وليرجع إلى الفناء الذي لم يزل يُحرِّضه والكُفْر الذي لم يزل يعمِّره ، ولا يجعل مُسأله بالعمود مُتَازِعاً ومُواصله بالجمود مقاطعاً ، وواهبه بالكفر سائياً ومطلع النعمة بإيضاعه حَقّاً مَغْرِباً ، وقد يَقِي في الجبل مِمْسِك وفي الأمر مستدرك لأنَّ يَهْبُ من رقدته ويستبدل من لقاء راية أمير المؤمنين بلقاء حضرته ، ثُمَّ يَقُول : فَإِنَّ كَانَ مَا جَنَاهُ قَدْ نَفَرَ سَرِيهِ وَكَدَّرَ شَرِيهِ ، وَحَسَّنَ فِي نَفْسِهِ سِرَّ الظَّنِّ وَأَخَافَهُ بَعْدَ الْأَمْنِ فَلْيُرْسِلْ^(٢) بَمَنْ يَسْتَوْثِقُ لَهُ وَيَعَاقِدُ وَيَتَوَكَّدُ وَيَعَاهِدُ فَإِذَا عَادَ بِمَا^(٣) يَمْلَأُ فُؤَادَهُ أَمْنًا وَيَكُونُ عَلَيْهِ حَصَصًا ، سَارِعًا إِلَى امْتِنَالِ الْمُرَاسِمِ وَجَرَى فِي الطَّاعَةِ عَلَى سَنَنِهِ الْمُتَقَادِمِ ، وَلَا يَسْتَمِرَّ عَلَى الْمُدَافَعَةِ (٣٧٨) وَالْمُطَاوَلَةِ وَيَقْتَصِرْ عَلَى الْمُغَالَطَةِ وَالْمُحَاطَلَةِ .

ويقال بعد هذا : وقد قدَّم أمير المؤمنين كتابه هذا إليك حاجباً لكتائبه وجزء في استصلاحك قلبه قبل تجريد قوايفه ، وخيوله تجاذب الأعنة وذوابله مشرعة الأسيئة ، ولم يبق إلا قصدك في عقر دارك التي بَوَّأَكهَا وانتزاع نعمته التي منحكها ، فاستنشق سموم المعصية وقسه على نسيم الطاعة ، وتذوق مرارة المخالفة وزنها بحلاوة الموافقة ، وَكُنْ عَلَى نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ حَاكِمًا وَلَا تَكُنْ لَهَاظِلًّا ، ونحو هذا وما يليق به .

وإنَّ كَانَتِ الْمَكَاتِبُ إِلَى رَجُلٍ قَدْ سَبَقَتْ لَهُ سَابِقَةٌ فِي خَلْعِ الطَّاعَةِ ثُمَّ سَأَلَ الْإِفَالَ فَأَقْبِلْ بَعْدَ مَشَارَفَتِهِ الْإِحَاطَةَ بِهِ وَالنَّكَايَةَ فِيهِ ثُمَّ رَاجِعِ الْعَصِيَانَ ، فَالرَّسْمُ فِيهَا أَنْ يَفْتَتَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ جَاعِلِ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ وَالْعُدُوَانَ عَلَى الظَّالِمِينَ ، وَالْعَزَّةُ لِحَزْبِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَالْمُدَّةُ لِحَرْبِهِ وَأَعْدَائِهِ وَالْإِظْهَارُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَالْخَسَارُ لِأَهْلِ

(١) من صحيح الأئمة ٢٦٤/٨ ، في الأصل : أشخاصهم .

(٢) في الأصل : ويرسل .

(٣) في الأصل : ما .

معصيته ودائرة السوء على المناوئين لخلقائه في بريته ، ثم يقال : يحمد أمير المؤمنين على ما لا يزال يتخوله به من تصديق آماله وتوفيق أفعاله ، وتسيّد مراميه وهداية مساعيه ، وإجابة دعوته^(١) وتحقيق رغبته ، وإدالة مواليه وإزالة معاديه ، ومعونته على ما تولّاه وتمكينه ممن ناواه ، ويسأله^(٢) الصلاة على سيّدنا محمد نبيّه ، صلى الله عليه وعلى آله وسلّم .

ثم يؤتى بمقدمة تدلّ على حميد عاقبة الطاعة وذميمة معصية المعصية ، يسط القول عليها ويتوسّع فيها لتكون فراشاً لما يتلوها . (٣٧٩) ثم يقال بعدها : وإنما عمد لذلك أهل الغرارة الذين لم يلوكوا شكائهم التجارب ولم يمارسوا صرائم النوائب ، وأنّ فقد تدوّقت من كراهة المعصية ومرارتها وعذوبة الطاعة وحلاوتها ، ما يرجو أمير المؤمنين أن يكون وعظّمك وأذكبك وقوّمك وهذّبك وكشف لك عن عاقبتيهما ، فدعتك الطاعة إليها لما أسبغت عليك من لباس شرفها ومجدها واستخدمته لك من أنصار إقبالها وسعدها ونهتك المعصية عنها بما بلوته من سوء آثارها وصناعتها وجرّبت من مريض مراميه ومواقفها ، لأنها أقلت عددك وشئت شملك وولدت ومزّقت مطرّفك ومثلّدتك ، حتى تدارك من عطف أمير المؤمنين ما أنبتك بعد الحصد وراشك بعد الحصن ، وانتهى إلى أمير المؤمنين أنّك حننت إلى أتباع الضلالة الذين غرّوك ومِلّت إلى أشياع الفتنة الذين استهوك ، فأدّيتهم إليك وقربتهم منك ، وأصخيت إلى أقوالهم التي ظاهرها نُصح وباطنها غش ، وآرائهم التي مواردها صلاح ومصادرها فساد ، ومِلّت إلى ما حسّنوه لك من معاودة الشقاق والارتكاس في غيابة العصيان ومقابلة التّعصّب بالكفران ، فقيّم كتابنا إليك مذكراً ولنُصّحك بخطابه مُعْزِراً مُنْذِراً لِيَعْرِفَكَ حَقُّكَ ويهديك رشداً ويحقّقك على الأحسن بك في مبدئك وعاقبتك ، ويحذّرك من مراجعة ما فارقت واستئناف ما فارقت وأن

(١) في الأصل : دعوة . وما ابتداء من صبح الأعشى ٢٦٥/٨ .

(٢) في الأصل : ناله . وما ابتداء من صبح الأعشى ٢٦٥/٨ .

تنزل عن المنزل التي رَقَّكَ إليها (٢٨٠) وتجذب رباعك من النعمة التي [أرتمك] (١) فيها ، وتخلّي (٢) عن شرائع الذّعة التي أوردك عليها ، فانظر لنفسك حسباً وكُنْ إليها محتسباً ، وانفع بمرشد أمير المؤمنين ولا تخسر بخلافك عن أمره نصيبك من الدنيا والدين ، وارجع إليه مسترحماً فإنه يقتدي بالله في الرحمة للمحسنين (٣) ، ما دام مؤثراً لربّ النعمة لديك وإقرارها عليك ، فاعلم هذا واصل به إن شاء الله .

فإن نفذت المكاتب في هذا وأمثاله من الوزير فالرسم فيها أن يقال : موضعك ، أعزك الله ، من عنايتي وموقعك من رعايتي ، وما كفلته عنك لأمر المؤمنين وضمته والنزمته واشترطته تقتضي المحافضة عليك وربّ الصنعة لديك . وكلما حسنت أثرك وجعلت خبرك ووردت ما يُسبِّحُ إليك ودفعت في صدر حاسدك ، قعدت عن نصيرتي وتناقلت عن معونتي ، مُخطئاً لرشدك ومغفلاً من ثمة جنائيك مرّاً وزللت فسلكت من عقبي ذلك وعراً ، وقد كان ينبغي لك أن تحفظ من تلك المزلّة فلا تهوّر فيها وتستيقظ لموقع قدميك فلا تنوّر (٤) إليها ، وأن تذكر مرارة السالف فتعافه في الأنف وتأنف من مذلة السالدة فتتوقفاً في الطارف ، وأن تعتصم بمسكه من هزّة وأريحية إذا تمرّيت من دين وثقة ، تنقي مرّة بعهدك وتحافظ على عقدك . وقد كنت وعظمتك في تلك الكزة وأيقضتك قبل توغّلك في السكر ، ونصحتك وطرف الجبل في يدك وبضرتك (٢٨١) طريق رشدك ، فأبيت إلا تعامياً وتصاممت ادعاء للمعرفة وتعاطياً ، حتى دارت عليك الدوائر وخانتك العواقب والمصائر ، وشارف حبلك النضرم وركنتك التهذم ، وأوقفك احتراذك عن سماع الإنذار أقبح

(١) من صبح الأعي ١/٢٦٦ ، وهي بيان في الأصل .

(٢) من صبح الأعي . في الأصل : وتخلّا .

(٣) من صبح الأعي ، في الأصل : من المحسنين .

(٤) تنوّر : مثل نهوّر .

مواقف الاعتذار ، فلولا عاطفة من مولانا أمير المؤمنين أدركتك بوسائل قدّمتها
 وضمائمات تكفّلتها لتزل بساحتك المحلّور والتوت عليك الأمور ، وها أنا اليوم
 خجل منك مشفق عليك ، وكأنّي بك وقد رددت التوبة بعد هروجها جدعة
 وعادت السقطة والوقعة ، وأذنت لما أعرته من النعمة بالعود إلى ربّه والتزول
 على مَنْ يستره ويوجد السبيل إلى ربّه ، وقد كان الأحزم أنّ تسدّ الشفرة التي
 وليح منها إليك وتحطّ المرقاة التي تسوّر بها الحدثان عليك ، وأنت اليوم على
 حال يمكن ثلافيها واستدراك غلطك فيها ، فراجع التأمل ولا تستمر في غلوائك
 ولا تمل مع أهوائك ، فليس لمنّ تاب ونكت وأوقد نار العصيان وأزّت إلا
 الاجتنان والاستئصال وحطّ الرتبة وتحويل الحال .

وقد غالطت عنك ما أمكن وحسنت أمرك ما تحسن ، إلى أن أتى إلى أمير
 المؤمنين الإمامك ببعض ما كتب عليه فأكبره وأعظمه وأكبره ، وأمر بالكتاب
 إليك مؤدّعا من مرأشده ما يضرّك ويُسُدُّك ، فقف عليه واعرف الأصلح لك
 والأعود عليك ، ولا تُخسر متجري فيك وأجب أمير المؤمنين بما يُعطل
 ما تُسبب إليك ، وأسمعه بشواهد من فعلك تصدّمه ودلائل (٣٨٢) تحقّقه
 واكتب إلي بما أعمل عليه إن شاء الله .

فإنّ كانت المكاتبية إلى رعية قد خرجت عن الطاعة كتب إليها عن أمير
 المؤمنين بما مثاله : أمّا بعدُ وفقكم الله لطاعته وعصمكم من معصيته . فإنّ
 الشيطان [يُدلي الإنسان]^(١) بغروره ويجلو الشبه في معارض البيّنات بزوره ،
 مستخفّا لطائشي الأبواب مستزّلا للأقدام عن موقف الصواب مُحسّنا بكيدة
 لاعتقاد الأباطيل مُزَيّنا بغيّة اتباع الأضاليل صارقا بمكره عن سواء السبيل ،
 مصورا للحقّ في صورة الميّن مُعْطِيا على القلوب بمرصد الزين^(٢) ، والحازم

(١) من صبح الأعشى ٢٦٦/٨ وهي بياض في الأصل . ويعدّها (البرهان) ، ولا معنى لها مع ما ورد في
 صبح الأعشى .

(٢) الزين : كالصدا يهش القلب .

اليقظ من تحرّز من أشراكه وحيابله وتحفّظ من مخايله وغوائله ، وأنهم هواجس فكره واستراب بوساوس صدره ، وعرض ما يعرض له على عقله وكزّز فيه صادق نأمله ، فإنّ ألفاء عادلاً عن الهوى مائلاً إلى التقوى ، بريئاً من خُذع الشيطان آمناً من عوادي الافتتان ، أمضاه وانقأ بسلامة منتهيه وشمول الأمن في أوّله وآخرته . وانتهى إلى أمير المؤمنين أنّ الشيطان المرید استخفّ أحلام جماعة من جهالكهم فحفّت واستهفّ أفهام عدّة من أراذلکم فهفّت ، وحسن لهم شقّ عصا الإسلام ومعصية الإمام ، ومفارقة الجماعة والانسلاخ من الطاعة ، التي فرضها الله تعالى على الجمهور وجعلها نظام الأمور ، فقال جلّ قائلًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(١) ، واختيار الفرقة التي نهى الله تعالى [عنها]^(٢) فقال : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّوْا وَانْتَفَقُوا مِنْ بَيْنِ مَا بَيْنَهُمْ الْبَيْتُ ﴾^(٣) ومجانبة الألفة التي عذما في جلائل نعيمه ، فقال مشتبهاً بها على عباده : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَالِمَكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بَيْنَهُمْ يَوْمًا ﴾^(٤) ، وسؤل لهم التعرّي من آداب الدين والمجاهرة بالخلاف على أمير المؤمنين ، فنبذوا ما بأيديهم من بيعته وسلبوا من ظلّ دعوته ، وركبوا من ذلك أوعر المراكب وشربوا أجنّ المشارب ، وسعوا في البلاد بالفساد [وقاموا في وجه الحقّ بالعناد]^(٥) ، واستخفّوا بحمل الأثام وبسطوا أيديهم إلى الدماء الحرام وشنّ الغارات على أهل الإسلام .

وقد علمت أنّ من أقدم على تأثير هذه الآثار فقد استنزل في هذه الدار لمخط الجبّار وتبوأ في الآخرة مقعده من النار ، وجرى على غير الواجب في إقاسة الفروض والصلوات وتأدية العبادات والزكوات وعقد العقود

(١) النساء ٥٩

(٢) من صبح الأعي ٢٦٦/٨ .

(٣) آل عمران ١٠٥ .

(٤) آل عمران ١٠٣ .

(٥) من صبح الأعي ٢٦٧/٨ .

والتناكحات ، لأن هذه الأحوال إنما تُرتضى وتُرفع وتُجاب وتُسمع ، إذا تولاها أمير المؤمنين أو مَنْ يستخلفه من صلحاء المسلمين ، فأما إذا استبدتكم فيها بأنفسكم واقتديتم في تأديتها بناكث عن سبيله مجانب للبلية فقد تسكتم^(١) في الضلالة وتطابقتم على الجهالة ، وكل راضي منكم بذلك عاصي لله ولرسوله وللإمام .

ولما اطلع أمير المؤمنين على ما ذهبت إليه بسوء الاختيار وركبتموه من مراكب الاغترار لم يَرِ أَنَّ يُلغِيكم ويهجركم ويفلکم ولا ينصرکم ، فقدّم نكاتيتكم مُعذراً مُثْلاً وَمُخَوِّفاً مُخَذَّراً ، وبدأكم بوعظه مشفقاً عليكم من زلة القدم (٣٨٤) وموقف الندم ، وصارفاً لكم عن مضال الغواية إلى مرشد الهداية واقتحكم باللفظ الأحسن والقول الألين ، وهداكم إلى السبيل الأوضح والمتجر الأريح ، راجياً أَنْ يهديكم الله تعالى إلى طريق الرشاد ويدلّكم على مقاصد السداد ، ويعيدكم إلى الأولى ويففكم على الطريقة المثلى ، وأنّ تعرفوا الحق فتعتصموا بما في أيديكم من بيعته وتقوموا بما فُرض عليكم من طاعته ، وترجعوا إلى إجماع المسلمين وما اتّفقت عليه كلمة إخوانكم في الدين ، وتنبهوا مذاهب أهل السلامة وأولي الاستقامة ، فإن وقع ما ألّاه إليكم الموقع الذي قدره فيكم وسألتم الإقالة ، فالتوبة تنفعكم والعفو يسكنكم ، وإنّ تماديت في غيكم وباطلكم وغروركم وجهلكم نفذت إليكم جيوش أمير المؤمنين مقوّة ومن عصاتكم منتقمة ، وذلك مقام لا يتميز فيه البريء من السفيم ولا الجاهل من العليم ، ألا تسمعون^(٢) الله تعالى : ﴿وَأَقْبُوا فِتْنَةً لَا تُؤْسِبُ إِلَّا الْبُيْنَ ظَلَمُوا بِكُمْ خَاصَّةً﴾^(٣) وإني فتنة أشد من طاعة الشيطان ومعصية السلطان وشق العصا وإراقة الدماء وإثارة الدهماء ، فاتقوا الله وارجعوا وتأملوا

(١) غرّ الأمل : تسكتم .

(٢) غرّ الأمل : تسمعون .

(٣) الأنفال : ٢٥ .

وراجعوا وتبصروا واستبصروا فقد أوضح لكم أمير المؤمنين المحجة وبدأكم بالمحجة فأوجدوه السبيل إلى ما يؤثروه لكم ولكافة أهل الإسلام من حقن الدماء وصيانة الحرم وتحصين الأموال وشمول الأمن والأمان ، وأجيبوا عن كتابه هذا بما يوفقكم الله تعالى له من إجابة دعائه (٣٨٥) والعمل برأيه إن شاء الله .

فإن كانت المكاتبة إلى رجل قد عفي له عن بلاد يده وفُرِضت عليه مقاطعة يحملها إلى بيت المال في كل سنة فأخلَّ بحملها وأطعمته نفسه فيها ، نفذت المكاتبة إليه من الوزير بما مثاله : قد علمت ، أئدك الله ، أنني لا أغني في رب نعمة أمير المؤمنين أربك وإقرارها عليك عن معونة منجھتك ، بما تبذله من خدمته وتستدعي به الزيادة من عارفته ، وقد أخللت بحمل مال المفاوضة المستقر عليك إخلال من يظن إن ما بيده ميراث حازه عن أبيه وجده ، إن نزع منه عويل بالظلم والإجحاف وإن أقرَّ له به اعتد بالعدل والإنصاف ، ودعاك إسهال السلطان لك إلى الطمع في ماله ، وقد يضرب صاحب الحق عن اقتضاء حقه ثم يقتضيه ويغفل ما يجب له ثم يستدعيه ، فلا يغتر اللبيب بنظرته وبنام عن عاقبته ، بل يعد ما يلزمه إلى حين استئذانه ، هذا إن لم يتبرع بأدته ، وقد ذهب بك المهمل إلى تظلم من اقتضى حقه وتجوير من استدعى دينه ، ودعتك كرامة هنتك وبخلك ييسر من كثير ما جمعته وحقير من خطير ما حويته ، إلى تشتيت شمله كله والانسلاخ من ظله ، والتعرض لزوال النعمة وحلول النقمة ، وشماتة الأعداء وكآبة الأولياء ، وابتزاز ما هو أصل للمال ، والتشرد عن الوطن والتصدي للسحن ، ولباس الذلة بعد العزة والضعمة بعد الرفعة ، فراجع الأمر بصحيح لبك وارجع عن ذميم مذهبك ، وانو الصحة واعتقد بها واثو النعمة بالوفاء وخلد لها ، (٣٨٦) وأخرج قليلاً تحفظ كثيراً ، واحمل ما فيك جهتك ولا تُفترط في مغيبك ، ولا تفترب من يرين لك عاجلاً قبيح الآجل وتقرَّب إليك بالباطل ، وقد أعلدوت وأندرت وأعلمتُك ما عندي قبل خروج الأمر من يدي ، وإذا قاربت قلن أتباعد وإذا يئرت قلن أتعمر إن شاء الله .

فإن كانت المكاتب إلى رجل قد أقدم على نهب أو شئ غارة أو غصب مال أو تغيير دعوة أو سكة أو لقاء جيش أو حشد رجال أو غير ذلك مما يخرج عن أحكام الطاعة ، ضمنت مكاتبته من القريع المؤلم والوعيد المزعج والخطاب الموجه ما يعود بكفه عن فعله ، وتخييره في أمره وشغله بنفسه .
وأكثر هذه الكتب تصدر عن الوزير ، وليست رسومها مما تُحصر بقوانين جامعة . والذي مثلنا به كافٍ في تعرّف أوضاعها واستنباط أمثالها بمشيئة الله تعالى وعونه .

الكتب بالتضييق على أهل الجرائم

لم يزل السلطان يكتب إلى الولاة عندما ينتهي إليه من إقدام الرعايا على ارتكاب الجرائم واستباحة المحارم واقتراف المآثم كالزنا واللواط وشرب الخمر وقطع الطرق والغصب والتظالم وما يجري هذا المجرى بالتضييق وإقامة حدود الله فيهم .

والرسم فيها أن يُفتتح بحمد الله البادئ بنعمته قبل افتراض طاعة المبتلى^(١) ببرّه قبل إيجاب شكره ، خالق الخلاق وجوداً وكرماً وموسعهم منناً ونِعماً ، الذي اختار دين الإسلام (٣٨٧) وطهره من الأرجاس ونزّاهه عن الأدناس واخصّ به صفوته من الناس وابعث به محمداً سيد المرسلين ﴿يُسَبِّحُ مَنْ كَانَ حَيًّا وَحَيَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٢) ، بحمده أمير المؤمنين أن فوّض إليه إيالة^(٣) خلقه وأقدره على القيام بحقه ، ونصبه لإعزاز دينه والمحافظة على مفروضه ومسئونه ، وذيادة العباد عن محارمه التي نهى عن التعدي إليها وإقامة الحدود عليهم فيها ، ويسأله^(٤) الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) في الأصل : المبتدأ .

(٢) بس ٧٠ .

(٣) في الأصل : إقالة . وما أئتمناه من صبح الأعشى ٢٠٤ / ٨ .

(٤) في الأصل : نسأله . وما أئتمناه من صبح الأعشى .

ثم يقال : وإن أمير المؤمنين يرى أنّ من أعظم نعم الله تعالى عليه توقيفه^(١) لحفظ ما استحفه من شريعته ورعاية مَنْ استرعاه من برئته ، وتوفير العناية على مَنْ فقدته النظر فيهم واعتماد ما عاد بالصلاح والدنيا عليهم ، وسأوى به بين قريبهم وبعيدهم في تفقده ومماثلته بين قاصيهم ودانيهم في تعهده ، فلا ينال القريب نصيباً من رعايته وملاحظته إلا نال مثله البعيد على عدواه داره ومحلته ، ولذلك لا يزال ينه غافلهم ويعلم جاهلهم ويهدي حائرهم ويحدّ بصائرهم ويروق مائدهم ويصلح فاسدهم ، ويتخولهم من مواعظه بما يبرد القلل ، وينسخ الشك باليقين ويقتبس مقابس النور المبين . فمن أصغى إلى إرشاده سيّد جدّه ووريّ زنده وأخيه يومه وغده ، ومن خالف عن أمره ضلّ مسجده وخسر آخرته ودنياه ، ودعا إلى اتباع أمر الله تعالى في تقويمه وإصلاحه والكفّ بإقامة الحدود عليه من جماعه .

وانتهى إلى أمير المؤمنين ما أقدم عليه (٣٨٨) الأحداث وأهل الغرارة قبلكم من احتقار الآثام واستنمات مراكب الحرام ، والاستهتار بمحظور اللذات والإكباب على ذنبي الشهوات ، التي تسليخ من الدين وتخرج عن دائرة المسلمين ، وتقطع عن تأدية العبادات وإقامة الصلوات ، وتنظم في سلك البهائم المرسلة والسوائم الموهمة ، وتقصير مشايخهم وعلمائهم عن كفهم والأخذ على أكفهم ، وتعريفهم وجوه مرادهم وتقويم أودهم ، فامتعض^(٢) من ذلك فاشتق عليكم من نزول القوارع والمثلثات وحلول البليات والآيات ، وارتجاع ما أودعكم الله تعالى من نعمته وانتزاع ما ألبسكم من رحمته ، وبادر بكتابه موقظاً لغافلکم ومُبصّراً لذاهلكم وراعياً لكم على مراجعة الأولى ومعاودة الطريقة المثلى ، ومبادرة آجالكم بأعمالكم والأخذ لآخرتكم من أولاكم^(٣)

(١) في الأصل : توقيفه . وما أبتناه من صبح الأعي .

(٢) في الأصل : غانظ . وما أبتناه من صبح الأعي .

(٣) في الأصل : أولتكم . وما أبتناه من صبح الأعي .

ولسقمكم من صحتكم ولنومكم من يقظتكم ، عالمين بأن الدنيا لعب ولهو وإن
 الآخرة هي دار القرار وأنكم فيها كسفر شارقوا المنزل ، وكأن قد حين لا عمل
 ولا أمل ، ولا توبة ولا إنابة ، ولا عنرة ولا مغفرة ، وإذا لا ينطقون ولا يؤذن
 لهم فيعتذرون . فاجتهدوا عباد الله واحتشدوا وأقلعوا وارجعوا واسمعوا
 وعُوا ، نكأنكم والله بالدنيا وقد تصرح^(١) بانعها وتوضعت خدعها ونصرم
 متاعها وحل متوقعها ، فالسعيد مَنْ وثق بما قدم لنفسه بعد نفاذ أيامه وورود
 حمامه ، والشقي [مَنْ]^(٢) [٣٨٩) أفرط وفرط ، ونديم حيث لا متدّم ، وأوعز
 إلى والي الحرب فلان بقراءة ما نُصّ فيه عليكم ، واختار سيركم بعد مروره
 على أسماعكم ، فمنّ رغب في التقوى ورغب عن الهوى وأثر الآخرة على
 الدنيا ، عرف ذلك له وتوخاه بتكرمه وتخلّاه ، ومن أبى إلا غواية وضلالاً
 وبطالة ومحالاً أقام حدّ الله تعالى عليه غير مراقب فيه ، فرحم الله عبداً صاناً
 نفسه في هذه الدار عن العار وحماها في الآخرة من عذاب النار ، وأمير
 المؤمنين يرجو أن ينفعكم الله بهذاية وشفى صدوركم بموعظته ويرشدكم إلى
 ما يفضي بكم^(٣) إلى الكفاية والحماية . فليعلم فلان بن فلان ذلك عن أمير
 المؤمنين ورسمه وليعمل بحكمه ، إن شاء الله .

الكتب في الاعتذار عن السلطان

من أخلاق العامة تقبيح سيرة السلطان إذا زلّ في بعض آرائه ، والإزراء
 على تدبيره في جيش يجهزه فيكسر ، ونحو ذلك مما لا يُسَلَّم من مثله ،
 والإفاضة فيه والتشتيع به . وهو يحتاج إلى مكاتبتهم بما يتلافى الوهن ويقم
 العُذر ، كما يكاتبهم بما [فيه]^(٤) تفخيم المنح وتعظيم الفتوحات والتحدث

(١) أي : يس .

(٢) من صبح الأعي ٨ / ٣٠٥ .

(٣) من صبح الأعي ، في الأصل : فيكم .

(٤) من صبح الأعي ٨ / ٢٩٠ .

بموقع المواهب ، وشكر الله على إصباح النعم والإظفار بأعداء الدين والدولة ،
 لتقوى بذلك منه وترهف بصائرهم وتستخلص طاعتهم وتملاً صدورهم رغبة ،
 وليست لهذه الكتب رسوم تنظم كل ما يقع فيها لاختلاف ما يُلام فيه . ونفيد
 في أصوله قولاً وجيزاً وهو : أن يقتضيت الكاتب له المعاذير التي تُحسّر
 أحذونه وتستر زلته ، والحجج التي تعيد اللائم عاذراً (٣٩٠) والذام شاكراً ،
 وقد نهت ريح النصر للقاسطين على المقسطين امتحاناً من الله ويلوئ ،
 ﴿يَعْرِى الَّذِينَ اسْتَفْأَ بِمَا عَمِلُوا وَيَعْرِى الَّذِينَ اسْتَسْتَأْ بِالنَّاسِ﴾^(١) ، إلا أن ذلك قليل من
 كثير ويسير من خطير ، مما يسبغه على أوليائه من الإظهار ويقضي لهم في العلو
 والافتدار ، وليس ذلك ، وإن أثر ، بقادح في بصائر المخلصين ولا مسلط
 للشك على اليقين ، من غير أن يصرح بباطل ولا يحتج بماحل ، ولا يطلق كذباً
 محضاً ، ولا يخلق زوراً يعلم الناس بخلافه ، فتضاعف الهجنة وتكافئ
 المحنة ، فإنه لا شيء أقبح على السلطان وأقبح في جلالة الشأن من أن يُعتر
 في^(٢) كنه على إفك قد تعمدته في دفع الإخبار عنه ، وإنما ينبغي أن يعتمد في
 ذلك حسن التخلص والثورية عن الغرض واستعمال الألفاظ التي تدل على
 أطراف الحال ولا تفصح بحقائقها .

الكتب في الفتوحات

المكاتبة في الفتوحات والظفر بأعداء الدولة والملة واسترجاع المعادل من
 أيدي المخالفين من أعظم المكاتبات خطراً وأجلها قدراً لاشتمال أغراضها على
 إنجاز وعد الله الذي وعد به أهل طاعته في إظهار دينهم على كل دين وتوفير
 حفظهم من التأييد والتسكين ، وما يمر فيها من الأساليب المختلفة التي يشتل
 هذا القانون عليها .

(١) النجم ٣١

(٢) من صبح الأمل ، في الأصل : من .

والكتاب يحتاج إلى تصريف فكرته فيها وتهذيب معانيها ، لأنها تُتلى
(٢٩١) من فوق (١) المتأبر على أسمع السامعين وتجعل نصب عقول
المصلحين .

والرسم فيها أن يفتح بحمد الله العفو الحليم ، الغفور الرحيم ، العليم
الحكيم (٢) ، العزيز العظيم ، ذي البرهان المبين والفضل الجسيم والقوة المتين
والعقاب الأليم ، مبد القاسطين ومؤيد العادلين وجاعل العقبة للمتقين ،
المُلي إمهالاً وإنذاراً والمعاقب تنبيهاً وإذكاراً ، الذي لا يُنجي منه مهرب ولا
يعد عليه مطلب ، وكيف يعتصم منه وهو أقرب من حبل الوريد وله على كل
لافت رقيب وعيتد والصلاة على رسوله الأمين الذي ختم به النبيين وفضله على
المرسلين وأيده بأوليائه الميامين ، الذين قاموا في نُصرتة وإعزاز رايته ، المقام
الذي فازوا فيه بالخصل واستولوا به على قصبات الفضل ، فشكرهم معه في
الوصف والثناء ، فقال جلّ قائلًا : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
وَرَءَاءُ يَتِيمٍ ﴾ (٣) .

ثم يؤتى بمقدمة تشتمل على التحدّث بنعمة الله في شحذ العزائم نُصرتة
وتثبيت الأقدام في لقاء عدوه ومجاهدته ، وإنجاز وعده في الإعرّاز والإظهار
والنصر والإظهار والاستبشار بموقع النعمة في الفتح الجميل والإشادة بشنائه
الجليل ، ثم يفيض ما جرت عليه الحال في مقارنة العدو ومداناته وبثّ الطلائع
وتنفيذ السرايا في مبادئ ملاقاته ، وما يفيض إليه الأمر من التقابل في المواجهة
والتواشج في المطاعنة والمضاربة ، وذكر مواقف الشجعان في الكفاح
والمجاهدة والذّب والمُجالة ، وثبوت الأقدام ونفاذ البصائر والجود بالنفوس

(١) في الأصل : فوق . وهو خطأ .

(٢) في الأصل : الحليم . والصواب ما في صحيح الأئمة ٢٧٥/٨ . إذ سبق ذكر الحليم .

(٣) الفتح ٢٩ .

واشتداد الأيدي وقوة الشكايم (٣٩٢) واستحصال^(١) العزائم ، وتقخير أمر العدو ووصفه بكثرة الرجال والأجناد والقوة والاستعداد لأن موقع الظفر بمن هذه صفته أعظم خطراً ممن قُلت عِدته وعُدته ، وما جال بين الفريقين من قراع ومصارع ودمر ودفاع ومصالوة ومناضلة ومسابقة ومكافحة وحماية ومنافعة وثبات ومصافقة ومقاومة وموافقة^(٢) ومخادعة ومطامعة ، ونعت المواكب والكتائب والخيول والأسلحة والجرحى والمُجذلين والأسرى والمقتلين ، واستعمال التشبيهاات الرائعة والاستعارات الواقعة ، وإرداف المعاني في الإبانة عن لموع أسنة الذواويل وصندوق لحوم المناصل في القِمَم ، ونعت الدعاء المنبئة من الجراح على متون الرماح والصفاح .

ويذكر ما أظهره الله تعالى من مداخل النصر ودلائل الظفر وما أجلت عنه الحرب من قتل مَنْ قُتل وأسر مَنْ أُسر وهزيمة من هُزم ، وما غاز به الرجال من الأسلاب والأموال والدواب والرحال ما جرت عليه الحال من انفلال العدو عند المقاتلة أو فراره عند المقاتلة أو استئمان رجاله راعين في الإقالة أو أسره إن أُسر أو اعتصامه بمعقل لا يحصنه أو امتناعه بحيث يحتاج إلى تنازله واستنزاله قسراً أو حيازة المعقل الذي كان بيده وما اعتمد فيه من حسن السيرة وتخفيف اللطافة عن الرعية وحسم أسباب الفتنة وإعادة الخطبة والسكّة إلى العرف المعمود أو رغبته في المسالمة (٣٩٣) ومزاوله في المهادنة بخوفٍ أظله وعلع احتله ، وما تردّد من رسائل وتقرّرات من شروط وعقود وإنفاذ الأمر في ذلك لما أوجبه الحزم واقتضاب صواب الرأي أو تأخير له ليستأمر فيه ويستدعي من المراسم ما يعمل عليه .

ولأنّ كان السلم قد وقع والتنازع قد ارتفع ذكر اعتناع الحرب وإقلاق الخطب ، واجتماع الشمل واتصال الحبل ، واختلاط الفريقين وامتزاج

(١) في الأصل : استحصاف .

(٢) من صبح الأضنى ٢٧٦/٨ ، في الأصل : مصافقة ... وموافقة .

الحزين ، واتفاق الكلمة وشمول النعمة .

وإن كان المقدم لم يجبه إلى المودعة حتى وضحت الحقيقة في صدق رغبته وخلوص نيته حذراً من المكر والمخادعة ، ذكر ما مرّ في ذلك من رأي وتلبيز وتسديد وتقرير .

وإن كان طلب المهادنة تداهاً ليجد فسحة التمهّل فيكثر عدده ويجمّ عدده وتحدّد شوكته وتتمّ حيلته فاطّلع على ذلك فبادره مُقللاً لكيده ومكره مُدبّقاً له وبال أمره ، شرح الحال على نصّها وما انتهى إليه آخرها .

وقد يقع من هذه الأمور ما لا يُحتسب ، وسبيل جميعه هذه السبيل ويختم الكتاب بحمد الله القاضي لأوليائه بالإدالة ولأعدائه بالإذالة ، الذي يستدرج المختار بحلمه إمهالاً ولا يلقى العادل عن حكمه إمهالاً ، والصلاة على رسول صلى الله عليه وآله .

وهذه الكتب تصدر عن أمير المؤمنين إلى عماله ورعاياه ، وعن وزيره أيضاً ، وتصدر إليهما ممن تولّى الفتح ، ومعانيها واحدة وطرقها في العبارة مختلفة .

ومن وقف على أحكام المكاتبات الصادرة عن التابع إلى المتبوع ومن المتبوع إلى التابع ، التي استوفيناها فيما تقدّم لم يتعذّر عليه ترتيب هذه الكتب (٣٩٤) وتنزيلها منازلها .

الكتب في التوفقة^(١) بين السنين الهلالية والخرجية

السبب في انفراج ما بين السنتين الشمسية والهلالية أنّ أيام السنة الشمسية هي المدة التي تقطع الشمسُ الفلكَ فيها دفعة واحدة ، وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربع بالتقريب ، حسيماً يُوجبه حساب حركتها . وأيام السنة

(١) في الأصل : التوفقة .

الهلالية هي المدة التي يقطع القمرُ الفلكَ فيها اثنتي عشرة دفعة ، وهي ثلاثانة [و]^(١) أربعة وخمسون يوماً وسُدُسُ بالتقريب فيكون التفاوت بينهما أحد عشر يوماً وسُدُسُ [يوم]^(٢) .

وإذا تبادى الزمان تفاوت ما بين السنتين تفاوتاً يقبح ، فبرى السلطان عند ذلك أن تُثقل السنة الشمسية إلى السنة الهلالية بالاسم دون الحقيقة توفقةً بينهما وإزالةً للشبهة في أمرهما . ومتى أوعز بذلك لم يقف على الغرض فيه لا الخاصة دون العامة وأسرع إلى ظنِّ المُعاملين وأرباب الخراج والأملاك أن ذلك عائد عليهم بظلم وحيف ، وإلى ظنِّ المُجند ومستحقي الأطماع أنه متقص لهم ، وجزوا السلطان وشنعوا عليه ، فرسم بلغاه الكتاب في هذا المعنى رسوماً تعود بتفهم العمي وتصبير العبي وتوصل المعنى المراد إلى الكافة إيصالاً^(٣) يتساوون في تصديقه ويَقْنَهُ ، ولا تتوجه عليهم شبهة ولا شك فيه . وهو أن يفتح هذه الكتب بعد التصدير والتحميد بأن أمير المؤمنين بما وفقه الله تعالى له من النظر في مصالح المسلمين والأخذ (٣٩٥) بعزائم الدنيا والدين ، لا يجد ثغرة ينطرق فيها خلل إلا سدها ولا مرفقة يتوجه بها زلل إلا مهدها ووطئها ، مجتنباً للسياسة على أحسن أوضاعها وغير مُخَلٍّ بنوع من أنواعها ، وإذ لاح له من شديد التدبير وشريف التقرير ما يلحقه ذوو التمييز بوثاقة أصولهم ويمعى عنه أولو التقصير بسخافة محصلهم ، لم يضعه حتى يوضح وجه الإصابة فيه لثقاتي الخاصة والعامة على اعتماده ، ويتساوون في العلم باستقامته وسلاده ولا سيما ما كان داخلًا في المعاملات المتعلقة بالرهايا الذين متى لم يطلع صدورهم في معاملاتهم برء اليقين ويوصل الأغراض إلى أوقامهم الإقصاد والتبيين ، ساءت حدوسهم وتكررت نفوسهم ، فإذا بلغ بهم

(١) من صبح الأعشى ١٣ / ٥٥

(٢) من صبح الأعشى ، وهو يلائم في الأصل .

(٣) من صبح الأعشى ، في الأصل : اتصالاً

إلى الغاية جاهلهم وعالمهم ونافصهم وفاضلهم ، أنفذ آراءه وأمضاهها وقصد منها السبيل التي أرشده الله تعالى لها ونحاها ، وأمير المؤمنين يسأل الله سبحانه تسديده في كل ما يحل ويحقد ويصدر ويورد ويرسم ويحدد ، ونحو هذا مما يليق به .

ثم يقال : وإن الله تعالى هدانا بتبصرته إلى الوقوف على عجائب صنعته ، وأقدرنا بالتمييز الذي خصنا بفضيلته على التطرق إلى علم الغائبات عن حواسنا من دقائق حكمته ، وأوجدنا السبيل بما منحنا من التحصيل والإدراك إلى الإحاطة بحركات النجوم والأفلاك ، والعلم بما يحدث بينهما من مازجة واتصال ومباينة وانتقال ، وإضاءة وشروق ودرعنة وخفوق ، وليل ونهار ، وزيادة ونقصان وشتاء ومصيف وربيع وخريف ، (٣٩٦) وأنواء وأهواء وما يتبع ذلك . فقال جل قائل : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ يُسَلَّمُونَ عِنْدَ الْمُسْتَمِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ الزُّرَّارَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴾ (٣) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٤) ، ليدل جل اسمه على تفصيل حالاتها وتغاير الأزمنة باختلاف حركاتها ، ويذكر للغاية في اختلاف السنين الشمسية والهجالية التي ذكرناها أمام ذكر هذا الرسم ، والاضطرار إلى الجمع بينهما إذا افترقا وما دبره كل أمة في الأيام الفاضلة عن أيام الشهور ومناهبهم في ذلك واستمرارهم عليه إلى أن أجبرت الشريعة الهادية الأحكام ... على الشهور والسنين الهجالية ، فاجنبت فيها الصدقات والجوالي والمقاطعات وأجر الرباع وسائر ما يجري على المشاهرات ،

(١) يونس ٥ . في الأصل : وهو .

(٢) لقمان ٢٩ .

(٣) يس ٣٩ - ٤٠ .

واجتبت في السنين الشمسية أموال الخراج والمعاملات الديوانية ، وأنه لو أغفل إلحاق السنة الخراجية بالهلالية لكان بينهما من سنة الهجرة وإلى سنتنا هذه ، وهي سنة سبع وثلاثين وأربعمئة ، أربع عشرة سنة بالتقريب ، وقبح ذلك غاية القبح .

ثم يقال : وقد رأى أمير المؤمنين ، والله يوفق آراءه ، نقل سنة كذا الخراجية إلى السنة كذا الهلالية . فاعمل بما تضمنه كتابه هذا وتقدم إلى من قبلك من العمال بإجراء الأمر عليه في (٣٩٧) جماعاتهم وأعمالهم ، وأن ينسبوا ما كان جارياً في السنة المنتقل عنها إلى السنة المنتقل إليها ، وأقرأ كتاب أمير المؤمنين على من قبلك من الأجناد والرعايا والمعاملين ، ليعلموا أن هذا النقل لا ينتقص ذا عطاء من عطائه ، ولا يتحيّف معاملاً في معاملته . فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله .

الكتب بالنوويه والتلقيب

الرسم في هذه الكتب أن يفتح بحمد الله تعالى نعمة السابقة الضافية ومواهبه^(١) الزاهرة الثاوية ، وعوارفه التي جعلها جزاءً للمحسنين وزيادة للساكرين ، ونحو هذا مما يليق أن يفتح به هذا الغرض ، والصلاة على سيدنا محمد ، ﷺ وعلى آله .

ثم يقال : وإن أمير المؤمنين بما حوّله الله تعالى من نعمة ونزله من قسمة ، وخضّعه به من التمكين في أرضه والمعمونة على القيام بفرضه ، يرى الاقتداء به في إفاضة المنن على خلصائه وإسباغ النعم على أوليائه واختصاصهم بالنصيب من حباه ، والارتقاء بهم إلى المنازل الباذخة والرتب الشامخة ، وأن أحق من وفر قسمة من مواهب وعزّز سهمه من عطاياه ورغائبه من تميّز بما تميّزت به من إخلاص وسطاوعة وولاء ومشايعة ، وصفاء عقيدة وسريرة وحسن مذهب

(١) في الأصل : ومواهب . وما التفتاه من صبح الأعشى ٢٤٢/٨

وسيرة . ولذلك رأى^(١) أمير المؤمنين أنَّ ينعتك بكذا لاشتقاق هذا النعت من سمائك واستنباطه إياه من صفاتك ، وشرفك من ملابسه بكذا وطوقك بطوق أو بعبق ، (٣٩٨) . ولذلك بسيف من سيوفه وعقد لك لواء من ألويته ، وحملك على كذا من خيل وكذا من مراكبه . ويحسن الوصف لكل نوع من هذه الأنواع واشتقاق الفاظ من معانيه تُعربُ عن قدر الموهبة فيه . ثمَّ يقال : إبانة بذلك عن مكانك من حضرة وإثابة لك عن تشميرك في خدمته ، فالبس تشريفه وتطوق ، وتقلد ما قلَّدك به ، واركب حملاته ، وابرز للخاصة والعامّة في ملابس نعمائه وارفل في حلل آلائه وزين موكبك بلوائه ، وقُل : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾^(٢) ، وأعني على ما يسترهنها لديّ ، وكتاب أمير المؤمنين متلقياً مشعياً ، ومن سواه متلقياً متكنياً .

فعلى هذا جرى الرسم في خطاب الخلفاء الراشدين ، لأنَّ اللقب موهبة من مواهب الإمام أمضاها وأجازها ، فإذا مرّت عليه كانت كغيرها من نعمه التي يلمحها على عبيده . والكنية تكرمه يستعملها الناس فيما بينهم وليس حكمها كحكم اللقب .

فأما ما نُعتت به الأنواع التي يشرف به السلطان أوليائه فليس مما ينحصر في قول جامع ليقين النعوت والأوصاف إلا أنَّ مثاله أنَّ يقول : وشرفك من ملابسه الحاظية بما تسحب به ذيل الاعتلاء على متاكب الجوزاء وقلَّدك من سيوفه بسيف مأثور كالجدول المسجور تخاله تقمّص بالها وترى على صفحته مذنب نمال في ربا ، زاه بجوهره الطييعي الرصعي ، مفتخر بملابسه مقلد^(٣) بحبل النبي والوصي ، وحَمَلَك على جوادٍ مُطَهَّم كأنما انتقلت بالرياح الأربع لربمُّ وأصغى إلى استرقاق السمع سمعته ، فهو يذرع (٣٩٩) أدراج اليداء

(١) في الأصل : ما رأى . والصواب ما أثبتناه من مسح الأعشى .

(٢) التمل ١٩ .

(٣) في الأصل : يمقلد .

وسابق نزول القضاء إلى الأعداء ، مخرج بمركب خاص من النصار الخالص ،
وطوقك بطوق من التبر مرصع بفاخر اللؤلؤ ، تحبب الهلال أحرق نجوم النريا ،
وعقد لك لواء يده يلوي إليك الأعناق ويشهد لهذا المقد بالإحكام والوثاق ،
وتحو هذا .

الكتب بالإحما والإذمام

السلطان محتاج إلى مكاتبه من يقف منه على طاعة واجتهاد ، ومناصحة
وإخلاص ، بالشكر والإحما والبحث على الازدياد من المخالصة وحسن
السمي في الخدمة وغيرهما مما ترتبط به النعمة ويستوجب معه حفظ الرتبة .

ومكاتبه من يشر منه على تقصير وتغريظ وتضييع بالذم والتقريع ، لأنه
لا يخجل أعوان السلطان من كفاة يستديم كتابتهم بتصويب مرامهم واستتفاف
مسابيحهم وإحماهم على تشييرهم وشرح صدورهم ببسط آمالهم ، والعدة
يرفع منازلهم ومعالهم وتمييزهم على نظرائهم وأنسكالهم ، وعجزه يصلحهم
بالخطئة والاستقصاء والتوبيخ وتقديم الأعذار ، والتخويف من سقوط
المراتب وقبح المصاير والمواقب .

وينبغي للكاتب أن ينتهي في خطاب من انتهى في^(١) الحالين إلى غايةها بما
يوجه كل منهما ، وتتنخب المعاني الناجعة في الغرضين ويتوسط فيما بينهما
التروسط الذي تقتضيه الحال المفاض فيها ، لأن في ذلك تقريراً للمحسن على
إحسانه ونقلاً للمسيء عن إساءته ، وله موقع خطير من النفوس ، لأنه إذا علم
الناقص أنه مثاب على نهضته والواني أنه معاقب على ونيته ، (٤٠٠) اجتهد هذا في
الاستظهار لخدمته بما يزيد في رتبته وخاف هذا من سط متزنة وتغير حالته .

ولما كانت الرسوم في هذه المكاتبات تختلف بحسب^(٢) اختلاف

(١) من صبح الأعشى ٣٤٦/٨ ، في الأصل : إلى .

(٢) من صبح الأعشى ٣٤٧/٨ ، وفي الأصل : بحيث .

أغراضها ، وتشعب بتشعب معانيها ، ذكرنا الأسس التي بُنى عليها وغنيّا عن نصّ رسم فيها ، ووكّلنا الأمر إلى قريحة الكاتب وصنّاعته وجودة فكرته وإصابته ، لا سيّما وعلى هذا الباب مدار ما يجري بين خواص الناس وعوامهم ، وليست حاجة الشّوق إليه بدون حاجة الملوك وإيقاع أمثلة جامعة على هذه سبيله مستحيل غير ممكن ، وإنّما يُرجع في هذا وأمثاله إلى قريحة الكاتب العارف الكامل ، ووضع كلّ شيء في موضعه وترتيبه في رتبته ، حسبما يتّناه فيما تقدم .

الكتب بالأوامر والنواهي

على هذه الكتب مدار أشغال السلطان وأعماله ، لأنّها النافذة في تصرف الأمور وتنفيذ المراسيم إلى ولاته وعمّاله .

وليس لها أمثلة فنحدّدها ولا رسوم فنوردها ، لكنّه ينبغي للكاتب أن يؤكّد القول فيها ، فإنّ الأمر والنهي ، وإنّ اختلف لفظهما ، نوع واحد ، لأنّ كلّ مأمور به منهّي عن ضده ، وكلّ منهّي عنه مأمور بضده .

وينبغي للكاتب أن يؤكّد القول في امثال ما أمر به ، والعمل عليه ، والانقياد له ، والانتفاء عمّا نهى عنه ، والحذر من الإلمام [به]^(١) ، ويجزم في العبارة عنهما جزماً تاماً لا يتمكّن معه من الإخلال ببعضهما (٤٠١) أو التقصير فيهما لهُوى أو قضاء^(٢) حقّ ، ويؤتى من المبالغة بما يضيق العذر متى وقع تقصير أو تناقل عمّا حدّد فيهما . فأما تمثيل ذلك بمثل جامعة مع تقنن^(٣) المعاني التي يؤمر بها ويُنهى عنها فمعتلّز .

والكاتب إذا عرف الترتيب الواقع في هذين الغرضين على طريق الإجمال

(١) من صبح الأعشى ٣٠٨/٨

(٢) من صبح الأعشى ، وفي الأصل : نفس .

(٣) من صبح الأعشى ، وفي الأصل : تعين .

أمكنه أن يسطه^(١) إذا احتاج إلى التفصيل والبيان بمشيئة الله تعالى .

الكتب في الغيار

جرت عادة الخلفاء الراشدين بالزام الذمة للمعاهدين بلباس الغيار تفرقاً بينهم وبين المسلمين وقدحاً لهمتهم بالاستدلال في الترويج إلى الإسلام ، وكتب الكتب بذلك وقراءتها على رؤوس الأشهاد ، والإيعاز إلى الناظرين في المعاون بأخذهم بما رُسم وتأديب من تقدم على خلاف المأمور .

والرسم فيها أن يُنتسج بحمد الله الذي أكرم دين الإسلام عن الضلالة وأهلها وشرّفه على الأديان كلّها ، وأعرّزه وأذلّها ، وأظهره وأخملها ، ونصره وخذلها وأداله وأذلها ، وجعله سبيله الأقصد ودليله الأرشد ، وبابه الذي لا يوصل إليه إلّا منه ، ولا ينال ما عنده إلّا به ، ويسره وسهّله ، وبينه وفصله ، وثمّمه وكتمّه ، واستخلصه لنفسه وأحبّه ، واختصّه به من اصطفاه من بريته ، ولم يجعل معه ديناً ثانياً يُدني من ثوابه ويُنجي من سخطه وعقابه ، وفرض ألا يقبل غيره من أحد من خلقه (٤٠٢) ولا يصفح عن الإساءة إلّا لأهله ، ويعث به نيته محمداً ﷺ ، بشيراً ونذيراً وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً ، فيبين شرائعه ومناهجه وعُبد سبيله ومدارجه وأوضح آثاره وأعلامه وقرب متناوله ومرامه ، وأنقذ به من غمرة الضلالة وسكرة الجهالة ، والناس منكبتون عن الطريق الرشاد عابدون ما ينحتون من الجماد ، لا يهتدون إلى هدى فيستهدون ولا تبصر بصائرهم بلج الحقائق فيستلّون ، واستخلف عليه من بعده خيرته من ذريته وحفوفه من عترته الأئمة البررة المعظمين لحرمة ، المقيمين لحدوده ، الموقنين لجفوفه ، المؤيدين لقروصه ، الحامين لذماره ، المرامين عن داره ، عناية منه تعالى بإعزاز كلمته ونصر رايته ، وتصديقاً لوعده في إعلائه على كلّ دين وإظهاره على كُره المشركين .

(١) في الأصل : نسطه . وما ابتداء من صبح الأمل .

ثم يقال : بحمده أمير المؤمنين على أن أودعه منصب آباءه الطاهرين وأفضى إليه ميراث خلفائه الراشدين ، وجعله من المستخلفين على خلفه والقائمين على نصر حقه ، والدعاة إلى مسيبله بشافي بيانه والمرشدين إلى طريقه بواضح برهانه الذائبين عن دينه بما آتاهم من سلطانه .

ونسأله الصلاة على سيدنا محمد ، الذي شرفنا بيعته وكرمنا بورائه ، وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي خرق له العادة فيه وأيده بياسه على محاذيه ، فكسر الأوثان وحطم الصُّلْبَان واستلذ الأديان ، صلى الله عليهما وعلى آلهما وسلّم .

ثم يقال : أمّا بعدُ فإنَّ أمير المؤمنين بما استرعاه الله (٤٠٣) من دينه ، واستحفظه من شريعته ، وكفله من إعلاء منارها وإعزاز أهلها وإذلال من خالفها ، لا يزال يكرم أهل الإسلام الذين خصَّهم الله تعالى بكرامته ويميزهم عن الأمم بما يميزهم الله تعالى من نعمته ، ولا يفسح لأحد من اللمة وإن استعان بهم العمال . . . من عمائر الأعمال وجباية الأموال في مساواتهم في زي وملبس ، ولا جمال ولا مركب ، وضماً لهم بحيث وضعهم الله تعالى عن الإذلال والامتهان ، ووسماً بيمس من الضنار يفصلهم عن أهل الأمانة والإيمان ، الذين شرفهم الله بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وفضلهم بشريعته الهادية على كافة أهل الكتاب ، وجبلهم على التراؤف والتعاطف والتكافي والتناصف والاتفاق والتألف ، وحبب إليهم الصدق وزين لهم الحق ، وعقد تبتانهم على اليقين ، وأوجب لهم مجاورته في دار النعيم .

ثم يقال : ونمى إلى أمير المؤمنين أنه فشا بأعمال الحضر وغيرها للذمة زي شاركوا فيه أكابر أهل الإسلام حتى صار الجاهل بهم يلقي الرجل منهم فيحييه بتحية المسلمين ويخاطبه بخطاب الشريف . فأنكر أمير المؤمنين ذلك وأكبره ، وخرج أمره بإنشاء هذا السجل وتفضته الأمر لتولي الشرطة والحبسة بكف من يذهب من اللمة إلى مباحاة المسلمين بشيء من النعمة التي أنعم الله

تعالى عليهم بها ، وإلزام كافتهم بلباس الخيار وشدة الزناير في الأوساط ،
وصيغ عذب العمامم بالصفرة ، ومعاقبة من يخلّ بهذا المرسوم ليتباين
المسلمون والذمة في الزي والجمال كما يتباينوا في الدين والكمال (٤٠٤) إذ
لا سبيل إلى تباينهم في الصنعة البشرية التي شرك الله تعالى فيها الخبيث
والطيب والبر والفاجر والمؤمن والكافر ، وجعلها موهبة شاملة للنوع بأسره مع
علمه بالمؤمن وإيمانه والكافر وكفره .

ثم يؤكد هذا الكتاب بما يؤكد به مثله ويُرْصع من الآيات بما ينتظم في
سلوكه إن شاء الله تعالى .

الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خير خلفه وآله وصحبه
وسلامه . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



فهارس الكتاب

(١) فهرس الآيات القرآنية

| الآية | رقمها | الصفحة |
|--|-------|-----------------|
| (٧) البقرة | | |
| ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكِتَابُ﴾ | ٢٠١ | ٢٦ |
| ﴿سَتَجِدُنِي فِي الْقُرْآنِ مُتَذَكِّرًا يَوْمَ﴾ | ١٥-١٤ | ١٧٦ |
| ﴿فَمَا رَئَيْتُ يُعَذِّبُهُمْ﴾ | ١٦ | ١١٥ |
| ﴿أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ﴾ | ٢٩ | ١١٢ |
| ﴿وَلَا ظَنَّا لِلنَّارِ كَيْفَ أَسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾ | ٣٤ | ١٦٧ |
| ﴿وَأَنْشِرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْوَيْسَلَ﴾ | ٩٣ | ١١٧ |
| ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُفُّوا﴾ | ١٥٦ | ١٠٥ |
| ﴿وَلَكِنَّ الْغُلَامَ مَنَّ بِاللَّهِ﴾ | ١٧٧ | ١١٧ |
| ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَنْفُسِ حَيَاتٌ﴾ | ١٧٩ | ١١٩ |
| ﴿هُوَ رَاسُكُمْ وَأَنْتُمْ رِاسُ لُحْمٍ﴾ | ١٨٧ | ١٣١ |
| ﴿فَمَنْ أَعَدَّكُمْ عَلَيْهِمْ فَاغْتَدُوا عَلَيْهِمْ بِسُلَيْمٍ مَا لَعَنَ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ | ١٩٤ | ١٧٥ ، ١٦٠ ، ١٢٨ |
| ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثُكُمْ﴾ | ٢٢٣ | ١٣١ |
| ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ...﴾ | ٢٣٥ | ٢٢٣ |
| ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُمْ يَوْمَ﴾ | ٢٣٥ | ١٣١ |
| ﴿يَسْمَعُ اللَّهُ الْإِنْفِارَ وَيَوْمَ الْقِسْفَةِ﴾ | ٢٧٦ | ١٧٤ |
| (٣) آل عمران | | |
| ﴿يَجِيعُ الْقُلُوبُ﴾ | ٣٨ | ١١٣ |
| ﴿وَيُكَلِّمُ الْكُتُبَ وَالْجِصَّاءَ﴾ | ٤٨ | ٢٥ |
| ﴿وَأَذِّنْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ | ١٠٣ | ٣٦٨ |
| ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَرُوا وَانْتَفَلُوا...﴾ | ١٠٥ | ٣٦٨ |
| (٤) النساء | | |
| ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَرُوا وَانْتَفَلُوا...﴾ | ٤٣ | ٢٢٢ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|--|-------|--------|
| ﴿وَلَا يُلَاقُونَ فِيهَا﴾ | ٤٩ | ١٣٠ |
| ﴿يَجَاجِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَهُهُمُ اللَّهُ وَيَلْمِزُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَنْكُرُوا﴾ | ٥٩ | ٣٦٨ |
| ﴿إِلَهُهُمُ اللَّهُ وَيَلْمِزُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَنْكُرُوا﴾ | ٥٩ | ٣٤٩ |
| ﴿وَلَا يُلَاقُونَ فِيهَا﴾ | ١٢٤ | ١٣٠ |
| ﴿يَجَاجِي الَّذِينَ آمَنُوا وَيَلْمِزُوا الْمُؤْمِنِينَ﴾ | ١٤٢ | ١٧٥ |
| (٥) المائدة | | |
| ﴿وَلَمَّا كَثُمْتُمْ عَلَيْهِ لَوْ هُوَ عَلَى سَنَةٍ﴾ | ٦ | ٢٢٢ |
| ﴿وَلَكِنَّا عَلَّمْنَاهُمْ فِيهَا أَنَّ الْأَنْفُسَ بِالْأَنْفُسِ﴾ | ٤٥ | ٢٤ |
| ﴿وَمَا السَّيِّئُ إِلَّا مَا سَأَلْتُمُ الْمَلَائِكَةَ فَذَكَرْتُمُ الْمَلَائِكَةَ لِيُقْضَىٰ إِلَيْكُمْ فَذَكَرُوا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفَتَنَتْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَئِنْ لَمْ تَدْعُوا إِلَيْنَا لَغَدَوْنَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ تَكُونُ الْأَمْثَلُ﴾ | ٧٥ | ٢١٩ |
| ﴿وَمَا تَكُنْ إِلَّا لِنَاسٍ يَخَافُونَ غِيْبًا﴾ | ١١٦ | ٢٣٢ |
| (٦) الأنعام | | |
| ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِيَ إِذْ وَقَعْنَا عَلَى الْوَادِ﴾ | ٢٧ | ١٨٦ |
| ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَأَلْتُمُوهُ لَافْتَدَيْنَا بِهِ سَبْعًا مِمَّا كَانَتْ لَكُمُ الْيَوْمَ كَنُوزًا﴾ | ٢٨ | ١٤٥ |
| ﴿فَقَطَّعُوا نَافِثَةَ الْغَوَامِ الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِيَوْمِ الْيَوْمِ﴾ | ٤٥ | ٩٢ |
| ﴿قُلْ مَنْ يُؤْتِي السَّلَاطَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ سَائِدِ الْمَرْءِ حَكِيمًا﴾ | ٩١ | ٢٦ |
| ﴿وَهَذَا يَكْتُمُونَ لَكُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ﴾ | ٩٢ | ٢٦ |
| ﴿لَقَدْ دَنَا الضَّالُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ | ١٢٧ | ٣٢٨ |
| (٧) الأعراف | | |
| ﴿قُلْ مَنْ يَلْبِسُ الظُّلُمَ بِلُطُفَاتِهَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ | ٣٢ | ١١٨ |
| ﴿لَقَدْ أَسْرَفْتُمْ عَلَى الْأَرْضِ﴾ | ٥٤ | ١١٢ |
| ﴿لَقَدْ أَسْرَفْتُمْ عَلَى الْأَرْضِ﴾ | ١٠٣ | ١٦٧ |
| ﴿وَكُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ | ١٤٥ | ٢٤ |
| ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرِيدُونَ﴾ | ١٥٤ | ١١٣ |
| ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ عِبَادِ اللَّهِ﴾ | ١٥٤ | ١٣٠ |
| ﴿كَذَلِكَ الْكُفْرُ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَكْفُرُوا بِمَا قِيلَ لَهُمْ﴾ | ١٧٦ | ١٤٠ |
| ﴿وَهُوَ الْأَعْمَى الْمُشْفَىٰ فَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ﴾ | ١٨١ | ٧١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|-------|---------------|
| (٨) الأنفال | | |
| ﴿وَأَقْرَأُوا الْقُرْآنَ لَا يَسْمَعُوا أَلْوِينَ وَلَا يَذْكُرُوا أَلْوِينَ وَلَا يَسْمَعُوا سَكَنَةً﴾ | ٢٥ | ٣٦٩ |
| ﴿وَلَا يَنْجِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ فَلْيَسْأَلُوا اللَّهَ﴾ | ٦١ | ٣٥٨ |
| (٩) التوبة | | |
| ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَقْبِلُوا أَلْوِينَ﴾ | ١٢٣ | ٣٥٨ |
| ﴿ثُمَّ لَمْ يَسْكُرُوا مَرَكَ اللَّهِ فَوَجَّهْهُمْ﴾ | ١٢٧ | ١٧٥ |
| (١٠) يونس | | |
| ﴿مَنْ أَلْوِيَ جَمَلُ الشَّيْءِ وَجِبَتْهُ وَالْعَمْرُوتُ وَالْمَكْرُوتُ﴾ | ٥ | ٣٧٩ |
| ﴿سَخَّرَ لَهَا كُنُفً فِي الْفَلَكِ وَبَحْرَيْنِ يَوْمَ يَرْجِعُ الْيَبْرُوتُ﴾ | ٢٢ | ٢٠٤ |
| ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْنِ وَمَقَرَّوْنًا وَمَقَرَّوْنًا﴾ | ٧٥ | ١٦٧ |
| (١١) هود | | |
| ﴿يُسَبِّحُ اللَّهَ بِحَمْدِهَا وَمُرْسَلًا﴾ | ٤١ | ٣٢٧ |
| ﴿لَأَنَّهُ الْبَلِيغُ الرَّشِيدُ﴾ | ٨٧ | ٢٦٦ |
| ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا بِأَيُّهَا...﴾ | ٩٧-٩٦ | ١٦٧ |
| (١٢) يوسف | | |
| ﴿فَأَلْفَوْهُ تَقَافًا فَكَّرُوا وَيَكْثَرُ رُجُوفُهُمْ﴾ | ٨٥ | ١١٩ |
| ﴿وَمِنْهُ الْقَرْيَةُ﴾ | ٨٢ | ١١٧، ١١٣، ١٠٨ |
| (١٣) الرعد | | |
| ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ...﴾ | ١٤ | ١٣٥ |
| ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْبَانَكَ مَا سَأِلْتَ بِهِ الْجِبَالُ﴾ | ٣١ | ١١٧ |
| (١٤) إبراهيم | | |
| ﴿سَمِعَ الْوَيْلَ كَلِمَةً يَسْمَعُ...﴾ | ١٨ | ١٣٧-١٣٨ |
| ﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهُمْ هَوَاءً﴾ | ٤٣ | ١٣٠ |
| ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ | ٤٧ | ٢٦٦ |
| ﴿فَلَمَّا بَلَغَ فِي الْأَسْفَلِ﴾ | ٤٩ | ١٤٨ |
| ﴿وَنَقَضْنَا رُبُّهُمْ أَلْسُنَهُمْ﴾ | ٥٠ | ١٤٧ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|-------|-----------|
| ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ | ٥١ | ١٤٧ - ١٤٨ |
| ﴿فَأَسْبَغَ بِمَا أُوتِيَ﴾ | ٩٤ | ١٢٦ |
| ﴿فَأَنَّ اللَّهَ يَنْتَهَرُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ | ٢٦ | ١١٢ |
| ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَيْسَ لِرَبِّهِ مَتْرُوكٌ...﴾ | ١٣ | ٢٥ |
| ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ | ٢٤ | ١٢٦ |
| ﴿لِيَأْتَا تَدْعُوهُ﴾ | ١١٠ | ١١٣ |
| ﴿فَلْيُأْذِرُوا اللَّهَ فِي آذَانِهِمُ الرَّحْمَنُ﴾ | ١١٠ | ٣٢٧ |
| ﴿وَكُنْ تَقِيحًا إِذَا أَسَدَا﴾ | ٢٠ | ٢٢٠ |
| ﴿وَكُنْ ذَلِكَ أَمْرًا مَعْلُومًا﴾ | ٢١ | ١٣٠ |
| ﴿إِلَّا لَيْسَ كَانَ مِنَ الْمُجِيبِينَ فَتَقَرَّقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ | ٥٠ | ١٦٧ |
| ﴿لَا تُؤْيِي بِي بِمَا لَيْسَ﴾ | ٧٣ | ٢٢٥ |
| ﴿فَرَسَدَا لِيهَا جِدَارٌ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ﴾ | ٧٧ | ١١٢، ١١١ |
| ﴿وَلَمْ يَحْشُرُوا لَكُمْ جَحِيمًا سَمًّا﴾ | ١٠٤ | ١٩٤ |
| ﴿إِذَا نَادَعْتَ رَبَّهُ وَنَادَى حَبِيبُ﴾ | ٤٣ | ١٧٠ |
| ﴿وَأَسْتَعْلَى لِرَأْسِ سَيْبٍ﴾ | ٤ | ١٢٧ |
| ﴿فَمَنْ يَسْتَلْ يَكُ الْغُلُّ كُنُتٌ وَمَعْرُوفُونَ قَلِيلًا كَفَرُوا لِيَسْتَجِيبَهُ﴾ | ٩٤ | ٦٩ |
| ﴿مَسَا قِيلَ﴾ | ٤٠ | ١١٣ |
| ﴿مَرْوَةُ الْأَرْفَافِ﴾ | ١ | ١١٦ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------|--------|---|
| ٢٢٢ | ١٢ | ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُنَّ عَلَنُ الْمُفْشِرِينَ﴾ |
| ١٧٥ | ٣٧ | ﴿يَعْلَمُونَ يَوْمَ تَلْقَىٰ هَؤُلَاءِ الْقُلُوبَ وَالْأَجْسَدَ﴾ |
| ١١٣ | ٦٣ | ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ |
| | | (٢٥) الفرقان |
| ١٢٦ | ٢٣ | ﴿وَقَرْنًا إِلَىٰ مَا مَوَّلُوا مِنْ عَمَلٍ لَّيْسَ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ |
| | | (٢٦) الشعراء |
| ٢٣٢ | ١٦٥ | ﴿لَتَأْتِيَ الذُّكُرَانِ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ |
| | | (٢٧) النمل |
| ٣٨١ | ١٩ | ﴿رَبِّ أَرْسِلْ أَنْ لَقِىَكَ يَسْتَلْكَ . . .﴾ |
| ٢٤٠ | ٢٩ | ﴿إِنَّ الْبَيْتَ بَلَدٌ كَثِيرٌ﴾ |
| ٣٢٧، ٢٨ | ٣١، ٣٠ | ﴿إِنَّهُمْ مِنْ شَائِكِينَ وَلَهُمْ وَسِعَ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . . .﴾ |
| ٢٨ | ٤٠ | ﴿أَنَا نَارِيكَ بِهِ، قَدْ لَمْ يَزِدْ إِلَيْكَ طَرَفًا﴾ |
| ١٧٥-١٧٤ | ٤٤ | ﴿وَأَسْلَفْتُ مَعَ شَائِكِينَ﴾ |
| | | (٢٩) المعنكوت |
| ١١٣ | ٣٣ | ﴿وَلَمَّا لَمْ يَسْعَوْا وَرُسُلًا﴾ |
| ٢٧ | ٤٨ | ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ |
| | | (٣٠) الروم |
| ١٧٣ | ٣٠ | ﴿فَأَمَّا رَحْمَتُكَ لِلَّذِينَ حَبِطُوا﴾ |
| | | (٣١) لقمان |
| ٣٧٩ | ٢٩ | ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ الْأَيْلَ فِي الْأَنْهَارِ . . .﴾ |
| | | (٣٢) السجدة |
| ١١٨ | ١٢ | ﴿وَلَوْ دَرَيْتَ إِذْ الشَّجَرَةُ تَنْتَبِهُ مَا كَسْرُوا مِنْ دُونِهِمْ جَنْدَ رِيحِهِمْ﴾ |
| | | (٣٣) الأحزاب |
| ١٠٩ | ٦ | ﴿وَلَا تَدْعُهُمْ إِيَّاهُمْ﴾ |
| ٣٥٥ | ٣٣ | ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ آثَامَ أَهْلِ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ |
| ١٩٤ | ٦٥ | ﴿لَا يَحْسَبُونَ وَيَسْأَلُونَ وَلَا يَحْكُمُونَ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|--|---------|--------|
| (٣٥) فاطر | | |
| ﴿ أَفَنُؤْمِنُ بِرَبِّهِمْ فَهُمْ فَخْرٌ حَسْبًا... ﴾ | ٨ | ١١٨ |
| ﴿ مَا يَلْمِزُكَ مِنْ شَيْءٍ فَاعْلَمْ ﴾ | ١٣ | ١٣٠ |
| ﴿ وَمَنْ أَلْبَسَ لَهُ بَاسًا يَفُتْ بِشَيْءٍ فَاعْلَمْ أَنَّ الْوَيْلَ لَهُ وَبِئْسَ مَا يَكْسِبُ ﴾ | ٢٧ | ٦٢ |
| ﴿ وَلَا يَجِدُ لِلشَّيْءِ الثَّمَنَ إِلَّا بِالْهَيْبِ ﴾ | ٤٣ | ٣٠٩ |
| (٣٦) يس | | |
| ﴿ وَالْقَمَرُ مُدْرِكَةٌ تَبْدِلُ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْشُونِ الْقَدِيرِ... ﴾ | ٣٩ - ٤٠ | ٣٧٩ |
| ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الْغَمْرَ وَمَا يُكَلِّمُهُ اللَّهُ ﴾ | ٦٩ | ٤١ |
| ﴿ يُسَلِّطُ مَنْ كَانَ حَتَّىٰ يَفِئَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ | ٧٠ | ٣٧١ |
| ﴿ وَمَنْ لَنَا شِئْرًا وَلَيْسَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْوَعْدَ... ﴾ | ٧٨ - ٧٩ | ١٤٥ |
| (٣٧) الصافات | | |
| ﴿ إِي سَمِيعُ ﴾ | ٨٩ | ٢٢٥ |
| ﴿ وَمَا يَلْمِزُكَ الْكَافِرُ الْمُنِيعُ ﴾ | ١١٧ | ٢٦ |
| (٣٨) ص | | |
| ﴿ إِنَّ هَذَا لَكِنْ لَفُتْرٌ يُضَوِّعُ أَهْلَهُ... ﴾ | ٢٣ | ٢٢٤ |
| ﴿ حَتَّىٰ تَرَاكَ بِالْجَنَابِ ﴾ | ٣٢ | ١١٩ |
| (٣٩) الزمر | | |
| ﴿ وَصِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِلَى الْحَقِّ وَرُشْدًا ﴾ | ٧٣ | ١١٧ |
| (٤١) فصلت | | |
| ﴿ لَا يَلْبِسُ الْبَاطِلُ مِنْ شَيْءٍ يَهْدِي وَلَا مِنْ خَلْقِهِ ﴾ | ٤٢ | ٣٦٠ |
| (٤٢) الشعراء | | |
| ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ | ١١ | ١١٣ |
| ﴿ قُلْ لَا أَتْلُو حُكْمًا فَكُنْ مِنَ السَّوَادِ فِي الْقُرْآنِ ﴾ | ٢٣ | ٣٥٥ |
| ﴿ وَبَعَثْنَا فِيهِمْ رَبِّكَ بِرُوحِنَا وَتَلَوْنَاهَا ﴾ | ٤٠ | ١٧٦ |
| (٤٣) الزخرف | | |
| ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ مَا يَكُونُ إِلَّا نَحْنُ الْحَكِيمُ ﴾ | ٤٨ | ١٨٦ |

| الصفحة | رقمها | الأية |
|--------------|-------|---|
| ١٤٥ | ٦٧ | ﴿الْأَخْلَاقَ يَوْمَ يُنْفَخُ الْفُجَاءُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنْتُمْ بِأَعْيُنِكُمْ قَدْ رَأَيْتُمْ بِهَا السَّمَاءَ كَالرَّيَّانِ الَّتِي يُفْجَأُ فِيهَا النَّاسُ مِنَ الْغَوَايِ﴾ |
| ٢٥ | ٨٠ | ﴿إِنَّمَا يَسْمُونَ إِلَٰهًا لَا تَسْمَعُ لَهُمْ دَعْوَةً﴾ |
| | | (٤٤) الدخان |
| ١٦٠ | ٤٦٤٣ | ﴿إِنَّمَا يَسْمُونَ إِلَٰهًا لَا تَسْمَعُ لَهُمْ دَعْوَةً﴾ |
| | | (٤٥) الجاثية |
| ٢٦ | ١٦ | ﴿وَلَقَدْ مَنَّا فَابْتِغَيْنَا فِي الْكُنُوزِ وَلَقَدْ نَكَّرْنَا بِهَا الْبَشَرَ﴾ |
| ٢٥ | ٢٩ | ﴿فَلَمَّا كُنَّا بِهَا مُسْتَقَرِّينَ فَذُكِّرْنَا﴾ |
| | | (٤٦) الأحقاف |
| ١١٣ | ٢٦ | ﴿وَلَقَدْ مَنَّا فَابْتِغَيْنَا فِي الْكُنُوزِ وَلَقَدْ نَكَّرْنَا بِهَا الْبَشَرَ﴾ |
| | | (٤٧) محمد |
| ١١٥ | ٢١ | ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأُمُورَ﴾ |
| ١١٦ | ٢١ | ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأُمُورَ﴾ |
| ١٥٢ | ٢٨-٢٧ | ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأُمُورَ﴾ |
| | | (٤٨) الفتح |
| ٣٧٥ | ٢٩ | ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأُمُورَ﴾ |
| | | (٤٩) الحجرات |
| ٢٢٢ | ١١ | ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأُمُورَ﴾ |
| | | (٥٠) قى |
| ١٥٧، ١١٩ | ٣-١ | ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأُمُورَ﴾ |
| | | (٥١) الذاريات |
| ١٢٧ | ٤١ | ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأُمُورَ﴾ |
| ١١٣ | ٥٧ | ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأُمُورَ﴾ |
| | | (٥٢) الطور |
| ٢٢٦، ١٥٧، ٢٥ | ٣-١ | ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأُمُورَ﴾ |
| | | (٥٣) النجم |
| ١٥٢ | ٢-١ | ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأُمُورَ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|-------------------|---------|
| ﴿يُخَوِّفُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا عَمِلُوا...﴾ | ٣٦ | ٣٧٤ |
| (٥٥) الرحمن | | |
| ﴿عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ سَعَسٍ أَكْثَرَ ۚ كَذَلِكَ سَخَّرَ اللَّهُ لِيُؤْتِيَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ غَدَقَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ ذِكْرًا﴾ | ١٤ | ١٣٥ |
| ﴿سَبِّحْ لِلْحَمْدِ الَّتِي لَا تَمُوتُ﴾ | ٣٦ | ١٠٩ |
| (٥٦) الواقعة | | |
| ﴿يَلُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُغَلَّقُونَ﴾ | ١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢ | ١١٨-١١٧ |
| (٥٧) الحديد | | |
| ﴿وَرَبِّكَ يَوْمَئِذٍ آتِشْعُورُهُمَا كَسِفَتْهَا عَلَيْهِنَّ إِلَّا﴾ | ٢٧ | ٢٤ |
| (٦٢) الجمعة | | |
| ﴿كَتَبَ الْجَنَّةَ يَحْمِلُ أَثْقَالًا﴾ | ٥ | ٤٥ |
| ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ كُنُوا يَحْمِلُونَهَا﴾ | ٥ | ١٤٠-١٣٥ |
| (٦٣) المنافقون | | |
| ﴿يَسْمُونَ كُلَّ دَلِيلٍ يَهْدِيهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ | ٤ | ١٢٠، ٤٤ |
| (٦٧) الملوك | | |
| ﴿يَبْعَثُ اللَّهُ نَبِيًّا فِيهِمْ يَتْلُو﴾ | ٧ | ١٣٠ |
| (٦٨) القلم | | |
| ﴿وَرَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْأَلُونَ﴾ | ١ | ٣٢٦، ٢٥ |
| ﴿سَبِّحْ عَلَى الْوُجُوهِ﴾ | ١٦ | ١٢٩ |
| ﴿يَوْمَ تَكْشَفُ عَنْ سَائِلٍ﴾ | ٤٢ | ١٣٠ |
| (٦٩) الصافات | | |
| ﴿وَبِوَجْهِ سَخِرَ مَنَاسِلُ﴾ | ٦ | ١٣٠ |
| ﴿إِنَّا كُنَّا لَنَكِيدُ﴾ | ١١ | ١٣٠ |
| ﴿وَنَاهَوْهُمْ أَنْ يَتَمَنَّوْا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ | ٤١ | ٤١ |
| (٧٤) المدثر | | |
| ﴿وَاللَّهُ الْمُدَّثِّرُ﴾ | ٤ | ٢٢٠ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|--|-------|--------|
| (٧٦) الإنسان | ٨ | ٢٠٨ |
| ﴿وَيَكُونُونَ الْكَلَامَ عَلَى حَبِيبٍ﴾ | | |
| ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ...﴾ | ٣١ | ١٧٠ |
| (٧٨) النبا | | |
| ﴿مَنْ يَشَاءُ لِيُخَوِّفَ مِنْ أَمْرِ الْغَيْبِ﴾ | ٢-١ | ٢٣٢ |
| (٨٠) هب | | |
| ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ...﴾ | ١٦-١١ | ٢٥ |
| (٨٢) الانفطار | | |
| ﴿وَلَا عَلَيْكُمْ حُظُوتٌ﴾ ﴿كِرَامًا كَثِيرِينَ﴾ | ١١-١٠ | ٢٥ |
| (٨٣) المطففين | | |
| ﴿وَلَا تَكْفُرْهُمْ أَوْ زِدْهُمْ بَعْثَرًا﴾ | ٣ | ١١٩ |
| (٨٧) الأعلى | | |
| ﴿إِنَّا هَذَا كِتَابٌ أَنْشَأْنَاهُ بِقَوْلٍ كَلِيمٍ﴾ ﴿شُحُوبٍ أَرْزَقَهُمْ مَرْمَسًا﴾ | ١٩-١٨ | ٢٥ |
| (٩٤) الشرح | | |
| ﴿وَرَحْمَتًا حَلَّتْ بِوَدَّكَ﴾ | ٢ | ١٣١ |
| (٩٦) الملق | | |
| ﴿الرَّابِّيُّ رَبُّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾ | ٥-١ | ٢٤ |
| (١٠١) القارعة | | |
| ﴿عَاصِفٌ عَاصِفٌ﴾ | ٩ | ١٠٨ |
| (١٠٤) الهمزة | | |
| ﴿وَيَلْ لَعْنَتِي حُشْرًا مُسَوِّدًا﴾ | ١ | ٢٣٧ |

* * *

(٢) فهرس الأحاديث والآثار

أولاً - الأحاديث النبوية :

| الحدث | الصفحة |
|---|-----------|
| - إذا أتى أحدكم شيئاً من هذه القاذورات فليستر بشر الله تعالى ، فمن أبدى لنا صفحته أمنا حقاً لله عليه | ٢١٥ |
| - لرجمن مأزومات غير مأجورات | ١٥٨ |
| - أعيدكما من السانة والمائة وكل عين لانة | ١٥٨ |
| - إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع | ١٢٠ ، ١٧٧ |
| - يحقن على الله ألا يرفع شيئاً إلا وضعه | ٣١٠ |
| - خير المال سكة مأبورة ومهرة مأبورة | ١٥٨ |
| - رحم الله عبداً أوجز في كلامه واقتصر على حاجته | ٢٥ |
| - الشباب شعبة من الجنون | ١٣١ |
| - عليك باليس من الناس | ١٩٦ |
| - عليك بالابتكار فإنهم أشد حباً وأقل حباً | ١٩٣ - ١٩٤ |
| - فلبأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته | ١٤٥ - ١٤٦ |
| - العراء كثير بأعيه | ١٢٠ |
| - العراء يسمي بجلده والسمي يقطع بجلده | ١٩٤ |
| - المسلم مرآة أخيه | ١٣١ |
| - من حفر بئراً أو فقه الله فيها | ٣٠٩ |
| - النساء حباقل الشيطان | ١٣١ |
| - هل من خلاص أو مناص ، أو مدبر أو محار ، أو معاذ أو ملاذ | ١٥٨ |
| - اليد العليا خير من اليد السفلى | ٣١٠ |

ثانياً - الآثار :

| الآثر | الصفحة |
|---|--------|
| - أجهني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود ، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض . (الهيثم ابن الأسود بن العريان) | ٢٣٤ |
| - إذا أنكرت ذنبك فاقدحه بعقل . (الحسن بن علي) | ١٣١ |

- ٣٠٩ - إكرام الشعراء من بني الموالدين . (معاوية بن أبي سفيان)
- ٣١١ - إن نطق ملوخته ، وإن سكنت فليومه . (علي بن أبي طالب)
- ٣١٠ - إن الرجل ليطلمني فأرحمه . (عبد الله بن مسعود)
- ٣٣٤ - إن من خوفك إلى أن تلقى الأمن خير لك ممن أتتك إلى أن تلقى الخوف . (الحسن البصري)
- ٣٠٩ - أنا لكم ذبالة تغيثكم وتحترق . (عمر بن الخطاب)
- ١٧٤ - إنكم والمشارة فإنها تميتُ الفرة وتحيي العزة
- ١٩٦ - الثمين هدم الثمين . (معاذ بن جبل)
- رحم الله امرؤ جعل نفسه خطاماً وزماماً ، فقادها بزمامها إلى طاعة الله ، وقادها بخطامها عن معصية الله . (الحجاج بن يوسف الثقفي)
- ١٣١ - السفر ميزان القوم . (علي بن أبي طالب)
- ١٢٠ - قلب عقول ، ولسان سؤول . (عبد الله بن عباس)
- ١٢١ ، ١٢٠ - قيمة كل امرئ ما يحسن . (علي بن أبي طالب)
- ٢٥٦ - ٢٥٥ - كان لا يعاقل بين الكلام ولا يبيع حوشيه . (عمر بن الخطاب)
- ١٤٠ - كأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تزل . (الحسن البصري)
- ١٧٤ - لا نرى الجاهل إلا مغرطاً أو مفرطاً . (علي بن أبي طالب)
- ١٧٩ - لا يمكن حبك كافاً ، ولا بغضك تلفاً . (عمر بن الخطاب)
- ١٩٦ - ما أعطى الله أحداً الدنيا اختياراً إلا زواها عنه اختياراً . (الحسن البصري)
- ٢٣٤ - ما رأينا يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت . (الحسن البصري)
- ١٢٠ - المرء مغبوه تحت لسانه ، وتكلموا تُعرفوا . (علي بن أبي طالب)
- ٢٣٩ - ولها وبيلاً صحيحاً لك صحيحاً منك . . . (عبد الله بن عباس)

(٣) فهرس الأمثال والأقوال

| السطر أو القول | الصفحة |
|---|-----------|
| - اللهم أغثني بالفقر إليك ، ولا تقفني بالامتلاء منك | ٢٣٤ - ٢٣٥ |
| - اللهم إن كنت حرمتني داعياً لقد رزقتني ساعياً | ١٧٩ |
| - إن من فضل فلان أن أعداءه مجمعون على فضله | ٣٠٩ |
| - أنا جليلها المحمكك وعليقها المرجب | ٨٧ |
| - دع ما يسبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتداره . . . | ١٧٩ |
| - ذكر البيئة من ضعف المنة | ١٩٦ |
| - المشتق شغل قلب فارغ | ٣٠٩ |
| - فلان ربيع الصماد | ٢٢٣ |
| - فلان طاهر الجيب | ٢٢٣ |
| - فلان صفيق الإزار | ٢٢٢ |
| - فلان نيله سابع ونيله سابع | ١٩٦ |
| - كثر الجماعة خير من صفو الفرقة | ٢١٤ |
| - من عرف الناس دواهم ، ومن جهلهم مآزهم | ١٧٩ |
| - هشبك هشام ، وخزتك مخروم | ١٧٤ |
| - هو أوسع بني أبيه ثوباً | ٢٢٢ |
| - هو خمر الزداه | ٢٢٢ |
| - هو واسع الجيب | ٢٢٣ |

* * *

(٤) فهرس الأشعار^(١)

(المهزلة)

| الصفحة | الشاعر | القافية المضمومة : |
|-----------|--------------------|-----------------------|
| ٢٠٢ | زهير | جلاة |
| ٢١٦ | زهير | كفاء |
| ٢٢٣ | زهير | نساء |
| | | هذاه |
| ٢٩٥ | حسان | اللقاء |
| ٢٩٦ | أبو نواس | اللقاء |
| | | المفتوحة : |
| ٢١٢ | قيس بن الخطيم | أضاءها |
| | | المكسورة : |
| ١٧٨ ، ٢١٤ | (زهير) | ولقاء |
| ٢١٣ | (المراد الفقعسي) | الظباء |
| ٣٠٩ | أبو نواس | الشعراء |
| ٢٩٢ | أبو نواس | ثواتي |
| ٢٩٦ | أبو تمام | سجرائي |
| ١٧٦ ، ١٢٧ | أبو تمام | بكاتي |

(الباء)

| الصفحة | الشاعر | القافية المضمومة : |
|--------|----------|-----------------------|
| ٦٢ | ذو الرمة | شنيب |

(١) ما وضع من أعلام الشعراء بين قوسين هو ما احتسبنا إليه ، ولم يذكره المؤلف .

| القائمة | الشاعر | الصفحة |
|---------|--------------|--------|
| ذهب | ذو الرمة | ١٣٦ |
| سرب | ذو الرمة | ١٩٠ |
| حسب | جميل | ١٨٠ |
| الحطب | | |
| مذهب | النايفه | ١٨٢ |
| الحفائب | نصيب | ١٤٣ |
| مشيب | علامة بن هبة | ١٨٩ |
| مقرب | امرؤ القيس | ١٩٥ |
| غريب | | |
| ملحوب | | |

(وجه الأول في ص ٢٤٣ أيضاً)

| | | |
|---------|-----------------------|-----|
| والترقب | (عبد الملك الحارثي) | ٢٠٦ |
| قواضب | | ٢١٠ |
| والترصب | أبو المعالي | ٢٦٩ |
| أحطب | أوس بن حجر | ٢٨٤ |
| لشيب | كثير | ٢٩٨ |
| أجيب | | |
| هرب | سلم الخاسر | ٣٠٥ |
| الطلب | | |
| كذبوا | طريح الثقفي | ٢٠٢ |
| مهرب | البحثري | ٣٠٦ |
| لعاذب | عبيد الله بن عبد الله | ٣٠٦ |
| المذاهب | | |
| شعيب | عبد | ٣١٢ |
| نسيب | | |
| يقاربه | الفرزدق | ١٤٤ |

| الصفحة | الشاعر | الفائقة |
|------------|----------------|---------|
| ١٩٤ | البحراني | طالبه |
| ١٣٨ | بشار | كواكبه |
| ٢٠٣ | بشار | مثالبه |
| | | هاربه |
| ٣٠٢ | | عقابها |
| المفتوحة : | | |
| ١٢١ | جرير | غضابا |
| ٢٩٧ | جرير | كلايا |
| ١٢٩ | معاوية بن مالك | غضابا |
| ٢٠٨ | النمر بن قزلب | أجريا |
| | | مرحبا |
| ٢٢٦ | ابن الرومي | معلبا |
| | | مشوبا |
| ٢٦٢ | أبو تمام | رييا |
| ٣٠٦ | | جدبا |
| ٣٠٨ | أبو فراس | أصابا |
| المكسورة : | | |
| ١٢٨ | أبو تمام | والعنب |
| ١٦١ ، ١٧١ | أبو تمام | اللب |
| ٣٠٣ | أبو تمام | السب |
| ١٣٣ | لييد | المغارب |
| ١٥٥ ، ٢٢٩ | امرؤ القيس | يثقب |
| ١٥٠ ، ٢٢٩ | امرؤ القيس | بأناب |
| ١٨٢ | امرؤ القيس | مغلب |
| ٢٩٠ | امرؤ القيس | نحطب |

| الصفحة | الشاعر | القائفة |
|----------------------|---------------|----------|
| ٣١٣ | امرؤ القيس | دير |
| ٢٩٦ | امرؤ القيس | تقطيع |
| ١٨٣ | امرؤ القيس | بالإيلاف |
| ١٨٩ | النايفة | الكواكب |
| | | جانب |
| ٢١٢ | النايفة | الحياض |
| ٢٤٥ | النايفة | الكائب |
| ٣٠٠ | النايفة | بعضائب |
| | | الدواير |
| | | غالب |
| | | الكواكب |
| ٢١٠ | أبو تمام | قراضب |
| ٢٧٩ - ٢٨٥ (٣٢ بيتاً) | أبو تمام | السواكب |
| ٣٠٤ | أبو تمام | راكب |
| ٢١٢ | الشمسي | المكرب |
| ٢١٣ | قيس بن الخطيم | المغارب |
| ٢١٩ | يزيد بن مالك | الغالب |
| ٢٥٢ | | المصائب |
| ٢٤٨ | أبو نواس | للصبي |
| ٢٦٩ | ديك الجن | الذهب |
| ٢٨٢ | | الكنوب |
| ٢٨٣ | الأخطل | المطالب |
| ٢٨٣ | | زاعب |
| ٢٨٩ | | مضهب |
| ٢٩٠ | أبو داود | الركب |
| ٢٩٤ | أبو صخر | المسكيب |

| الصفحة | المصنف | القافية |
|------------|---------------|----------|
| ٢٣١ | البياتي | به |
| ٢٨٤ | أبو نواس | حاجبها |
| (القاء) | | |
| المضمومة : | | |
| ٣١٠ | | ينصت |
| المكسورة : | | |
| ٢٠٠ | | أمرت |
| ٢٣٣ | الصمة القشيري | ظنت |
| | | تمنت |
| | | أرت |
| | | أجت |
| ٣٠٣ | جابر الغاصري | فأثبت |
| | | تولت |
| | | سنت |
| ٢٢٨ | الحطيئة | بالحمرات |
| | | العثرات |
| ٢٣٧ | ابن الرومي | لمحتقرات |
| ٢١٢ | | سجده |
| | | نكته |
| ٢٩٠ | أبن مقبل | بقدح |
| المفتوحة : | | |
| ١٨١ | النايفة | نجاها |
| ٢٣٢ | | نفاها |
| | | باسا |

| الصفحة | الشاعر | المقالة |
|------------|-----------------------------------|------------------------------|
| ٢١٥ | | إصلاحا شحاها |
| ١٣٣ | أبو نواس | المكسورة : مجدوح روح |
| ٢٤٤ | أبو نواس | طلوح |
| ٢٩٩ | أوس بن حجر | بالراح |
| ٢٧٧ | | مدبح حليح |
| ٣٠١ | بكر بن الططاح | قساكنة : جولرخ النبالح |
| (الثاني) | | |
| ٢٦٥ ، ١٥١ | أبو تمام | والهشجائنا |
| ٢٦٣ | (عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) | الرائث |
| (الجهم) | | |
| ٢٩٣ | بشار | اللهج |
| ٢٠٣ | الشماخ | يتدحرج |
| (الحاء) | | |
| المضمومة : | | |
| ١١٨ | ذو الرمة | جامح |
| ١٨٠ | أبو كبير | تنوح صحيح |

| الغالبية | الشاعر | الصفحة |
|--|---------------|--------|
| فريح والقدح وضع يحتدح رزح مبح | محمد بن وهيب | ١٩٢ |
| | عروة بن الورد | ٢٦٨ |

(الدّال)

| المضمومة : | | |
|------------|------------------------|-----|
| وأعدّ | سويد بن كراع | ١١٥ |
| لسعيد | عبد الرحمن بن حسان | ١٢١ |
| وأقياد | الأفوه | ١٢٣ |
| عفند | التميري (أبو الأجرد) | ١٥٩ |
| علد | | |
| نافد | مروان بن أبي حفصة | ٢٨٥ |
| محدود | - | ١٧٨ |
| والبعد | الحطّينة | ٢٤٨ |
| والسهد | أبو تمام | ١٩٠ |
| سند | البحثري | ١٩٣ |
| الهماد | | ٢٣٢ |
| عادوا | | |
| المفتوحة : | | |
| فأفسدا | الأعشى | ١٤٦ |
| ترددا | | |
| سودا | عبد الله بن الزّبير | ١٧٨ |
| سميدا | أبو العتاهية | ٢٤٦ |
| سودا | | |

| الصفحة | الشاعر | المقائفة المكسورة : |
|--------|--------------------|------------------------|
| ١٣٢ | ذو الرمة | بسموا |
| ١٣٣ | طرفة | يتخذ |
| ١٣٩ | (النابغة) | الفرد |
| ١٣٩ | ابن المعتز | بالعبد |
| | | عنقود |
| ١٣٩ | | الوعيد |
| ١٣٩ | | صندوق |
| ١٧٦ | | تصويد |
| | | العنايق |
| ١٨٢ | طرفة | تزود |
| ٢٩٣ | طرفة | مفسد |
| ٣١٣ | طرفة | فرقد |
| ١٨٩ | النابغة | الأمم |
| ٢٩٠ | النابغة | باليد |
| ١٩١ | أبو نواس | ودلني |
| ١٩١ | أبو نولس | وغلدي |
| ٢٩٤ | الحطيفة | موقد |
| ٢٤٣ | أبو تمام | شم |
| ٢٦٠ | (أبو عدي) القرشي | الجنود |
| ٢٠٥ | أبو تمام | نجد |
| ٢٠٥ | | يهرود |
| ٢١٩ | (اللعين) المتفري | الصوارد |
| ٢٨٤ | بشار | المفراقد |
| ٢١٢ | النمر بن تولب | والهادي |
| ٢٦٢ | (بعض المحدثين) | بعود |

| الصفحة | الشاعر | المقائفة |
|--------|---------------|-----------------------------|
| ٢٨٢ | بعض بني يربوع | مسعود والسود |
| ٢٨٩ | أوس بن حجر | محمدي |
| ٣٠٨ | ابن الرومي | المهاد البلاد الأجساد |
| ١٩٣ | البحري | إرعاده إنداده |

(الزّاء)

المضمومة :

| | | |
|-----------|----------------|---|
| ١٣٣ | الفرزدق | الفجرُ |
| ١٤٧ | جميل | ممدود مجدور لبصير وتسير |
| ١٩٢ | مسلم بن الوليد | بنشر جعفر |
| ١٩٨ | القاضي التنوخي | زفير غادر |
| ٢٠٩ - ٢١٠ | البحري | جبار ثار الدمار بذار الوقار |
| ٢١٢ | الشمخ | المجور الدبور |

| الصفحة | الشاعر | القافية |
|-----------|-----------------------|---------|
| ٢١٥ | - | صبر |
| ٢٣٦ | بشار | أمير |
| ٢٣٦ | (أبو اليهده) | النصر |
| ٢٤٥ | الحتماني | المحاجر |
| | | دوائر |
| | | سامر |
| | | طائر |
| | | الضواير |
| ٢٦١ | خالد بن صفوان | أخضر |
| ٢٨١ | أبو نواس | ثور |
| ٢٩١ | أبو نواس | نهار |
| ٣٠٠ | أبو نواس | إفصار |
| ٢٩١ | البحري | بلر |
| ٢٩٣ | سلم الخاسر | الجسور |
| ٢٩٧ | عترة الطائي | تلور |
| ٣٠٠ | الأهوه الأودي | ستار |
| ٢٩٨ | أبو صخر الهذلي | المقجر |
| | | نكر |
| ٣٠٦ | ذو الرمة | نزد |
| ٣٠٨ | - | الدوائر |
| | | سافر |
| ٢٥٧ - ٢٥٦ | (أبو الفرج البتنجي) | صور |
| | | نود |
| | | مسحور |
| | | البحر |
| | | فالنير |

| الصفحة | الشاعر | اللقاية |
|--------|-------------------|------------|
| | | نهجير |
| | | القور |
| ١٩٥ | - | ناصره |
| ٢٥٣ | الحطيطه | مشافره |
| ٣٠٥ | الفرزدق | مقادره |
| ٢٤٥ | حاتم الطائي | أزودها |
| ٢٩٦ | كثير | عرازها |
| | | نارها |
| ٣١٣ | جميل | ضريها |
| | | المفتوحة : |
| ١١٠ | الكميت | المعمورا |
| ١١٠ | عوف بن الخرج | سوارا |
| ١٨٣ | امرؤ القيس | آخرا |
| ٢١١ | عمرو بن الأيهم | صارا |
| ٢١٣ | (جرير) | والقمر |
| ٢١٣ | امرؤ القيس | أهفرا |
| ٢٢٠ | ليلي (الأخيلية) | النمقرا |
| ٢٨٥ | أبو العتاهية | تفجرا |
| ٢٩١ | الشماع | أزودا |
| ٣٠٢ | مروان بن أبي حفصة | زمر |
| | | الجزرا |
| | | المكسورة : |
| ٤٥ | مروان بن أبي حفصة | الأيامير |
| | | الفرائر |
| ١١٨ | (الضفري) | عامر |

| الصفحة | المؤلف | المؤلف |
|-----------|--------------------|------------|
| ١٣٣ | ابن المعتز | المسور |
| ١٤٤ | جرير | عمر |
| | | مثنوي |
| ١٧٧ | عوف الغوافي | والقدر |
| ١٨٤ | (الراعي النميري) | النواظر |
| ٢٠٢ | نصيب | نذري |
| ٢٢١ | (المنهال) | إزاري |
| ٢٢٢ | علي بن زيد | وإزار |
| ٢٣٣ | ابن أبي أمية | شهر |
| | | أدري |
| ٢٣٣ | (العرجي) | البشر |
| ٢٥٨ | أبو نواس | عذار |
| | | نهار |
| ٢٦٧ | خداش بن زهير | الحمر |
| ٢٩٤ | أبو رمح الخزاعي | ياسر |
| ٣٠٢ | الراعي النميري | النسر |
| ٣٠٩ | أبو تمام | صاغر |
| ٣٠١ | أبو نواس | جزره |
| | | المسافة : |
| ٢٩٩ | امرؤ القيس | ونذر |
| | (الزّاي) | |
| ٣٠٦ - ٣٠٧ | ابن الرومي | المحترف |
| | | المستوفز |
| | | توجيز |
| | (السنين) | |
| | | المضمومة : |
| ١٧٢ | جرير | حابس |

| الفاقة | الشاعر | الصفحة |
|------------|--------------------------|-----------|
| نقيس | (الأخطل) | ٢٠٦ |
| المفتوحة : | | |
| أناسا | النايفة | ١٩١ |
| نليسا | امرؤ القيس | ١٧٢ ، ١٧٤ |
| بوسا | البيتي | ٢٣١ |
| أنفا | امرؤ القيس | ٢٩٢ |
| قمتها | أبو العتاهية | ٢٩٥ |
| المكسورة : | | |
| النسي | - | ٢٠٠ |
| عرس | | |
| والناس | الحطيفة | ١٨٢ ، ٢٨٩ |
| الراس | الأخيطل | ٢٦١ |
| الحاسي | | |
| عبوس | الأشتر النخعي | ٢٢٧ |
| نفوس | | |
| بالشمس | سلم الخناصر | ٢٩٥ |
| المنس | دكين (أو منظور بن حبة) | ١٣٣ |
| كالترس | | |
| الشمس | | |
| القماش | (الشين) | |
| | المتبي | ٣٠٣ |
| | (الضاد) | |
| رياضها | (الشماخ) | ٢٣٥ |
| بالزها | أبو تمام | ٢٤٠ |

| القافية | الشاعر | الصفحة |
|-----------|---|---------------------------------|
| القطايط | (الطهارة) الهذلي (المتنخل) (العيين) | ١١٧ |
| المسومة : | | |
| تنفع | أبو ذؤيب | ١٣٣ |
| واسع | النايفة | ٣٠٥ (والأول فقط في ١٣٧ أيضاً) |
| فوازغ | - | ١٧٥ |
| أبغ | - | - |
| تدفع | - | - |
| اتسكع | - | - |
| يتفجع | - | - |
| يتضضجع | - | - |
| تضجع | - | - |
| أمنع | - | - |
| المشجع | - | ٢١١ |
| يُحسّر | أبو تمام | ٢٣٥ |
| أجمع | - | ٢٦٦ |
| صانع | حميد بن ثور | ٣٠١ |
| تقع | المتنبي | ٣٠٣ |
| البيع | - | ٢٩٥ |
| يرجع | - | ١٤٣ |
| المطالع | علي بن جبلة | ٣٠٥ |
| ساطع | - | - |
| يطيشها | الفرزدق | ٢٣٩ - ٢٤٠ |
| شفيها | - | - |

| الصفحة | المشاعر | اللقائفة |
|-----------|---------------|------------|
| | | المفتوحة : |
| ١٧٣ | القطامي | لنأما |
| ٣٠٠ - ٣٠١ | الفرزدق | وقما |
| | | تسعىما |
| | | ومشبعما |
| | | المقنما |
| | | المكسورة : |
| ١٨٠ | ذو الرمة | الموادع |
| | | بالأصابع |
| | | الوقائع |
| ٢٠٨ | نافع بن علفمة | القواطع |
| ١٨٤ | الجمعل | الصانع |
| ٢٤١ | (الأقرش) | بسررع |
| ١٤٦ | الحطفة | بشفع |
| ٢٧٩ | - | بالتشبع |
| ٢٧٩ | - | للجمع |
| ٢٨١ | - | رع |
| ٢٧٩ | - | الدمع |
| ٢٨٠ | - | الخلع |
| | | النوع |
| ٢٨٠ | - | بالنجم |
| ٢٨٠ | - | الربيع |
| ٢٨٠ | - | الفروع |
| ٢٨١ | - | النفطوع |
| ٢٨١ | - | للطلوع |
| ٢٨١ | - | رجوع |

| الصفحة | الشاعر | المقافية |
|--------|------------------|------------|
| ٢٨١ | | القطيع |
| ٢٨٢ | | القنوع |
| ٢٨٣ | | الصنيع |
| ٢٨٣ | | الشنيع |
| ٢٨٣ | | الفرع |
| | | الجموع |
| | | الخنوع |
| ٢٨٤ | | المرجع |
| | | البدع |
| ٢٨٥ | | الصنيع |
| | | التناكة : |
| ٣٦٠ | أبو المتامية | الطبخ |
| | | ولع |
| | (القاء) | |
| | | المضمومة : |
| ١٧٤ | عبد الله بن طاهر | لورشوف |
| ١٩٧ | ابن بابك | كلف |
| ٣١٠ | أبو عثمان الناجم | طريف |
| | | صروف |
| | | المفتوحة : |
| ١٧٣ | رجل من عيس | الأنفا |
| ٢٩١ | الأعطل | متوفا |
| | | وظيفا |
| | | المكسورة : |
| ٢١٩ | - | الكهف |

| الفاية | الشاهر | الصفحة |
|---------|----------------|--------|
| أسلافي | أبو علي البصير | ٢٢٧ |
| الإخلاص | | ٣ |
| وافي | | |
| أضيافي | | |
| الأشراف | | |
| المخشف | النظام | ٢٢٧ |
| الردف | | |
| طرفي | | |
| شغينه | ابن الرومي | ٢٠٣ |
| نريته | | |

(القاف)

المضمومة :

| | | |
|---------|-------------------|-----------|
| وأعلن | ذو الزمة | ١٣٩ |
| الخلق | (سالم بن ربيعة) | ١٤٦ |
| تنق | | |
| المعروق | (المفضل التكري) | ٢٦٢ |
| يقوق | عروة بن الورد | ٢٦٧ |
| أطبق | | |
| غرق | جرير | ٢٩٨ - ٢٩٧ |
| نستين | | |
| نسق | | |
| تخطفن | ابن جهمور | ٣٠١ |
| عشقوا | العباس بن الأحنف | ٣٠٩ |
| تحترق | | |

المفتوحة :

| | | |
|------|------|-----------|
| خلفا | زهير | ٢٤٢ ، ١٢١ |
|------|------|-----------|

| الصفحة | الظاهر | القائمة |
|-----------|-------------------------------|------------|
| ٢٠٢ | زهير | اعتقا |
| ٢٦٧ | (عبيد الله بن قيس الرقيات) | وهقا |
| ٣٠٤ | مسلم | أحلقا |
| | | المكسورة : |
| ١٨١ | زهير | فأصدق |
| ٢٢٧ | الخطوي | صديقي |
| | | الحقوقي |
| | | أنيق |
| ٢٥٢ | بعض السعديين (عققان بن قيس) | تفقن |
| ٣٠٤ ، ٢٨٢ | | اشفاق |
| | | السكنة : |
| ٤٤ | امرؤ القيس | العلن |
| | (الكاف) | |
| | | المفتوحة : |
| ٢١٨ | ابن ميادة | شمالكا |
| ٢٤٨ | أبو النخعي | يشفيكا |
| | | يرجيكا |
| | | المكسورة : |
| ٢٣٩ | - | إليك |
| | | عليك |
| | | لديك |
| ٢٦٩ | منصور بن الفرغ | لثرونك |
| | | السكنة : |
| ٣٣٧ | عبد الله بن طاهر | كتبك |

| الصفحة | القاهر | الغالية |
|--------|--------------------------|---------|
| | | تعبك |
| | | بك |
| ٣٣٧ | محمد بن عبد الملك الزيات | سبك |
| | | أديك |

(اللآم)

المضمومة :

| | | |
|-----------|---------------------|----------|
| ٨٧ | (ليد) | الأناملُ |
| ٨٨ | الأحوص | يفعل |
| ١٣٢ | الأعشى | مكتهل |
| ١٤٦ | زهير | والبلد |
| ١٥٦ | الأعشى | الوعل |
| ١٨٢ | صالح بن عبد القدوس | فضل |
| ٢٠٦ | (علي بن زيد) | اقول |
| ٢٣٣ - ٢٣٤ | الأعشى | مطل |
| | | مكتهل |
| | | الأصل |
| ٢٣٦ - ٢٤٩ | (يزيد بن الطثيرة) | قليل |
| ٢٣٧ | ابن الممتر | ذبل |
| | | أرجل |
| ٢٨٩ | السود | تسيل |
| ٢٨٩ | زهير | القتل |
| ٢٨٩ | عبد بن الطيب | متأهبل |
| ٢٩٥ | (بشار) | يترسل |
| | | تستهل |
| ٢٩٧ | جميل | مكتهل |

| الفاية | المشاعر | الصفحة |
|------------|---------------------|--------|
| الهمل | | |
| محل | | |
| تستقل | - | ٣٠٠ |
| يستهل | | |
| نواهل | أبو تمام | ٣٠١ |
| نقاتل | | |
| الأسل | عبد الصمد بن المعذل | ٣٠٤ |
| تشتعل | | |
| البطال | | |
| عطل | ابن هندو | ٣١٢ |
| غسل | | |
| قتول | الأعطل | ٣٠٩ |
| أوشال | امرؤ القيس | ٣١٢ |
| مجال | | |
| أفله | أبو تمام | ١٧٢ |
| تعاوله | أبو تمام | ١٩٠ |
| سناوله | الفرزدق | ٣٠١ |
| وسيلها | - | ٣١٣ |
| المفتوحة : | | |
| الأبطال | جرير | ٤٥ |
| ورجالا | | |
| المطالا | كثير | ٢٠٦ |
| عضلا | أخت عمرو ذي الكلب | ٢٢٥ |
| ومالا | | |
| الكلالا | | |
| الهلالا | | |

| الصفحة | المصاحف | القافية |
|------------|--------------|------------------------|
| ٢٩٢ | أبن المعتر | هذا هلا |
| ٢٢٦ | البحتري | التزيلا ذليلا |
| ١١٧ | (الأحنس) | مهلا |
| ١٩٤ | ابن الرومي | انتعاه |
| ٢٣١ ، ١٩٩ | البستي | له |
| المكبورة : | | |
| ١٠٩ | امرؤ القيس | ليثلي بكلكل يأسل |
| ١٢٩ | جرير | الأخطل |
| ١٩٠ | امرؤ القيس | الخالي |
| ١٣٧ | امرؤ القيس | لقفال |
| ٢٩٤ ، ١٣٨ | امرؤ القيس | البالي |
| ١٣٨ | امرؤ القيس | خلخال |
| ١٣٨ | امرؤ القيس | المفصل |
| ١٤٠ | أبن المعتر | عصتل |
| ٢٣٥ ، ١٨٩ | امرؤ القيس | فحومل |
| ٢١٧ | امرؤ القيس | تفضل |
| ٢٩١ | امرؤ القيس | المقتل |
| ١٥٩ | ابن بشر | ذهول |
| ١٧٣ | الكهيت | الرحل |
| ٢٩٤ ، ١٨٢ | امرؤ القيس | الرحل |
| ١٩٠ | الأعشى | سؤالي |
| ٢٠٤ | سهل بن هارون | إفضال |

| الصفحة | الشاعر | المقابلة |
|--------|-------------------------|----------|
| ٢٢٣ | (كثير) | مالي |
| ٢٣٠ | ذو الرمة | المال |
| | | السلسل |
| | | المفصل |
| ٢٣١ | البستي | حلاؤ |
| | | لي |
| ٢٤٣ | جرير | بالرمل |
| ٢٤٤ | الصولي | ومنز |
| ٢٤٤ | ابن الرومي | الأطلال |
| ٢٤٧ | البحري | محتل |
| | | ميكل |
| | | المقبل |
| | | الأحول |
| ٢٥٢ | (علي بن عاصم الغنيري) | الأجمال |
| | | جصالي |
| ٢٦٩ | ابن المعتز | فضل |
| ٢٨١ | معتز الهلالي | بلحول |
| ٢٨٥ | - | كالسول |
| | | العقول |
| ٢٩١ | الأعشى | المفتل |
| ٢٩١ | المجنون | مفتل |
| ٢٩٢ | حسان | المقبل |
| ٣٠٠ | النايفة | الإمائل |
| ٣٠٦ | الهلالي (أبو ذؤيب) | مطائل |
| ٣٠٢ | مسلم | مرتحل |
| ٣١٣ | امرؤ القيس | الكاهل |

| الصفحة | المؤلف | المؤلف |
|--------|----------------------------|------------|
| ٣١٣ | القنوي | أهلي |
| | | السائكة : |
| ٢٥٤ | (عمرو بن شأس) | بفضلان |
| ٢٩٣ | ابن الزبيعي | مقل |
| ٣١١ | الثعالبي | مشتعل |
| | | الغزل |
| | | عجل |
| | | نفثل |
| ٣١٤ | هبة بن الوغل (أو الأسطل) | الجميل |
| | | الجميل |
| | (الميم) | |
| | | المضمومة : |
| ١٢٤ | الفرزدق | يتصرم |
| | | فيفم |
| ١٧٩ | (أبو حبة النميري) | ريم |
| | | يهم |
| | | قليم |
| ١٨٩ | علقمة بن عبدة | مصروم |
| ١٩٧ | ابن يابك | يتم |
| ٢٠٤ | ابن الرومي | تصرم |
| | | ومردم |
| ٢٠٥ | جرير | البشام |
| ٢١٠ | ابن الرومي | نجوم |
| | | رجوم |
| ٢١٢ | أبو نواس | قيام |

| الصفحة | الشاعر | المغالية |
|-----------|---------------------|------------|
| ٢١٣ | النايفة | إسلام |
| ٢١٧ | عمر بن أبي ربيعة | وحاشم |
| ٢٣٦ | أبو البقاء | نعم |
| | | النجم |
| ٢٤١ | - | سهام |
| ٢٤٢ | (عمرو بن معديكرب) | وسام |
| ٢٤٦ | زهير | هرم |
| ٣٠٤ | الفرزدق | يستلم |
| ٢٦٩ | ذو نواس البجلي | يحيى |
| ١١٩ | ليبد | ظلامها |
| ١٣٥ | ليبد | أفلامها |
| ١٣٦ | ليبد | جهامها |
| | | المفتوحة : |
| ١٧٣ | النايفة | الساما |
| ٢٣٥ | حاتم الطائي | منمنما |
| ٢٤٢ | الجاهلي | هموما |
| ٢٥٦ | - | ميتسما |
| ٢٦٣ | أوس بن حجر | حذيفا |
| ٢٦٨ - ٢٦٧ | عمر بن أبي ربيعة | كما |
| | | وما |
| | | بينما |
| | | رعى |
| | | ولكننا |
| | | سأنا |
| | | محكما |
| ٢٧٠ | - | مضجنا |

| الصفحة | الشاعر | القائفة |
|--------|------------------|------------|
| ٢٩٢ | جدة بن الطيب | تهذبا |
| ٣٠١ | أبو تمام | مولنا |
| | | المكسورة : |
| ٤٥ | عترة | المفتنم |
| ١١٠ | عترة | وتحمحم |
| ٢٢١ | عترة | بحزم |
| ٢٢٤ | (عترة) | نحرم |
| ٢٧٧ | عترة | نوم |
| ٢٩٤ | عترة | يكلم |
| | | نكرمي |
| ١٥٠ | زهير | هم |
| ١٧٧ | زهير | لهذم |
| ١٨٤ | زهير | نعلم |
| ٢٣٠ | زهير | يحطم |
| ٢٠٨ | طرفة | تهمي |
| ٢٠٩ | طرفة | الكلم |
| ١٣٦ | جرير | غمام |
| ١٤٢ | عمر بن أبي ربيعة | نتكلم |
| | | المنيم |
| ١٤٦ | جرير | الكلم |
| ١٤٧ | المرار | والثشم |
| | | ظلم |
| ١٩٠ | أبو تمام | صقيم |
| ١٩٨ | ابن الرومي | الهدوم |
| ٢٠٣ | الفرزدق | مفرم |

| الصفحة | الشاعر | القافية |
|--------|-------------------|-----------------------------|
| ٢٢٦ | البحثري | المصمم كلامي بحرام |
| ٢٣١ | السنّي | دمي |
| ٢٣٨ | - | الهام |
| ٢٤٠ | إبراهيم بن المباس | ظلمي علمي |
| ٢٤٠ | اليزيدي | تلم متهم |
| ٢٤١ | - | عروم |
| ٢٤٦ | - | جرم |
| ٢٤٧ | - | القم بندهم أكنم |
| ٢٤٦ | إسحاق الموصلي | هشام |
| ٢٤٨ | أبو نواس | الفرس المعطي |
| ٢٨٠ | - | مجوم |
| ٢٩٠ | أبو حية | ومعصم |
| ٢٩٠ | عدي بن زيد | عذم |
| ٣٠٢ | المتنبي | بسالم المقتاعم المرام |
| ٣١٠ | محمود الوراق | علم الظلم |
| ٣١٢ | أبو الطيب | الظلام |

| الصفحة | الشاعر | القافية |
|--------|--------------------|------------|
| ٣١٤ | الحارث بن حلزة | حرام |
| ٣١٤ | مطل بن مجيع الأسدي | الألجم |
| ٣١٤ | أبو الكتود الخزاعي | التجويم |
| | | النديم |
| | | بلساكة : |
| ٢١٥ | بشار | نم |
| ٢٥٦ | منصور بن الفرج | الجسم |
| ٢٩٢ | المعاص بن الأحف | زعم |
| | | نم |
| | (النون) | |
| | | المضمومة : |
| ٢٠٤ | لمين الرومي | نشوان |
| | | سكران |
| ٢٢٠ | امرؤ القيس | غزان |
| ٢٠٩ | (الممطل) الهذلي | يادن |
| ٢٤٦ | بشار | معين |
| | | حزين |
| | | كعين |
| ٢٤٩ | أبو نواس | الميمون |
| | | هارون |
| ٢٦٢ | - | ثخين |
| ٣٠٤ | الشريف الموسوي | طمين |
| | | المفتوحة : |
| ١٧٦ | عمرو بن كلثوم | الجهالينا |

| الصفحة | الشاعر | القافية |
|-----------|-----------------------|------------|
| ١٧٧ | عمرو بن كلثوم | رويتا |
| ٣٠٣ | عمرو بن كلثوم | معهدينا |
| ١٧٣ | الكتاني | نُهيتا |
| ١١٨ | (الراعي النميري) | والميونا |
| ١٧٧ | يشامة النهشلي | أُغليتا |
| ٢٤٠ | أبو نواس | إنسلتا |
| | | كانا |
| ٣٠٣ | جرير | قتلانا |
| ٣٠٥ | المتني | الأصننا |
| ٤٧ | (ابن طباطبا) | يحنونهُ |
| | | المكسورة : |
| ٢١٦ ، ١٢٠ | امرؤ القيس | وإني |
| ٢٠٦ | النايفة | فاني |
| ١١١ | (عمرو بن أبي ربيعة) | بالإحسان |
| ١٣٨ | بشار | نجمان |
| ١٧٥ | - | الغواني |
| ٢٢٠ | - | زواني |
| ٢٤٧ | أبو تمام | خولن |
| | | رئان |
| | | رحدان |
| | | عثمان |
| ٢٤٠ | ابن المعتز | دهاني |
| | | كتماني |
| | | بلساني |
| ٢٤٧ | سعيد بن حميد | هجران |

| الصفحة | الشاعر | القافية |
|--------|---|------------|
| | | بكفران |
| | | سليمان |
| ٣٠٦ | بشار | الجنان |
| ٣٠٧ | أبو الطيب | الهلاليان |
| ٢٤٤ | - | بهاصين |
| | | مصاريتي |
| ٣١٤ | سحيم بن وثيل | العريين |
| ٢٩٧ | جميل | عرقوني |
| ١٤٠ | ابن دريد | دكن |
| ٣٠٦ | مالك بن أسماء | الحسن |
| | | ثمن |
| ٣٠٤ | ديك الجين | بالأصين |
| | | السائكة : |
| ٢٩١ | الأعشى | مرث |
| | (الهاء) | |
| | | المضمومة : |
| | ١٤٣ | يلقاء |
| | | أشباه |
| | | أفواء |
| | | المفتوحة : |
| ٣٠٢ | ابن نيس الرقيات | فيقرها |
| | (الياء) | |
| ٢٤٥ | الناطقة الجملي (والثاني في ص ٢٠٠ أيضاً) | بانها |
| ٤٢٩ | | |

| الصفحة | الشاعر | القافية |
|--------|--------------------|-----------|
| | | الأحاديث |
| ٣١٣ | عترة | الخواليا |
| ٢٤٦ | أبو حية | المليالي |
| | | التقاضيا |
| ٢٢٩ | رافع بن هرم | شراريا |
| | | باصفراريا |
| | | نهاريا |
| | | جاريا |
| | | حللاريا |
| | | ناريا |
| ٣٠٩ | أبو المتاهية | المليا |
| | (الألف المقصورة) | |
| ٢٦٠ | - | العدى |
| | | الندى |
| ٢٠٢ | الأسمر الجمفي | رأى |
| | | الغضا |
| | | النسا |
| ٢٩٤ | ابن هرمة | النهى |

(٥) فهرس الأرجاز

| الصفحة | القائل | القافية |
|-----------|-------------------|---------|
| ١٨٠ ، ١٦٠ | - | فبر |
| ١١٥ | المجاج | الكافور |
| ٨٨ | علي بن أبي طالب | مكيا |
| ١٣٣ | دكين | النسر |
| | | كالنسر |
| | | الشمس |
| ١٨٤ | المجاج | حمضا |
| ٣١٠ | (أبو المتاهية) | نفع |
| | | الطنع |
| | | غارنفع |
| | | وقع |
| ٣٠٤ | مهيبار | ساق |
| | | الأسداف |
| ١٢٩ | رؤية | المرنوق |
| ١٨٤ | جرير (أو جنبدل) | الفاقر |
| ١٤٤ | أبو العالية | تجلة |
| | | أدله |
| ٢٢٨ | أبو العالية | الخله |
| | | إله |
| | | المنلة |
| | | المسله |
| | | هبله |

| المقايـة | المقايـل | الصفحة |
|----------|----------|--------|
| شمـه | | |
| منـمـه | | |
| المـكـه | | |
| الخـه | | |
| الفرم | - | ٢٢٤ |
| اليوم | | |
| جهم | - | ٢٢١ |
| دسم | | |
| الكـم | رؤبه | ٢٢٣ |
| غـه | - | ١٣٧ |
| حـه | | |

* * *

(٦) فهرس أنصاف الأبيات

| نصف البيت | الشاعر | الصفحة |
|------------------------------|---------------------|--------|
| اسفري للعبون يا ضرة الشمس | (بعض المولدين) | ١٢٨ |
| ايا من رمى قلبي بهم فانفلدا | | ١٢٨ |
| بطئ عن الجلى سريع إلى الخنا | طرفة | ٢١٤ |
| توكل بالأدنى وإن جلت ما يمضي | أبو خراش | ١٨٣ |
| حلوا الشماثل وهو مرّ باسل | أبو الشغب | ٢١٤ |
| خشنت عليه أخت بني خشين | أبو تمام | ٢٦٨ |
| شكا إلي جملي طول السرى | (الملبد بن حرملة) | ١١٠ |
| ضحك المزن بها ثم بكى | - | ١٣٢ |
| فقلت يمين الله أبرح قاعدا | (امرؤ القيس) | ١١٩ |
| كبداء مقبلة وركاء مدبرة | زهير | ١٩٥ |
| لك الويل من ليل تطاول آخره | البحري | ١٩٦ |
| لباني اللهو يطبيني فاتبعه | (ذو الرمة) | ١٥٩ |
| ليت التشكي كان بالمواد | جرير | ١٨٣ |
| مكر مفر مقبل مدبر . . . | امرؤ القيس | ١٩٥ |
| وإذا نرد إلى قليل تفنح | أبو ذؤيب | ١٨٢ |
| وإذا مضى شيء كأن لم يفعل | أبو كبير | ١٤١ |
| وحبك داه أن تصبح وتسلما | حميد بن ثور | ١٨٢ |
| والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر | الأخطل | ١٨٣ |
| والكفر مخبئة لنفس المنعم | عترة | ١٨٣ |
| ويل كموج البحر . . . | امرؤ القيس | ١٣٢ |

• • •

(٧) فهرس الأعلام

- (١)
- آدم (عليه السلام) ٢٧ .
 آصف بن برخيا ٢٨ .
 إبراهيم (عليه السلام) ٢٢٥ .
 إبراهيم بن العباس ٢٤٠ .
 إبراهيم بن مغير ٢٥٤ .
 أحمد بن إبراهيم الفسي ٣٠٨ .
 الأخوص ٨٨ .
 أخت عمرو ذي الكلب ٢٢٥ .
 الأعطل ١٨٣ ، (٢٠٦) ، (٢٨٣) ، ٣٠٩ ، (٣١٤) .
 الأغش ٨٩ .
 الأغيطل ٢٦١ .
 إدريس (عليه السلام) ٢٧ .
 إسطاطاليس ٦٥ ، ٢٧٧ ، ٣١٠ .
 إسحاق الموصلي ٢٤٦ .
 الأسعر الجعفي ٢٠٢ .
 الإسكندر اليوناني ٣٣٧ .
 إسماعيل (عليه السلام) ٢٨ ، ٣٣٧ .
 الأشر النضفي ٢٢٧ .
 الأصمعي ٦٥ ، ١٧٦ ، ٣١١ .
 الأغش (١١٦) ، ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٥٦ ، ١٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٣٣ .
- الأغوة الأودي ١٣٣ ، ٣٠٠ .
 الأقيتر الأسلي (٢٤١) .
 امرؤ القيس ٤٤ ، ١٠٩ ، (١١٩) ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥ ، ٢٤٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣١٣ ، ٣١٢ ، ٢٩٩ .
 الأمين ٢٤٩ .
 ابن أبي أمية ٢٣٣ .
 أوس بن حجر ٢٢٩ ، ٢٦٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٩ .
- (ب)
- ابن بابك ١٩٧ .
 الباهلي ٢٤٢ .
 البحتري ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٦ ، ٢٤٧ ، ٢٩١ ، ٣٠٥ .
 بخت نصر ٢٨ .
 البيني ١٩٨ ، ٢٣١ .
 بشار ١٣٨ ، ٢٠٣ ، ٢١٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٨٤ ، ٢٩٣ ، (٢٩٥) ، ٣٠٦ .
 بشامة النهشلي ١٧٧ .

(١) الأرقام التي بين قوسين تشير إلى اسم العلم في الحواشي .

الحامسي ، أبو علي ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٧٣ ،
١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ،
٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ،
٢٤٥ ، ٢٥٧ .

الحارث بن حازمة ٣١٤ .

الحجاج بن يوسف ٨٠ ، ١٣١ ، ٢١٨ .

حجر (أبو امرئ القيس) ٤٤ .

أبن حليم ٢٦٣ .

حصان بن ثابت ٢٩٢ ، ٢٩٤ .

الحسن البصري ١٤٠ ، ١٩٧ ، ٢٣٤ .

الحسن بن علي ١٣١ ، ١٥٨ .

الحسين بن علي ١٥٨ ، ٣٦٠ .

الحطيئة ١٤٦ ، ١٨٢ ، ٢٢٨ ، ٢٤٨ ،

٢٥٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ .

أبن حمام الكلبي ٢٩٩ .

الحقاني ٢٤٥ .

حميد بن ثور ١٨٢ ، ٣٠١ .

أبو حية النميري (١٧٩) ، ٢٤١ ، ٢٩٠ .

(خ)

خالد بن صفوان ٦٥ ، ٢٦١ .

الخثمي ٢١٢ .

خفاف بن زهير ٢٦٦ .

خلف الأحمر ٢٧١ .

الخليل بن أحمد ١٦٩ ، ١٧٦ ، ٢٧٠ .

(د)

أبو ذؤاد ٢٩٠ .

أبن دريد ١٤٠ ، ١٥٦ .

دقلطيانوس ٢٢٧ .

دكين ١٣٢ .

ديك الجن ٢٦٩ ، ٣٠٤ .

أبن بشر ١٥٩ .

بشر بن المنصور ٢٥٣ ، ٢٧٢ .

بعض السجديين ٢٥٢ .

بعض المتنظيين ٢٣ .

بعض بني بريح ٢٨٢ .

أبو بكر الصديق ٢٨ .

بكر بن الطخاف ٣٠١ .

أبو البيداء (١٣٦) ، ٢٣٦ .

(ت)

أبو تمام الطائي ١٢٧ ، ١٥١ ، ١٦١ ، ١٧١ ،

١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢٣٥ ،

٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ،

٢٦٨ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ،

٣٠٤ ، ٣٠٣ .

التوزي ١٥٦ .

(ث)

الثعالي ١٩٥ ، ٣١١ .

(ج)

جابر الفاخري ٣٠٣ .

الجاسط (١٩٩) ، ٢٣٩ .

جرير ٤٤ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ،

١٤٦ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،

٢٠٥ ، (٢١٣) ، ٢٤٢ ، ٢٧٩ ، ٢٩٧ ،

٣٠٣ .

جعفر بن يحيى البرمكي ٦٣ .

أبن جمهور ٣٠١ .

جميل ١٤٧ ، ١٨٠ ، ٢٩٧ ، ٣١٣ .

(ح)

حاتم الطائي ٢٣٥ ، ٢٤٥ .

(د)

أبو ذؤيب الهذلي ١٣٣ ، ١٨٣ ، ٣٠٦ .
ذو رعين ٣٢١ .

ذو السرة ٦٢ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ،
(١٥٩) ، ١٩٠ ، ٢٢٠ ، ٣٠٦ .
ذو نواس الجبلي ٢٦٩ .
ذو يزن ٣٢١ .

(ر)

رقية ١٢٩ ، (٢٢٣) .

الزاهي النخري (١١٨ ، ١٨٤) ، ٣٠٢ .
والج بن هريم ٢٢٩ .
الزاسني ، أبو الحسن ٦٥ ، ١٥٦ ، ١٥٢ ،
١٥٦ ، ١٩٩ .
أبرو مع الخزامي ٢٩٤ .

ابن الرومي ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ،
٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ .

(ز)

ابن الزبيري ٢٩٣ .

زهير ٨٩ ، ١٢١ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٧٧ ،
(١٧٨) ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٦ ،
٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ،
٢٥٥ ، ٢٤٦ .

زيد بن أبيه ٣٣٩ .

زيد بن ثابت ٢٨ .

(ح)

سأبور ٣٠ .

سالم بن وابصة (١٤٦) .

سحيم بن وثيل ٣١٤ .

سعيد بن حميد ٢٤٧ ، (٢٥٤) .

سقراط ٦٥ .

سلم الخاسر ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٥ .

سليمان بن داود (عليه السلام) ٢٨ ، ٣٤٠ .
السوءل بن عادية ٢٨٩ .

سحارب ٢٨ .

سهل بن هارون ٢٠٣ .

سويد بن كراع ١١٥ .

(ش)

الشريف الموسوي (الرضي) ٣٠٤ .

شعيب (عليه السلام) ٢٦٦ .

أبو الشغب العيسى ٢١٤ .

الشماخ ٢٠٣ ، ٢١١ ، (٢٣٥) ، ٢٩١ .

الشنفري (١١٨ ، ١٨٤) .

(ص)

الصامي ، أبو إسحاق ٣٠٧ .

الصاحب بن عباد ، أبو القاسم ١٩٧ ،
٣٠٨ ، ٣٠٧ .

صاحب المنطق ٢٠ .

صالح بن عبد القدوس ١٨١ .

صغار الجبلي ٦٥ .

أبو صخر الهذلي ٢٩٤ ، ٢٩٨ .

الصمة القشيري ٢٣٣ .

(ط)

ابن طاطليا (٤٧) .

طرفة ١٣٣ ، ١٨٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ،
٢٩٣ ، ٣١٣ .

طريح بن إسماعيل الثقفي ٢٠٢ .

(ع)

أبو العالية ١٤٤ ، ٢٢٨ .

علي بن جبلة ٣٠٥ .
 علي بن خلف الكتاب (المؤلف) ١٥ .
 علي بن أبي طالب ٢٨ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٨٨ ،
 ١٣١ ، ٣١١ ، ٣٦٠ ، ٣٨٥ .
 علي بن حاصم العبيري (٢٥٢) .
 علي بن عبد الله بن العباس ٢٢٤ .
 عمر بن الخطاب ٢٨ ، ١٧٩ ، ٢٣٩ ،
 ٢٥٥ ، ٣٠٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ .
 عمر بن أبي ربيعة (١١١ ، ١٤٢ ، ٢٦٧) .
 عمر بن عبد العزيز ٣٣١ .
 عمرو بن أمية ٢٩٩ .
 عمرو بن الأيهم الثقفي ٢١١ .
 عمرو بن شأس (٢٥٤) .
 عمرو بن عبيد ٢٢٤ .
 أبو عمرو بن الملاء ٣١١ .
 عمرو بن كلثوم (١٧٦) ، ١٧٧ ، ٣٠٣ .
 عمرو بن معديكرب ٢٤٢ .
 عمرو بن هند ٢٣٩ .
 عترة ٤٥ ، ١١٠ ، ١٨٣ ، ٢٢١ ، (٢٢٤) ،
 ٢٧٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣١٣ .
 عترة الطائي ٢٩٧ .
 عوف بن الخرق ١١٠ .
 عوف بن محلم ٢٠٦ .
 عوف القوافي ١٧٧ .
 أبو الهيثم (الهذلي) ٢٦٩ .
 عيسى (عليه السلام) ٢٥ ، ٢٨ ، ٢١٩ ، ٢٣٢ .

(غ)

الغنوي ٣١٣ .

(ف)

الفارسي ، أبو علي ١٥٩ ، ١٥٢ ، ١٧١ .

ابن عباس (عبد الله) ١٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٩ .
 العباس بن الأخف ٢٩٢ ، ٣٠٩ .
 عبد الرحمن بن حسان ١٢١ .
 عبد الصمد بن الممدل ٣٠٤ .
 عبد الله بن الزبير الأسدي ١٧٨ .
 عبد الله بن طاهر ١٧٤ ، ٣٣٦ .
 عبد الله بن مسعود ٣١٠ .
 عبد الله بن المقفع ٩٤ .
 عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي (٢٠٦) .
 عبد الملك بن مروان ٢٩ ، ٢٣٤ .
 عبدة بن الطبيب ٢٨٩ ، ٢٩٢ .
 عبيد بن الأبرص ٣١٢ .
 صيد الله بن عبد الله (بن طاهر) ٣٠٦ .
 صيد الله بن عبد الله بن حبة (٢٦٣) .
 أبو عبيدة ٢٧١ .
 أبو النضاهية ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٨٥ ، ٣٠٩ ،
 (٣١٠) .
 حبة بن الوخل ٣١٤ .
 عثمان بن إدريس البشامي ٢٤٧ .
 عثمان بن عفان ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٤٠ .
 أبو عثمان الناجم ٣١٠ .
 العجاج ١١٥ ، ١٨٤ .
 عدي بن زيد ٢٠٦ ، ٢٢١ .
 العرجي (٢٢٣) .
 عروة بن الزبير ٢٢٤ .
 عروة بن الورد ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
 عزيز ٢٨ .
 عزيز مصر ٢٨ .
 الخطوي ٢٢٧ .
 عقشان بن قيس بن حاصم (٢٥٢) .
 علقمة بن عبدة ١٨٩ .
 أبو علي البصري ١٥٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(م)

- مالك بن أسماء ٣٠٦ .
 المأمون ٨٩ ، ٢٤٠ ، ٣٣١ .
 المتلس ٣٣٩ .
 المتني ، أبو الطيب ٣٠٧ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .
 ٣٠٧ ، ٣١٢ .
 المجنون ٢٩١ .
 محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
 ١٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٥ ،
 ٧٨ ، ٨٤ ، ١٠٩ ، ١٣١ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ،
 ١٦٧ ، ١٩٦ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٣١ ،
 ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ،
 ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ .
 ٢٨٥ ، ٢٨٦ .
 محمد بن الصبا ١٩٧ .
 محمد بن عبد الملك الزيات ٣٣٦ .
 محمد بن وهب ١٩٢ .
 محمود الوراق ٣١٠ .
 المزار (الفقيهي) ١٤٦ ، (٢١٣) .
 مروان بن أبي حفصة (٤٥) ، ٢٨٥ ، ٣٠٢ .
 مروان بن الحكم ٢٨ .
 مروان بن محمد ٢١٨ .
 مسلم بن الوليد ١٩٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ .
 معاوية بن جندب ١٩٦ .
 معاوية بن أبي سفيان ٢٨ ، ٢٩ ، ٦٥ ،
 ٣٠٩ .
 معاوية بن مالك (١٢٩) .
 ابن المعتز ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٧٢ ،
 ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

- ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ،
 ٢١٥ ، ٢٣٧ ، ٢٥٧ .
 أبو فراس ٣٠٨ .
 أبو الفرج البغدادي (٢٥٦) .
 الفسزدق ١٣٣ ، ١٤٤ ، ٢٠٣ ، ٢٣٩ ،
 ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .
 الفضل بن الربيع ٢٤٨ .
 الفضل بن يحيى ١٩١ .

(ن)

- الغاضي الترخي ١٩٨ .
 قدامة بن جعفر ، أبو الفرج ١٥١ ، ١٥٧ ،
 ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ،
 ٢٢٩ .
 القرشي (أبو علي) ٢٦٠ .
 قس بن ساعدة الإيادي ٣٢٧ .
 القطامي ١٧٢ .
 قيس بن الخطيم ٢١٧ ، ٢١٣ .
 ابن قيس الرقيات (٢٦٧) ، ٣٠٢ .

(هـ)

- أبو كبير الهللي ١٤١ ، ١٨٠ .
 كثير ٢٠٦ ، (٢٢٢) ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ .
 كعب بن جعيل ٣١٤ .
 الكيت ١١٠ ، ١٧٢ .
 الكنائي ١٧٢ .
 أبو الكنود الخزاعي ٣١٤ .

(و)

- ليد (٨٧) ، ١١٩ ، ١٣٣ ، ١٣٥ .
 ليلي (الأخيلية) ٢٢٠ .

أبو سواس ١٣٣ ، ١٩١ ، ٢١٢ ، ٢٤٣ ،
٢٤٨ ، ٢٥٨ ، ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ .

(هـ)

هارون (عليه السلام) ٢٦ ، ٢٨ .
الهلي (أبو غرلث) ١٨٢ .
الهلي (المتدخل) ١١٧ .
الهلي (الممثل) ٢٠٩ .
هراثة بن أسد العبيسي ٢٩٩ .
ابن حرمة ٢٩٤ .
أبن هندو ٣١٢ .
الهيشم بن الأسود بن العريان ٢٣٤ .

(و)

الوليد بن المخيرة ١٢٩ .

(ي)

يحيى بن زكرياء (عليه السلام) ٢٨ .
يزدجرد ٣٣٧ .
يزيد بن الطيرة (٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٩٦) .
يزيد الكامل ٣٣١ .
يزيد بن مالك الخاسدي ٢١٩ .
يزيد بن الوليد ٢١٨ .
اليزيدي ٢٤٠ .
يوسف (عليه السلام) ٢٨ .
يوسف بن عقبا ٢٨ .
يوسف بن محمد الثوري ١٩١ .
يوشع بن نون ٢٨ .

٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٩٢ .

مقل بن مجمع الأسدي ٣١٤ .

المغيرة بن مخارش ٢٣٤ .

المفضل الضبي ٢٧١ .

المفضل الثوري (٢٦٢) .

ابن مقل ٢٩٠ .

المليد بن حرمة (١١٠) .

منصور بن الفرج ٢٥٦ ، ٢٦٩ .

منقذ الهلالي ٢٨١ .

المقري (اللعين) ٢١٩ .

أبو المنهال بقيلة الأكبر (٢٢١) .

المهلب بن أبي صفرة ٩٢ ، ٢١٨ ، ٢٥٢ .

مهيبار الدهلي ٣٠٤ .

موسى (عليه السلام) ٢٦ ، ٢٨ ، ١٦٧ ،

٢٢٥ .

ابن ميادة ٢١٨ .

(ن)

النابغة الجعدي ٢٤ ، ١٨٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ،
٢٤٥ .

النابغة الذبياني ١٣٧ ، (١٣٩) ، ١٧٣ ،

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠١ ،

٢٠٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٤٥ ، ٢٩٠ ،

٣٠٠ ، ٣٠٥ .

نافع بن خليفة الثوري ٢٠٨ .

نصيب ١٤٣ ، ٢٠٢ .

النظام ٢٢٧ .

النمر بن تولب ٢٠٨ ، ٢١٢ .

النميري ١٥٩ .

(٨) فهرس الأسم والقبائل والجماعات

| | |
|--|-----------------------------------|
| العرب ٢٩ ، ١١٣ ، ١٣٢ ، ١٦٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ | الأزد ٢٥٢ |
| الفرس ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣٧ | الأعراب ١٣٢ ، |
| القبط ٣٣٧ | اليدهيون ٢٤٩ |
| قوم شعيب ٢٦٦ | البصريون ٣٢٥ |
| الكتّاب تكرر في مواضع كثيرة | الحكماء ٤٨ ، ٥٢ ، ١١٠ ، ١٤٤ ، ٣٠٩ |
| المسلمون . تكرر في مواضع كثيرة | الروم ٣٣٧ |
| المتطهرون ٢٣ | السعديون ٢٥٢ |
| بنو بريح ٢٨٢ | عيس ١٧٣ |
| | المعجم ٢٩ |

(٩) فهرس الأماكن والمواضع

| | |
|-----------------|---------------|
| الشام ٧٧ ، ١٢٢ | بابل ٢٨ |
| العراق ٧٧ ، ١٢٢ | بيت المقدس ٢٨ |
| فارس ٧٧ | الحجاز ٧٧ |
| مصر ١٢٢ | حفر موت ٣٢١ |
| مكة ٣٣٧ | سأ ٢٨ |

(١٠) فهرس الكتب

| | |
|-------------------------------------|---|
| الحيوان : للمجاهد ١٩٦ | آلة الكتاب : لعلي بن خلف الكاتب ٣١٨ ، ٣٢٥ |
| الخراج : لعلي بن خلف الكاتب ٣٩ ، ٥٤ | أجناس التجنيس : للشالي ١٩٥ |
| الخراج : لقدامة بن جعفر ١٧٨ | الحالي والماعول : لأبي علي الحاتمي ١٥٣ |
| العين : للخليل بن أحمد ٢٧٠ | حلية المحاضرة : لأبي علي الحاتمي ١٥٣ |
| نقد الشعر : لقدامة بن جعفر ١٧٨ | |

(١١) فهرس مواد الكتاب مرتبة على حروف الهجاء

| | | |
|--------------------------|-------|------------------------------------|
| الاعتناء ٢٩٧ | (١) | احكامه اللاحقين مذاهب السابقين ٢٧٥ |
| الإيجاز ١١٦ | | امتصاص اللفظ الطويل مع حراسة الـ |
| الإيضاح ٢٢٩ | | ٢٩٣ |
| (ب) | | الإخلال ٢٦٣ |
| البديع ١٨٥ | | الإرداف ٢١٦ |
| البريد ٥٦ | | الاستثناء ٢٤٩ |
| البلاغة ٩٢ | | الاستدراك ٢٣٦ |
| البيان ١٤١ | | الاستطراد ٢٤٦ |
| بيت المال والخزائن ٥٤ | | الاستعارة ١٢٤ |
| (ت) | | الاستعارة القبيحة ٢٥١ |
| التاريخ ٣٣٧ | | الاستعارة المعيبة ٢٥٢ |
| التبديل ٢٣٤ | | الاستغناء ٢٣٢ |
| التجويد ٢٦٤ | | الاستلحاق ٢٩٨ |
| التبيين ٢٠٣ | | الإشارة ٢١٥ |
| التبيين ٢١٦ | | الاصطراف ٢٩٨ |
| التجميع ٢٥٤ | | الاعتراض ٢٠٥ |
| التجنيس المعيب ٢٥٦ | | الإعات ٢٢٨ |
| تحريف الاسم عن موضعه ٢٦٢ | | الإغارة ٢٩٨ |
| تحسين الخط ٣١٨ | | الانكساف ٢٠٤ |
| التخليط ٢٦٢ | | الانقطاع ٢٩٦ |
| الترتيب ١٦١ | | الألفاظ البسيطة ٦٦ |
| الترديد ٢٤١ | | الإنعام ٢٣١ |
| الترديد المعيب ٢٦٩ | | الانتحال ٢٩٩ |
| الترصيع ١٩٣ | | الانتقال ٢٦٤ |
| التركيب ٢٣٠ | | |

(ح)

- حدّ صناعة الكتابة ٢٠ .
- حدود البلاغة ٦٤ .
- حسن الابتداء ١٨٨ .
- الحشو غير المفيد ٢٦٨ .
- الحشو المفيد ٢٣٦ .
- الحقيقة ١٠٧ .
- الحوشي ٢٥١ .

(خ)

- الختم ٣٣٩ .
- الخراج ٥٢ .
- الخروج الحسن ١٩١ .
- الخط ٣١٦ .

(د)

- الدعاء ٣٣٤ .

(ر)

- الرجع ٢٣٧ .
- الرسائل ٥١ .
- رسم الكتاب ٦٠ .
- رسوم المكاتبات ٣٤١ .

(ز)

- الزّمام ٥٦ .

(س)

- المسرقت ٢٩٩ .

(ص)

- صنعة الكتابة ١٩ .

الصميط ٢٤٣ .

الصوم ٢٢٥ .

النشيب ١٣٤ .

النصير ٢٤٢ .

النصرف ١٦٥ .

النصريح ٢٣٥ .

النصمين ٢٤٤ .

التطيق المصيب ٢٦١ .

التطويل ٢٥٤ .

التعريض ٢٢٣ .

التفقيذ ٢٥٣ .

التطريح ٢٣٣ .

التنصير ٢٠٧ .

التعريف ٢٤٩ .

التقسيم ٢٠٠ .

تعصير المعنى عن إحسان المبتدع ٢٩٣ .

التكافؤ ٢١٤ .

تكافؤ المعنى والمبتدع ٢٩٢ .

التكرير ٢٥٥ .

تكلف المقابلة والسجع ٢٦٥ .

التكبير ٢٠٧ .

التلالم ١٧٨ .

النشيل ٢١٨ .

التناظر ١٨٠ .

التوسيع ٢٣٩ .

التوسيع المعيب ٢٦٩ .

التوشيح ٢٢٦ .

التوقيف ٥٠ .

توكيد الملح بما يشبه النعم ٢٤٥ .

(ج)

الجيش ٥٥

(ض)

- الضرب المستحسن من استعمال المعاني
- المفترقة ٢٨٨ .
- الضرب المستحب من استعمال المعاني
- المفترقة ٢٩٣ .
- الضباغ ٥٣ .

(ط)

- الطريق المسلوكة إلى استعمال اللاحقين
- معاني السابقين ٢٨٧ .

(ع)

- عكس الإعلال ٢٦٤ .
- علة وضع الكتاب ٦١ .
- العنوان ٣٣٠ .
- عيون الألفاظ ٢٥١ .
- عرب المعاني ٢٥٧ .
- عرب المركب من الألفاظ والمعاني ٢٦٣ .

(غ)

- الغرائز ٢٧٠ .
- غرض الكتابة ٣٦ .

(ف)

- فساد التفسير ٢٦٠ .
- فساد التقسيم ٢٥٩ .
- فساد المقابلة ٢٥٩ .
- الفض ٥٧ .
- فضيلة الكتابة ٢٠ .

(ق)

- قسمة الكتابة ٣٨ .
- القلب ٢٦٥ .

(ك)

- كتابة الأعرام والقواعد ٥٩ .

(م)

- المبالغة ٢١٠ .
- المبثور ٢٦٧ .
- المتناقض ٢٥٧ .
- المثل ١٨١ .
- المجاز ١٠٨ .
- ملعب صناعة الكتابة ٥٩ .
- مراتب صناعة الكتابة ٤٨ .
- المستحيل ٢٥٧ .
- المشاكل ١٦٧ .
- المشترك ٢٦٨ .
- المظالم ٥٨ .
- المعاطلة ٢٥٥ .
- المعاني المجردة ٧٩ .
- المقابلة ١٩٩ .
- الممحون ٢٥١ .
- المماثلة ٢٤٨ .
- المنتع ٢٥٧ .
- منفعة الكتابة ٣ .
- الموارد ٣١١ .

(ن)

- النافر ٢٥١ .
- نسب الشيء إلى ما ليس منه ٢٦٦ .
- النظر والملاحظة ٢٨٨ .
- النظم ١٤٧ .

| | |
|-----------------------------|--|
| (هـ) | التفقات ٢٤ . |
| الهلل ٢٦٤ . | نقل معاني النظم إلى النثر والنظم إلى النظم |
| الهلل المراد به المجد ٢٤٨ . | ٣٠٧ . |
| (و) | نقل المعنى إلى معنى آخر ٢٩٠ . |
| للوزارة ٤٩ . | |

* * *

(١٢) ثَبَتَ المصادر والمراجع^(١)

المصحف الشريف .

(١)

- إبراز المعاني من حرز الأماني : أبو شامة المقدسي ، عبد الرحمن بن إسماعيل ،
ت ٦٦٥ هـ ، تحد إبراهيم عطوة عوض ، البابي الحلبي بمصر ١٩٨٢ .

- أخيار أبي تمام : أبو بكر الصولي ، محمد بن يحيى ، ت ٣٣٥ هـ ، تحد عساكر وعزام
والهندي ، لجنة التأليف ، القاهرة ١٣٥٦ هـ .

- الاختيارين : الأخفش الأصغر ، علي بن سليمان ، ت ٣١٥ هـ ، تحد . فخر الدين
قباوة ، دمشق ١٩٧٤ .

- أدب الطاهرين : د . منجي الكمي ، تونس ١٩٨٣ .

- أدب الكاتب : ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، ت ٢٧٦ هـ ، تحد محمد الدالي ، بيروت
١٩٨٢ .

- أدب الكتاب : أبو بكر الصولي ، تحد محمد بهجة الأثري ، القاهرة ١٣٤١ هـ .

- الأدب المفرد : البخاري ، محمد بن إسماعيل ، ت ٢٥٦ هـ ، تحد قصي محب الدين
المخليب ، القاهرة ١٣٧٩ هـ .

- الأزمنة : قطرب ، محمد بن المستير ، ت بعد ٣١٠ هـ ، تحد . حاتم صالح
الضامن ، بيروت ١٩٨٥ .

- أسباب نزول القرآن : الواحدي ، علي بن أحمد ، ت ٤٦٨ هـ ، تحد سيد صفر ، القاهرة
١٩٦٩ .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد ، ت ٦٣٠ هـ ،

(١) المطبوعات النادرة عن اسم المؤلف الكامل ، وسنة وفاته ، تذكر عند ورود اسمه لأول مرة فقط .

القاهرة ١٩٧٠- ١٩٧٣ .

- أسرار البلاغة : للمجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن ، ت ٤٧١هـ ، تحرير ، استنبول ١٩٥٤ .

- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة : المجرجاني ، محمد بن علي ، ت ٧٢٩هـ ، ت ح د . عبد القادر حسين ، القاهرة ١٩٨٢ .

- أشعار سعيد بن حميد : يونس السامرائي ، بغداد ١٩٧١ .

- الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر الصقلاني ، أحمد بن علي ، ت ٨٥٢هـ ، ت ح البجاوي ، مطبعة مصر ١٩٧١ .

- إصلاح المطلق : ابن السكيت ، يعقوب بن إسحاق ، ت ٢٤٤هـ ، ت ح شاكروهارون ، دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .

- الأصمعيات : الأصمعي ، عبد الملك بن قريب ، ت ٢١٦هـ ، ت ح شاكروهارون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

- أصول البلاغة : البحراني ، كمال الدين ميثم بن علي ، ت ٦٧٩هـ ، ت ح د . عبد القادر حسين ، قطر ١٩٨٦ .

- الأضداد : ابن الأثيري ، أبو بكر محمد بن القاسم ، ت ٣٢٨هـ ، ت ح أبي الفضل إبراهيم ، الكويت ١٩٦٠ .

- أعتاب الكتاب : ابن الأثير ، محمد بن عبد الله النفذاعي ، ت ٦٥٨هـ ، ت ح د . صالح الأشر ، دمشق ١٩٦١ .

- الاعتماد في نظائر القاء والاضاد : ابن مالك ، جمال الدين محمد ، ت ٦٧٢هـ ، ت ح د . حاتم صالح الفاسن ، بيروت ١٩٨٤ .

- الإحجاز والإيجاز : الثعالبي ، عبد الملك بن محمد ، ت ٤٢٩هـ ، ت ح إسكندر آصف ، مصر ١٨٩٧ .

- الإعلام : الزركلي ، خير الدين ، ت ١٩٧٦ ، بيروت ١٩٦٩ .

- الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين ، ت نحو ٣٦٠هـ ، ج ١ - ١٦ طبعة

دار الكتب ، وج ١٧ - ٢٤ نشر الهيئة المصرية .

- الانقصاب في شرح أدب الكتاب : ابن السيد البطليوسي ، عبد الله بن محمد ،
ت ٥٢١هـ ، تحد مصطفى السقا وحامد عبد المجيد ، مصر ١٩٨٦ .

- الانصاف القريب في علم البيان : التنوخي ، زيد الدين محمد بن محمد بن محمد بن
عمرو ، ق ٨هـ ، مط السعادة بمصر ١٣٢٧هـ .

- الأمثال : أبو عبيد ، القاسم بن سلام ، ت ٢٢٤هـ ، تحد . عبد المجيد قطاش ،
بيروت ١٩٨٠ .

- الأمثال في القرآن الكريم : د . محمد جابر الفياض ، بغداد ١٩٨٨ .

- الأمثال والحكم : الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، ت بعد ٦٦٦هـ ،
تحد . عبد الرزاق حسين ، عمان ١٩٨٦ .

- الأمثال والحكم : الماوردي ، علي بن محمد ، ت ٤٥٠هـ ، تحد . فؤاد عبد المنعم
أحمد ، قطر ١٩٨٣ .

- إنباء الرواة على أنباء النحاة : القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف ، ت ٦٤٦هـ ،
تحد أبي الفضل إبراهيم ، مط دار الكتب ، مصر ١٩٥٥ - ١٩٧٣ .

- الأوائل : أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله ، ت بعد ٣٩٥هـ ، تحد محمد
المصري ووليد القصاب ، دمشق ١٩٧٥ .

- الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، محمد بن عبد الرحمن ، ت ٧٣٩هـ مط
المنة المحمدية ، القاهرة .

(ب)

- البديع : ابن المعتز ، عبد الله ، ت ٢٩٦هـ ، تحد كراتشوفسكي ، لندن ١٩٣٥ .

- البديع في نقد الشعر : ابن منقذ ، أسامة ، ت ٥٨٤هـ ، تحد . أحمد أحمد بدوي
ود . حامد عبد المجيد ، القاهرة .

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ابن
أبي بكر ، ت ٩١١هـ ، تحد أبي الفضل إبراهيم ، الحلبي بمصر ١٩٦٥ .

- البيان والنبين : الجاحظ ، عمرو بن بحر ، ت ٢٥٥هـ ، نحد عبد السلام هارون ،
الخانجي بمصر ١٩٨٥ .

(ت)

- ناج المروس : الزبيدي ، محمد مرتضى ، ت ١٢٠٥هـ ، المطبعة الخيرية بمصر
١٣٠٦هـ .

- تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي ، ت ٤٦٣هـ ، مط السعادة بمصر
١٩٣١ .

- تأول مشكل القرآن : ابن قتيبة ، تميم صقر ، دار التراث ، مصر ١٩٧٣ .

- البيان في البيان : الطبري ، شرف الدين الحسين بن محمد ، ت ٧٤٣هـ ، نحد د . توفيق
الفيل وعبد اللطيف لطف الله ، الكويت ١٩٨٦ .

- البيان في علم البيان : ابن الزملكاني ، عبد الواحد بن عبد الكريم ، ت ٦٥١هـ ،
نحد د . أحمد مطلوب و د . خديجة الحديثي ، بغداد ١٩٦٤ .

- تحرير التحرير : ابن أبي الإصيص المصري ، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد ،
ت ٦٥٤هـ ، نحد د . حنفي محمد شرف ، القاهرة ١٣٨٣هـ .

- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف : الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك ،
ت ٧٦٤هـ ، نسخة دار الكتب المصرية ، رقم ٣٧ لفة .

- التعريفات : الشريف الجرجاني ، علي بن محمد ، ت ٨١٦هـ ، البابي الحلبي بمصر
١٩٣٨ .

- تفسير الطبري (جامع البيان) : الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ ،
البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤ .

- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : القرطبي ، محمد بن أحمد ، ت ٦٧١هـ ،
القاهرة ١٩٦٧ .

- تقييد العلم : الخطيب البغدادي ، تميم يوسف المش ، دار إحياء السنة النبوية ، أنقرة ،
١٩٧٥ .

- التلخيص في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، تحـ عبد الرحمن اليرفوقي ، القاهرة
١٩٣٢ .

- التلخيص للتوفيق : الثعالبي ، تحـ إبراهيم صالح ، دمشق ١٩٨٣ .

(ج)

- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير : السيوطي ، البايع الحلبي بمصر ١٩٥٤ .

- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمثبور : ابن الأثير ، ضياء الدين
نصر الله بن محمد ، ت ٦٣٧هـ ، تحـ د . مصطفى جواد ود . جميل معبد ، بغداد
١٩٥٦ .

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : الخطيب البغدادي ، تحـ د . محمود الطحان ،
الرياض ١٩٨٣ .

- جنى الجناس : السيوطي ، تحـ د . محمد علي رزق الخفاجي ، النار الفنية للطباعة
والنشر .

- جواهر الألفاظ : قدامة بن جعفر ، ٣٣٧هـ ، تحـ محمد محيي الدين عبد الحميد ،
القاهرة ١٩٣٢ .

- جوهر الكنز : الحلبي ، نجم الدين أحمد بن إسماعيل ، ت ٧٣٧هـ ، تحـ د . محمد
زغللول سلام ، الإسكندرية .

(ح)

- حقائق السحر في دقائق الشعر : الوطواط ، رشيد الدين محمد العمري ، ت ٥٧٣هـ ،
نقله إلى العربية د . إبراهيم الشوايبي ، القاهرة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥ م .

- حروف الممدود والمقصود : ابن السكيت ، تحـ د . حسن شاذلي فرهود ، الرياض ١٩٨٥ .

- حسن التوصل إلى صناعة التروسل : شهاب الدين الحلبي ، محمود بن سليمان ،
ت ٧٢٥هـ ، تحـ أكرم عثمان ، بغداد ١٩٨٠ .

- حلية الأولياء : أبو نعيم الأصبهاني ، أحمد بن عبد الله ، ت ٤٣٠هـ ، مط السعادة بمصر
١٩٣٨ .

- حلية العقود في الفرق بين المقصور والمملوك : الأتباري ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ، ت ٥٧٧هـ ، تعداد . عطية عامر ، بيروت ١٩٦٦ .

- حلية المحاضرة : الحاتمي ، محمد بن الحسن ، ت ٣٨٨هـ ، تعداد . جعفر كاشي ، بغداد ١٩٧٩ .

(خ)

- خواص الخاص : الثعالبي ، بيروت ١٩٦٦ .

- خزائن الأدب : البخلافي ، عبد القادر بن عمر ، ت ١٠٩٣هـ ، تعداد عبد السلام هارون ، مصر ١٩٧٩ - ١٩٨٦ .

- خزائن الأدب : ابن حجة الحموي ، تقي الدين علي ، ت ٨٣٧هـ ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٤هـ .

(د)

- درة النواص في أوهام الخواص : الحريري ، القاسم بن علي ، ت ٥١٦هـ ، تعداد توريكا ، لايزك ١٨٧١ .

- الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة : السيوطي ، تعداد . محمد بن لطف الصباغ ، الرياض ١٩٨٣ .

- دلائق التصريف : المؤدب ، القاسم بن محمد بن سعيد ، ق ٤هـ ، تعداد . أحمد ناجي القيسي ود ، حاتم صالح الضامن ود . حسين نورال ، بغداد ١٩٨٧ .

- ديوان الأخطل : تعداد صالحاني ، مط الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩١ .

- ديوان إسحاق الموصلي : ماجد العزي ، بغداد ١٩٧٠ .

- ديوان الأمتى (المصحح المنير) : تعداد جابر ، لندن ١٩٢٨ .

- ديوان الأقوة الأودي : تعداد الميمني (الطرافف الأدبية) ، القاهرة ١٩٣٧ .

- ديوان لبرئ القيس : تعداد أبي الفضل ، القاهرة ١٩٦٩ .

- ديوان أوس بن حجر : تحد د . محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٠ .
- ديوان البحري : تحد حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف بمصر .
- ديوان بشار بن برد : تحد محمد الطاهر بن عاشور ، القاهرة .
- ديوان أبي تمام (شرح الثبري) : تحد محمد عبد عزام ، دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .
- ديوان أبي تمام (شرح الصولي) : تحد د . خلف رشيد نعمان ، بغداد ١٩٧٧ - ١٩٨٢ .
- ديوان جرير : تحد نعمان أمين طه ، دار المعارف بمصر .
- ديوان جميل : تحد د . حسين نصار ، مكتبة مصر ، القاهرة .
- ديوان حاتم بن عبد الله الطائي : تحد د . عادل سليمان مط المذني بمصر .
- ديوان حسان بن ثابت : تحد د . وليد عرفات ، بيروت ١٩٧٤ .
- ديوان الحطيئة : تحد نعمان أمين طه ، القاهرة ١٩٥٨ .
- ديوان الخنساء : دار التراث ، بيروت ١٩٦٨ .
- ديوان ابن دريد : تحد محمد بدر الدين الطولي ، القاهرة ١٩٤٦ .
- ديوان ابن دريد : تحد عمر بن سالم ، تونس ، ١٩٧٣ .
- ديوان ابن الدميني : تحد أحمد راتب النفاخ : القاهرة ١٩٥٩ .
- ديوان ديك الجن الحمصي : تحد مظهر الحجي ، دمشق ١٩٨٧ .
- ديوان ذي الرمة (شرح أبي نصر الباهلي) : تحد د . عبد القدوس أبو صالح ، دمشق ١٩٧٢ - ١٩٧٣ .
- ديوان الراعي النميري : تحد فاهيرت بيروت ١٩٨٠ .
- ديوان روبة : تحد وليم بن الورد ، لايزك ١٩٠٣ .
- ديوان ابن الرومي : تحد د . حسين نصار ، القاهرة ١٩٧٤ .
- ديوان زهير : دار الكتب المصرية ١٣٦٣ هـ .
- ديوان شعر هدي بن الرفاع : تحد د . نوري القيسي ود . حاتم صالح الضامن ، بغداد

. ١٩٨٧ .

- ديوان الشماخ : تحد صلاح الدين الهادي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .

- ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد) : تحد . سامي الدهان ، دار المعارف بمصر . ١٩٧٠ .

- ديوان طرفة (شرح الأعلام الششمري) : تحد درية الخطيب ولطفي الصقال ، دمشق . ١٩٧٥ .

- ديوان العباس بن الأحنف : تحد . عائكة الخزرجي ، القاهرة ، ١٩٥١ .

- ديوان عبيد بن الأبرص : تحد . حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٧ .

- ديوان المجاح : تحد . عبد الحفيظ السطلي ، دمشق ١٩٧١ .

- ديوان عدي بن زيد : تحد محمد جبار المعين ، بغداد ١٩٦٥ .

- ديوان العرجي : تحد رشيد العبيدي وخضر الطائي ، بغداد ١٩٥٦ .

- ديوان عروة بن الورد (شرح ابن السكيت) : تحد عبد المعين الملوح ، دمشق . ١٩٦٦ .

- ديوان علقمة الفحل : تحد لطفي الصقال ودرية الخطيب ، حلب ١٩٦٩ .

- ديوان عمر بن أبي ربيعة : تحد محمد محيي الدين عبد الحميد ، مط السعادة بمصر . ١٩٦١ .

- ديوان عترة : تحد محمد سعيد مولوي ، المكتبة الإسلامية ، دمشق ١٩٧٠ .

- ديوان أبي الفتح البستي : تحد درية الخطيب ولطفي الصقال ، دمشق ١٩٨٩ .

- ديوان الفرزدق : تحد عبد الله الصاوي ، مط . الصاوي بمصر ١٩٣٦ .

- ديوان القنطاري : تحد بارث ، لندن ١٩١٢ .

- ديوان كثير : تحد . إحسان عباس ، بيروت ١٩٧١ .

- ديوان لبيد : تحد . إحسان عباس ، الكويت ١٩٦٢ .

- ديوان المثنبي (الشبان في شرح الدهوان المنسوب غلطاً إلى العكبري) : تحد السقا

- وآخرين ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٦ .
- ديوان مجنون ليلى (قيس بن الملوخ) : تحد عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة .
- ديوان معن بن أوس المزني : تحد د . توري القيسي ود . حاتم صالح الضامن ، بغداد ١٩٧٧ .
- ديوان ابن مقبل : تحد د . هزة حسن ، دمشق ١٩٦٢ .
- ديوان النابغة الذبياني (صنعة ابن السكيت) : تحد د . شكوي فيصل ، بيروت ١٩٦٨ .
- ديوان أبي نواس : تحد أحمد عبد المجيد الغزالي ، بيروت .
- ديوان الهذليين ، مصورة من طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٦٥ .

(ر)

- الرسالة الحاتمية : أبو علي الحاتمي ، نشرت في كتاب : الإنابة عن سرقات المتنبي ، تحد إبراهيم الدسوقي ، دار المعارف بمصر ١٩٦١ .
- رسالة الخط والقلم المنسوبة إلى ابن قتيبة : تحد د . حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٨٩ .
- الرسالة الغراء : أبو اليسر ، إبراهيم بن محمد الشيباني ، ت ٢٩٨هـ ، تحد د . زكي مبارك ، القاهرة ١٩٣١ . (نُسبت خطأ إلى ابن المدير) .
- الرسالة العسجدية في المعاني المؤيدة ، الصنعاني ، عباس بن علي ، ق ٧هـ ، تحد عبد المجيد الشرفي ، تونس ١٩٧٦ .
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : مكى بن أبي طالب القيسي ، ت : ٧٣٤هـ ، تحد د . أحمد حسن قرحات ، الأردن ١٩٨٤ .
- الروض المريع في صناعة المبدع : ابن البناء المراكشي ، أحمد بن محمد بن عثمان ، ت ٧٢١هـ ، تحد رضوان بنشقرون ، المغرب ١٩٨٥ .

(ز)

- الزاهر في معاني كلمات الناس : ابن الأنباري ، تحد د . حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٧٩ .

- زهر الآداب : الحصري القيرواني ، إبراهيم بن علي ، ت ٤٥٣هـ ، تحد البجاوي ، ١٩٥٣ .

(ص)

- سر صناعة الإعراب : ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، ت ٣٩٢هـ ، تحد د . حسن هنداري ، دمشق ١٩٨٥ .

- سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، عبد الله بن محمد ، ت ٤٦٦هـ ، تحد عبد المتعال الصمدي ، مصر ١٩٥٢ .

- سرح العيون : ابن نباتة ، جمال الدين ، ت ٧٦٨هـ ، تحد أبي الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٤ .

- سنن الترمذي : الترمذي ، محمد بن عيسى ، ت ٢٧٩هـ ، تحد أحمد محمد شاكر ، القامري ١٩٣٧ .

- سنن الدارمي : الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن ، ت ٢٥٥هـ ، مط الاعتدال ، دمشق ١٣٤٩هـ .

- سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد ، ت ٢٧٥هـ ، تحد محمد فؤاد عبد الباقي ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٢ .

(ش)

- شرح شواهد المعنى : السيوطي ، دمشق ١٩٦٦ .

- شرح عقود الصمان : السيوطي ، القاهرة ١٩٣٩ .

- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : ابن الأثيري ، تحد عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .

- شرح الكوكب المنير : ابن النجار ، محمد بن أحمد الحنبلي ، ت ٩٧٢هـ ، تحد . محمد الزحيلي ود . نزيه حماد ، دمشق ١٩٨٠ .

- شرح المعلقات السبع : الزوزني ، حسين بن أحمد ، ت ٤٨٦هـ ، تحد محمد محي الدين عبد الحميد ، مط السعادة بمصر .

- شرح الفضليات : القاسم بن بشار الأنباري ، ت ٣٠٤هـ ، تحريك ، بيروت ١٩٢٠ .
- شرح مقامات الحريري ، الشريشي ، أحمد بن عبد المؤمن ، ت ٦٢٠هـ ، تحريك أبي الفضل ، مطبعتي بمصر ١٩٧٣ .
- شعر إبراهيم بن هرمة : تحقيق محمد نفاع ، وحسين عطوان ، دمشق ١٩٦٩ .
- شعر الأحوص : عادل سليمان ، القاهرة ١٩٧٠ .
- شعر الأقيصر الأسدي : الطيب العشاش ، فصلة من حوليات الجامعة التونسية ، العدد الثامن ١٩٧١ .
- شعر بكر بن الطاح : حاتم صالح الضامن ، بغداد ١٩٧٥ .
- شعر أبي حية التميمي : د. يحيى الجبوري ، دمشق ١٩٧٥ .
- شعر خدائش بن زهير : يحيى الجبوري ، دمشق ١٩٨٦ .
- شعر أبي دواد الإيادي : غرناوم (نشر في : دراسات في الأدب العربي) ، بيروت ١٩٥٩ .
- شعر مسلم الخامس : د. ثابت محمود معروف ، بيروت .
- شعر سويد بن كراع : د. حاتم صالح الضامن ، نشر في مجلة المورد ٨٤ع ١ ، بغداد ١٩٧٩ .
- شعر الشنفرى : محمد عبد العزيز الميمنى (نشر في : الطرائف الأدبية) .
- شعر ابن طباطبا العلوي : جابر الخاقاني ، بغداد ١٩٧٥ .
- شعر عبد الرحمن بن حسان : د. سامي مكي العاني : بغداد ١٩٧١ .
- شعر عبد الله بن الزبير : د. يحيى الجبوري ، بيروت ١٩٨١ .
- شعر عبد الله بن طاهر : قحطان الحديثي ، نشر في مجلة الخليج العربي ، ع ٦ ، البصرة ١٩٧٦ .
- شعر هبة بن الطيب : د. يحيى الجبوري ، بغداد ١٩٧١ .

- شعر المكوك (علي بن جبلة) : أحمد تصنيف الجنابي ، النجف ١٩٧١ . وطبعة د. حسين عطوان ، مصر ١٩٧٢ .
- شعر الكميت بن زيد : د. داود سلوم ، النجف ١٩٦٩ .
- شعر مروان بن أبي حفصة : د. حسين عطوان : مصر ١٩٧٣ .
- شعر ابن المعتز : د. يونس السامرائي ، بغداد ١٩٧٨ .
- شعر ابن ميادة : د. حنا جميل حداد ، دمشق ١٩٨٢ .
- شعر النابغة الجعني : المكب الإسلامي بدمشق ١٩٦٤ .
- شعر نصيب : د. داود سلوم ، بغداد ١٩٦٨ .
- شعر النمر بن تولب : د. نوري القيسي ، بغداد ١٩٦٩ .
- شعر نهشل بن حري : حاتم صالح الضامن ، نشر في مجلة كلية أصول الدين ، ع ١٤ ، بغداد ١٩٧٥ .
- الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، تح. أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦ .
- شعر يزيد بن الطثيرة : حاتم صالح الضامن ، مط أسعد ، بغداد ١٩٧٣ .
- شعراء أمويون : د. نوري القيسي ، مط جامعة الموصل ١٩٧٦ .
- شعراء عباسيون : غزنيوم ، بيروت ١٩٥٩ .
- شعراء عباسيون : د. يونس السامرائي ، بيروت ١٩٨٧ .
- شعراء مقلون : د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٨٧ .

(ص)

- صبح الأعشى : الفلقشتدي أحمد بن علي ، ت ٨٢٦ هـ ، مصورة عن الطبعة الأميرية .
- الصناعتين : أبو غلال العسكري ، تح. البجاوي وأبي الفضل ، البابي الحلبي بمصر ١٩٧١ .

(ط)

- طليقات الشعراء المحدثين : ابن المعتز ، تح. عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف

بمصر ١٩٥٦ .

- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، محمد ، ت ٢٣٢هـ ، تح محمود محمد شاكر ، مط المدني بمصر ١٩٧٤ .

- طبقات النحويين والمفتويين : الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن ، ت ٣٧٩هـ ، تح أبي الفضل ، دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : العلوي ، يحيى بن حمزة ، ت ٧٤٩هـ ، القاهرة ١٩١٤ .

(ع)

- العقد الفريد : ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد ، ت ٣٢٨هـ ، طبع اللجنة ، القاهرة ١٥٩٦ .

- العملة : ابن رشيق القيرواني ، الحسن ، ت ٤٥٦هـ ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٥ .

- العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت ١٧٠هـ ، تح د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية ١٩٨٠-١٩٨٥ .

- عيون الأخبار : ابن قتيبة ، دار الكتب المصرية ١٩٢٥ - ١٩٣٠ .

- العيون الفائزة على خبايا الرامزة : الدعاميني ، بدر الدين محمد بن أبي بكر ، ت ٨٢٧هـ ، تح الحساني حسن عبد الله ، مط المدني ، القاهرة ١٩٧٣ .

(غ)

- غريب الحديث : الخطابي ، حمد بن محمد ، ت ٣٨٨هـ ، تح عبد الكريم المزياوي ، دمشق ١٩٨٢ .

- غريب الحديث : أبو عبيد ، حيدر آبار ١٩٦٥ - ١٩٦٧ .

(ف)

- فرحة الأدب : الأسود الفندجاني ، الحسن بن أحمد ، ت بعد ٤٣٠هـ ، تح د. محمد

علي سلطاني ، دمشق ١٩٨١ هـ .

- الفرق بين الحروف الخمسة : ابن السيد البطليوسي ، تح عبد الله الناصير ، دمشق ١٩٨٤ هـ .

- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر ، ت ٧٥١ هـ ، القاهرة ١٣٢٧ هـ . (والصراف أنه مقدمة تفسير ابن القيم) .

(ق)

- قانون البلاغة : أبو طاهر البغدادي ، محمد بن حيدر ، ت ٥١٧ هـ ، تح د. محسن غياض ، بيروت ١٩٨١ هـ .

- القوافي : الأضطر ، سعيد بن مسعدة ، ت ٢١٥ هـ ، تح أحمد راتب النفاخ ، بيروت ١٩٧٤ هـ .

- القوافي : التنوخي ، القاضي أبو يعلى عبد الباقي بن عبد الله ، ق ٦ هـ ، تح د. هوني عبد الرؤوف ، القاهرة ١٩٧٥ هـ .

(ك)

- الكامل : الفيرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ، ت ٢٨٥ هـ ، تح محمد أحمد الدالي ، بيروت ١٩٨٦ هـ .

- الكتاب : سيويه ، عمرو بن عثمان ، ت ١٨٠ هـ ، بولاق ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ .

- كتاب الكتاب : ابن درستويه ، عبد الله بن جعفر ، ت ٣٤٧ هـ ، تح شيخو ، بيروت ١٩٢٧ هـ .

- كشف اصطلاحات الفنون : النهاوي ، محمد علي ، ت بعد ١١٥٨ هـ ، تح د. لطفي عبد الباق ، القاهرة ١٩٧٧ هـ .

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس : المجلوني ، إسماعيل بن محمد ، ت ١١٦٢ هـ ، تصحيح أحمد القلائ ، بيروت ١٩٨٥ هـ .

- الكليات : أبو البقاء الكفري ، أيوب بن موسى ، ت ١٠٩٤ هـ ، تح د. عليان درويش ومحمد المصري ، دمشق ١٩٧٤ هـ .

- الكوكب العدي : الأسنوي ، جمال الدين عبد الرحمن بن الحسن ، ت ٧٧٢هـ ،
تحد. عبد الرزاق السعدي ، بغداد ١٩٨٤ .

(ل)

- لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم ، ت ٧١١هـ ، بيروت ١٩٦٨ .

- اللعة في صنعة الشعر : أبو البركات الأنباري ، تحد. حاتم صالح الضامن . (نشر
في : ثلاثة كتب لأبي البركات الأنباري) ، دار البشير ، دمشق ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م .

- ما اتفق لفظه واختلف معناه (المأثور) : أبو المفضل الأعرابي ، عبد الله بن خليل ،
ت ٢٤٠هـ ، تحد. كرنكو ، لندن ١٩٢٥ .

- المتشابه : الثعالبي ، نشر. إبراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٧٦ .

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ابن الأثير ، ضياء الدين ، تحد. أحمد الحوفي
ود. بدوي طبانة ، مطبعة مصر ١٩٥٩ .

- مجمع الأمثال : الميمني ، أحمد بن محمد ، ت ٥١٨هـ ، تحد. محمد محيي الدين
عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٩ .

- المحاسن والمساوي : البيهقي ، إبراهيم بن محمد ، ت ٤٥٨هـ ، تحد. أبي الفضل ،
مصر ١٩٦١ .

- المحبر : ابن حبيب ، محمد ، ت ٥٤٢هـ ، تحد. ايلزه ليتخن ، حيدر آباد ، الهند
١٩٤٢ .

- المحدث الفاضل بين الراوي والواهي : الرامهرمزي ، الحسن بن عبد الرحمن ، ت نحو
٣٦٠هـ ، تحد. محمد عجاج الخطيب ، بيروت ١٩٧١ .

- المصنوع في علم أصول الفقه : فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر ، ت ٦٠٦هـ ،
تحد. طه جابر فياض ، الرياض ١٩٧٩ .

- المذكر والمؤث : ابن الأنباري ، تحد. طارق الجنابي ، بيروت ١٩٨٦ .

- المذكر والمؤث : أبو حاتم السجستاني ، تحد. حاتم صالح الضامن ، دمشق
١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م .

- المذكر والمؤث : الفراء ، يحيى بن زياد ، ت ٢٠٧هـ ، تحد . رمضان عيد التواب ، القاهرة ١٩٧٥ .
- المذكر والمؤث : الميرد : تحد . رمضان عيد التواب وصلاح الدين الهادي ، مط دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٠ .
- مراتب التحريص : أبو الطيب اللخوري ، عبد الواحد بن علي ، ت ٣٥١هـ ، تحد أبي الفضل ، مصر ١٩٥٥ .
- مرشد الغارئ إلى معالم المقارئ : ابن الطحان المسامي ، أبو الأصبح عبد العزيز بن علي ، ت ٥٦١هـ ، تحد . حاتم صالح الفضان ، عقان ٢٠٠٢ م .
- مروج الذهب : المسعودي ، علي بن الحسين ، ت ٣٤٩هـ ، بيروت ١٩٦٥ .
- مست الشهاب : الفضاعي ، محمد بن سلامة ، ت ٤٥٤هـ ، تحد حمدي عبد المجيد السلاني ، بيروت ١٩٨٦ .
- المطول : التفتازاني ، سعد الدين معمودين عمر ، ت ٧٩٣هـ ، تركيا ١٣٣٠هـ .
- المعارف : ابن قتيبة ، تحد . ثروة عكاشة ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .
- معالم الكتابة ومفاهيم الإصابة : القرشي ، عبد الرحيم بن علي بن شيب ، ت ٦٣٥هـ ، بيروت ١٩١٣ .
- معجم الأدياء : ياقوت الحموي ، ت ٦٣٦هـ مط دار المأمون بمصر ١٩٣٦ .
- معجم البلدان : ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٧ .
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : د . أحمد مطلوب ، بغداد ١٩٨٥ - ١٩٨٧ .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار مطابع الشعب .
- المعصرون والروايات : أبو حاتم السجستاني ، سهل بن محمد ، ت ٢٥٥هـ ، تحد عبد المنعم عامر ، مصر ١٩٦٦ .
- مفتاح العلوم : السكاكي ، يوسف بن أبي بكر ، ت ٦٢٦هـ ، القاهرة ١٩٣٧ .
- المنفصليات : المفضل الضبي ، ت نحو ١٧٨هـ ، تحت شاكر وهارون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة ، علي الأكنة : البخاري ، محمد بن الرحمن ، ت ٩٠٢هـ ، تح عبد الله محمد الصديق ، مصر ١٩٥٦ .
- المدود والمقصود : الرشاد ، أبو الطيب محمد بن أحمد ، ت ٣٧٥هـ ، تح د . رمضان عبد التواب ، الخانجي بمصر ١٩٧٩ .
- المنجد في اللغة : كراع النمل ، علي بن الحسن الهنائي ، ت ٣١٠هـ ، تح د . أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي ، القاهرة ١٩٧٦ .
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، السجلناسي ، القاسم بن محمد ، ت بعد ٧٠٤هـ ، تح علاء الغازي ، الرباط ١٩٨٠ .
- المتصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره : ابن وكيع التبيي ، الحسن بن علي ، ت ٣٩٢هـ ، تح د . محمد وضوان الداية ، دمشق ١٩٨٢ .
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري : الأملدي ، الحسن بن بشر ، ت ٣٧٠هـ ، تح أحمد صقر ، القاهرة ١٩٦١ .
- المؤلف والمختلف : الأملدي ، تح عبد الستار أحمد فراج ، الباهي الحلبي بمصر ١٩٦١ .
- الموشع : المرزباني ، محمد بن عمران ، ت ٣٨٤هـ ، تح عبد الستار أحمد فراج ، مصر ١٩٦٠ .

(ن)

- نزهة الألباء : الأنباري ، تح أبي الفضل ، مط المدني بمصر .
- نصرة الشاعر على المثل السائر : الصقدي ، تح د . محمد علي سلطاني ، دمشق ١٩٧٢ .
- نصرة الإغريض في نصرة القريض : المظفر بن الفضل العلوي ، ت ٦٥٦هـ ، تح د . نهى عارف الحسن ، دمشق ١٩٧٦ .
- نظرية عبد القاهر في النظم : د . درويش الجندبي ، مصر ١٩٦٠ .
- نظرية النظم : د . حاتم صالح الضامن ، بغداد ١٩٧٩ .

- نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، تحـ كمال مصطفى ، المخانجي بالقاهرة ١٩٧٩ .
- النكت في إعجاز القرآن : الرماني ، علي بن عيسى ، ت ٣٨٦هـ . (نشر في : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تحـ محمد خلف الله ود . محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .
- نكت الهميان في نكت العميان : الكصفدي ، القاهرة ١٩١١ .
- نهاية الأرب في فنون الأدب : النبري ، أحمد بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٣هـ ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : فخر الدين الرازي ، تحـ د . بكري شيخ أمين ، بيروت ١٩٨٥ .
- النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير ، مجد الدين المبارك . محمد ، ت ٦٠٦هـ ، تحـ الزاوي والطناحي ، القاهرة ١٩٦٣ .
- نهج البلاغة : ما اختاره الشريف الرضي من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، تحـ د . صبحي الصالح ، بيروت ١٩٦٧ .
- نور القيس من المقيس : الحافظ اليمصوري ، يوسف بن أحمد ، ت ٦٧٣هـ ، تحـ زلهام ، مط الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٤ .

(و)

- الوافي في العروفس والقوافي : الخطيب التبريزي ، يحيى بن علي ، ت ٥٠٢هـ ، تحـ . فخر الدين قباوة وعمر يحيى ، دمشق ١٩٧٥ .
- الوجوه والناظر في القرآن الكريم : هارون بن موسى ق ٢هـ ، تحـ د . حاتم صالح الضامن ، بغداد ١٩٨٨ .
- وفيات الأعيان : ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد ، ت ٦٨٨هـ ، تحـ د . إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت .

(ي)

- ينية النهر : الثعالبي ، تحـ محمد محيي الدين عبد الحميد ، مط السعادة بمصر ١٩٥٦ .

(١٣) فهرس موضوعات الكتاب

| | |
|----|---|
| ٥ | مقدمة المحقق |
| ٦ | مؤلف الكتاب |
| ٧ | كتاب مواد البيان |
| ١٠ | صور بعض صفحات المخطوطة |
| ١٥ | مقدمة المؤلف |
| | الباب الأول : في حد صناعة الكتابة وفضيلتها ومنفعتها وغرضها وتقسيمها ورسم الكتاب |
| ١٩ | وعلة وضعه |
| ٢٠ | القول على الحد |
| ٢٠ | القول على الفضيلة |
| ٢٤ | فصل في فضائلها المستنبطة من كتاب الله عز وجل |
| ٢٧ | فصل من فضائلها المأخوذة من مراتب أهلها ومنازل أربابها |
| ٣٣ | القول على المنفعة |
| ٣٦ | القول على الغرض |
| ٣٨ | القول على القسمة |
| ٤٨ | مراتب صناعة الكتابة |
| ٤٩ | الوزارة |
| ٥٠ | التوقيع |
| ٥١ | الرسائل |
| ٥٢ | الخراج |
| ٥٣ | الضياع |
| ٥٤ | بيت المال والخزائن |
| ٥٤ | النفقات |
| ٥٥ | الجيش |
| ٥٦ | الزمام |

| | |
|-----|--|
| ٥٦ | البريد |
| ٥٧ | اللفظ |
| ٥٨ | المظالم |
| ٥٨ | كتابة القضاء |
| ٥٩ | كتابة الأمرء والقواد |
| ٥٩ | كتابة المعاون والأحداث |
| ٥٩ | القول على هذه الصناعة في أي منح من المذاهب |
| ٦٠ | القول على الرسم |
| ٦١ | القول على علة وضع الكتاب |
| ٦٢ | الباب الثاني : في البلاغة وأقسامها |
| ٦٤ | حدود البلاغة |
| ٦٦ | قول في الألفاظ البسيطة |
| ٧٩ | قول في المعاني المجردة |
| ٨٢ | قول في المركب من الألفاظ والمعاني |
| ٨٣ | الكيفية |
| ٩٠ | الكمية |
| ٩٨ | الترتيب |
| ١٠٧ | الباب الثالث : في أقسام البلاغة القرية |
| ١٠٧ | قول في الحقيقة والمجاز |
| ١١٦ | قول في الإيجاز |
| ١٢٤ | قول في الاستعارة |
| ١٣٤ | قول في التشبيه |
| ١٤١ | قول في البيان |
| ١٤٧ | قول في النظم |
| ١٦١ | قول في الترتيب |
| ١٦٥ | قول في التصرف |
| ١٦٧ | قول في المشاكلة |

| | |
|-----|---|
| ١٧٨ | قول في التلازم |
| ١٨١ | قول في المثل |
| ١٨٥ | باب الرابع : في صناعة البديع وأبوابها |
| ١٨٨ | ذكر أحسن ما ابتدأ به الكاتب والخطيب والشاعر |
| ١٩٦ | ذكر الخروج الحسن |
| ١٩٣ | ذكر الترصيع |
| ١٩٩ | ذكر المقابلة |
| ٢٠١ | ذكر التقسيم |
| ٢٠٣ | ذكر التبيين |
| ٢٠٤ | ذكر الالتفات |
| ٢٠٥ | ذكر الاعتراض |
| ٢٠٧ | ذكر التفسير |
| ٢٠٧ | ذكر التتميم والتكميل |
| ٢١٠ | ذكر المبالغة |
| ٢١٤ | ذكر التكافؤ |
| ٢١٥ | ذكر الإشارة |
| ٢١٦ | ذكر الإرداف |
| ٢١٨ | ذكر التمثيل |
| ٢١٩ | ذكر الكتابة |
| ٢٢٣ | ذكر التعريض |
| ٢٢٥ | ذكر التسهيم |
| ٢٢٦ | ذكر التوشيح |
| ٢٢٨ | ذكر الإعانة |
| ٢٢٩ | ذكر الإبدال |
| ٢٣٠ | ذكر التركيب |
| ٢٣١ | ذكر الإلمام |
| ٢٣٢ | ذكر الاستفهام |

| | |
|-----|--|
| ٢٣٢ | ذكر التفرع |
| ٢٣٤ | ذكر التبديل |
| ٢٣٥ | ذكر التصريح |
| ٢٣٦ | ذكر الاستدراك |
| ٢٣٦ | ذكر العشو المنفرد |
| ٢٣٧ | ذكر الرجوع |
| ٢٣٩ | ذكر التوضيح |
| ٢٤١ | ذكر التردد |
| ٢٤٢ | ذكر التصدير |
| ٢٤٣ | ذكر التسميط |
| ٢٤٤ | ذكر التضمين |
| ٢٤٥ | ذكر توكيد الملح بما يشبه الدم |
| ٢٤٦ | ذكر الاستطراد |
| ٢٤٨ | ذكر المعاملة |
| ٢٤٨ | ذكر المهزل المراد به الجهد |
| ٢٤٩ | ذكر الاستثناء |
| ٢٤٩ | ذكر التفريق |
| ٢٥٠ | الباب الخامس : فيما يخرج الكلام عن أحكام البلاغة |
| ٢٥١ | القسم الأول في غريب الألفاظ |
| ٢٥١ | ذكر النعاشي والنافر والملحون |
| ٢٥١ | ذكر الاستعارتين القبيحة والمعبية |
| ٢٥٣ | ذكر المتهفد |
| ٢٥٤ | ذكر التطويل |
| ٢٥٤ | ذكر التجميع |
| ٢٥٥ | ذكر التكرير |
| ٢٥٥ | ذكر المعاملة |
| ٢٥٦ | ذكر التجنيس المعيب |

| | |
|-----|---|
| ٢٥٧ | القسم الثاني وهو عيوب المعاني |
| ٢٥٧ | ذكر السحيل والممتع والمتناقص |
| ٢٥٩ | ذكر فساد التقسيم |
| ٢٥٩ | ذكر فساد المقابلة |
| ٢٦٠ | ذكر فساد التفسير |
| ٢٦١ | ذكر نسب الشيء إلى ما ليس منه |
| ٢٦١ | ذكر التطبيق المعيب |
| ٢٦٢ | ذكر التخليط |
| ٢٦٣ | القسم الثالث وهو عيوب المركب من الألفاظ والمعاني |
| ٢٦٣ | ذكر الإخلال |
| ٢٦٤ | ذكر عكس الإخلال |
| ٢٦٤ | ذكر الانتقال |
| ٢٦٤ | ذكر الهذر والتباعد |
| ٢٦٥ | ذكر تكلف القافية والسجع |
| ٢٦٥ | ذكر القلب |
| ٢٦٧ | ذكر العبث |
| ٢٦٨ | ذكر المشترك |
| ٢٦٨ | ذكر الحشو غير المفيد |
| ٢٦٩ | التريد المعيب |
| ٢٦٩ | ذكر التوسيع المعيب |
| ٢٧٠ | الباب السادس : في أن الطبع قوام الصناعة واحتذاء مذاهب السالفين فيها كمالها وتماها |
| ٢٧٠ | قول في الغرائز |
| ٢٧٥ | قول في احتذاء اللاحقين مذاهب السابقين |
| ٢٨٧ | قول في الطريق الملوكة إلى استعمال اللاحقين معاني السابقين |
| ٢٨٨ | للتصريح المستحسن من استعمال المعاني المقترحة |
| ٢٨٨ | القسم الأول : النظر والملاحظة |
| ٢٨٩ | القسم الثاني : في كشف المعنى وإبرازه |

| | |
|-----|---|
| ٢٩٠ | القسم الثالث : نقل المعنى إلى معنى آخر |
| ٢٩١ | القسم الرابع : كشف المعنى وإيضاحه |
| ٢٩٢ | القسم الخامس : تكافؤ النسخ والمبتدع |
| ٢٩٣ | القسم السادس : اختصار اللفظ الطويل |
| ٢٩٣ | الضرب المستقيم من استعمال المعاني المفترقة |
| ٢٩٣ | القسم الأول : تقصير المتع |
| ٢٩٦ | القسم الثاني : الالتقاط والتلفيق |
| ٢٩٧ | القسم الثالث : الاختتام ويسمى نسخا |
| ٢٩٨ | القسم الرابع : الإغارة |
| ٢٩٨ | القسم الخامس : الأصراف والاستلحاق |
| ٢٩٩ | القسم السادس : الانتحال |
| ٢٩٩ | أنموذج للمعرفات |
| ٣٠٧ | قول في نقل معاني النظم إلى الشر والشر إلى النظم |
| ٣١١ | قول في الموارد |
| ٣١٦ | الباب السابع : في أوضاع الخط وقوانينه |
| ٣١٦ | قول في الخط وأحكامه |
| ٣١٨ | الطريق إلى تحمين الخط |
| ٣١٩ | ترتيب الحروف |
| ٣٢٦ | ترتيب المصادر |
| ٣٣٠ | قول في العنود |
| ٣٣٤ | قول في الدعاء |
| ٣٣٧ | قول في التاريخ |
| ٣٣٩ | قول في المختوم |
| ٣٤١ | الباب الثامن : في رسوم السكتيات |
| ٣٤٥ | السلطانيات |
| ٣٤٦ | الكتب في الدعاء إلى الدين |
| ٣٤٧ | الكتب في البحث على الجهاد |

| | |
|-----|--|
| ٣٤٩ | الكتب في الحظ على لزوم الطاعة |
| ٣٥٠ | الكتب بالتنبيه على مواسم العبادة |
| ٣٥١ | الكتب عند حدوث الآيات السماويات |
| ٣٥٢ | الكتب في النهي عن التنازع في الدين |
| ٣٥٤ | الكتب عن الخليفة عند انتقال الخلافة إليه |
| ٣٥٨ | الكتب في الهدن |
| ٣٦١ | الكتب إلى من نقض العهد |
| ٣٦٣ | الكتب إلى من خلع الطاعة |
| ٣٧١ | الكتب بالتضييق على أهل الجرائم |
| ٣٧٣ | الكتب في الاحتذار عن السلطان |
| ٣٧٤ | الكتب في الفتوحات |
| ٣٧٧ | الكتب في التوفقة بين السنين الهلالية والخراجية |
| ٣٨٠ | الكتب بالتنويه والتلقيب |
| ٣٨٢ | الكتب بالإحماذ والإنعام |
| ٣٨٣ | الكتب بالأوامر والنواهي |
| ٣٨٤ | الكتب في الغيار |
| ٣٨٧ | فهارس الكتاب |

(١٤) فهرس الفهارس

| | |
|-----|---|
| ٣٨٩ | (١) فهرس الآيات القرآنية |
| ٣٩٨ | (٢) فهرس الأحاديث والآثار |
| ٤٠٠ | (٣) فهرس الأمثال والأقوال |
| ٤٠٦ | (٤) فهرس الأشعار |
| ٤٣١ | (٥) فهرس الأرجاز |
| ٤٣٣ | (٦) فهرس انصاف الآبيات |
| ٤٣٤ | (٧) فهرس الأعلام |
| ٤٤٠ | (٨) فهرس الأسم والقبائل والجماعات |
| ٤٤٠ | (٩) فهرس الأماكن والمواقع |
| ٤٤٠ | (١٠) فهرس الكتب |
| ٤٤١ | (١١) فهرس مواد الكتاب مرتبة على حروف الهجاء |
| ٤٤٥ | (١٢) لبث المصادر والمراجع |
| ٤٦٣ | (١٣) فهرس موضوعات الكتاب |
| ٤٧٠ | (١٤) فهرس الفهارس |